



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

_ الرقم التأسيسي:.....

_ جامعة العربي بن مهيدي . أم البواقي .

_ رقم التسجيل:.....

_ كلية الآداب و اللغات

_ قسم اللغة و الأدب العربي

تداولية الخطاب الإقناعي في كتاب نهج البلاغة
للإمام علي بن أبي طالب [ت: 40 هـ]

_ أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم

_ تخصّص البلاغة العربيّة و شعريّة الخطاب

_ إمداد الطالب: يوسف نجوم _ إشراف الأستاذ الدكتور: فاتح حمبلي

الصفة	الجامعة	لجنة المناقشة
رئيسا	➤ جامعة العربي بن مهيدي _ أم البواقي _	1 _ أد : بلقاسم دكدوك
مشرفا و مقرا	➤ جامعة العربي بن مهيدي _ أم البواقي _	2 _ أد : فاتح حمبلي
مناقشا	➤ جامعة محمد خيضر _ بسكرة _	3 _ أد : امجد بن لخضر فورار
مناقشا	➤ جامعة عباس لغرور _ خنشلة _	4 _ أد : صالح خديش
مناقشا	➤ جامعة الحاج لخضر _ باتنة _	5 _ أد : عبد الرزاق بن سبع
مناقشا	➤ جامعة العربي بن مهيدي _ أم البواقي _	6 _ د: الزهراء عاشور

_ السنة الجامعية: 1438-1439 هـ = 2017-2018 م

2967 _ 2968 أ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُفْتَدِينَ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سورة النحل الآية 125





شكر و تقدير

إلى كل أساتذتي الذين أخذت العلم عنهم في مختلف مساري الدراسي و أطواره و إلى كل من قدّم لي يد العون في إتمام و إنجاح هذا البحث ، و أخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور فاتح حمبلي ، و إلى لجنة المناقشة لهم شكري المسبق لما قد يتفضلون به من اقتراحات و نقد بناء للبحث و الباحث كما اشكر الذين عبّروا عن عواطفهم نحوهما بعد أن نظروا إلى ذلك الجهد المبذول.....

إليهم جميعاً الشكر و التقدير عرفاناً بالجميل.



إهداء



- _ إلى من بعثهم الله رحمة للعالمين...
- _ إلى الذين طهرهم الله و أبعد الرجس عنهم ...
- _ إلى من أنثرت أغصانه بالأزهار الطيبة ، ونمت منها المحبة الأصيلة...
- _ إلى روح والديا رحمهما الله
- _ إلى أسرتي الكريمة
- _ إلى كل بلد من وطني الأصيل فتح لي أبواب نوره ... اهتديت بضياءه ؛ فأهديت من ثماره
- _ إلى جامعة العربي بن مهدي رمزا تاريخيا و مشروعنا حضاريا ...
- _ إلى قسم اللغة و الأدب العربي : زملاء و أصدقاء...
- إليهم جميعا أهدي هذا البحث.



مقدمة

مقدمة

مايزال الخطاب يجذب اهتمام العديد من النقاد والمفكرين ؛ رغبة منهم في الوصول إلى الإحاطة بدلالته ومعانيه ، وسعياً إلى إرساء قواعد تنظيره و طريقة إنتاجه .

وقد تدرّج هذا الاهتمام بدءاً بنحو الجملة إلى أن وصل إلى لسانيات النص ؛ الذي عُرف بامتياز بعصر التحليل في شتى حقول الفكر و الفلسفة، و هو عصر المنهجيات و النظر في منظومة الأفكار المتداخلة فشكّل بهذا مجموعة من الإجراءات ، كانت و لا تزال محور نقاش واسع بين النقاد إلى اليوم .

فبعد أن كان موضوع اللسانيات ينحصر في دراسة الوحدات اللغوية و تعالقتها في التراكيب ثم الدراسة الدلالية في ما بين هذه التراكيب ، انجرّ عنه تطوّر هذه الإجراءات لتصبح أكثر اتساعاً و شمولية و أكثر تبايناً في الرّؤى ، و بالأخص بعد مقاربتها و انفتاحها على مختلف المعارف الإنسانية ك: (الفلسفة و اللسانيات و الفقه و النقد و علم الاجتماع و علم النفس و علم الاتصال....) إلى أن وصلت ربما إلى آخر مولود لها و هي اللسانيات التداولية ، التي هي في أصلها امتداد للدراسات الدلالية السابقة أضيف إليها الاهتمام بنوايا المتكلم و مقاصده ، و السّياق الذي يحيط بإنتاج النصّ و تلقيه .

و لكون التداولية تدرس اللّغة التي تشكل وعاء الإنتاج الفكري والأدبي والسياسي والإنساني في مجمله ؛ فإن ذلك أدى إلى ظهور عدة نظريات نقدية و أدبية و لغوية ، عملت كلها على تطوير المناهج النقدية الحديثة ، هذه الأخيرة التي عرفت بدورها نشاطاً و ديناميكية لم يسبق لها مثيلاً ، لاسيما ما تعلق منها بالدرس اللّساني و ما عرفه من نتائج إيجابية في هذا الصدد من تحليل و دراسة للغة فتنامت بذلك الدراسات والبحوث المتمحورة حول الخطاب شجّعها في ذلك جدية النتائج التي توصلت إليها جعلتها تساهم مساهمة فعالة في تناول كافة الخطابات بالدراسة من ضمنها الخطاب التراثي الذي استرعى اهتمامي ، فخصصت دراستي في هذا الجانب من زاوية إتداولية الخطاب الإقناعي لخطاب تراثي [؛ ليتعانق بحثي مع منبع الثقافة العربية الإسلامية ، هذه الثقافة التي ألقّت بظلالها على بقية العصور المتوالية ، لوجودها في عصر تداخلت فيه كثير من الثقافات و بلورته عدة أجناس و صقلته عدّة أحداث ، فانعكست فيه القيم الأدبية و الفنية ، و طاقات وإمكانات كامنة فيه .

اخترت لذلك مدونة إنهج البلاغة للإمام علي [لما لها من الخصوصية الفكرية والأسلوبية وخصوصية الزّمن و المكان ، وخصوصية التناول من القدامى و المحدثين و خصوصية ما أثير حولها من آراء في النسب أو في مادة الكتابة أو في جوانب عقائدية معقّدة تخص الأمة الإسلامية، ليستقر عنوان البحث على النحو الآتي: تداولية الخطاب الإقناعي في كتاب نهج البلاغة للإمام علي (رضي الله عنه) [، ليتجسد كمشروع علمي ألحّت الرّغبة للكتابة فيه ، رغم معرفتي المسبقة لما سأواجهه من صعوبة

لنشعب مثل هذه المقاربة ، إلا أن الذي هوّ الأمر وجعلني أكثر إصراراً على الإبحار هو إعجابي بهذه المدونة لما تحمله من قيم فنيّة و بلاغية ، سبق و أن تناولتها في رسالة الماجستير الموسومة ب [جماليات التناص في حكم الإمام علي عليه السلام] فزاد تعلقي بها ، إضافة إلى اهتماماتي بالمناهج الحديثة و خاصة الدراسات التداولية ، دون أن أنسى دعم و تشجيع الأستاذ المشرف الدكتور فاتح حمبلي الذي أيّدي منذ اللحظة الأولى على الدراسة التداولية والخطاب الإقناعي و الاستمرار مع المدونة نفسها ؛ لإبراز الجوانب الأخرى هي الأكثر أهمية فيها .

خاصة وأن كتاب نهج البلاغة لازال كتاباً حيّاً يعالج كثيراً من الأفكار المعاصرة ، فقد جذب اهتمام الشّراح و النّقاد في مختلف العصور، إذ شُرح أكثر من سبعين مرة بدءاً من القرن الرابع الهجري إلى العصر الحديث كان الآخر فيهم شيخ الأزهر محمد عبده، فعودتي إليه إذن هي محاولة مني لوضعه في إطار النقد المعاصر. بالعمل على إحيائها بقراءة جديدة ، ولعل الدارسات التداولية و الإقناعية بمختلف نظرياتها الغربية و العربية من بين هذه البحوث التي اتّخذت من النصوص و الخطابات بأنواعها مجالاً لاختبار أدواتها وعدّتها الإجرائية .

لعلّ من المناسب القول بأهمية هذا الكتاب الذي تدور الدراسة حوله ،وما كتب عنه واحتفاظه لنفسه بالمرتبة الراقية ، إلا أن النظرة الأكاديمية من شأنها أن تعيد من جديد قراءة هذا المنجز الأدبي الذائع الصيت وتساعد على ديمومته تحليلاً و تأويلاً ، بالإضافة إلى تصحيح نظرة الكثير من الدارسين الذين يعتقدون أن هذه الآليات غير مجدية في تناول نصوص التراث، وأن تحليل هذا الكتاب من زاوية الدراسات التداولية ، قد يشكل نوعاً من المفارقة ، فأجيبهم : أليس غريباً أن تأتي التنظيرات الحديثة في العديد من المعارف الأدبية و النقدية، مرتبطة بالتقديم مثل تراث اليونان وكتابات أرسطو...!؟ و أن كتب التراث العربي توصف بأهمّات الكتب و بالمصادر المعرفية؟! خاصة و أن العناصر التداولية المتاحة تسهل لنا تحليل كتاب نهج البلاغة تحليلاً تداولياً ، و هو ثري بعناصر بهذه العناصر و الحجاج ، إذا اعتبرنا أن التداولية في أبسط تعاريفها هي دراسة البعد الاستعمالي للغة ، وما ينجّر عنه من إنجاز كلامي ؛ فإنّه يمكن اعتبار خطاب نهج البلاغة نصّاً حجاجياً ، إذ تظهر رفعة و علو هذا الكتاب بشكل أعمق وأكبر عند القيام بعملية تحليل موضوعي له ، و لعل مسألة تبليغ الدين و تهذيب النفس و السلوك في كتاب نهج البلاغة هي من مواضيعه الجديرة بالبحث ؛ لكون الإمام علي يطرح قضيتين أساسيتين : القضية الأولى تضمنت الأمور العقائدية النظرية و القضية الثانية تضمنت الأمور السلوكية (شعائر و

معاملات...)، هذه المواضيع يمكن دراستها من وجهة نظر إستراتيجية الإمام في توظيف الأساليب التبليغية و الإقناعية في خطابه.

فمن واقع الإمام علي الاجتماعي و السياسي و العقائدي الداخلي منه و الخارجي تشكل الهدف و الغاية و من ثمة الرسالة و المرسل و المرسل إليه ، و تشكلت معه عناصر الإقناع و الحجج . و من خلال السياق الذي سنطرح عليه ؛ سنجد أن مواضيع خطاب الإمام علي تعكس بدقة متناهية تلك الأوضاع ، و أن طريقة معالجة الإمام علي تتماشى أيضا مع شخصيته التي سنتطرق إليها في البحث من خلال نشأة الإمام علي في عهد الرسول (ﷺ) ، و بعده ، و أثناء خلافته لم يجد و لم تتزحزح مواقفه ، فلم تغريه زخرف الدنيا في حين قد أغرت الكثير من الناس . كل هذه العناصر - المذكورة سالفا - نرى أنها تصب كلها في لب التداولية ، و من هنا برزت إشكالية البحث .

- تمركزت الإشكالية على مفهوم التداولية و مباحثها و علاقتها بالخطاب ، و إبراز السمات الأسلوبية للإمام علي (عليه السلام) و الحديث عن الأساليب التبليغية و الإقناعية ، و كيف ترجمت الآليات اللغوية و البلاغية و التداولية البعد الوظيفي للغة في الخطاب الإقناعي للإمام علي ، مع توضيح ما يمكن للتحليل التداولي أن يستنبطه من مضامين في خطاب الإمام علي ؛ كاشفا عما يوحى به من معان .

للإجابة عن هذه الإشكالية كان لزاما علينا اختيار مدونة [نهج البلاغة] من غير الاهتمام بتوثيق نصها ، و قد أغنتنا المصادر و المراجع التي اهتمت بهذا الشأن منها: كتاب [مصادر نهج البلاغة و أسانيده] للسيد عبد الزهراء الخطيب ، فضلا عن نسخة [شرح ابن أبي الحديد] الذي يعد البحر اللحي في هذا المضمار ، و قد حققه كبير المحققين الأستاذ محمد (أبو الفضل إبراهيم) ، بالإضافة إلى نسخة [شرح الشيخ محمد عبده] شيخ الأزهر سابقا ، و نسخة [شرح الشيخ فارس الحسون] . و كان اختياري لهذه النسخ ؛ تحريا للإنصاف و ملازمة الاعتدال و الموضوعية في الشرح، و حتى لا أصطدم بهذا الاختلاف النابع من الواقع التاريخي الطويل ، و بما عايشته وتعيشه الأمة الإسلامية من صراع مذهبي و سياسي و ثقافي انعكس في تعدد الشروح و التفسيرات و التعليقات و القراءات التاريخية لبعض مواضع كتاب نهج البلاغة ، فقد عمدت في البحث إلى عدم التصريح بهذا الواقع ، وإنما حاولت الإشارة إليه عند الضرورة في هوامش البحث ، ملتزما بما ورد في خطاب نهج البلاغة من منطلق تداولي بحث لن يخرج الباحث عنه البتة ، إلا لضرورة تداولية.

أما **توصيف النصوص** التي تناولتها الدراسة التداولية في نهج البلاغة فقد تضمنت العبارات الموجزة والجمل الموسومة بالكثافة ، مأخوذة من سياق عام في بداية أو وسط أو نهاية خطبة أو رسالة أو كلام قصير حسب تقسيمات نهج البلاغة : [الخطب والأوامر . الكتب والرسائل - الحكم والمواعظ] و حتى لا يشعر القارئ بتكرار **نعت الذات المبدعة** لكتاب نهج البلاغة ب: [الإمام علي] و ما يصحب ذلك من رتابة و ملل ، فقد تعمدت إلى تنويع الوصف على سبيل: [الإمام] [أمير المؤمنين] [كرم الله وجهه] [ﷺ] ، [رضي الله عنه] ، و ذلك لما لها من تداول تاريخي ومعرفي .

أما **خطة الدراسة** فقد تضمنت تقسيم البحث إلى [مقدمة و فصل نظري و ثلاثة فصول تطبيقية و خاتمة و ملحق]، معتمدا في تحليلي النظري و التطبيقي بما جادت به موضوعات التداولية على شاكلة تصور (هانسون) بدرجاته الثلاثة مع التأكيد على قوة حضور السياق في جميع مستويات التحليل التداولي ، مع إضافة بعض التعديلات على هذا التصور كإدراج إستراتيجية إلقاء الخطاب ضمن تحليل مستوى الدرجة الأولى و التركيز على الجانب الإقناعي المرتبط بالسياق العام و الخاص لإلقاء الخطاب مع ترتيب عناصر التحليل في مستوى كل درجة ؛ كمحاولة مني لإعادة تنظيم بعض المفاهيم ، بما يتماشى مع متطلبات الموضوع والمدونة؛ تيسيرا لإجراءات التحليل السليم ومراعاة خصوصيات اللغة و البلاغة العربية داخل المساحة التداولية .

فالفصل الأول النظري تشكل من عتبات تداولية الدرجة الأولى ، ففي مبحثها الأول عرفت التداولية لغة و اصطلاحا و ذكرت أهم أسباب قيامها، كما حاولت تبسيط بعض مفاهيمها باعتبارها إجراءات تُوظف في التحليل ، معتمدا في ذلك على ما زوّدتني به الدراسات المعاصرة العربية منها و الغربية ؛ محاولا ربط ذلك ببعض ما أشارت إليه الدراسات التراثية، وما وقف عليه الباحثون العرب في القديم و الحديث . و لكون التداولية فضاء مفتوحا على مختلف المعارف الإنسانية وليس بوسعنا الإمام بأفنان هذه المباحث جميعها، حسبى الوقوف على بعض خطوطه الكبرى ؛ لإبراز معالم هذه البلاغة الجديدة وتوجّعاتها الرئيسية بتوضيح علاقة التداولية بمختلف العلوم و المعارف، و لكون الخطاب مفتاح موضوع التداولية ، فقد وضحت العلاقة بينهما ، وبين علاقة الخطاب بالنص .

أما **المبحث الثاني** فقد وقفت فيه على أهم مواضيع التداولية بدرجاتها الثلاثة ، بدءا بمستوى [الإشارات] موضحا فيها عناصر السياق ، ثم المستوى الثاني المتعلق ب[الحجاج] و أهم مواضيعه عند الغرب و عند العرب قديما و حديثا ، ثم وضحت علاقة الحجاج بالإقناع وعلاقة هذا الأخير بمجموعة من المصطلحات، ثم مستوى [أفعال الكلام] و علاقتها بالبلاغة العربية .

في حين كانت **الفصول التطبيقية** الثلاثة قد تمحورت حول درجات التحليل التداولي ،
فالفصل الأول تشكل من عتبات تداولية الدرجة الأولى في خطاب الإمام علي، كالإشارة إلى من المتكلم .
ومن المستمع وما العلاقة بين المخاطبات الموجودة داخل النص ومن المخاطب المقصود. ثم كيف
تتفاعل هذه العناصر مع جمهور القراء و المستمعين؟ و ما هي الإستراتيجيات الموظفة لتحقيق هذه
الأهداف؟. اقتضت الإجابة عنها دراسة عناصر الأطراف المتخاطبة في نص الخطاب ولا شك أن لهذه
المخاطبات الداخلية أهمية كبيرة في الكشف عن مقاصد المبدع واهتماماته ، والبعد التداولي الذي يتحقق
من كل ذلك ، كما وقفنا على هذا الجزء عند التخاطب الإشاري و أبعاده التداولية .

و لكون كتاب نهج البلاغة يتشكل من مقدمة للكتاب و شروح و متن نثري ، فقد طرحت في الشق
النقدي بعض القضايا المحورية التي تتعلق بكتاب نهج البلاغة ، وظروفه السياقية والإنتاجية والقراءة
لكون هذه المقدمة النقدية مؤشرا تداوليا تسمح لقارئ هذا العمل ببناء خلفية معرفية حول خطاب الإمام
علي قد ييسر عملية تداوله ، و يضمن رفع وتيرة أثره ، و في ختامه وضحت إستراتيجية الإمام علي في
إلقاء الخطاب و دورها في التأثير و الإقناع.

أما **الفصل الثاني التطبيقي** فقد تمحور حول تداولية الدرجة الثانية [الحجاج] ؛ إذ قسمته إلى

ثلاثة مباحث : [الآليات اللغوية] و[الآليات البلاغية] و [الآليات المنطقية] .

أما **الفصل الثالث** المتعلق بتداولية الدرجة الثالثة؛ فانقسم إلى مبحثين ؛ تمحور **المبحث الأول** حول
[الأفعال الكلامية] وخاصة الفعل الكلامي الإنجازي (*Acte illocutoire*) بما فيه من البنية الداخلية
و الخارجية للخطاب، دون مغادرة الأساليب البلاغية العربية القديمة ، و ذلك باستثمارها فيما يعزز الرؤية
التداولية من خلال ربطها بالمصطلحات التي أنتجتها المدارس الحديثة ، في حين تمحور **المبحث الثاني**
على تقديم نموذج في التحليل التداولي لخطاب كامل تواصلية و آخر أدبي .

و مع نهاية الفصول توج البحث **بخاتمة** ؛ تضمنت أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج في فضائه

النظري و التطبيقي ، مع تقديم **ملحق** تضمن بعض المخطوطات لنهج البلاغة و فهرس توضيحي لأهم
المعارك والمدن وأهم المصطلحات التداولية بالعربية و الفرنسية ، ثم أهم أعلام التداولية.

وحتى لا يكون البحث عاما أو ضربا من التخمين والتأويل الذاتي، فقد اعتمدت على دراسات
تتسجم مع تصوّر البحث وتختص في الأسس المعرفية التي تتبني عليها **مناهج البحث** التداولي؛ فارتكز
البحث على المناهج المعاصرة لما لها من أهمية ؛ إذ صارت تستشعر كُنْه الأدب و اللغة بما يقارب
المفهوم العلمي في تناولها للقضايا بدقة و وضوح . وتُعد [التداولية] كونها إستراتيجية هامة في تحليل

الخطاب ، أقدر و أصلح هذه المناهج بما تتيحه من إجراءات فعالة ؛ وهذا يعني الجمع بين المنهج البنائي الوصفي و المنهج التفسيري و المنهج التاريخي ؛ لكون البحث يحتاج إلى تفسير الظواهر الثقافية أكثر من وصفها ، وأن الوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتاريخ. بالإضافة إلى توظيف الأدوات الإجرائية الأخرى المساعدة كالسيمائية لفك رموز النص و استتطاق إشاراتة عن طريق الفهم التأويلي ، وكذا المنهج التحليلي ؛ لكونه أداة إجرائية مرنة وفضاء للحوار بين القارئ و النص ؛ لحل شفرة المعنى الباطن . أما توظيف الإجراء الإحصائي فقد كان أداة صالحة لمساعدة المناهج السابقة و استخلاص النتائج .

في حين كانت المصادر والمراجع المعتمدة متنوعة في هذا البحث بين مصادر عامة و متخصصة منها: المصادر العربية التراثية و التي أفادت المدونة من حيث الشرح ك: (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد، و(شرح نهج البلاغة) لمحمد عبده ، و (شرح نهج البلاغة) لفارس الحسون .

في حين نجد المصادر التي أفادتنا تراثيا من جانب التداولية فنذكر منها : (دلائل الإعجاز في علم المعاني) لعبد القاهر الجرجاني،(العمدة) لابن رشيق ، (مفتاح العلوم) للسكاكي ،(الإيضاح) للقرظيني،... أما المراجع العربية الحديثة و المعاصرة فقد أفادت البحث من جانب النقد الحديث عامة و التداولية خاصة نجد : (البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها) ، (في بلاغة الإقناع) لمحمد العمري . (التداولية عند العلماء العرب) لمسعود صحراوي ، (في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم) لخليفة بوجادي ، و كتب طه عبد الرحمن الذي أولى عناية خاصة بهذا الدرس في قراءة التراث العربي لاسيما في كتبه (اللسان والميزان)،(تجديد المنهج في تقويم التراث) (في أصول الحوار و علم الكلام) .. أما المراجع العامة والتي أفادت البحث من مختلف جوانبه الديني و التاريخي و الأدبي ،نذكر منها: (مقالات الإسلاميين) للأشعري. و كتاب(تاريخ الطبري) و (شروحات نهج البلاغة) لابن أبي الحديد و (تاريخ الأدب العربي) لشوقي ضيف،(تاريخ الأدب العربي) لجرجي زيدان،.. و في المراجع الأجنبية المترجمة اطلع الباحث على العديد من المراجع الأجنبية المترجمة منها: (التداولية من أوستن إلى غوفمان) بلاشيه (المقاربة التداولية) لفرونسواز أرمينكو ،(التداولية اليوم علم جديد في التواصل) آن روبول، جاك موشلار، ... إضافة إلى المجالات والدوريات العربية و بعض المراجع الأجنبية.

أما الصعوبات التي اعترضتني في البحث فهي متنوعة و متعددة ، وإن كانت هذه الصعوبات - أراها - وسيلة مهمة في تنمية روح البحث ، إضافة لما تمنحه من الاستكشاف لأكبر قدر من المعلومات المتعلقة بالموضوع أو بغيره ، و يمكن تصنيف هذه الصعوبات إلى صنفين: ما يتعلق بالتداولية و هي

كثرة المصطلحات و المفاهيم والمعارف التي نشأت من مشارب ومنابع متفاوتة وتداخلها على مستويات عدة ،أضيفت لها إشكالية ترجمة و توحيد المصطلح في اللغة العربية، مع قلة التطبيقات التداولية و إن كانت المكتبة العربية تخر بالكتب التي تبحث في التداولية ، إلا أنّ الكثير منها يركّز على الجانب النظري و يهمل الجانب التطبيقي ، أو تكون بسيطة من أمثلة اللغة العادية المنجزة أثناء التكلم، وليست من اللغة الشعرية أو الأدبية . محاولا في هذا البحث - إن شاء الله - تطبيق أحدث ما توصلت إليه اللسانيات التداولية المعاصرة على النص الأدبي و العادي ؛ هذا ما جعلنا نخصص ثلاثة فصول من البحث للتطبيق مع ربط ذلك بالمفاهيم النظرية التداولية و البلاغية .

أما الصنف الثاني من الصعوبات ؛ فيتعلق **بالمدونة** من حيث حجمها وسعتها و تعدد شروحاتها و تضاربها أحيانا بتداخل فكري أو مذهبي أو ذاتي ، مما دفع بالباحث إلى الإطلاع على عدة مصادر و مراجع على صلة بالموضوع للتدقيق و التمحيص، إضافة إلى صعوبة و عسر ما تكتنفه عملية انتقاء النصوص موضع الدراسة ؛ لسعة مادة الكتاب وتنوعها وامتلاكها مستويات متقاربة .
ومنه أرى أن الموضوع جدير بالتناول لما فيه من تنوع في المفاهيم و ثراء في التوظيف، على المستويين النظري والتطبيقي .

في **ختام البحث** أشكر الأستاذ الدكتور فاتح حملي لما قدمه من توجيهات ، و الشكر موصول أيضا للدارسين القدامى و المحدثين في ما قدموه من شروحات في نهج البلاغة و في التداولية كما اشكر لجنة المناقشة لما سيقدمونه من توجيهات و نصائح تثري البحث .
و ما نأمله - إن شاء الله - أن يكون هذا العمل إضافة جديدة إلى النهج و إلى المنهج ؛ ليبسّر الطريق للدارس والباحث معا . و الله من وراء القصد والله المستعان و منه التوفيق.

❖ الفصل الأول : التداولية و الخطاب و وأهم مباحثها

• المبحث الأول: مفهوم التداولية و علاقتها بمختلف العلوم

- 1 _ التداولية لغة و اصطلاحا
- 2 _ أرهاصات التداولية
- أ _ جذور التداولية في التراث الغربي
- ب _ جذور التداولية في التراث العربي
- 3 _ التداولية في النقد الحديث
- 4 _ التداولية في النقد المعاصر
- 5 _ التداولية و علاقتها بمختلف العلوم
- 6 _ التداولية و علاقتها بالخطاب
- 7 _ الإطار المفاهيمي للنص والخطاب و علاقتها بالتداولية

• المبحث الثاني: أهم مباحث التداولية

- 1 _ تداولية الدرجة الأولى : (الإشاريات)
- 2 _ تداولية الدرجة الثانية : (الحجاج)
- 3 _ تداولية الدرجة الثالثة : (الأفعال الكلامية)

• المبحث الأول: مفهوم التداولية و علاقتها بمختلف العلوم

1. مفهوم التداولية (la pragmatique) لغة و اصطلاحا:

لقد ناءت التداولية (La Pragmatique) ضمن السياق؛ لتركّز على التوجّه الاتصالي والوظيفي؛ فعدّت اللغة جهازا يتحقّق من خلالها الوظيفة التواصلية، استنادا على عدة عناصر من بنية النص ومن خارجها وهي: [التداولية، والحجاج، والخطاب] و هو موضوع عرضنا هذا، الذي يتمحور حول مفهوم التداولية جذورها و أرهاصاتها و أهم النظريات التي تعتمد عليها، والعلاقة بينها و بين مختلف العلوم و المعارف، و بينها وبين تحليل الخطاب الإقناعي.

التداولية لغة و اصطلاحا:

التداولية هي ترجمة للمصطلحين (pragmatic) الانجليزي، و (pragmatique) الفرنسي، وقد عرف هذا المصطلح - التداولية (Pragmatique) - مدلولات عديدة تقلب بينها منذ ظهوره لأول مرة. و يعود أصل المصطلح (Pragmatique) انطلاقا من الأصل اليوناني (pragma)، الذي يعني العمل (Action) ومنه اشتقت الصفة اليونانية (Pragmatikos)، التي تحيل على كل ما يتعلق بمعاني العمل (Action). بني هذا المصطلح - في ما يراه (فليب بلاشيه) - على جذر [ACTION]، فمدلولها في الثقافتين الفرنسية والإنجليزية يعني [عملي]. و عن ذلك إقترن هذا المصطلح بالمعاني الآتية: [مادي] [محسوس] [ملائم للحقيقة] . ففي الإنجليزية تعني كلمة (Pragmatic) - غالبا - ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية⁽¹⁾، مما يعني أن [Pragmatic] في عموم الثقافة الغربية تحمل معنى العمل و الوقائع. في حين نجد المصطلح في المعاجم العربية إقترن بمادة [د ، و ، ل]، و التي تعني العُقبَة والدوران، فقد جاء في لسان العرب: [تداولنا الأمر: أخذناه بالذُّل، وقالوا: دوايك أي مداولة على الأمر] ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولية الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة⁽²⁾، فهي بالتالي تحيل بمفاهيمها اللغوية إلى معاني التداولية كما يراها محمود نحلة: " تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب أي التفاعل القائم بينهما في استعمال اللغة"⁽³⁾. كما نجد لفظة التداولية قد وردت في القرآن الكريم بمعناها اللغوي السابق

1 _ فليب بلاشيه . التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ترجمة: صابر الحباشة ، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص:17

2_ ابن منظور. لسان العرب، دار صادر، لبنان، ط1، 1990، مادة [د، و، ل]، م11، ص: 252

3 _ محمود أحمد، نحلة . آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة، الإسكندرية، 2002 ، ص: 52.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

في بعض الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾⁽¹⁾. ويقول سبحانه وتعالى في موضع آخر : ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾⁽²⁾ ، و في قوله تعالى أيضا : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ أَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾⁽³⁾، فالملاحظ في لفظة [التداول] ومشتقاتها قد استعملت في هذه الآيات بمعنى تغيّر الحال ، أو الانتقال ، أو التعاقب والتناوب على أمر ما، وكلها تحمل معنى عدم الثبوت و الاستقرار أو التحول.

نخلص بذلك أن مصطلح [التداولية] يتوافق مع المفهوم اللغوي للفظه [التداول] سواء في المعاجم اللغوية العربية ، أو في النصوص القرآنية ، فهو مؤسّس على معنى الانتقال و التحول، مع وجود طرفي التداول و هما [المرسل إلى المرسل إليه] ؛ يعني المتكلم إلى السامع في وجود السّياق. ونتيجةً لتداخل هذا المصطلح التداولية (la pragmatique) بكثيرٍ من العلوم ، فقد عرضت لها كثير من الترجمات في اللغة العربية منها: [التبادلية، والاتصالية، والنفعية، والذرائعية، والمقصدية و المقامية، إلى جانب التداولية].⁽⁴⁾ و أفضل هذه الترجمات _ في ما نراه _ هو مصطلح [التداولية]^(*) ؛ إذ هي بالإضافة إلى السند اللغوي ، نجد كثرة أنتشارها و استخدامها.

¹ _ سورة البقرة : الآية 188

² _ سورة الحشر : الآية 7

³ _ سورة آل عمران : الآية 140

⁴ _ الرويلي، ميجان و البازعي سعد. دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي، ط2،الدار البيضاء، 2000، ص: 100.

* _ تبنى الباحثون العرب مصطلح التداولية، وأول من اقترح في العالم العربي مصطلح التداولية هو الدكتور طه عبد الرحمن في كتابه [في أصول الحوار] إذ يقول: و قد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح [التداوليات] مقابل (la pragmatique) لأنه يوفي المطلوب حقه... ينظر : طه عبد الرحمن . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ط2 سنة 2000 م . ص: 28 وقد تبناه أحمد المتوكل واستعمله فلكي استحسان المختصين.بيدا أن الباحث الجزائري (عبد المالك مرتاض) يقترح التداول دون ياء الصناعية كي لا يتم ترجمة Pragmatisme و Pragmatique بمصطلح واحد. ينظر : عبد المالك مرتاض. تداولية اللغة بين الدلالية و السياق، مجلة اللسانيات، مركز البحوث العلمية و التقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر ع10، 2005، ص ص: 67.66

2. جذور التداولية و أرهاصاتها:

تناسب نشأة هذا العلم [التداولية] مع نشأة العلوم المعرفية ، وبدأت " إرهاباتها الأولى في التراث الغربي على يد (سقراط) ثم تبعه (أرسطو) و(الرواقيون) بعد ذلك" (1) ، لكنها لم تظهر إلى الوجود كنظرية في الفلسفة " إلا على يد (باركلي Parcly)، فقد كشف عنها بطريقة لم يسبقه فيها فيلسوف آخر " (2)، إلا أن أصولها تمتد إلى (بيرس) الذي جعلها وثيقة الصلة بالمنطق، فتحوّلت إلى أداة للتفسير و النقد من خلال تحديد معاني الألفاظ والأفكار والمفاهيم والقضايا، والإشارات ، باعتبارها أداة عقلية تساعدنا على معرفة فيما إن كانت المسائل التي نبحثها ذات معنى.

أما عند النقاد العرب فيجري تعريف التداولية(*) ، بأنه ذلك المصطلح العربي الموافق لـ (pragmatics) الأجنبية، وليس ترجمة لمصطلح (pragmatisme) الفرنسي الذي يعني الفلسفة النفعية الذرائعية(**) ، إلا أن مفهومها يضرب بجذوره في التراث العربي و إلى دراسة عملية التواصل بالتحديد إذ تبدو واضحة المعالم في أعمال بعض كتب الباحثين القدماء أمثال:

[البيان والتبيين] ل (الجاحظ . ت 255 هـ) - [الخصائص] ل (ابن جني . ت 392 هـ) - [دلائل الإعجاز] ل (عبد القاهر الجرجاني . ت 471 هـ) - [الكشاف] ل [الزمخشري . ت 538 هـ] - [مفتاح العلوم] ل " السكاكي . ت 626 هـ) ، و غيرهم من المصادر ذات القيمة التواصلية ، التي اهتمت بالأثر الناتج عن الرسالة، و الشروط التي تجعل الخطاب ناجحاً ، و في هذا ملامح للتداولية الحديثة و من ذلك نجد قول الجاحظ : "المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم والمتغلغلة في نفوسهم... مستورة خفية، وبعيدة وحسية، ومحجوبة مكبوتة... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه.. إلا بغيره، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها و إخبارهم عنها واستعمالهم إياها وهذه الخصال هي التي تعود بها إلى الفهم وتجليها للعقل... وتجعل المهمل معبداً والمقيد مطلقاً... و كلما

1 _ أن روبول، جاك موشلار. التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، ترجمة د.سيف الدين دغفوس ود.محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة و النشر،بيروت، ط1، 2003، ص:27.

2_ نعمان بوقرة . المدارس اللسانية المعاصرة ، الناشر مكتبة الآداب ، القاهرة ، دت، ص:165

* _ يترجم بعض المشتغلين بالدرس اللساني الحديث (Pragmatics) بمصطلحات عديدة منها، علم المقاصد، المقاميات استخدام اللغة، لغة التخاطب اليومية....

** _ مدرسة فلسفية معروفة باسم (Pragmatics) يختلف هدفها عن الأولى (التداولية) فهي تلح على المكون العملي والفاعل للإنسان بلوغ المعرفة، فهي نظرية تهتم بالفائدة العملية لفكرة كميّار بصدقها.

كانت الدلالة أوضح و أفصح، و كانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجح...⁽¹⁾. و هذا يعني توظيف المعاني المحققة للمنفعة ، و هي إشارة ضمنية إلى نظرية : (الإشارة و الحجاج اللغوي و أفعال الكلام ..) ، و كلها تنطوي ضمن التداولية.

أما إذا تطرقنا إلى كتاب [سر الفصاحة] في مقولة الخفاجي في ما له علاقة بالتداولية نجد قوله : "الكلام يتعلق بالمعاني والفوائد بالمواضعة..."⁽²⁾ ، تظهر بوضوح شروط الوظيفة النفعية للكلام ، من (قواعد الصرف و الدلالة و المعجم ، و الأدوات البلاغية ك: التشبيه و الاستعارة و الكناية و أنواع المجاز...)، و كلها صور من نظرية الاتصال و مفاهيم التداولية . إلا أن ما نلاحظه في هذه الدراسات البلاغية عند القدامى هي اتسامها بالطابع المعياري، مقارنة باهتمامات التداولية بمختلف العلوم المعرفية .

نلخص إلى ما توصل إليه (خليفة بوجادي): "إذا كانت التداولية هي دراسة مناحي الكلام أو دراسة اللغة حين الاستعمال، فإن البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها"⁽³⁾. نستنتج من هذا أن [التداولية لها حضور قوي في التراث العربي، لا يقل عنه في التراث الغربي مع إختلاف في التوجه المعرفي].

3. التداولية حديثاً:

بالإمكان إرجاع التداولية عند المحدثين الغرب في بدايتها الأولى" إلى الخمسينات من القرن العشرين بالتحديد سنة (1956)، وإلى أولى مقالات (شومسكي Chomsky) و(ميلر Meiller) (نيوال Newall) و(سيمون Simon)، و(مينيسكي Minsky)، و(ماك كولك McCulloch)، غير أن التداولية لم تصبح مجالاً يعتد به في الدرس اللغوي إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن عمل على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة لوكسفورد وهم :

1 _ الجاحظ. البيان والتبيين ج1، تحقيق : محمد عبد السلام محمد ،هارون،مكتبة الخانجي للطباعة و النشر و التوزيع ،ط7، القاهرة، 1998، ص75

2 _ ابن سنان الخفاجي . سر الفصاحة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط 1، 1976، ص:43

³ _ خليفة بوجادي . في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط 1،-2009العلمة-الجزئر. ص: 154

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

(أوستن Austin) ، و(سيرل Searle) (*) ، و(جرايس Grice).⁽¹⁾، إلا أن الفضل الأكبر يعود في ظهور التداولية كمنهج و نظرية إلى الفيلسوف الإنكليزي (أوستن) إثر صدور كتابه الموسوم ب(كيف نصنع الأشياء بالكلمات) ، حيث تتحدد عنده التداولية على "أنها جزء من دراسة علم أعم: هي دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي".⁽²⁾ ، وعن هذا التيار تكونت تيارات أخرى قد تتقارب وقد تتباعد عن نظرية (أوستن) ، وهذا أمر طبيعي في بداية نشأة أي علم فيقترن بجملة من المعارف والأجناس، كاللسانيات، والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع ، فإذا ما نضج و اكتمل إستقل بذاته . وما تجدر الإشارة إليه هنا، هو أن " مدرسة (أوستن) ليست لها علاقة بالتيار الفلسفي الذي نشأ في أمريكا⁽³⁾ والذي يحمل اسماً مشابهاً ترجم في العربية ب(الذرائعية).

يوضح (شارل موريس Charles mourris) والذي استقرّ في ذهنه بعد أن قدم عدة مفاهيم : " أنها تعني العلاقات بين العلامات ومستخدميها، وأن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان و التعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئياً خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل."⁽⁴⁾ ، أما (فرانيس جاك Francis Jaque) ، فقد عرف وظيفتها بتتطرقها إلى اللغة كظاهرة خطابية، وتواصلية واجتماعية معا .⁽⁵⁾ نستنتج أن: التداولية تدرس معنى العبارات من خلال العلاقة مع سياق التعبير كعلم الدلالة وبعض الأشكال اللسانية التي لا تتحدد مضامينها إلا من خلال صياغتها التعبيرية. و هو التعريف الأقرب إلى المفاهيم الحديثة.

أما عند الباحثين العرب المعاصرين فنجد بعض الدراسات اللغوية ببصمة تداولية ، تبرز في ما قدمه (طه عبد الرحمن) من اهتمام بالمصطلح [pragmatique] و بالعملية التخاطبية ككل ، إذ يقول في هذا الصدد : "ولمّا كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبيين عاقلين في إلقاء الأقوال وإتيان الأفعال، لزم أن تنضبط هذه الأقوال بقواعد تحدد وجوه فائدتها الإخبارية ، أو قل [فائدتها التواصلية] نسميها بقواعد

* جون سيرل John Searle فيلسوف أمريكي ، من أتباع أوستن. وقد أعاد تناول نظرية أوستن وطور في أبعادها .
1 _ نحلة، محمود أحمد. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر .دار المعرفة الجامعية :الاسكندرية .ط1 ، 2006 م، ص9. وينظر : أرمينكو، فرانسواز ، المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد ، سنة 1986ص:13.

2_ فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية ، ترجمة د ، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد 1986 ، ص:96.

3 _ ينظر المرجع نفسه: ص:99.

4 _ آن روبول و جاك موشلار . التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ص : 33

5 _ نعمان بوقرة. المدارس اللسانية المعاصرة ، ص: 166

[التبليغ] [علمًا بأن مصطلح (التبليغ) موضوع للدلالة على التواصل الخاص بالإنسان" (1) ، من هذا المنطلق يرى (طه عبد الرحمن): "أن المجال التداولي هو نوع من التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما هو نطاقا مكانيا و زمانيا لحصول التواصل و التفاعل (2) "بالإضافة إلى أعمال (أحمد المتوكل) و هو من أبرز ممثلي الاتجاه التداولي في الكتابات العربية الوظيفية ، من خلال أعماله المتنوعة في هذا المجال (*) باستناده إلى ثلاثة عناصر وهي: [التركيب والدلالة و التداولية]. في حين أن (صلاح فضل) يقدم لها مفهوما آخر على أنها فرع علمي من مجموعة العلوم اللغوية التي تخصص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة، ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام" (3). فيبرز بذلك وظائفها على أنها علم لغوي يهتم بدراسة الاستعمال العلمي للكلام .

من خلال تعدد التعريفات السابقة الغربية و العربية نستنتج أن: التداولية المعاصرة، تقع في مفترق الطرق، ولم يتم الاتفاق بعد بين الباحثين فيما يخص تحديد اصطلاحاتها لسبب نقائها بعلوم معرفية كثيرة أهمها: (اللسانيات، المنطق، السيميائية الفلسفة، علم النفس علم الاجتماع). هذا ما ذهبت إليه (فرا نسواز أرمينكو) في قولها : " ونكاد نرى جيدا على العكس من ذلك إلى أي حد تكون التداولية في مفترق الطرق؛ لتداخل اختصاصات اللسانيين، المناطقة، السيميائيين الفلاسفة، السيكولوجيين والسوسولوجيين فنظام التقاطعات هو نظام للإلتقاءات وللإفتراقات(4)، و مع بروز هذه التقاطعات المعرفية ، يلزمنا أن نتساءل: ما علاقة التداولية بمختلف هذه العلوم ؟ و ما العلاقة بينها و بين الخطاب ؟.

4. علاقة التداولية بمختلف العلوم المعرفية:

ما أتفق عليه أنّ للسانيات التداولية أصول فلسفية انبثقت منها " حيث تُعدّ الفلسفة التحليلية المصدر الأول لظهور أحد أبرز المفاهيم التداولية وهي الأفعال الكلامية "(5) فقد نشأت الفلسفة التحليلية

1_ طه، عبد الرحمن. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998، ص: 237

2_ طه ، عبد الرحمن . تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، ط2، المغرب، دت ، ص : 244

* ينظر :أحمد المتوكل. الوظائف التداولية في اللغة العربية ، و اللسانيات الوظيفية :مدخل نظري.ص: 22

3_ صلاح فضل . بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، 1992: ص89.

4_ فرانسواز أرمينكو. في المقاربة التداولية، ترجمة د ، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد 1986 ، ص: 11

5_ مسعود ، صحراوي . التداولية عند العلماء العرب . دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية "في التراث اللساني العربي . دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت، لبنان)، ط1 ، 2005، ص: 17

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

في العقد الثاني من القرن العشرين في (فيينا) بالنمسا على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجه) (Gottlob Frege) (1925.1848) في كتابه **أسس علم الحساب** (Les Fondements de L'arithmétique)، التي انقسمت بدورها على ثلاثة اتجاهات كبرى تتمثل في: الوضعانية المنطقية (Positivisme logique) والظاهرانية اللغوية (du langage Phénoménologie) و فلسفة اللغة العادية (Philosophie du langage Ordinaire) بزعامة (فيتغنشتاين). ومن الاتجاه الثالث [فلسفة اللغة العادية] نشأت التداولية (Pragmatique) وللتوضيح أكثر يرسم لنا الباحث (مسعود صحراوي) خطاطةً يوضّح بها المسار المعرفي للفلسفة التحليلية و الفلسفات التابعة لها و يبيّن من خلالها الفلسفة التي تدخل في صميم التداولية أو البحث في السياق⁽¹⁾ وهي على الشكل التالي:



فنجد أن (الوضعية المنطقية) نابعة من صميم الفلسفة المثالية، و أن (الظاهراتية اللغوية) نابعة من الفلسفة البنيوية، في حين أن (اللغة اليومية) نابعة من صميم الفلسفة التحليلية، و هي التي غيرت المسار الأساس من المعرفة إلى النص.

إذا " كان فلاسفة الوضعية المنطقية قد رأوا أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التسمية أو الوصف ومن ثمّ راحوا يبحثون عن قواعد التطبيق أو قواعد التركيب، فإنّ فلاسفة (أكسفورد) قد ذهبوا إلى وجود استعمالٍ متباينةٍ منوعة للغة، وبالتالي راحوا يبحثون عن قواعد الاستعمال؛ أي القواعد التي تحكم استعمال هذه

1 _ المرجع السابق : ص: 17 إلى ص: 22.

العبارة أو تلك تحت هذا الظرف المعين أو ذاك".⁽¹⁾ ، لذلك نرى أن جلّ الباحثين يردّ البحث التداولي للثقافة الأنجلو ساكسونية بدءاً بالنظرية السياقية ، " فلا أحد يماري في أنّ البحث التداولي وليد الثقافة الأنجلوساكسونية (anglosaxonne) ، وقد تطوّرت في الولايات المتحدة و إنجلترا؛ بسبب الدور الذي لعبته الاتجاهات التحليلية في الفلسفة، ومن جهةٍ أخرى بسبب ما خلفته النظرية التوليدية في نموذجها الأوّل من إخفاق؛ نتيجة تمسّكها باستقلالية التركيب (anglosaxonne L'autonomie) ؛ ممّا أدّى للتفكير بجديّة في البعدين الدلالي (sémantique) ثمّ التداولي (Pragmatique)."⁽²⁾ لنخلص إلى صحة ما أشار إليه مسعود صحراوي: "في أنّ [الفلسفة هي السبب في نشوء اللسانيات التداولية]"⁽³⁾ ، الذي يعود كمصطلح بمفهومها الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي (تشارلز موريس) الذي استخدمه سنة 1938 للدلالة على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات وهي:

_ علم التراكيب Syntax ويعني ارتباط العلامات فيما بينها.

_ علم الدلالة Simantique ويعني ارتباط العلامات بمدلولها

_ التداولية Pragmatique ويعني ارتباط العلامات بمستعملها⁽⁴⁾ ؛ و من هذا الفرع تفرعت

مفاهيمه بعد أن ألفت مختلف المعارف ظلّاله عليه ؛ فعدت نقطة التقاء لمجالات العلوم ذات الصلة

باللغة . مما دفع بعض النقاد و اللغويين إلى تسميتها بـ (سلة مهملات Poubelle Espagnole) ، إذ

اهتمت بجميع العناصر التواصلية خاصة التي أهملتها اللسانيات و يمكن توضيح ذلك في مايلي:

1 _ مقبول إدريس، البعد التداولي عند سيوييه، مجلّة عالم الفكر، ع1، مج 33، يوليو، سبتمبر، 2004 ، ص: 245

2 _ يوضّح الباحث ذلك بتقسيم الدلالة قسمين:

الدلالة التاريخية : نقصد بها ، تلك الدلالة التي ثبتها المكتوب في النصّ، وصيرها إشارة يدلّ بها لا على نفسه ولكن على سياقه الخارجي .و إذا كان ذلك كذلك، فإنّ النصّ يمثّل . و الحال هذه . كينونةً إشاريةً تتصلّ دلالاتها بأسباب النزول وزمن الحدث... الدلالة النصّية :النصّ هو سياق المعنى .والقرآن يبيّنه وفق نظامٍ خاصّ به. و إذا كانت اللسانيات تستخدم مصطلح (النصّ) للدلالة على مقطعٍ مكتوبٍ أو شفويّ، بغضّ النظر عن طوله... فإنّ النصّ القرآني يمتاز من بقية النصوص بفرادة تماسكه وكيفية هذا التماسك .فهو نصّ يقمّ نفسه بوصفه نصوصاً متداخلةً في إطار السورة الواحدة .كما يقمّ نفسه بوصفه نصّاً واحداً في إطار السور المتعدّدة . " ينظر: منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري ،

ط1، 2001، ص: 93 ، 94

3 _ مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب، ص: 17

4 _ ينظر: محمود نحلة. آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر، ص: 91

النظرية و الإتجاه	اهتماماتها
_الاتجاهات النفسية والتاريخية	_ المتكلم
_البنوية و السيميائية و التفكيكية	_ النص
_ نظرية التلقي والقراءة	_ المتلقي
_ التداولية	_ اهتمامها بكل عناصر التواصل : (مرسل ، متلق ، نص والظروف المحيطة بإنجاز النص)

أ. التداولية وعلاقتها بالأسلوبية (stylistique):

جاءت التداولية لتهتم بدراسة استعمال اللغة، وبذلك تكون قد قامت في جوهرها على رفض ثنائية [اللغة / الكلام (Langue/ parole)؛ لاعتقاد أن (اللغة) تعبر عن المظهر الاجتماعي في حين أن (الكلام) يعبر عن المظهر الفردي " (1) ، و عليه فقد حصر (دو سوسير) اهتمامه على الناحية الاجتماعية و جعلها أساسا له في الدراسات اللسانية ، بعيدا عن كل المظاهر الكلامية الأخرى فأهمل بذاك الجانب الفردي من اللغة حين قال: "بأن اللغة وحدها دون الكلام هي الجديرة بالدراسة العلمية. (2) لذلك فإن التداولية تقيم روابط وشيجة بين علمي اللغة والتواصل ؛ فإن أخذنا على سبيل المثال الملفوظ الآتي : [لَقَدْ رَفَعُوا فِي أَسْجَارِ الْبُنْيَانِ] هو ملفوظ لا تقدم اللسانيات البنيوية فيه أي قاعدة لتفسير الضمير [هم] الذي أسند إليه الفعل [رفَعُوا] وتعين المرجع الذي يحال عليه في الواقع الخارجي عن اللغة، لكن في التداولية تتواجد عدة آليات لتفسير هذا الضمير وتعيين المرجع في الواقع الخارجي الذي يحيل إلى السلطات المخولة بذلك، وهذا ما يعزو للتداولية بعض المميزات عن اللسانيات البنيوية(3) : كالاتصال المباشر، ومباشرة العالم الخارجي. و يعرف في معجم (تحليل الخطاب) كما هو في واضح في الجدول التالي:

1 _ferdinand de saussure ,cour de linguistique generale enage /edition ,r2ghaia,algerie1990,p37

2 _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها

3 _ الألسنيون: (دوسوسير) و البنيويون: (رولان بارث، و ليفي ستروس، و ميشال فوكو)، و الشكلاونيون الروس: (تودوروف باختين، جاكسون ، بروب). ينظرون إلى النص كبناء و علاقة داخلية لا علاقة لها بالسياق و المحيط الخارجي للنص في حين التداولية تعيد الإعتبار للمتكلم و المتلقي و السياق.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

إهتمامات التداولية	أوجه التشابه	إهتمامات الأسلوبية(*)
_ اللغة أثناء الإستعمال _ السياق _ أقطاب الرسالة	اللغة مع أختلاف في منهج الدراسة	. ثنائية: النمط و الأنزياح (جمالية اللغة) ، الاستعمال المعياري والاستعمال الأدبي ، دراسة اللغة كوسيلة و غاية في حد ذاتها ،إقتصارها على نسق اللغة في علاقاتها الترابطية (paradigmatique) والاستبدالية (syntagmatique) وبمعزل عن الخارج - لساني، (Extra-lingue)

ب. التداولية وعلاقتها بالبنوية (structuralism):

إهتمامات التداولية	أوجه التشابه	البنوية
. دراسة الكلام و اللغة . توظيف المؤثرات الخاجية (السياق) . إقرار خاصة اللغة التواصلية والتأثيرية	. دراسة اللغة	. دراسة اللغة كنظام مغلق . إبعاد الكلام . إبعاد المؤثرات الخارجية (السياق) . إلغاء خاصة اللغة التواصلية والتأثيرية ⁽¹⁾

ج. التداولية وعلاقتها بالبلاغة (rhétorique):

علاقة التداولية بالبلاغة علاقة وطيدة وقد ذهب "محمد العمري" في كتابه (البلاغة العربية) إلى أن التداولية الحديثة بُعد [جاحظي] في أصله لاهتمام الجاحظ وتركيزه على هذا المستوى في كتابه (البيان والتبيين) وعلى عملية التأثير في المتلقي، والإقناع، وقد سميت هذه النظرية عنده، والتي تعرف اليوم بـ [التداولية] بـ نظرية [التأثير والمقام].⁽²⁾ وتتجلى عند (الجاحظ) حين تقسيمه للبيان إلى ثلاث أصناف كل حسب وظيفته التأثيرية، يقول الجاحظ: "أما بعد، يمكن إرجاع وظائف البيان، اعتماداً على كل ما سبق إلى ثلاث وظائف أساسية هي:

* _ الأسلوبية تلغي كل الأبعاد التي تخرج من نطاق البعد اللساني للنص الأدبي، فهي وإن أقرت بوجود جوانب ثقافية واجتماعية ونفسية تؤثر في إنتاج النص الأدبي إلا أنها لا تأخذها بعين الاعتبار أثناء دراستها للنص، فالأسلوبية تقف عند حدود جمالية العبارة وهي بذلك تنظر إلى النص الأدبي من خلال حصره بين ثنائية [النمط والانزياح] أو [الاستعمال المعياري] و [الاستعمال الأدبي] "أو" [اللغة العادية والكلام الأدبي]، ينظر: عبد المجيد ، جحفة . مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1999 ، ص: 28

¹ _ اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة . ينظر: فردينان . دوسوسير . علم اللغة العام، ص: 25

² _ ينظر: محمد العمري . البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص: 293.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

- _ الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام).
- _ الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.
- _ الوظيفة الحجاجية: (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار⁽¹⁾. و هي بذاك تمثل جانباً مهماً في التداوليات الحديثة، بل هي جوهر النظرية التداولية .

إهتمامات التداولية	أوجه التشابه	إهتمامات البلاغة
أكثر تطوراً لإرتباطها مع مجموعة من المعارف العلمية	. الإهتمام باللغة و بالسياق ، اللغة أداة لممارسة الفعل على المتلقي و أداة تبليغ و تأثير و تواصل بين المتكلمين . دراسة كل ما يرتبط باستعمال اللغة و مراعاة مقتضى الحال [لكل مقام مقال] ⁽²⁾ . لها ملامح التداولية الحديثة	. تتميزها بالطابع المعياري . إهتمامها بالأثر الناتج مباشرة عن الرسالة . شروط نجاح الخطاب

د. التداولية وعلاقتها بعلم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistiques):

إهتمامات التداولية	أوجه التشابه	علم اللغة الاجتماعي
مجالاته أوسع و أشمل	. الإهتمام بالعلاقات الاجتماعية و أثرها على المتكلمين و مقاصدهم و موضوع الحديث . إختيار السمات اللغوية في تبيان مراتب المشاركين في الحديث و أجناسهم ⁽³⁾	مجالاته ضيقة و محدودة و تركز خاصة على الإشارات

هـ. التداولية وعلاقتها بعلم اللغة النفسي (psycholinguistique)

إهتمامات التداولية	أوجه التشابه	إهتمامات علم اللغة النفسي
مجال إهتمامها أوسع و أشمل	. الإهتمام بقدرات المشاركين المتكلم والسامع لدراسة [شخصياتهم ودرجة نكائهم و قدراتهم على الانتباه والتذكر و التركيز ..]	مجال إهتمامها ضيق و محدود

1_ ينظر: الجاحظ. البيان والتبيين، ج 1 ، ص:75.

2_ البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن.
ينظر: أبو الهلال العسكري. كتاب الصناعتين " الكتابة والشعر"، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل. إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ، 1986 ، ص:4 إلى ص: 10

3_ محمود نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 10

و. التداولية وعلاقتها بتعليمية اللغة. La didactique :

بفضل الدرس التداولي انتقل التعليم من مجرد تلقين و تدريس قواعد لغوية و بنى نحوية إلى تدريس اللغة ضمن سياقاتها و أطرها الاجتماعية، التي تسمح للمتعلم باستعمال الكلام استعمالاً يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها، فالتعليمية شأنها شأن التداولية تُعنى بالنظر إلى الملكة والتبليغ⁽¹⁾ والمقام.

التداولية	أوجه التشابه	إهتمامات تعليمية اللغة
دراسة في إطار شامل	_ الإهتمام باللغة و بالسياق وهي أداة لممارسة الفعل على المتلقي وأداة تبليغ و تأثير وتواصل بين المتكلمين والنظر إلى الملكة والتبليغ والمقام.	_ تأثرها بالتداولية بدراسة اللغة ضمن سياقاتها و أطرها الاجتماعية واستعمال الكلام استعمالاً يلائم المقام والمقاصد المراد تحقيقها والنظر إلى الملكة والتبليغ والمقام إلا أن دراستها في إطار محدود.

ز. التداولية وعلاقتها بالنحو الوظيفي grammaire fonctionnelle :

إهتمامات التداولية	أوجه التشابه	إهتمامات النحو الوظيفي
_ تحمل الإهتمامات نفسها ولكن في إطار أوسع و أشمل	_ وصف الكفاءة التبليغية Compétence communicative _ دراسة وظيفة التبليغ _ أهم رافد للدرس التداولي	_ النظر إلى الوظيفة الأساسية للغة الطبيعية وهي التبليغ والتواصل ⁽²⁾ إلى جانب رصد (الخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية) فهي تدعو إلى دراسة اللغة في إطار سياقها الذي ترد فيه في إطار محدود.

ح. التداولية وعلاقتها بعلم الدلالة (sémantique):

علم الدلالة يشارك التداولية في دراسة المعنى و إن كانت الدلالة تركز اهتمامها على الشكل و معناه ، في حين التداولية تركز إهتمامها على [المتكلم و المعنى و اللفظ] و يمكن القول إن "

^ϕ ظهرت في سبعينيات القرن الماضي هي ثمرة من ثمرات الدراسات الوظيفية ، منها أبحاث (مدرسة براغ) التي عمدت إلى التمييز بين علم الأصوات بالإضافة إلى مخطط (جا كسون) في التواصل بوظائفه الست المعروفة.

¹ _ وظيفة التبليغ بمعناها العام تقابل مفهوم التداولية ينظر: أحمد ، المتوكل. الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشور ا
ت الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، 1985 ، ص: 8

² _ (سيمون .ديك) اقترح نظرية النحو الوظيفي التي تجمع بين مبادئها النحوية والمبادئ التداولية. ينظر: المرجع نفسه،
ص: 9

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

التداولية تبدأ من حيث تنتهي الدلالة ؛ بتفسير الملفوظات و تحديد معانيها الحرفية دون الاهتمام بمقاصد المتكلمين، ثم تأتي التداولية لربط مقاصد المتكلمين بالمقام المناسب، فهي على عكس الدلالة، تدرس العلاقات بين النص و السياق مهتمة في الوقت نفسه بالترابط بين بنية النص و عناصر الموقف الاتصالي⁽¹⁾ كما هو موضح في ما يأتي:

إهتمامات علم الدلالة	أوجه التشابه	إهتمامات التداولية
_ دراسة المعنى وفقاً للوضع وعزل السياق والمقامات التخاطبية كما تدراس علاقة العلامة بالواقع و تفسير الملفوظات و تحديد معانيها الحرفية و كذا الترابط بين بنية النص وعناصر الموقف الاتصالي أما متضمنات القول الدلالية فطبيعتها لسانية	_ دراسة معنى اللغة ⁽²⁾	_ دراسة المعنى وفقاً للسياق و المقامات التخاطبية وعلاقة العلامة بمستعملها وبمجال استعملها وبنائجها و ربط مقاصد المتكلمين بالمقام المناسب لنجاح العبارات الكلامية في إطار السياق الذي ترد فيه أما متضمنات القول التداولية تخضع لقوانين الخطاب.

لخص (جيوكري ليش) في كتابه مبادئ التداولية (principles of pragmatics) إذ جعلها في ثلاثة اتجاهات أساسية⁽³⁾ و هي كالاتي :

الاتجاه الأول	الاتجاه الثاني	الاتجاه الثالث ^(*)
_ التداولية جزء من الدلالة	_ التداولية وسط مع الدلالة	_ الدلالة جزء من التداولية

¹ _ فان ، ديك . علم النص : مدخل متداخل الاختصاصات، تر :سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب ، ط1، 2001، ص: 116

² _ يونس علي، محمد محمد . مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة -بيروت .لبنان ، ط 1 دت.ص:10

³ _ نور الدين أجييط . تداوليات الخطاب السياسي ، عالم الكتب الحديث ، ط1، 2012، ص:55
* _ يثبت هذا الرأي (سيرل) في كتابه (أفعال الكلام) و إن كان يرى الكثير من الباحثين أن التداولية تسعى بهذا التوجه اللساني الجديد إلى تجاوز (المستوى الدلالي) دلالة المقولة الحرفية ،إلى محاصرة بنية الخطاب والإحاطة بكل وقائعه ، باعتبار أن الخطاب رسالة لغوية يوظفها المخاطب لغرض التواصل مع الآخرين.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

ط. التداولية وعلاقتها بتحليل الخطاب L'analyse du discours

يظهر أن التداخل بين تحليل الخطاب والتداولية واضح في العلاقة الوثيقة بينهما، فكل منهما يهتم بدراسة النصوص وتحليلها من خلال الاهتمام بالمتكلمين [المخاطب] و [المخاطب] و [المقاصد] و [السياق] الذي يرد فيه الحوار (الخطاب)، و [العناصر الإشارية] و [المبادئ الحوارية]. هذه النظرية التي تزعمها (أوستين وسيرل و جرايس و بنفنيست،... وغيرهم) استطاعوا أن يفتحوا آفاقا جديدة وسُبلًا واسعة ، بإخراج هذه الدراسات اللغوية من الجمود الذي سقط فيه البحث اللغوي البنيوي سابقا إلى اهتمامهم ب : [علاقة العلامات اللغوية و بمستعملها، و كيفية استعمالها وتأثيرها] (1) ، وهذا ما تقتضيه النظرة الشمولية للخطاب من ضرورة مراعاة الأبعاد الثلاثة المكونة له ، و هي على التوالي (2): [البعد التركيبي] و يهتم بدراسة علاقة العلامات بعضها ببعض و [البعد الدلالي] و يدرس علاقة العلامة بالواقع، في حين نجد [البعد التداولي] يهتم بدراسة علاقة العلامة بمستعملها وبمجالات استعمالها ونتائجها .

إهتمامات التداولية	أوجه التشابه	إهتمامات تحليل الخطاب
←	<ul style="list-style-type: none"> – الإهتمام بتحليل الخطاب المكتوب و المحكي – دراسة النص مهما كان حجمه – الإهتمام بالسياق و بكل عناصره – دراسة البعد التركيبي و البعد الدلالي و البعد التداولي (3) 	→

– النتيجة:

التداولية تهتم بالخطاب الذي يوظف اللغة كأداة تواصلية في سياق تعبيرى معين من قبل المتكلم تتناول مختلف الخطابات الصادرة عن الإنسان؛ أي [إيجاد] القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ، وتصير [التداولية] ، من ثمة جديدة بأن تسمى: [علم الاستعمال

¹ – ينظر: عبد الهادي بنظافر الشهرى . استراتيجيات الخطاب، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت 2004 ص: 21

² – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

³ – يتضح أن العلاقة بين تحليل الخطاب والتداولية، علاقة وطيدة بينهما، فكل منهما يهتم بدراسة النصوص وتحليلها من خلال الاهتمام بالمتكلمين (المخاطب) و (المخاطب) ومقاصدهم والسياق الذي يرد فيه الحوار (الخطاب)، والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية . ينظر: محمود نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص : 1

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

الغوي] * وعلى المخاطب استحضار كل شروط وإنتاج الخطاب المحيطة به ؛ لفهم المعنى الذي يقصده المتكلم. كدراسة المفردات و العبارات التي يواجهها المتكلم داخل السياق والظروف المحيطة به ، و من خلال الزمكان التخاطبي ، و نوعية العلاقة الإجتماعية التي تجمع بين المتكلم و المخاطب. نفهم من هذا أن السانيات التداولية قد إهتمت بالخطاب الذي شكل اهتمامها الأكبر مع التركيز على عنصر التداول فيه والمقصدية من وراء إنشائه، و الأهداف التي من أجلها أنشئ الخطاب، و لكن قبل ذلك كله يجدر بنا تحديد مصطلح الخطاب كما يقول "فولتير" : " قبل أن نتحدث معي حدد مصطلحاتك"⁽¹⁾ إن هذا المصطلح [الخطاب] عرف اضطرابا كبيرا، نظرا لارتباطه بتصوّرات مختلفة للغة، فهناك من يربطه بالنص، وهناك من يربطه بالملفوظ وهناك من يميزه عن اللّغة التي تشكل نظاما لمجموعة من القيم المفترضة ، و بالتالي الحديث عن النص والخطاب و الفرق بينهما ، لازالت تتخلله الكثير من الشوائب و الإلتباس، و السبب في ذلك تعدد المجالات المعرفية التي عرضت للموضوع، و التي سبق الإشارة إليها .

5. الإطار المفاهيمي للنص والخطاب و علاقتهما بالتداولية:

هناك اختلافات كثيرة في تعريف النص (TEXT) ، ففي المعاجم العربية نجد لفظة النص "بمعنى: رفعك الشيء، نص الحديث ينص نصا: دفعه وكل ما أظهر، فقد نص ونصت الظبية جيدها: رفعته. ووضع على المنصة أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور. و المنصة: ما تظهر عليه العروس لتزى...ونصصت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض... وأصل النص أقصى الشيء وغايته...ونص كل شيء منتهاه...والنص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها...ونص الحقائق منتهى بلوغ العقل... (2) من الملاحظ أن المعنى يدور حول هي: - الرفع. - الإظهار. - ضم الشيء إلى الشيء. - أقصى الشيء ومنتهاه.⁽³⁾ وردت هذه الكلمة في المعاجم العربية بمعان مختلفة أهمها ما وجد في قاموس المحيط (الفيروزبادي): "[نص] الحديث إليه: رفعه (...) و منه فلان ينص أنفه غضبا. وهو

* _ هناك من يقترح ترجمة (la pragmatique) بعلم المقاصد نظرا لدور المقاصد و قيمتها من بينهم: د محمد لطفي

الزليطي. د منير التريكي. في مقدمة الترجمة التي وضعها لكتاب تحليل الخطاب للثنائي: براون و يول، النشر العلمي و

المطابع ، جامعة الملك سعود ، 1997

¹ _ إبراهيم إيرش. حول حدود استحضار المقدس في الأمور الدنيوية ، ملاحظات منهجية في مجلة المستقبل العربي ، ع 5

بيروت 1994 . ، ص: 80

² _ ابن منظور. لسان العرب، ج 14، ص: 272

³ _ صبحي إبراهيم الفقي. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج 1، ط 1،

2000. ص: 28.

نصوص الأنف. " والنَّصَّةُ: العصفورة. وبالضم: الخصلة من الشَّعْرِ أو الشَّعْرِ الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها. ونَصَّصَ غريمه، ونَاصَّه: استقصى عليه وناقشه _ وانتص: انقبض. وانتصب (1) فالنص بمفهومه اللغوي يدل على الارتفاع، والتتابع والتنصيص.

نخلص أن المفهوم اللغوي و الإصطلاحي في اللغة العربية متباعد و غير مطابق. في حين نجد منسجم في لغة المعاجم الغربية فهو مشتق من الإستخدام اللاتيني " للفعل (TEXTERE) والذي يعني ينسج و يحوك ، وهي في الأصل اللاتيني: (TEXTUS) بمعنى النسيج و الحياكة" (2) ، وإن كلمة نسيج ترتبط بلغة الصناعة والاقتصاد و الإنتاج المادي، فنقول: [صناعة النسيج، النسيج الإقتصادي، النسيج الصناعي..] ، فاللغة قد استعارته من هذا الميدان و وجه الشبه بين الإستخدامين؛ أن الحقل الصناعي نسيج مادي حقيقي أما في اللغة فهو مجازي، ينسج بالكتابة و بالألفاظ و العبارات. أما (رولان بارث) فيعرفه بأنه:"المساحة غير العادية للأثر الأدبي ؛ إنه نسيج من الكلمات الراسخة في الأثر والمنظمة على نحو تُفضي فيه إلى معنًى محدّد ووحيد إن أمكن" (3) يقول (رولان بارث): "إننا لنعرف الآن أن النص ليس سطرا من الكلمات (...). ولكن فضاء لأبعاد متعددة تتزاح فيها كتابات مختلفة و تتنازع دون أن يكون أي منها أصليا: فالنص نسيج لأقوال ناتجة عن ألف بؤرة من بؤرة الثقافة." (4) "فالنص يبقى دائما نصا، إنما الذي يتغير أو يموت هي قراءتنا لا سيما إذا كانت قراءتنا سلبية و اللعبة في نظرنا بين الباث أو المبدع و المتلقي أو القارئ ليست أكثر من لعبة زمنية صرف." (5) "لنخلص أن النصّ هو ما كُتِبَ . فإذا عدنا إلى المصطلحات النقدية الحديثة نجدها قد تولدت عنه مجموعة من التعريفات ، فلكل مدرسة أدبية تعريفها الخاص، بل قد تتباين حتى داخل أعضاء المدرسة الواحدة ، بل إن هذه التعريفات قد تتغير مع العضو نفسه حسب المرحلة الأدبية التي يمر بها وتأثيرها عليه. (فرولان بارث) مثلا " تعددت تعريفاته للنص الأدبي بتعدد المراحل النقدية التي مرّ بها، بدءا

¹ _ الطاهر أحمد الزاوي. ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: ، دار الفكر للطباعة ، م 4، ط 3، ص: 381.

² _ hachette dictionnaire encycédique édiion 2002 spademLadagp paris p : 598

³ _ أحمد الوديني. نظرية النص عند رولان بارث،المجلة الأدبية الشهرية ع 426 ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، تشرين 2006،1 ص:106

⁴ _ رولان بارث. نقد و حقيقة الأعمال الكاملة (critique et vérité) ، ط1، ترجمة ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري للترجمة و النشر: 1994 ص:215

⁵ _ عبد الجليل مرتاض . في عالم النص و القراءة، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر: 2007، ص:124

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

بالمرحلة الاجتماعية، مروراً بالبنوية والسيميائية. " (1) وحتى لا نكتفي بالتحديدات اللغوية المباشرة، اتجهنا إلى بناء مفهوم النص من جملة من المقاربات، ومن عدة اتجاهات نقدية ، و نخص بالذكر البحوث البنوية و السيميولوجية بالإضافة إلى محاولتنا التقرب من مفهوم النص ، و علاقته بالخطاب و الأثر . بالنسبة للنص و الخطاب ، يجمع كثير من النقاد على وجود تداخل بين مفهوم [النص] مع مفهوم [الخطاب] ويختلفون في التمييز بينهما، فمنهم من يضعهما في فقرة مشتركة مثل: محرري (المعجم الموسوعي للسيميائية). " (2) ؛ فإذا كان (النص) هو كل خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة ؛ أي " يمكن أن يتطابق النص مع جملة ، مثلما يتطابق مع كتاب بكامله " (3) فإن (الكتابة) هي آخر صيغة في عالم الأدب، وهي التي تستدعي القراءة المنتجة من قبل القارئ، الذي يعيد إنتاج النصّ، تبعاً لوعيه الثقافي والفني، وهي التي تسمح بتعدد التأويلات ، لهذا يمكن القول أن هناك تداخل بين مفهوم (النص) مع مفهوم (الخطاب) و إن حاول بعض النقاد التفريق بينهم.

وأمام هذا الإختلاف الكبير المتباين، فإني إرتأيت بالأخذ بخلاصة تعريف النص عند محمد مفتاح إذ أجدّه قد ركّب بين هذه التعاريف جميعاً ؛ ليستخلص المقومات الجوهرية الأساسية التالية: [مدونة كلامية]: يعني أنه مؤلف من الكلام و ليس صورة فوتوغرافية أو رسماً أو عمارة أو زي .. و إن كان الدارس يستعين برسم الكتابة و فضائها و هندستها في التحليل. و هو [حدث]: أي أن كل نص يقع في زمان و مكان معينين ؛ لا يعيد نفسه إعادة مطلقة له في ذلك الحدث التاريخي ، و هو [تواصلية]: أي يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف و نقل تجارب إلى المتلقي. و هو [تفاعلي] ؛ بمعنى أن الوظيفة التواصلية هي في اللغة ، و اللغة ليست هي كل شئٍ فهناك وظائف أخرى للنص اللغوي أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع و تحافظ عليها ، و هو [مغلق] والقصد منه انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية ولكنه من الناحية المعنوية . و هو [توالدي] ؛ أي أن الحدث اللغوي ليس منبثقاً من عدم و إنما هو متولد من أحداث تاريخية و نفسانية و لغوية ... و تتناسل من أحداث لغوية أخرى لاحقة له " (4) ، فالنص عنده إذن [مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة]. أما النص في الثقافة الإسلامية ، فقد كان لقدوم الإسلام دور مهم في توجيه الكتاب، بحكم ارتباطهم بالنص الديني، وخطب الرسول (ﷺ) ، فنادرا ما نجد نصاً خالياً من البسمة والحمدلة

1 _ محمد عزام. النص الغائب تجليات التناسل في الشعر العربي ، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2001. ص: 29

2 _ صلاح فضل. بلاغة الخطاب و علم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر لوندان: ط1، 1996 ، ص: 304

3 _ ترفيطان تودوروف. مفاهيم سردية، ترجمة، عبد الرحمن مزيان، منشورات الإختلاف، ط1، 2005، ص: 32

4 _ محمد مفتاح. تحليل الخطاب الشعري اسنراتيجية التناسل ، المركز الثقافي العربي: ط3 يوليو 1992، ص: 120. 121

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

والتصليية على رسول الله (ﷺ). بالإضافة إلى ذلك، كانت النصوص تدبج بعناصر أخرى ك [التشهد] و[الدعاء...]. وتعقبها عبارة [أما بعد]، [فصل الخطاب] [فاصلة بين الدعاء] و[استهلال الخطاب] و [مهئية المتلقي] من الجونب النفسية و الفكرية لتلقي الخطاب. كما نجدها قد تتنوع استهلالات الكتب وتختلف بحسب مضامينها وموادها العلمية،" فإن كان الكتاب في تخصص البلاغة استهله صاحبه بالثناء على البيان مثل: (البيان والتبيين) للجاحظ، و في الإعجاز استفتحه (بحمد الله على إقامة البرهان) بكتابه مثل : (إعجاز القرآن) للباقلاني، و إن كان في النقد صدره بحديث عما يميز جيد الشعر من رديئه مثل: (قدامة بن جعفر)... و هكذا دواليك⁽¹⁾. بالإضافة إلى اهتمامها بما يعرف ب [عتبات النص] و من ضمنها: [اسم المؤلف، والعنوان، والأيقونة، ودار النشر، والإهداء، والمقتبسة والمقدمة...]. في حين نجد **العنوان** هو النص الموازي، وهو لا يدرك في علاقته بالنص والقارئ فحسب، وإنما في ارتباطه بالشروط التي أنتجت ذلك النص، وكل عنوان حمال دلالتين، دلالة قصدية تخص فحوى الكتاب، ودلالة إرسالية تخص طرفا الاتصال. و على الرغم من تباعدها الظاهري فهي تعبر عن فحوى النص، من حيث التركيب والأسلوب، إلا أنها تتفاعل معه دلاليا وإيحائيا، ما بإمكانه أن يولد خطابا شاملا يجمع بين النص والعالم⁽²⁾. كل هذه المصطلحات توظف لتعيين وإبراز الخطاب المقدماتي وتقريب المتلقي من دواعي التأليف والضوابط المنهجية المتحكمة في ذلك، لذلك " فالنص خطاب صادر عن شخص معترف به و بقيمته المعرفية وليس هذا فحسب، بل يملك [سلط رمزية] تجعل منه صاحب ذلك النص بعينه والقادر على إنتاج نصوص أخرى، ودون ذلك لا يمكن الحديث إلا على [اللانص]⁽³⁾، و قد حظي العنوان في التراث العربي بعناية، خاصة كونه مفتاح الكتاب، ونافذته التي يطل منها على عالم النص.

¹ _ يوسف الإدريسي. عتبات النص، بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر: منشورات مقاربات، ط1، 2008، ص: 23.

² _ المرجع نفسه: ص: 15.

³ _ المرجع نفسه : ص: 26-27.

أ. الخطاب في الثقافة الغربية:

نال الخطاب اهتمام الفلاسفة والبلاغيين الغربيين المحدثين ببلاغة الخطابة ، لقناعتهم بالدور الخطير الذي عادت تلعبه في توجيه الرأي ، و بلورة الفكر المعاصر ، وبدأ الحنين من جديد إلى [ريتوروية] أرسطو التي تتوسل إلى الإقناع ، بوسائل متنوعة حسب الأحوال ونظرا للدور الذي تلعبه بلاغة الخطابة في التأثير في الرأي العام الوطني والدولي و توجيهه ، اكتسبت الخطابة مكانة مرموقة . و"إذا كان أرسطو استلهم التجمعات السياسية لوصف النوع التشاوري والمحاكم لتمييز النوع القضائي، فإن المسابقات الخطابية المنعقدة خلال الألعاب الأولمبية ، هي التي أوحى إليه بخصوصيات النوع الاحتفالي (1)؛ لما لها من دور في الحياة اليونانية القائمة على نظام ديمقراطي يلعب فيه الإقناع دورا مهما، سواء في المجالس الاستشارية أو المحاكم أو المحافل .

كانت الخطابة في أول أمرها تلتبس بالشعر كما التبست بالفلسفة فسعى أرسطو إلى التمييز بينهما بأن وضع كتابا في الخطابة وآخر في الشعر (2) ، إذ ينشأ الكلام انطلاقا من الدائرة الكلامية التي تفترض وجود شخصين على الأقل-متكلم مخاطب-وتكون نقطة انطلاق الدائرة الكلامية كامنة في دماغ أحد الطرفين فيكون بذلك هو المتكلم (3) ، انتبه (سوسير) في الدائرة الكلامية إلى ضرورة وجود طرفين وهما ركنان ضروريان في قيام الخطاب أو العملية التخاطبية ، ولكنه اهتم باللغة بوصفها نظاما ، و أهمل الكلام ؛ لأنه يرى فيه صورا مختلفة يتعذر له حصرها أو دراستها في الواقع. هذا الإهمال للكلام كان محل اهتمام و اجتهاد اللغويين فحاولوا وضع مفهوم دقيق للخطاب ، ف(هاريس) يرى أن : "الخطاب وحدة لغوية ،ينتجها الباث (المتكلم) تتجاوز أبعاد الجملة أو الرسالة". (4) و يعرفه (بنفيست) بأنه: "وحدة لغوية تفوق الجملة، تولد من لغة جماعية." (5) وعرفه أيضا بأنه : " منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راو ومستمع، وعند الأول فيه نية التأثير في الآخر بطريقة معينة " (6) ، فاللغة هي إذن ظاهرة عامة يشترك فيها أفراد مجتمعين ، في حين أن الكلام هو كل ما يلفظه أفراد مجتمعين ؛ أي ما يختارونه من

1 _ بيرلمان P. 32 L'Empire rhétorique عن مجّد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص:33

2 _ مجّد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي. ص:78

3 -Ferdinand de Saussure : Cours de linguistique générale, EN.R.G. édition .

Alger.1990.p26-27

4 _ نور الدين السد، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ،رسالة دكتوراه، اشراف طاهر حجار، جامعة الجزائر ، 1994 ص:40.

5 . Emile Benveniste : problèmes de linguistique générale, Edition gallimard –1966 p 241-242.

6 _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

مفردات و تراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق من حركات مطلوبة⁽¹⁾، يلاحظ في هذه التعريفات أن للخطاب جانبان: [جانب شكلي]، يكون الخطاب فيه بناء أو كتلة تفوق أو تساوي الجملة، و بالتالي فهو مكون من وحدات متماسكة و منسجمة، و [جانب وظيفي] ينظر إلى الخطاب؛ بأنه استعمال اللغة من طرف الفاعل المتكلم، كما نجد من أعطى للخطاب تعاريف تربطه بالجانب المنطوق للغة، ف (إميل بنفست) يرى أنه " يجب أن يفهم الخطاب بأوسع معانيه على أنه كل ملفوظ يفترض متكلماً ومستمعاً وفي نية الأول التأثير على الآخر بأية طريقة"⁽²⁾، فالخطاب يتعلق فقط بالجانب المنطوق و هو يختلف عن الجملة و النص، و أضيف إلى التعريفات السابقة أن الخطاب فاعلية يمارسها مخاطب يعيش في مكان و زمان تاريخي تسود فيه العلاقات الاجتماعية بين الناس. و هو بذلك استخدام للغة ضمن سياق خاص، و هو التّحديد الذي يقترّب من تمييز (دوسوسير De Saussure) (*) بين اللّغة و الكلام. وفي هذا يقول (ج. دييوا J.Dubois) في تعريفه للخطاب على أنّه: " هو اللّغة أثناء استعمالها، إنّها اللسان المسند إلى الذات المتكلمة"⁽³⁾، فهو بذلك مرادف للكلام بالمفهوم (السّوسيري). ونجد (تزفتان تودوروف) حين يعرف الخطاب يصنّفه إلى نوعين: خطاب نقدي وخطاب أدبي وأعطى لكل منهما مفهوماً مغايراً فالخطاب النقدي عنده هو الممارسة التي يكون فيها الناقد كالمَنْجَز لا يستطيع أن يتحدث إلا خطاباً مثقوباً"⁽⁴⁾ ومهما يكن من أمر، فإن هناك فروقاً أولية ينعقد عليها الإجماع نظرياً يمكن استخلاصها في الجدول التالي:

¹ _ ذهبية حموالحاج . لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دارالأمل للطباعة و النشر و التوزيع، ص:78

² Emile Benveniste : problèmes de linguistique générale, Edition Gallimard –1966 p 241-242.

* _ إميل بنفنيست: عالم فرنسي في اللسانيات درس في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا عام 1927، Collège de France وفي عام 1937 تشعبت دراساته اللسانية، حيث شملت أشهر المجالات، ولكنه عرف أكثر بدراساته في التداولية ونظرية الحديث.

³ _ J. Dubois et al (2001) : Dictionnaire de linguistique, Paris, Larousse

⁴ _ عبد السلام المسدي. الأسلوبيات وتحليل الخطاب، الدار العربية للكتاب، ط 2، سنة 1982. ص:89

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

Discours الخطاب	Texte النص
_ الخطاب موقف ينبغي أن يطابق الواقع.	_ النص بنية مترابطة تكوّن دلالة
_ الخطاب نص في الاستعمال	—
_ الخطاب الأصل فيه منطوق أو ملفوظ	_ الأصل في النص مكتوب يسمح له بالديمومة
_ يكون الخطاب عادة أوسع من النص	_ يكون النص عادة أقصر
_ الخطاب نص مرتبط بالسياق	_ النص لا يتضمن ملابسات و ظروف إنتاجه
_ [الخطاب = النص (+) السياق]	_ [النص = الخطاب (-) السياق]
_ الخطاب أن يكون مفهوما	_ الإلتزام بجغرافية النص ، و عدم تجاوز حدوده
_ الخطاب يشترط متلق سامع	_ الخطاب يشترط متلق قارئ
_ يجب أن يؤدي إلى الفهم	_ النص لا يشترط متكلما واحدا
	_ يحمل العلامات الأيقونية (رسوم - صور)
	_ يُستعمل للدلالة على قيمة محدّدة

ب. الخطاب في التراث العربي الإسلامي :

لقد كثر مفهوم الخطاب و تنوعت تعاريفه اللغوية ، إذ تُحيل مادة [خ ط ب] ومشتقاتها في المعاجم العربية على عدة معاني منها: "الشأن" أو [الأمر] الذي تقع فيه المخاطبة صغر أو عظم فيقال: ما خطبك؟ أي: ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير. والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال؛ ومنه قولهم: جل الخطب أي: عظم الأمر والشأن. وجمعه خطوب⁽¹⁾ كما يدل على [مراجعة الكلام]⁽²⁾ وهما الخطاب والمخاطبة. "والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة"⁽³⁾ و نجدها في هذه الحالة أنها تتناول [المادة، الموضوع، الوسيلة] في آن واحد، وفي ذلك ربط للكلام بالحدث أو المؤثر. ليصبح الخطاب هو تبادل الكلام بين شخصين أو أكثر كحبل وصال بين الخطيب والمخاطبين. في حين نجد الخطاب في القرآن الكريم قد ذُكر في عدة مواضع و بصيغ متعددة من ضمنها صيغة [الفعل]، في قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا و وَحِينَا و

¹ _ ابن منظور. لسان العرب، مادة (خ ط ب)، ج 5، ص: 98

² _ المصدر نفسه: ص: 99

³ _ المصدر نفسه: ص: 98

لاتخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون»⁽¹⁾ وقوله أيضا: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾⁽²⁾ و بصيغة [المصدر] في قوله تعالى: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا﴾⁽³⁾. فالخطاب بهذا لابد و أن يكون موجها إلى من يملك القدرة ، أو من هو مهية لفهم الكلام الموجه إليه ، وجعل الخطاب هو ذاته الكلام . من المفاهيم التي أعطيت للخطاب عند الأصوليين ، أنه: "الكلام الذي يفهم منه المستمع شيئا"⁽⁴⁾ في حين قدم الأمدى للخطاب تعريفا نراه أكثر دقة في قوله: "أنه اللفظ المتواضع عليه ، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"⁽⁵⁾ ، و هو بذلك يرى ضرورة اتفاق المتكلم والمستمع على اللغة المستخدمة، وأن يكون قصد المتكلم و المستمع هو الإفهام و المنفعة معا ، و إستبعد كل ما ليس له علاقة بالخطاب كالحركات والإشارات المساعدة.

ج . علاقة التداولية بالخطاب في النقد المعاصر:

علاقة التداولية بالخطاب علاقة وطيدة كما سبق ذكره، إذ تحولت التداولية من المجال اللغوي و المنطقي و الفلسفي إلى الأدب، وأصبحت تعرف بـ [التداولية الأدبية] ، أو ما يعرف اليوم بالذرائعية الأدبية، التي تمثل مقارنة لدراسة النصوص وتحليلها وفي هذا المجال تكون " التداوليات نظرية استعمالية، حيث تدرس اللغة في استعمال الناطقين بها، ونظرية تخاطبيه تعالج شروط التبليغ والتواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء الاستعمال للغة"⁽⁶⁾. و عليه أصبحت الدراسات النقدية الحديثة تجعل من اللغة الأدبية نظاماً معقداً للاتصال يجاوز مستويات الصياغة اللفظية والنصية إلى دراسة الحدث الأدبي ، انطلاقاً من دائرة الاتصال الاجتماعي، أي الانتقال باللغة الأدبية من مستوى النص كنظام إلى مستوى التواصل. وتعود بوادر الانتقال إلى ضرورة فهم النص انطلاقاً من ارتباطه بالسياقات أو التحديدات السياقية. تحاول المقاربة التداولية الإجابة على مجموعة من الأسئلة المهمة في مثل التي طرحها (فرونسوا أرمينكو): "ماذا نصنع حين نتكلم؟ وماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ لماذا نطلب من جارنا حول المائدة أن يمدنا بكذا بينما يظهر واضحا أن في مكانه ذلك؟ من يتكلم إذن؟ وإلى من نتكلم؟ من يتكلم

1 _ سورة النبأ : الآية : 37

2 _ سورة الفرقان : الآية: 63

3 _ سورة النبأ : الآية: 37

4 _ الأمدى. الأحكام في أصول الأحكام، تح: احمد محمد شاكر، دارالأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1980، ص: 136

5 _ المصدر نفسه : الصفحة نفسها

6 _ نعمان بوقرة. المدارس اللسانية المعاصرة ، ص: 33.

ومع من؟⁽¹⁾ و نتيجة لهذا الطرح ، يمكن حصر العناصر التي تهتم بها التداولية في: معتقدات المتكلم وشخصيته و تكوينه الثقافي ، ومقاصد الكلام ، و المشاركين في الحدث الخطابي [المرسل و المتلقي] و المعرفة المشتركة بين المتخاطبين (مبدأ التعاون) و الظروف المكانية والزمنية والعلاقات الاجتماعية بين الأطراف [السياق]، هي أهم ركائز التداولية . من هنا فإن أشمل تعريف للتداولية كما- نراه - هو في ما عرفه (عبد الهادي الشهري)⁽²⁾: [دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل]؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئاً متأسلاً في الكلمات وحدها، و لا يرتبط بالمتكلم وحده، و لا السامع وحده، وإنما يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي، اجتماعي، لغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما". وتعدّ دراسات (فان ديك) من أهم أعمال النظرية التواصلية في النقد المعاصر "حيث أنه وضع تخطيطاً من ناحية البرنامج للذرائعية الأدبية بوصفها مكملاً لا فكاك عنه لنظرية النص"⁽³⁾ ويمكن اعتبار عام (1979) تاريخاً حاسماً في تحول (فان ديك) من علم الدلالة إلى نظرية أدبية عامة "تتضمن على نظرية للنصوص الأدبية ونظرية للتواصل الأدبي"⁽⁴⁾ ولئن أقرّ الباحثون التداوليون باختلاف الخطاب التواصلية عن الخطاب الأدبي في مستوى علاقة الخطاب بالواقع، أو كيفية إحالته على السياق ودرجة حضور عناصر المقام فيه، فإنّ هذا الاختلاف لا ينفي أن يكون للنص الأدبي مقامه أو سياقه الخاص به. فالمتكلم والمخاطب مثلاً يمكن أن يعنّيا في المستوى اللساني أي الخطاب أو النص تغييباً مقصوداً لعدم توفّر قرائن لفظية دالة عليهما، ولكنهما يبقيان مع ذلك حاضرين في المستوى التداولي. يميّز الخطاب الأدبي على أساس أنّ الوظيفة الشعرية هي الوظيفة المهيمنة على الوظائف الأخرى ومن ذلك أيضاً النقد التداولي الموجّه إلى ريكاردو (Ricardo) ؛ لتمييزه بين الخطاب الأدبي والخطاب الإبلاغي⁽⁵⁾ على النحو التالي:

1- فرانسوا ارمنيكو. المقاربة التداولية ، ص:7

2 _ محمود نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:14.

3 _ خوسيه ماريا بوثويلو إيقانكوس. ترجمة حامد أبو حمد، مكتبة غريب، سلسلة الدراسات النقدية، القاهرة، ص:76.

4 _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها

5 _ المرجع نفسه: ص:333.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

الخطاب الأدبي	الخطاب الإبلاغي أو التواصلية
_ اللغة مادة و موضوع	_ اللغة وسيلة و قناة
_ الهدف من الخطاب الدفع و الإثارة و التشويق	_ الهدف من الخطاب الإخبار
_ هو أدبية اللغة و الموضوع	_ الهدف من التبليغ هو توصيل موضوع معين
_ يكثر فيه الخيال لإعتماده على الأسلوب غير المباشر	_ يقل فيه الخيال ، لإعتماده _غالبا_ على الأسلوب المباشر

ولا شك في أنّ التداولية لا تنفي أنّ إحالة الخطاب الأدبي على المقام غير مباشرة غالباً، و منه أصبحت الذرائعية الأدبية مقياساً للحكم على أدبية الأعمال الفنية، ففي حين كان الاعتراف بما هو أدبي يتحقق بواسطة الخصائص البنوية وجملة الملامح اللفظية، أصبحت الأدبية تتحدد من خلال الاعتراف بإنتاج معين وخاص، واستقبال خاص أيضاً. ثم تطورت الذرائعية وأصبحت في مراحل متأخرة جداً [نظرية للسياقات] إذ دعا (ماكس بلاك) لتسمية التداولية بالنظرية السياقية⁽¹⁾، تبحث في سياق الإنتاج والاستقبال، ثم إلى [نظرية في الأفعال الكلامية]. كان من أهم أعلامها في النقد المعاصر: (فان ديك غرايس، أوسن، سيرل، جون ديوي) وغيرهم. بعد أن فتحو أفاقاً جديدة ، بإخراج هذه الدراسات اللغوية من البحث اللغوي البنوي الجامد سابقاً ؛ إلى نظريات و إجراءات جديدة في فهم أبعاد اللغة والخطاب؛ لتصبح على ما يعرف بها الآن: **التداولية حقلٌ لسانيٌّ يهتم بالبعد الاستعمالي أو الإنجازي للكلام ،** ويأخذ بعين الاعتبار كل من [المتكلم والمتلقي والسياق]. وهي زاوية من بين الزوايا الكثيرة التي ينظر بها إلى اللغة، وقد نجحت في سدّ العديد من الثغرات التي عجزت عنها النظريات اللسانية و البنوية و غيرها من المعارف اللغوية ، إلا أن ما يجب معرفته أن التداولية رغم كل ما تملكه من إجراءات ومفاهيم متطورة، لا يمكن لها أن تستغني عن هذه النظريات و الحقول المعرفية؛ بل يمكن القول أنها روافد تكاملية تصب في الحقل التداولية.

وعليه فإن هذه العناصر التي سأعرضها، لا تتركز على مظاهر اللغة الداخلية (الصرفية أو التركيبية...) بصفة مطلقة، بقدر ما تحاول المزج بين عناصر اللغة وعناصر السياق وكل ما كان سبباً في نجاح العملية التبليغية، مع الإشارة إلى أنّ هذا الاهتمام في حدّ ذاته غير موحد ولا منسجم ، انعكس عنه وجود تداوليات منها: **التداولية الاجتماعية** و تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي الاجتماعي، و**التداولية اللغوية** و تدرس الاستعمال اللغوي تركيبياً و**تداولية تطبيقية** تعني بمشكلات التواصل في

¹ _ فرونسوا أرمينكو . المقاربة التداولية ، ص:5

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

المواقف المختلفة ، و التداولية العامة و تعنى الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالا اتصاليا (1) . مما يمكن القول أن النص بصفة عامة أو الخطاب الأدبي بصفة خاصة، استفاد بعدد من المقاربات والنظريات والمناهج، ظهرت خاصة في مرحلة مابعد الحداثة بين سنوات الستين والسبعين من القرن العشرين الماضي ومن أهم هذه المقاربات [المقاربة التداولية بكل تياراتها الحجاجية ، و المنطقية و اللغوية، والتخاطبية و التداولية، والسياقية]، كل هذا استدعي منا أن نتساءل : هل نحن أمام تداولية أو تداوليات ؟ وهل هي تخصص أو ملتقى تخصصات مختلفة ؟ . و هنا تكمن صعوبة تطبيق التداولية، من خلال وجود تصورات تداولية عدة حول النص و الخطاب الأدبي .

نجد من جملة هذه التصورات بعض الإجراءات أعتقد أنها ستختصر الطريق و تيسر التحليل و الدراسة بتطبيق المنهج التداولي على الخطاب، مهما كان نوعه و طبيعته بالتعرف على مستويات التحليل التداولية ، بدءا بما أشارت إليه (فرانسواز أرمينكو (2) F. Armengaud)، في كتابها عن التداولية إلى محاولة الهولندي (هانسون Hansson) الذي يعود له الفضل في القيام بهذه المحاولة، وقد نجح فيها إلى حد بعيد إذ يعتبر - هانسون - من بين الذين اشتغلوا بالدرس اللساني التداولي وساهموا في تطويره كما يعد أول من حاول توحيد مختلف مكونات التداولية ، حين اقترح سنة 1974 ، ثلاثة مستويات للتحليل التداولي خاضعة للمؤشرات السياقية التي تتطلبها عملية التأويل؛ فكل درجة تهتم بالسياق و تجلياته لكن توظيفه يختلف من درجة إلى أخرى. (3) ، هذا ما يمكّننا أن نقلل من ذلك الرّكام المعرفي و الإصطلاحي الذي سبق الإشارة إليه ، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة المدونة و السياق و إستراتيجية المرسل إليه التي عملنا على إدماجها في تصور الدرجة الأولى (*) ؛ لأننا نرى أن التعرف على السياق وحده غير كاف ما لم نوضح الإستراتيجية ، و على العموم يمكن توضيح هذه المستويات على الشكل الآتي:

1_ ينظر: نحلة، محمود أحمد. . آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:15.

2_ فرونسواز، أرمينكو. المقاربة التداولية ، ص:38

3_ صابر الحباشة. مدخل إلى الأبعاد التداولية في قراءة الشروح القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع 100 ، 2007، ص:155،

*_ توجد تصورات كثيرة ، ولعل من أبرزها وأكثرها تداولاً: - تصور هانسون : و قد سبق الإشارة إليه. - تصور فرانسواز أرمينكو : و قد صنفتها في اتجاهين في كتابها "المقاربة التداولية": إتجاه تداولية اللغات الشكلية: عالجت فيها العلاقة بين التلفظ وملفوظه وبين الجمل وسياقاتها و دراسة شروط الحقيقة وقضايا الجمل والحديث بين المتخاطبين والاعتقادات المتناسمة ، أما الإتجاه الثاني تداولية اللغات الطبيعية : دراسة اللغة بوصفها وسيلة فريدة للتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع. تداولية التلفظ: وتشمل تداولية صنيعه التلفظ و تدرسه من حيث هو صناعة أي كيفية صياغته وتشكيله. تداولية صبغ الملفوظ : و تهتم بشكل الملفوظ وعبارته: تعالج العلاقة بينه وبين الدلالة، وتحدد السياق المناسب له. - تصور

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

تداولية الدرجة الثالثة	تداولية الدرجة الثانية	تداولية الدرجة الأولى
_ تخصص نظرية أفعال الكلام، مما قدمه أوستين وطوره سيرل.	_ تركز على دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه؛ فتهتم بشروط التواصل والتمييز بين المعاني (الحرفي-السياقي)، (الحرفي-الموضوعي).	_ تدرس رموز التعبيرات المبهمة خلال ظروف استعمالها، وتقوم بتناول السياق ومعطيات الزمان والمكان والرمز والإشارة. أضيفت إليه الإستراتيجية.

وسيكون تحليلنا النظري و التطبيقات لموضوعات التداولية على شاكلة تصور (هانسون) بدرجاته الثلاثة مع التأكيد على حضور السياق المتواجد بقوة في جميع مستويات التحليل التداولي ، مع إضافة بعض التعديلات الطفيفة على هذا التصور كإدراج إستراتيجية إلقاء الخطاب ضمن الدرجة الأولى ، و التركيز على الجانب الإقناعي ، بعد الإطلاع على السياق العام و الخاص ؛ لما له من علاقة وطيدة في إرسال الخطاب و الإقناع، و ترتيب عناصر التحليل في مستوى كل درجة بما يتماشى مع متطلبات الموضوع و المدونة . كمحاولة منا لإعادة تنظيم بعض المفاهيم ، و بعض النظريات التداولية بتثبيتها أو بالإشارة إلى تعديلها ، لتيسير إجراءات التحليل تحليلاً سليماً ومفضياً يساير خصوصيات اللغة و البلاغة العربية .

• المبحث الثاني: أهم مباحث و مستويات التحليل التداولي التداولية

I. تداولية الدرجة الأولى La pragmatique du premier degré

تدرس تداولية الدرجة الأولى رموز التعبيرات المبهمة خلال ظروف استعمالها، وتقوم بتناول [السياق ومعطيات الزمان والمكان والرمز والإشارة]. وهي على العموم تهتم بدراسة الرموز الشارعية ؛ أي التعبيرات المبهمة، ضمن ظروف استعمالها ؛ (أي سياق تلفظها). سياق هذه الدرجة هو الموجودات، أو محددات الموجودات، ومن ثم فالسياق الوجودي الإيخالي هو : [المخاطبون، ومحددات الفضاء والزمن] (1) ؛ معنى ذلك هي مجموعة من العناصر الطبيعية والاجتماعية والنفسية والثقافية و التاريخية و الدينية.. التي تشكل عالم الإنسان ، ومن أجل ذلك اهتم محللو الخطاب بجميع الجوانب المتعلقة بإنشاء الخطاب . فما هو السياق وما دوره في عملية فهم الخطاب؟ .

(أوستين) و (سيرل) و (جرايس) : لهم إجراءات و نظريات جد فعالة و ناجعة في كثير من جوانبها في مجال أفعال الكلام الذي سنتطرق إليه بشيء من التفصيل في مبحثه أفعال الكلام.

¹. فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية، ص:38.

1. السياق:

السياق واحد من العناصر الأساسية المساهمة في تكوينه ، وكذا في فهم وتأويل المقصد الذي يحويه ، إذ تعد "نظرية السياق منهجًا لدراسة المعنى ؛ لما تميزت به من اهتمام بالعناصر اللغوية والاجتماعية (1) ويذهب (براون ويول) إلى أن " محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب " (2)

أ. السياق لغة:

السياق في مفهومه المعجمي: " يتضح من خلال ما يسبقها و ما يلحقها من وحدات و السياق بهذا يمثل مجموع الأجزاء التي تحيط بالكلمة و تساهم في الكشف عن معناها" (3) ؛ و معنى ذلك أن الكلمة خارج سياقها لا معنى و لا قيمة لها ما لم توضع في سياقها ؛ لكي تكتسب معنى دقيقا .

ب. السياق اصطلاحا:

تطور مفهوم السياق و بخاصة في الدراسات التداولية فصار يحوي كل الظروف المحيطة بعملية التلفظ ، و " أصبح يهتم بكل ما له صلة بالمتكلم والمتلقي والظروف المحيطة بهما أثناء قيامهما بعملية التواصل (4) ، أما (فان ديك) فقد حدد مفهوم السياق انطلاقا من تحديده مهام التداولية ، إذ تقوم بصياغة شروط نجاح انجاز عبارة ، و ترابطها كفعل انجازي ، و المهمة الثانية للتداولية تكمن في كونها تقوم بوضع الأفعال في موقف معين تتحدد في أي موقف من المواقف تكون العبارات ناجحة . فهو يرى السياق الوسيلة المثلى لتحديد مواقف الأفعال الكلامية وكذا وصفها وصفا دقيقا ، و أكد في سياق آخر أن السياق يتغير لذا فالصفة التي تميزت فيه هي الديناميكية أو الحركية ..؛ لأنه ليس مجرد حالة لفظ و إنما هو على الأقل متوالية من أحوال اللفظ ، و بما أنه يتغير و لا يبقى ثابتا ، فان كل سياق عبارة عن اتجاه مجرى الأحداث " (5) ؛ لهذا فالسياق كمصطلح تقني عند (فان ديك) يقوم بوصف مجرد لموقف فعل كلامي . و عليه فإن نظرية السياق تهدف إلى معرفة الأساليب المختلفة للمنطوقات،

¹ . بشير ابرير . في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل ،جامعة باجي مختار ،عناية،اع 08 ،جوان 2001 ص:77

² .ج.ب.براون ج .يول . تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليكي ، منير التركي، جامعة الملك سعود 1418 هـ .ص:

35

³ . Jean Dubois et autre : dictionnaire de linguistique Laibrairie La roisse , Paris 1973 p120

⁴ _ عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب،ص:40

⁵ _ فان ديك . النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي تر : عبد القادر قنيني،إفريقيا

الشرق،بيروت،ص258

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

وتصنيفها حسب المواقف الصحيحة بالإضافة إلى معرفة الملامح الشكلية نفسها وصف الاستعمال الفعلي لنظري معين في موقفه الخاصّ باعتباره شيئاً فريداً. و معرفة الوظائف الدلالية التي يمكن إرجاعها إلى التراكيبات النحوية... و إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الكلام. وجوب تحديد بيئة الكلام؛ لأنّ هذا التحديد يضمن عدم الخلط بين لغة وأخرى... و يجب تحليل الكلام إلى عناصره ووحداته الداخلية المكوّنة له، والكشف عمّا بينهما من علاقاتٍ داخليةٍ لكي نصل إلى المعنى" (1)

، وهذه الأهداف تحيلنا على " أنّ اهتمام فيرث، كان منصباً على إحلال القول محلّه ضمن [السياق الاجتماعي] ومن ثمّ الخروج بتعميماتٍ حول أنماط المعاني التي تفرزها سياقات اجتماعية محدّدة وقد اقترح أمير (Ammer) تقسيماتٍ للسياق تمثّلت فيما يلي: [السياق اللغوي ، Linguistic context] ، [السياق العاطفي، Emotional context] و [سياق الموقف ، Situational context] و[السياق الثقافي Cultural context] (2) ، و هذه السياقات لها دور كبير في فهم النص.

نستنتج مما سبق أن المعنى لا يتحدد و لا يستقيم للمحلل إلا من خلال التنسيق بربط الملفوظات بسياقها النصي واللساني ، وعلى المرسل إليه أن يكون واعياً ونكياً حتى يدرك المعنى الصريح من وراء خطاب المرسل وان يتمكن من كشف المعاني الملتبسة التي قد تحف بالخطاب.

حدد(هايمز) للسياق مجموعة من الخصائص المميزة له ومنها تتشكل الرابطة التبليغية و هي من ثمانية أجزاء (3) على النحو الآتي:

¹ _ براون، يول . تحليل الخطاب، ص:46

² _ محمود جاب الرب. علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، ط1 / 1985، ص:148

³ _ براون ويول . تحليل الخطاب، ص:48

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

الباث	هو المتكلم أو الكاتب الذي يحدث القول.
المتلقي	السامع أو القارئ الذي يستقبل القول .
المستمعون	الأشخاص الذين يساهم وجودهم في تحديد معنى الحدث الكلامي.
الموضوع	محور الحدث .
الظرف	السياق المكاني و الزماني للحدث .
القناة	كيفية التواصل ، لفظاً أم كتابة أم إشارة .
الشفرة	اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل.
طبيعة الرسالة	مناظرة، خطبة، قصيدة
الطابع	تقييم الكلام
الغرض	ماذا كانت الأطراف المشاركة تنوي التوصل إليه كنتيجة للحدث الكلامي

تعد هذه الخصائص أركان للسياق فالمرسل يرسل إلى المتلقي رسالة بحضور مجموعة من الأشخاص، ويستعمل المرسل قناة معينة محددة طبيعة الرسالة على أن تبث هذه الرسالة في سياق معين و أن يكون له هدف يريد الوصول إليه من وراء هذه الرسالة و على المرسل إليه أن يفهم و يدرك الغرض الذي يريده المرسل. وهذه الخصائص التي أوردها " هايمز " هي بمثابة عوامل مكونة لكل فعل تواصلية كلامي، أما (ليفيس) ⁽¹⁾ فيرجع عناصر السياق من حيث المجموع إلى ثمان واقترح لخصائص السياق التصنيف الآتي:

عناصر السياق	خصائصه
العالم الممكن	بمعنى الوقائع التي تؤخذ بعين الاعتبار سواء كانت حاصلة أم ممكنة أو مفترضة.
الزمن	باعتبار الجمل التي تتضمن إشارة إلى زمان الخطاب : الآن اليوم، الأسبوع القادم
المكان	باعتبار الجمل التي تتضمن إشارة إلى مكان الخطاب : هنا..
المتكلم	اعتبار الجمل التي تتضمن ضمائر المتكلم (أنا، نحن)
الحضور	اعتبار الجمل التي فيها ضمائر المخاطب (أنت، انتم)
المشار إليه	اعتبار الجمل التي تتضمن أسماء الإشارة (هذا، هؤلاء)
الخطاب السابق	اعتبار الجمل التي تتضمن عناصر تقتضي كلاماً سابقاً (المشار إليه سابقاً ...)
التخصيص	متتاليات من الأشياء

¹ - محمد الشاوش . أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ط1، 2001، المؤسسة العربية للتوزيع . بيروت، ج 1، ص: 162

ج. السياق عند (هايمس) و (ليفيس):

عند عقد مقارنة بين مقومات السياق عند (هايمز) و (ليفيس) يتضح أن هناك فارقاً بينهما ، (1) فالسياق عند (هايمز) قد ركز على المقومات الحاضرة في السياق الحالي للخطاب أما الحضور فهو من العوامل المساعدة في تحديد معنى الحدث الكلامي ، في حين أن السياق عند (ليفيس) قد ركز على عرض الأدوات التي يحتويها الخطاب؛ إذ بواسطتها يتم التعرف على السياق كما أنه لا يميز بين "دور المخاطب و دور الحاضر الشاهد لعملية التخاطب و بجانب هذه الآراء في تصنيف عناصر المقام هناك اقتراحات أخرى لعدد من اللغويين المحدثين مما لا يتسع لهذا المقام سردها.

ما يلاحظ أن اللغويين الاجتماعيين المحدثين قد طوروا تصنيف عناصر المقام و قدموا مناهج منتظمة لتحليل المقام في دراسات (إثنوغرافيا الاتصال) و (التحليل الحوارية) و (التحليل التعملي) و (تحليل الخطاب النقدي).

د. السياق في الثقافة العربية :

تتضح ملامح السياق في الثقافة العربية من خلال ثلاث بيانات مهمة بدراسة النصوص اللغوية و هذه البيانات هي : بيئة المفسرين، البلاغيين والأصوليين (2) و سيرتكز اهتمامنا على البيئة الأولى لما لها من علاقة بلب البحث التداولي، إذ ربط البلاغيون المقام بالمقال فقالوا لكل مقام مقال و " صورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام " (3) وقد تنبه البلاغيون إلى دور العناصر المقامية في المقال و تحديد خصائصه، و من ضمن المصطلحات التي أعطيت للمقام عند البلاغيين مصطلحي [مقتضى الحال] و [قرائن الأحوال]، و وضع تمام حسان المقصود بالقرائن بقوله: " أن السياق كالطريق لا بد له من معالم توضحه و لا شك أن مباني التقسيم وما تبدو فيه من صيغ صرفية و صور شكلية وكذلك مباني التصريف مع ما تبدو به من لواصق مختلفة تقدم قرائن مفيدة جدا في توضيح منحنيات هذا الطريق ولكن السياق حتى معوض و حال صيغ و اللواصق يظل بحاجة إلى الكثير من القرائن الأخرى التي تتضح بها العلاقات العضوية في السياق بين الكلمات " (4). أما مباني التقسيم فتشتمل حسب (تمام حسان) على العناصر التالية، الاسم والصفة والفعل والضمير، و الظرف و الأداة ، في حين تشمل مباني التصريف صور التعبير عن معاني الشخص العدد و النوع و التعيين ، و قسم القرائن

1 _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها

2 _ ينظر: نصر حامد أبو زيد . النص والسلطة والحقيقة، ط 4 ، سنة 2000 ، المركز الثقافي العربي، ص: 103

3 _ تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979، ص: 337

4 _ المرجع نفسه: ص: 134

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

إلى ثلاثة أنواع: قرائن عقلية، قرائن مادية، قرائن التعليق،⁽¹⁾ ، تتظافر هذه القرائن لإيضاح معنى النص ، أما دور القرائن في تحديد المعنى فيرى (ابن جني) في قوله: "علينا الإحاطة بالقرائن لفهم الأقوال"⁽²⁾ ، في حين يرى فيه عبد القاهر الجرجاني⁽³⁾ : " لكل موقف ومقتضى حال تركيب يتلاءم معه. والمعنى عنده يتكون من ثلاثة أبعاد: أولها معاني اللفظة المفردة أو ما يطلق عليها اليوم بـ (المعنى المعجمي) وثانيها: طرق التعليق بين الكلم وربطها، وهي المعاني النحوية التي تفرز عبر أحكام تنظيم الجملة المعينة. وثالثها: الإبانة عما في النفس أو البيان، أو تمام الدلالة ؛ وهو ما يسمى بـ (المعنى الدلالي) ، الذي يعتمد على المعنى المقالي - الوظيفي (الصوتي والصرفي والنحوي)، والمعنى الاجتماعي الذي هو شرط لاكتمال المعنى الدلالي وفهمه⁽⁴⁾. أما الخطيب القزويني فيرى فيه أن " الإختلاف في مقتضى الحال، فمقام التكرير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام إلى غير ذلك ...⁽⁵⁾ . و عند الحديث عن المحدثين فإنهم يقرون بأن الخطاب دون سياق خطاب غامض الدلالة، فالعلاقة بين السياق والخطاب هي علاقة تكامل.

2. الإشارات Deictics:

تصنف الإشارات - كما سبق ذكره - ضمن الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي ،على اعتبار أنها تعتمد أساسا على السياق الوجودي للعلاقات بين المتخاطبين، مما يعنى دراسة الرموز الإشارية ضمن ظروف سياقها التلفظي ، و السياق هنا يعني به " الموجودات ، أو محددات الموجودات ومن ثم فالسياق الوجودي و الإحالي هو: المخاطبون و محددات الفضاء و الزمن"⁽⁶⁾ و استعمال الإستراتيجية التضامنية يتجلى في الكيفية التي تستعمل فيها الضمائر، بالنظر إلى توزيعها و تنوعها

¹ _ المرجع نفسه:ص:180

² _ ابن جني. الخصائص،تح: محمد علي النجار المكتبة العلمية،ج 1،ص:246

³ _ الجرجاني. دلائل الإعجاز، ت. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص: 40.

⁴ _ المصدر السابق: الجرجاني . دلائل الإعجاز: 495.

⁵ _ القزويني. الإيضاح لمختصر تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبدیع، دار الكتاب الإسلامي، دون مكان الطبع،

ط 1، 1985م، ص: 11-12.

⁶ _ فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية ، ص38

ومرجعيتها . كل هذا له أثر في تقليص المسافات بين طرفي الخطاب ، حتى يتمكن هذا المخاطب أو المرسل من بث معانيه و توضيح مقاصده ، فتتم بذلك عملية التواصل و يتحقق الهدف.

تنقسم الإشارات إلى ثلاثة أنواع رئيسة . حسب دلالة كل نوع من الإشارات . و هي [الأننا ،الهنا، الآن ،حيث] . فإذا ما أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات في مقطع خطابي، استوجب منا ذلك- على الأقل -"معرفة هوية المتكلم والمتلقي و الإطار الزمني والمكاني للحدث اللغوي" (1) لأن الهدف هو فحص العلاقة بين المتكلم و المتلقي في سياق خاص . و هي بدورها تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

أ. الإشارات الشخصية:

تشتت الإشارات الشخصية أن يكون لكل كلمة في الخطاب مدلول تحيل عليه ، إلا أن بعضا منها يوجد في المعجم الذهني للمتكلمين بنفس اللغة ، دون ارتباطها بمدلول ثابت ، و يصبح مدلولها مرتبطا بالمقام الذي وردت فيه ؛لأن معناها يتغير تبعا لما تحيل عليه في كل خطاب جديد ، فتصبح فائدة المبهمات في هذه الحال " الإحالة إلى المعلومات القديمة التي تلفظها أحدهم ،والتي أصبحت جزءا من المعلومات المشتركة بين الباحث و المتلقي" (2) و هو ما يعرف بمبدأ التعاون.

ب. إشارات الخطاب:

تعد من خواص الخطاب ، وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم مثل: [ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك، من ثم...] وهذه الإشارات قد تلتبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق. (3) ، فعندما يتحير في أمر معين فإنه يقول: [مهما يكن من أمر]، وعندما يستدرك على كلام سابق أو يضرب عنه يستخدم [لكن] و[بل]، وإذا أراد الإضافة إلى ما قاله سابقاً يقول [فضلاً عن ذلك]، وقد يعمد إلى تضييق رأي، فيذكر صيغة التمريض [قيل]، وفي حال ترتيب أمر على أمر يقول: [من ثم]. وقد تستعار إشارات الزمان والمكان؛ لتستخدم إشارات للخطاب فكما يقال: [الأسبوع الماضي] يمكن أن يقال: [الفصل الماضي من الكتاب] أو [الرأي السابق]، أو يقال: [هذا النص وتلك القصة]. (4) و يميز (بنفنيست) (5) بين الزمن الفيزيائي الذي هو زمن استمراري ومنتظم، يتميز بالخطية و اللانهاية، والزمن التاريخي وهو يرتبط مباشرة بحياة الإنسان باعتبارها مجموعة متتابعة من

¹ _ ينظر: ج.ب . براون، ج.بول :تحليل الخطاب،ص:35

² _ ينظر :عبد الهادي بنظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب،ص:81

³ _ محمود أحمد ، نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:24.

⁴ _ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص : 24 . 25

⁵ . E.Benveniste : ibid., P70.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

الأحداث منذ الولادة حتى الوفاة، إذ يمكن للإنسان أن يجول بفكره في اتجاهين متعاكسين من محور الزمان، من الماضي إلى الحاضر و العكس، عن طريق الذاكرة والأحداث هنا ليس الزمن، إنما هي متضمنة فيه. وزمن الخطاب أو الزمن اللغوي، هو زمن التلفظ وهو يتمحور في الحاضر الذي يشكل مرجعيته، أما الأزمنة الأخرى (الماضي بكل تفرعاته و المستقبل) فتحديدها يتم من خلال علاقتها بالحاضر. لهذا فالمفهوم الزماني مفهوم يعتبر من أعقد المفاهيم ، و أكثرها تناولا في الفلسفة والعلوم والرياضيات و الأدب و المعاجم ؛ نظرا لتنوع مفاهيمه و تنوع معانيه .

لقد اتخذ المكان عند اغلب النقاد شخصية زمانية فابدعوا مصطلح [الزمكانية] كما عند - خالدة سعيد - عبد الملك مرتاض- وورد في مذهب النقاد العراقيين مصطلح [جغرافية الزمن]، وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المدة الزمنية كلها كأن ، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان ، وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفاً إلى زمان أوسع فكلما اليوم في قولنا بنات اليوم تشمل العصر الذي نعيش فيه، ولا يتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة.⁽¹⁾ وكل ذلك يعود إلى سياق هذه العناصر الإشارية و علاقتها بالزمان.

ج. الواصلات الزمانية Embrayeurs temporels:

هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم ، الذي هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، حتى لا يتبس الأمر على السامع أو القارئ. لما لها من علاقة وطيدة بالسياق الذي ترد فيه، في حالة اتساع دلالة بعض العناصر الإشارية في التعبير عن الزمان، يقول (بنفيسست) : " كلما استعمل فيه المتكلم الصيغة النحوية الدالة على الحاضر جعل الحدث متزامنا لحال الخاطب"⁽²⁾ مع الإشارة إلى أن المقياس الشعوري يختلف في صميمه عن المقياس الزماني ،الذي يعتمد في القياس على الأشهر والأسابيع والأيام والساعات، لأن الفترات الزمنية الموضوعية قد تتكمش في شعور الإنسان أو تتمدد وتبدو طويلة ،استنادا على ميراثه النفسي والاجتماعي من الماضي ."⁽³⁾ ومما ينبغي الالتفات إليه هي أن العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمن الكوني الذي يفترض سلفا تقسيمه إلى فصول، وسنوات وأشهر

¹ _ محمود أحمد ، نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص:20. و ينظر: عبد الهادي الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص:74.

² _ E.Benveniste : ibid., P70.

³ ينظر :محمد عبد الواحد حجازي. الأطلال في الشعر العربي - دراسة جمالية، دارالوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002 ص:16

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

وأيام وساعات ... وقد تكون دالة على الزمن النحوي الذي ينقسم بدوره إلى ماضٍ و حاضر و مستقبل فلحظة التلفظ هي المرجع ، كما هو موضح في مايلي:

الصيغة غير الإشارية	الصيغة الإشارية
_ في ذلك الوقت	_ الآن _ بعد قليل
_ في ذلك اليوم	البارحة
_ بعد مرور أسبوع	_ الأسبوع الماضي
_ اليوم التالي	_ منذ ليلة _ منذ ساعة
	_ قبل ذلك _ بعد ذلك
	_ غدا _ بعد غد
	_ اليوم _ مساء اليوم _ صباح اليوم .

و كذلك الإشارات والمكانية و قد قلنا فيما سبق أن زمان الخطاب يتأسس انطلاقاً من اللحظة التي يتكلم فيها الشخص، كذلك الحال بالنسبة للمكان أثناء التعبير الخطابي، إن دلالاته المرجعية لا تتجلى إلا من خلال تلك النقطة في الفضاء الذي يتحقق فيه الكلام، فوضعية المتلقي أثناء الكلام هي التي تدل على [البعد أو القرب أو الأمام أو الورا أو فوق أو تحت..] ..

د. الواصلات المكانية **embrayeurs spatiaux** :

الواصلات المكانية هي أقل عدداً من سابقتها ، وتتوزع انطلاقاً من المَعْلَم الذي يؤسسه المكان الذي يحدث فيه ، فالتلفظ ب(هنا) يشير إلى مكان المحادثة و الحوار أثناء اللقاء الخطاب ، و التلفظ بـ [هناك] يشير إلى مكان غير مكان اللقاء الخطاب و هكذا دواليك ، إضافة إلى هذه الواصلات المُحدَّدة نجد مجموعات اسمية محدَّدة باسم الإشارة [هذا ، هذه ، هؤلاء] و هي أسماء حاملة لمدلول مستقل عن مقام التلفظ . تفسيرها يتطلب الوقوف على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة المكانية باعتمادها على السياق المادي المباشر. و كذا في سائر ظروف المكان مثل: [فوق، تحت، أمام، خلف...] كلها عناصر إشارية لا يتحدد معناها إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه (1) ، ولا يمكن للمتكلم أن يتخلى عن المكان عند تلفظه بالخطاب، و هذا ما يعطي الإشارات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب ، فنجد أنها تختص "بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي ، و تقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقاً من الحقيقة القائلة بأن هناك طريقتين رئيسيتين للإشارة إلى الأشياء هما : إما

¹ _ ينظر :محمود أحمد، نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:54

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، أو بتحديد أماكنها من جهة أخرى⁽¹⁾، لهذا فإن للأشريات دورا كبيرا في انسجام و فهم مدلوله من خلال السياق.

هـ. الضمائر:

مصطلح الضمير شائع في التراث اللغوي العربي وهو عند القدماء " : اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب "⁽²⁾ . وعند المحدثين يجعله تمام حسان مشتملا على ثلاثة فروع هي " : ضمائر الأشخاص و الإشارات و الموصولات "⁽³⁾ . و لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما، فلا يدل دلالة معجمية إلا بواسطة هذا المرجع الذي يدل على معين ، و تقدم هذا المرجع لفظا أو رتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة " ⁽⁴⁾ . وعموما تكتسب الضمائر هذا المعنى أهميتها بصفقتها نائبه عن الأسماء و الأفعال والعبارات والجمل المتتالية . فقد يحل الضمير محل كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل.. والمعاني التي تحملها ضمائر الأشخاص لا تخرج بأن تدل على مايلي:

النوع:	_ التنكير ، التأنيث.
العدد:	_ الأفراد ، التثنية ، الجمع.
الوضع:	_ التكلم ، الخطاب ، الغيبة.

أما **ضمائر الحضور** فتتمثل في ضمائر المتكلم و المخاطب ، و العلة في هذه التسمية ، هي وجود صاحبهما وقت الكلام، وهذا الحضور يمكن أن يكون فعليا ؛ أي أن المتكلم و المخاطب حاضران في سياق الموقف ، أو أن المتكلم يقوم باستحضار المخاطب وقت الكلام ، فيخاطبه و كأنه أمامه ، ولذا أصبحت ضمائر الحضور تنقسم إلى ثلاثة أقسام : [ضمائر المتكلم ، ضمائر المخاطب ، وأسماء الإشارة] . بالإضافة إلى ضمائر الغياب و الاسم الموصول و ضمير الشأن ، و تعتبر الضمائر من أهم و أبرز العناصر اللغوية التي يتحدد معناها في إطار المقام . لقد إهتم المنهج التداولي بالضمائر، على اعتبار أنها تدخل في نسيج البنية العميقة للخطاب ، فاستعمال الضمائر من خلال اختلاف توزيعها و التنوع فيها

¹ _ ينظر : عبدالهادي بنظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب، ص:84

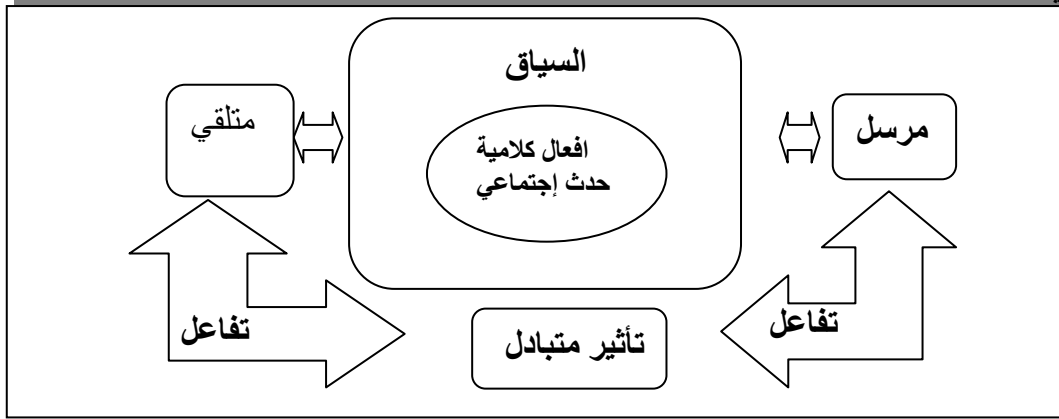
² _ ينظر: عباس حسن : النحو الوافي، دار المعارف ، مصر، ط.3 د.ت، ج1، ص:196

³ _ ينظر : تمام حسان. مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم ، ضمن اجتهادات لغوية، عالم الكتب القاهرة، ط

2007 ، ص:225

⁴ _ ينظر : تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979، ص:111

حسب السياق ، واختلاف مرجعيتها له بالغ الأثر في تقليص المسافات بين الشخص المتكلم والطرف الآخر في الخطاب . ويعرفها جون ديبيو (j. dubois) أنها الوظيفة التي يتمكن من خلالها الدليل اللغوي من الرجوع إلى موضوع في عالم غير لغوي واقعا كان أم خيالا " (1) ، هذه الوظيفة المرجعية تجعل الدليل في علاقة مع العالم كما يدرك داخل المكونات الإيديولوجية لثقافة ما ، و يمكن تلخيص ما سبق في المخطوطة التالية:



ومن أمثلة ذلك ما نقله (الأبشيهي) (2) من أن معاوية قال لعقيل بن أبي طالب يوماً: (إن علياً قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر، قال: أفعل، فصعد المنبر، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه (ﷺ): "أيها الناس إن معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب، فالعنوه فعليه لعنة الله . ثم نزل، فقال له معاوية: إنك لم تبين من لعنت منهما بيته، فقال: والله لا زدت حرفاً، ولا نقصت حرفاً" ، و الكلام إلى نية المتكلم (3) ، نلاحظ أن النص يشتغل على خرق قاعدة [وضوح الدلالة في مبدأ التعاون و التآزر]، و ذلك بغموض عودة الضمير في قوله: [اللهم إلعنه] على ما سبقه من كلام إن معاوية قد أمرني أن ألعن علي بن أبي طالب ... فالعنوه.

من خلال السياق الذي ذكره الأبشيهي نجد أن المتكلم قام بخرق قاعدة نحوية تتضمن [عودة الضمير على القريب]، و هذا لتجاوز المس بأخيه علي (ﷺ) ، و هذا يؤدي إلى لعن الأمر باللعن (معاوية) ، وقد فهم معاوية قصد المتكلم في عدم تعيين عائدية الضمير المبهم و الغامض الذي تتحدد علميته بالعودة

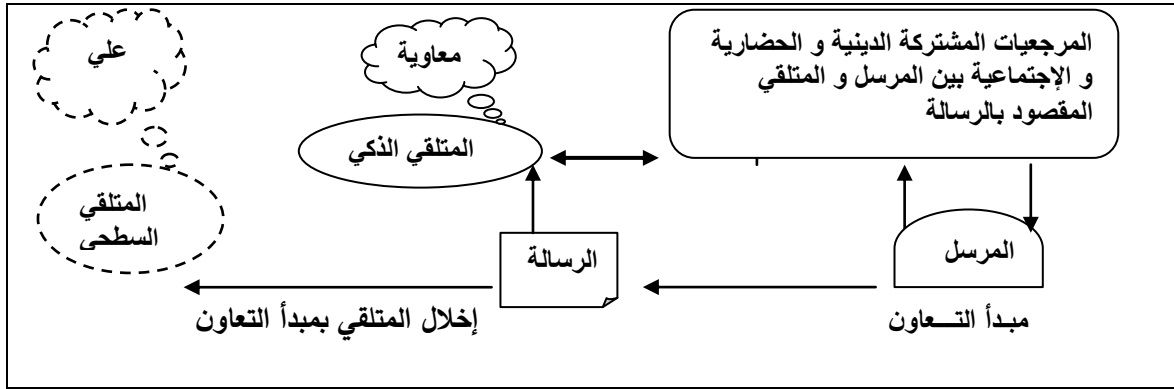
1. jeandubois et autres dictionnaire de l'inguisstique, p 404

2 _ شهاب الدين محمد الأبشيهي المحلي. المستطرف في كل فن مستظرف مكتبة الجمهورية العربية ج1، ص:54

3 _ المرجع نفسه : ج1، ص:86

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

على عَلمٍ ظاهرٍ قبله، وقد أوحى المتكلم بذلك للمخاطبين معتمداً على قرائن السياق مثل: [أمرني]، التي تتضمن القيام بفعل، يصادر حرية التعبير، فضلاً عن أن الأعراف الاجتماعية والدينية لا تتوافق دلالتها مع لعن الإمام علي (عليه السلام)، وقد أوحى الظاهر في تذييل الكلام بذلك: (فعليه لعنة الله)، ليتوافق مع قرائن ثقافية كثيرة يعرفها أصحاب معاوية أنفسهم، إذن فعقيل بنى كلامه وفق استعمال لغوي مخصوص يتضمن التعدد الدلالي المعتمد على ثقافة السامع الدينية والاجتماعية، فضلاً عن ميوله و رغبته في تحديد الدلالة المتضمنة، وهذا ما تظن له معاوية؛ لأن عائد الضمير معروف عند المتلقي⁽¹⁾، ويمكن إيضاح ذلك في المخطوطة الآتية:



نستدل من النص كما يرى (فان ديك) " أن المؤلف حر إلى حد ما (...) في تحديد بنية قوله أو ملفوظه، و يُنتظرُ منه أن يعرف معلومة إضافية ترتبط ببنية النص، و الحال أن القارئ هو المطالب بأن يتعاون التعاون الأقصى (...)⁽²⁾. يتضح من هذا أن متكلمي اللغة العربية قد تنبهوا إلى هذا النوع الذي يعتمد تفسيره على المتلقي بما يمتلك من ذكاء وخبرة و ثقافة مشتركة بين المرسل و المرسل إليه، وجعلوا من هذا (المشترك) المبدأ الأساس، "فإن مبدأ التعاون في مجال الأدب يحظى أو يفترض أن يحظى، بحماية قصوى"⁽³⁾؛ لأنه يساعد على اكتشاف المعاني وقوة أثرها ومشاركة المتلقي في إنتاجها.

¹ _ منها الحديث الشريف في كلام له (ع) مميزاً فيه المؤمن من المنافق اعتماداً على علاقته بالمتكلم، قال (ع) : لَوْ صَرَيْتُ حَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يَبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَيْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحْبَبَنِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَأَنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ (صلى الله عليه وآله) أَنَّهُ قَالَ: "يَا عَلِيُّ لَا يَبْغُضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ" (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ج18 ص: 173)

² _ فرنان آلين : (التداوليات) ترجمة : يونس لشهب، مقال ضمن مجلة العربية و الترجمة السنة الرابعة العدد 9 ربيع

2012، إصدار المنظمة العربية للترجمة لبنان ص: 136

³ _ المرجع نفسه: فرنان آلين : (التداوليات) ص: 136

II _ تداولية الدرجة الثانية La pragmatique du deuxieme degre

ترتكز تداولية الدرجة الثانية على دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه؛ فتهتم بشروط التواصل والتمييز بين المعاني (الحرفي-السياقي)، (الحرفي-الموضوعي). وهي دراسة طريقة تعبير القضايا في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها في الحالات الهامة، إذ على القضية المعبر عنها أن تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة، وسياق هذه الدرجة هو سياق بالمعنى الموسع، فهو يمتد إلى ما يتوقعه المخاطبون، أنه سياق الأخبار والاعتقادات المتقاسمة، لا السياق الذهني (1). و أهم نظرياتها: قوانين الخطاب، مبادئ المحادثة، الحجاج، الأقوال المتضمنة في القول.

1. مفهوم الحجاج L'argumentation :

يعد مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للإلتباس بالنسبة للباحث عن ضبطه و تدقيقه ، و يعود ذلك إلى تعدد استعماله ، و اشكال توظيفه و تباين مرجعيته ، يتم في هذه الدرجة دراسة الحجاج في الخطاب ومحاولة إقناع المستمع بالمعلومة التي يحملها الخطاب، و السياق في هذه الدرجة هو مجمل المعلومات والمعتقدات التي يشترك فيها المتخاطبون. فهي دراسة طريقة تعبير القضايا ، في ارتباطها بالجملة المتلفظ بها ، في الحالات الهامة ، إذ على القضية المعبر عنها أن تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة ، و السياق هنا هو سياق الإخبار، و الإعتقادات المتقاسمة لا السياق الذهني بل السياق المترجم إلى تحديدات العوالم الممكنة (2) و تبعا لذلك فقد تعددت التعاريف المقترحة لهذا المفهوم بتعدد الخلفيات الفكرية و المرجعية لأصحابها ، اذ تتباين معاني هذا المفهوم من مرجعية إلى أخرى و بذلك يظل تعدد معاني هذا المفهوم تابعا تبعية عضوية و استعمالية لمجالات و أفعال تتطلبه و نستدعيه (3) فقد عرف عدّة توجهات، فهناك نظريات حجاجية عديدة بعضها ينتمي إلى البلاغة وبعضها ينتمي إلى المنطق وهناك أيضا من عالجه من منظور لساني. و قبل ذلك سنتعرف على مفهوم الحجاج لغة ، ثم مفهومه في القرآن الكريم ، ثم نتبع سيرورة مصطلح الحجاج منذ أرسطو إلى اليوم موجّهين بعين الاعتبار بؤرة اهتمامنا للحجاج اللغويو علاقته بالإقناع و أهم الإسهامات التنظيرية و التطبيقية الخاصة بهما.

1 _ فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية، ص:38

2 _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها

3 _ حبيب أعراب . الحجاج و الإستدلال الحجاجي ، ضمن عالم الفكر ، 1ع، المجلد 30، يوليو، سبتمبر، 2001، ص:97

أ. الحجاج لغة :

وردت لفظة الحجاج من مادة [ح اجّ]، و في لسان العرب: حَاجُّهُ ، أَحَاجُّهُ ، حِجَاجًا وَمَحَاجَّةً حتى حَجَّجْتَهُ أي غلبته بالحجج التي أدليت بها . وَحَاجَّهُ مَحَاجَّةً وَحِجَاجًا ، نازعه الحُجَّةَ . والحُجَّةُ البرهان . ويقال أيضا رجلٌ مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌّ . وَالتَّحَاجُّ بِمعنى التَّخَاصُّمِ . وَحَاجَّهُ أي نازعه الحُجَّةَ .⁽¹⁾ ؛ فعلى هذا يكون الحجاج النزاع والخصومة بواسطة الأدلة والبراهين الكلامية والحجج العقلية ، فيكون بهذا مرادفا للجدل ، إذ حدّ الجدل حسب ابن منظور أيضا: مقابلة الحُجَّةَ بالحُجَّةَ . الجَدَلُّ : اللدُّ في الخصومة والقدرة عليها . وقد جَادَلَهُ مُجَادَلَةً وِ جَدَالًا . ورجلٌ جَدِلٌّ : شديد الجَدَلِ . جَادَلَتِ الرجلَ فَجَدَلْتُهُ : أي غلبته . والجَدَلُّ : شِدَّةُ الخصومة . والجَدَلُّ : مقابلة الحُجَّةَ بالحُجَّةَ . والمُجَادَلَةُ : المُخَاصَمَةُ والمناظرة .⁽²⁾ . و الحجة الدليل و البرهان⁽³⁾ . "ولهذا يكون الحجاج هو التراع والغلبة باستعمال الحجج والبراهين والأدلة، "رجل محجاج أي جدل"⁽⁴⁾ ، و نفهم من هنا أن ابن منظور يرادف صراحة الحجاج مع الجدل في قوله : هو رجلٌ مِحْجَاجٌ أي جَدِلٌّ جعل الحجاج مرادف للجدل، الذي هو " :مقابلة الحجة بالحجة"⁽⁵⁾، ويظهر جليا الحجاج مرادف للجدل من جانب انطلاقهما من الخصومة والقدرة على استعمال الحجج، من أجل غلبة الخصم والتفوق عليه.

ب. الحجاج في القرآن الكريم :

الجامع بين اللفظين (الحجاج والجدل) هو المخاصمة لكنها في الحجاج قائمة على الباطل كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾⁽⁶⁾ في حين الجدل منه ما هو حق ، كقوله تعالى ﴿وجادلهم

¹ _ ابن منظور . لسان العرب، ج 4 . مادة (ح ، ج ، ج) . ص : 38 :

² _ ينظر المصدر نفسه : ج 3 ، ص : 99

³ _ ينظر المصدر نفسه : ج 3 ، ص : 228

⁴ _ ينظر المصدر نفسه : مج 11 ، ص : 105

⁵ _ ينظر المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

⁶ _ سورة البقرة : آية 258

بالتي هي أحسن ﴿⁽¹⁾ ومنه ما هو باطل كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ﴿⁽²⁾.

و بالنظر إلى السياقات والموضوعات التي ورد فيها نجده قد ورد في ثلاثة مسارات دلالية⁽³⁾:

— حجاج قاد إليه الكفر والنفاق والهوى والحطوط النفسية وطمس البصيرة.

— حجاج غايته الاسترشاد والنظر والاعتبار.

— حجاج هدفه إظهار الحق بالمناظرات والمحاورات التي تسعى إلى تبين وجه الصواب.

كما نجد استعمل الحجاج في القرآن الكريم بدلالة مفردات تجمعها علاقة الترادف والتقابل من ذلك:

الجدل: يقول تعالى: ﴿...وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿⁽⁴⁾.المخاصمة: يقول تعالى : ﴿...ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿⁽⁵⁾

المنازعة: ﴿...حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ ﴿⁽⁶⁾.المحاور: ﴿...فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ...﴾ ﴿

⁽⁷⁾.الممارة: ﴿قَالُوا بَلْ جِنَّاتِكُمْ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿⁽⁸⁾.الاختلاف: ﴿...إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿⁽⁹⁾ ، لا يختلف اثنان في أن القرآن الكريم خطاب، وكونه كذلك يقتضي أن تكون

إحدى وظائفه الإقناع والتأثير، أي أنه ذو بنية حجاجية، والمخاطبون بهذا النص الشريف لا يخرجون عن

إحدى الزميرتين:

- أولاً : الملتقون الأولون [الجمهور الخاص أو الضيق في المصطلح الحجاجي].

- ثانياً : الجمهور الكوني [الملتقون على مر الأزمان والأمكنة].

¹ _ سورة النحل : آية 125

² _ سورة النساء : آية 107

³ _ ينظر : لمهاية محفوظ ميارة، مفهوم الحجاج في القرآن الكريم،مجلة اللغة العربية، ع: 81، الجزء: 03، دمشق ص

ص: 552-553

⁴ _ سورة النحل، الآية: 125

⁵ _ سورة الزمر، الآية: 31

⁶ _ سورة آل عمران، الآية: 152

⁷ _ سورة الكهف، الآية: 34

⁸ _ سورة الحجر، الآية: 63

⁹ _ سورة يونس، الآية: 9.

يقول الباحث عبد الله صولة: "فالقرآن بهذا خطاب موجه إلى متلق فعلي ومتلق مفترض"⁽¹⁾. على اعتبار أن الإسلام جاء للناس أجمعين و بمختلف أزمانهم و مكانهم .

ج. المفهوم الاصطلاحي للحجاج:

عرف مصطلح الحجاج^(*) تطوراً كبيراً عبر مختلف العصور، ففي البلاغة العربية نجد الجاحظ (ت 255 هـ) قد تعرض للحجاج على أنه **[البيان]** ويرى أنّ "مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان..... و كلما كانت الدلالة أوضح و أفصح و كانت الإشارة أبين و أنور، و كان أنفع و أنجع." (2) ويوضح مفهوم البلاغة والبيان: "أولاً لبلاغة اجتماع آلة البيان، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ، متخير للفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة و لا الملوك بكلام السوقة"⁽³⁾. فالحجاج إذا يتم عنده بالإعتماد على إفهام السامع، بمراعاة المقامات المتفاوتة للسامعين و المتكلمين. ويقسم البيان إلى ثلاثة و ظائف هي :

– الوظيفة الإخبارية والمعرفية و التعليمية في [حالة الحياد] إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام.

– الوظيفة التأثيرية [حالة الاختلاف]: تقديم الأمر على وجه الاستمالة و جلب القلوب

– الوظيفة الحجاجية [حالة الخصام]: إظهار الأمر على وجه الاحتجاج و الاضطرار"⁽⁴⁾.

نجد أن هذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة ولهذا اهتم (محمد العمري) بالبيان عند الجاحظ حتى أنه عدّ التداولية بعداً جاحظياً في أساسه.

وفي سياق إيلاء الأهمية البالغة للمقام في الفهم والإفهام، يقول أبو هلال العسكري (ت 392 هـ) " فإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، (...) فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس فيخاطب السوقي بكلام السوقة و البدوي بكلام البدو، (...)، ويتجاوز بهما يعرفه إلى ما لا يعرفه فتذهب فائدة

¹ _ عبد الله صولة. الحجاج في القرآن الكريم (من خلال خصائصه الأسلوبية)، ط 1، منشورات كلية الآداب والفنون الإنسانية، تونس 2001. ص: 78

* _ نعتمد المصطلح (argumentation) في المقابل العربي (الحجاج) لأن هناك من يترجم ذلك بالبرهان مثل صلاح فضل في كتابه (بلاغة الخطاب وعلم النص)

² _ الجاحظ. البيان و التبيين، ج 1، ص: 75

³ _ المصدر نفسه : ج 1 ، ص: 92

⁴ _ ينظر : راضية خفيف بوبكري. التداولية وتحليل الخطاب، (مقاربة نظرية)، مجلة الموقف الأدبي، ع . 399 تموز 2004 ص: 03.

الكلام، وتعد مفعة الخطاب "(1) فأبو هلال العسكري هنا يتحدث عن مبدأ التعاون بين المرسل و المتلقي و شروط التبليغ و التواصل.

د. الحجاج في العصر الحديث:

عرف الحجاج في العصر الحديث مفهوما أدق وأعمق من المفاهيم السابقة يقول في ذلك عبد الله صولة " أن الحجاج قد أخذ شيئا في الاستواء مبحثا فلسفيا، ولغويا قائم الذات.. مستقلا عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية ثانية " (2) و يمكن حصر هذه المفاهيم المتعددة في ثلاثة مفاهيم رئيسية كما يلي: "مفهوم يجعله مرادفا للجدل و تجده خاصة عند القدماء و بعض المحدثين العرب ، و مفهوم يجعله قاسما مشتركا بين الجدل و الخطابة و تجده عند اليونان (أرسطو على سبيل المثال) و مفهوم له في العصر الحديث في الغرب و هو مفهوم أدق و أعمق من المفهومين السابقين ذلك لأن الحجاج قد اتخذ شيئا فشيئا في الاستواء مبحثا فلسفيا و لغويا قائم الذات في العصور الحديثة مستقلا عن صناعة الجدل من ناحية ، و عن صناعة الخطابة من ناحية أخرى"(3).

2. مفهوم الإقناع Persuasion :

قبل توضيح علاقة الحجاج بالإقناع يجدر بنا فهم و توضيح الإقناع و علاقته بمجموعة من المصطلحات المتقاربة له في المعنى .
أ. الإقناع في المعاجم العربية :

ترد بعدة معان حسب موقعها في الجمل، إلا أنها تتفق أغلب المعاجم العربية على أن لمادة (ق.ن.ع) معنيان (4) يمكن حصرهما في مايلي:

– المعنى الأول : ترد في لسان العرب بمعنى السؤال والتدلل فيقال (قَنَعَ) (بفتح النون) فلان قُنوعا؛ أي سأل الناس الإحسان راضيا بالقليل .

– المعنى الثاني: ترد لفظة الإقناع بمعنى :الرضى فَنَعَ بنفسه قَنَعًا و قناعة : رَضِيَ، وأقنعني أي أرضاني وقنّعتني أي رضّاني ، نستخلص أن مادة [ق ن ع] تحمل دلالاتي السؤال أو الرضى و الدلالة الثانية هي المعنية بالبحث.

1_ أبو هلال العسكري. الصناعتين ،ص:35

2_ عبد الله صوله . الحجاج في القرآن، الحجاج في القرآن الكريم ، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج1، ص: 2

3_ المرجع نفسه: ص:12

4_ لسان العرب. مادة (ق ن ع) ، ج12 ، ص:202

ب. مفهوم الإقناع في المعاجم الأجنبية الحديثة :

وردت دلالات كلمة: "(Persuasion) تعني (إقناع) و (اقتناع) قدرة على الإقناع و كلمة (Persuader) تعني أقم وأقنع وحمله على الإقناع و (Persuasif) تعني مَقْنَع و مَقْم (1)". في حين نلاحظ وجود تقارب دلالي بين كلمتي (Persuader) و بين (convaincre) فهما تحملان معنى الإقناع و الإقتناع و الإفحام. أما كلمة (Conviction) فهي تقارب دلاليا كلمة (Persuader) في جزء من دلالتها فتعني أقنع (Convaincu) تعني مقتنع ، واثق من اقتناعه و (Convaincant) مقتنع ، فصيح (Preuve convaincante) دليل مقم (2) نلاحظ أن هناك تقاربا دلاليا بين كلمتين (Persuader) و (Convaincre) حيث تحملان معنى الإقناع و الإقتناع و الإفحام ، أما كلمة (Conviction) فتعني اليقين و الاعتقاد الراسخ (3) و الذي لا يتحقق إلا بوجود الإقناع و الإقتناع ، و خلافا للدلالة المعجمية لكلمتي: (Persuader) و (Convaincre) نجد موسوعة (لالاند) تنبه إلى التقابل بين أقنع (Persuader) فم بالخيال أو بالإنفعال و أحيانا في سبيل الخطأ(4) و هي إشارة مناقضة لما ورد في المعاجم اللغوية الفرنسية.

ج. مفهوم الإقناع في الثقافة الغربية :

يرى أفلاطون أن هناك تقاربا بين (أقم) و (أقنع) فالفعل الأول يكون من صنيع الفيلسوف، حيث ينشغل بالمطلق والبحث عن الحقيقة والوجود والمثال (5). أما الفعل الثاني -عنده - يكون من صنيع الخطيب، حيث يعالج مختلف الآراء والأشياء المرئية، و المحتملة ، و هنا يستخدم الخطيب في اقناعه " السفسطات و الأدلة العاطفية حيث يكون تأثيره على خيال المستمع و مشاعره و ليس على عقله، ومع أن أرسطو كان من أول الذين استعملوا مصطلح الإقناع كثيراً و حاول بواسطة هذا المصطلح أن يجعل الخطابة غير تأثرية تعتمد على الانفعال فحسب ، بل عقلية تعتمد على الإقناع أيضاً" (6) .

1 _ سهيل إدريس: المنهل؛ قاموس فرنسي -عربي مادة (Persuader). ص: 303

2 _ المرجع نفسه: ص: 303

3 _ المرجع نفسه: ص: 304

4 _ موسوعة أندريه لالاند الفلسفية. المجلد الأول. (A-G). تعريب خليليا حمد خليل. ص: 230

5 _ ليونيل بانجر. الأليات الحجاجية للتواصل ، ترجمة عبد الرفيق بوركي ، مقال ضمن الحجاج ، مفهومه و مجالاته،

دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ، اعداد و تقديم حافظ اسماعيل علوي ، ج 5 ، نصوص مترجمة ، ص: 92

6 _ المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

د. مفهوم الإقناع في الثقافة العربية الإسلامية :

الإقناع عند أهل الاصطلاح - قديماً - حدّد مفهومه حازم القرطاجني في قوله " هو حملُ النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله واعتقاده"⁽¹⁾ فالتصديق شرط أساس في عملية الإقناع وان لم يتحقق بالأدلة والحجج والبراهين . و يتحدّث الجاحظ عن شروط تحقيق الإقناع من خلال الاعتناء بالخطاب شكلاً و مضموناً ، ويعتبرُ حصول الاقتناع لدى المتلقي له أثرٌ بالغٌ في القلب كأثر الغيث في التربة الكريمة، "إذا كان المعنى شريفاً و اللفظ بليغاً و كان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، و كان منزهاً عن الاختلال، مصوناً عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة."⁽²⁾ فتتحقق الاقتناع لدى المتلقين لا يكون إلا بتضافر اللفظ مع المعنى أي في حصول الانسجام والتناغم بينهما، كما سيأتي بيانه عند الحديث عن شروط نجاح ونجاعة الخطاب الحجاجي .

يعدُّ الإقناع من أهم وظائف البلاغة في الخطاب القرآني وفي الخطابات الأخرى وتوصيل المعنى إلى النفوس هو غاية من غايات الإقناع إن لم يكن هو الإقناع نفسه⁽³⁾ سنسوق مجموعة من التعريفات التي قدّمها الباحثون العرب المحدثون و المعاصرون للإقناع، فنجد (سعيد بنكراد) يعرفه على أنه "نشاط من طبيعة مغايرة، فالغاية الأولى و الأخيرة للمفوضف بهذه الحالة هي التأثير في الآخر و الدفع به إلى تبني موقف ما أو اقتناء منتج أو التخلّي عن سلوك⁽⁴⁾ وهذا النشاط الخطابي يستهدف التأثير العقلي والوجداني في المتلقين ، كما أن في تحقيق الإقناع ألا يكره المخاطبُ مخاطبه و لا يقمعه و إنما يعتمد على أساليب الاستدلال المتنوّعة⁽⁵⁾ ولا يمكن أن يخلو أي خطاب من الإقناع فهو شرط أساسي في الخطابة ؛ لأنها إذا خلت من الأدلة المؤيدة لفكرة فإنها لاتؤدي الغرض المطلوب.

تصنّف استراتيجيات الخطاب بناء على معايير معينة، منها : معيار الهدف من الخطاب وتتأسس عليه إستراتيجية الإقناع⁽⁶⁾ ، و مهما تداخلت في عملية الإقناع معطيات غير لسانية كما هي الحال في الخطاب الإشهاري ، يمكن القول بأن الإقناع جهد اتصالي لساني بالدرجة الأولى مؤسس على قصد⁽¹⁾

¹ _ حازم القرطاجني . منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب خوجة ، دار العرب الإسلامي ، ط 3 ، 1986

بيروت . لبنان ص:177

² _ ينظر محمد العمري . البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص:11

³ _ المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

⁴ _ سعيد بنكراد. الصورة الإشهارية؛ آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، دار البيضاء 2009 ، ص : 187 . 188

⁶ _ ينظر: محمد العمري . البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص:38

⁶ _ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري. إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص:444

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

و مخطّط له سلفاً وفق إستراتيجية ، و أهداف معينة من أجل استمالة المتلقي و اذعانه لتعديل سلوكاته و مواقفه الشخصية في ظروف مقامية معينة ويشترط في الخطاب الإقناعي جملة من العناصر تخص أطراف العملية التخاطبية ؛منها ما يتعلق بالمتكلم ، و أخرى تخص المتلقي الخاص أو الكوني، و شروط تخص إستراتيجيات الخطاب الإقناعي . فيجب على المُقنع أن يمتلك كفاءة تواصلية وإقناعية لكسب تأييد المتلقين لرأيه وما يعرضه عليهم. وتتميز هذه الكفاءة بالمهارات التالية :[مهارة التحليل و الابتكار. مهارة التعبير و العرض المنظم للأفكار. مهارة الضبط الانفعالي . مهارة فهم دوافع نقد الآخر].

3 . علاقة الإقناع بمجموعة من المصطلحات :

تتداخل وتتعلق مجموعة من المصطلحات مع الأقسام لعل أهمها (الاقتناع، التأثير، الإذعان، التصديق، التواصل. و من أجل تبيان هذه الفروق إعتدنا على الجداول التالية⁽²⁾

أ. الإقناع (Persuasion) و الإقناع (Conviction):

يعرف الإقناع في المصطلح الغربي الحديث بأنه " حالة عقلية مرتبطة بفعل الخطاب ..⁽³⁾ ، أما

غريني(H. Grenier) فيرى في شأن الإقناع قوله:"عندما أعمل على الإقناع فإني أرغب في اقتسام اعتقادي مع الآخرين"⁽⁴⁾ من خلال ما سبق نستنتج أن الإقناع ما هو إلا عملية واعية تستهدف المتلقي و ذلك بمحاولة تغيير مواقفه و و اعتقاده من غير اكراه و لا عنف .

¹ _ تختلف مقاصد الخطاب الإقناعي القائم على الحجج و فقاً للإستراتيجية المحددة من قبل الباحث أو المتكلم ، فقد يبني على الإغراء و الإغواء ، فيكون المقصد متعة شخصية لا غير ، و قد تكون إستراتيجية إقناعية عقلية بحتة تسيطر الحجج المنطقية لتوجيه فكر المتلقين ، للإستزادة ينظر :عبد الهادي بنظافر الشهري الشهري . إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص:444

² _ هذه المقاربة مأخوذة من مجموعة التعريفات المقدمة حول الإقناع و الإقتناع ، إضافة إل ما ذكره (برلمان) و(تيتكا) حول الفرق بين الإقناع و الإقتناع في سياق تقسيمهما للحجاج بحسب نوع الجمهور الخاص إلى نوع واحد هو الجمهور العام فهو الذي يستحضره الخطيب دائماً باعتباره مقياس القبول أو الرفض ينظر: عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم ص:301

³ _ باتريك شارود و ودومينيك مانغونو. معجم تحليل الخطاب ،ترجمة عبد القادر المهيري و حمّادي صمود ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس2008، ص:419

⁴ _ حافظ إسماعيل علوي . الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسة نظرية تطبيقية ، في البلاغة الجديدة ، عالم الكتب العالمي ، عمان - 2010، ج4 ، ص:6

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

Conviction الإقناع	Persuasion الإقناع
_ موجه إلى الجمهور الكوني	_ موجه إلى جمهور خاص
_ مرتبط بالنفس، أي أن المقتنع هو من يقنع نفسه.	_ مرتبط بالغير، الغير هو الذي يُقنع
_ عقلي	_ ذاتي وضيق و خاص
_ اعتراف بعد إقامة الحجّة	_ حمل المتلقي على الاعتراف
_ أثر أو نتيجة لعملية الإقناع	_ عملية خطابية في الأصل
_ احتمالي دون درجة اليقين	_ احتمالي ظني
_ تحقق الرضى والطمأنينة والقبول وتغيير السلوك	_ تحقّي الرضى والطمأنين وتغيير السلوكات
_ يقع الاقتناع بين الاستدلال والإقناع (برلمان)	_
_ هدف للحجاج أي في الخطاب الحجاجي(برلمان)	_ هدف في جميع الخطابات
_ هو الوجه الآخر في الخطاب الإقناعي	_ هو الوجه الأول في الخطاب الإقناعي

ب. علاقة الإقناع بالتأثير Influence :

Influence التأثير	Persuasion الإقناع
_ محلّه السلوك أو الموقف.	_ محلّه الفكر و العاطفة و ان كان هدفه تغيير السلوك
_ التأثير نتيجة لعملية الإقناع	_ الإقناع مسبّب
_ قد ينتج التأثير دون عملية الإقناع	_ الإقناع غير ملازم للتأثير
_ قد يحصل تأثير عكسي لعملية الإقناع	_ قد لا يحقق الإقناع التأثير المرغوب
_ التأثير مناقض للقوة و العنف و الإكراه والقسر	_ الإقناع مناقض للقوة و العنف و الإكراه والقسر
_ أعمّ وأشمل	_ أخصّ

ج. علاقة الإقناع بالتصديق :

التصديق	الإقناع
_ أخصّ	_ أعمّ و أشمل
_ يحصل بأشكال متعدّدة	_ يحصل بأشكال متعدّدة
_ له وجهان : تبليغي و تهديبي	_ له وجه واحد _ غالبا _ تبليغي
_ يراعى فيه مستوى المخاطب أو المتلقي	_ يراعى فيه مستوى المخاطب أو المتلقي

د. علاقة الإقناع بالتواصل:

يعتبر الإقناع من أهم وظائف التواصل وغاياته و إحدى النماذج المهمة في عملية التواصل حتى أن البلاغة العربية جاءت من أجل "التواصل والإقناع والإمتاع"⁽¹⁾ ، حيث جعلت الإقناع من بين الوظائف التي من أجلها وضعت البلاغة العربية وحسب رأي (كلمنهواراد ماريتين Howarad Martin) و (كينيث أندرسين Kenneth Andersen) أن " كل اتصال هدفه الإقناع، فهي بحث عن تحصيل رد فعل على أفكار القائم بالاتصال ⁽²⁾ " هو أحد أشكال الفعل الإدراكي، و هو يتعلّق بمقام التلقُّظ و يتجلّى في استدعاء المتكلم لكل أنواع الصيغ والطرق التي تهدف على أن يكون التواصل فعّالاً، و يقبل المخاطب التعاقد أو التفاهم التلقُّظي المقترح⁽³⁾

التواصل	الإقناع
هدفه و غاياته الإقناع و إبتعاد عن إستخدام العنف الجسدي	يجعل التواصل فعال

هـ. علاقة الإقناع بالحجاج :

للحجاج علاقة و طيدة بالإقناع .فما مفهوم الإقناع و ما علاقته بالحجاج؟

يشير المصطلح (argue) في اللغة الإنجليزية الحديثة إلى وجود اختلاف بين طرفين ، ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب و العلل التي يراها حجّة مدعّمة أو داحضة لفكرة أو رأي أو سلوك⁽⁴⁾ . و بهذا التعريف اللغوي ارتبط الحجاج (Argumentation) كمصطلح على أنّه فن الإقناع إذ أنه يرتبط بالهدف منه وهو الإقناع؛ الحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع⁽⁵⁾ و عليه فإن أوستين فريلي (Austin) يعدهما جزئين من عملة واحدة وأنهما لا يختلفان إلا في درجة التوكيد (Emphasis)⁽⁶⁾ .وعليه فإن الإقناع مرتبط أساسا بالحجاج ، وأن الحجاج قد يكون حجاجا جدليا، وقد يكون حجاجا خطابيا ،ولكن الإقناع الحادث في المحاورّة الجدلية يسمّى [تبكيّنا] ؛ لأن تلك المحاورّة تقوم بين طرفين كلاهما يحاول تخطئة الطرف الآخر مستعملا البرهان ، ياتي من مقدمات وعلائق ونتائج صورية منطقية .

1 _ مُجّد مفتاح . التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 1994، ص: 38

2 _ مُجّد العبد. النص و الحجاجي العربي . دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 2002، ع 60 ص: 4

3 _ حافظ اسماعيل علوي و مُجّد أسيدا . اللسانيات و الحجاج ، الحجاج المغالط ، نحو مقارنة لسانية وظيفية ، مقال ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته

، دراسة نظرية تطبيقية ، في البلاغة الجديدة ، ص: 270

4 _ ينظر: مُجّد العبد. النص و الحجاجي العربي . دراسة في وسائل الإقناع: ص: 2

5 _ ينظر: المرجع نفسه: ص: 4

6 _ مُجّد العبد . النص و الخطاب و الإتصال ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط 1 ، 2005 ، ص: 192

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

أما الإقناع الحادث في الحجاج الخطابي فهو تقريب بين المتحدّث و المتلقّي ، قد يستعملها بصورة بسيطة، أو قد يستعمل حججا مختلفة ، ويمكن أن تكون تلك الحجج ،أو ما سمّاه أرسطو بالتصديقات حججا خارجية (كالشهود ، واليمين) في بعض أنواع الخطابة. يعني هذا أن كل نص حجاجي نص إقناعي ، وليس كل نص إقناعي نصا حجاجيا. يرتبط الإقناع بالحجاج إذن ارتباط النص بوظيفته الجوهرية الملازمة في محيط أنواع نصية أخرى كالوصفيات و السرديات⁽¹⁾ و يمكن تلخيص ما سبق في مايلي:

الإقناع Persuasion	الحجاج Argumentation
_ فن الإيعاز والمناورة.	_ مسار حوارى Dialogique يستخدم أحكام القيمة .
_ هدفه الإقناع بكل الوسائل	_ هدفه الإقناع على أسس عقلية.
_ صورة صانع الإقناع لها دور أساسي.	_ برهنة موجّهة إلى طرف ما، وهي ليست ملازمة.
_ جمهور خاص، جمهور مستهدف.	_ جمهور خاص لكن يقصد من خلاله جمهور كوني.
_ كل نص إقناعي ليس حجاجيا بالضرورة	_ كل نص حجاجي إقناعي بالضرورة
_ كل تواصل يهدف إلى الإقناع.	_ ليس كل تواصل يهدف إلى الحجاج

و. آليات الإقناع و الحجاج:

للحجاج و الإقناع أدوات و آليات كثيرة منها الآليات اللغوية: كالتكرار ، اسم الفاعل ، صيغة المبالغة، اسم المفعول ، أفعال التفضيل..) و آليات بلاغية : كاستعمال الصور البيانية (التشبيه الإستعارة الكناية . المجاز) و استغلال ما فيها من طاقات حجاجية لإثبات قول أو نفيه ، يقول أبو هلال العسكري في أهميتها بأنها:"ماتعطف به القلوب النافرة ،ويؤنس القلوب المستوحشة،و تلين به العريكة الأبية المستصعبة،ويبلغ بها لحاجة ، و تقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب،و يلزم صاحبك الذنب ،من غير أن تستدعي غضبه، و تثير حفيظته".⁽²⁾ فدور المتكلم هو بناء الصورة وفقا للمقام الذي ترد فيه و وفقا للمخاطب الذي أمامه،دون أن يفوته أن هدفه في الأصل من الصور البيانية هو التعبير عن قصده،وحمل المخاطب على إدراك ذلك القصد عن طريق تأويل العبارة اللغوية. بالإضافة إلى الآليات

¹ _ المرجع السابق : ص:192 . 193

² _ أبو هلال العسكري .. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) تحقيق : علي محمد البجاوي محمد . أبو الفضل إبراهيم ، دار

الفكر العربي ، ط2 ، 1971.ص:57

البديع التداولية و التي اتسع مفهومها عند أبي هلال العسكري (ت 395 هـ) فخصص له باباً مستقلاً في خمسة وثلاثين فصلاً في كتابه الصناعتين رصد فيه فنوناً بلاغية كثيرة، إذ فهم البديع بمعناه اللغوي، فجاء مرادفاً لمفهوم البلاغة. قائلًا: (فهذه أنواع البديع التي ادعى من لا رواية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها و أن القدماء لم يعرفوها وذلك لما أراد أن يفخّم أمر المحدثين؛ لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلّف، وبرئ من العيوب كان في غاية الحسن ونهاية الجودة)⁽¹⁾ ومن أنواعه نجد: (التقابل و التوازن السجع و الجناس..).

4 . الآليات المنطقية و الشبه المنطقية:

تختلف هذه الآليات حسب ثقافة المتلقي و معتقده؛ فما يؤثر في المسلم الطائع لربه قد لا يؤثر في المسلم العاصي، لأنهما ليسا متقاربين في مقدار الإيمان، رغم اشتراكهما في الوسائل المؤثرة فيهما، وأنّ ما يحتاجونه - غالباً - هي الوسائل المؤثرة دون المقنعة، لأنّ مصدر التلقي مقنع عندهما [القرآن والسنة] مع مراعاة الفوارق في مستوياتها المتلقي فمن أهم وسائل الإقناع عندهما ما يلي: الدعوة بالتقوى والدعوة بالقول و الدعوة بالحوار و الدعوة بالكتابة بالإضافة إلى عناصر الحجاج اللغوية كالعوامل الحجاجية *Les opérateurs argumentatifs*: و هي مورفيمات إذا وجدت في ملفوظ تحول وتوجه الإمكانات الحجاجية لهذا الملفوظ [ما، إلا، إنما، ..]، و منها الروابط المدرجة للحجج [لكن، بل، إذن حتى لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، تقريبا، ما...إلا...[.....] والروابط المدرجة للنتائج [إذن، لهذا، بالتالي...]. فالروابط التي تدرج حججا قوية [حتى، بل لكن] و روابط التعارض الحجاجي [بل، لكن، مع ذلك] و روابط التساوق الحجاجي [حتى، لاسيما] ⁽²⁾ كما يوجد أنماط حجاجية كالحجاج المنطقي القياسي الخاضع لترتيب المقدمات ينتج عنه نتيجة خاضعة لمحتوى هذه المقدمات و منه القياس المنطقي الكامل و [القياس المفصول] تذكر فيه جميع أركان القياس [المقدمة الكبرى والصغرى والنتيجة]، يقوم على الاستنتاج العلمي الصارم، تكوّن من أقوال متعلقة ببعضها تعلقا دلاليا منطقيا، فالمقدمة الصغرى جاءت منضوية تحت المقدمة الكبرى وجاءت النتيجة خاضعة لمضمون المقدمتين .

¹ _ المصدر السابق : ص:267

² - أبوبكر العزاوي .. اللغة و الحجاج . العمدة في الطبع . الطبعة الأولى . الدار البيضاء . المغرب . ص:27

5. علاقة الحجاج و الإقناع بالخطاب:

في التراث الغربي اهتم اليونان بفنون الكلام ، خاصة الخطابة والشعر والمناظرة ، لأنها فنون يظهر فيها الإقناع وتطبيق مايسمونه ب(الجدل)،ولذلك نجد أن فلاسفتهم أرسوا المبادئ الأساسية للقيام بهذه الأنشطة والقواعد الفنية و العقلية ، فهذا (أرسطو Aristote ت 322 ق م) نجده قد انصل فكره على فنون الكلام، و لا سيما الخطابة و الشعر منها، فنظّر لهما ،وأرسى قواعدهما الفنية و العقلية ، ففي كتابه[الخطابة] اهتم فيه بالإقناع وأدواته، إذ جعله بؤرة الخطابة "فالريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كلّ من الأمور المفردة ".⁽¹⁾، معتمدا في تنظيره للخطابة مما وضعه (سقراط)، حيث جعلها خطتين : جدلية ونفسية ،ورأى أنه لا بد للخطابة الجدلية من أمرين :التركيب الذي يجمع به الخطيب نواحي الفكرة المتفرقة ليتمكن من تحديد الكلام ، والتحليل الذي يرد الفكرة إلى آراء جزئية، وسمى أصحاب القدرة على التركيب و التحليل (جدليين)،فالخطابة عنده نوع من الجدل،أو هي الجدل بعينه .بينما ربط (أرسطو)بين خاصة الكلام و التعبير عند الإنسان وبين الإقناع"بالإنسان لأنه متكلم معبر يبحث بطبعه عن الإقناع و يجد أن الخطابة و الجدل متصلان ببعضهما، ويتحدان في موضوع ما ، نفهم مما سبق أن الحجاج عملية بحث حضور طرفي الاتصال أساسي، كما أنه نوع خاص من أنواع الخطاب. التي صارت في ما بعد منهاجا اتبعه من جاء بعده. التي اعتمد عليها الفكر الحديث و المعاصر في تأطير النظريات المعاصرة⁽²⁾ من بينهم نجد (ريك Rick) و (سيلارز Sillais) يقدمانه على أنه "عملية عرض دعاوى تتعارض فيها الآراء، مدعومة بالعلل، والدعامات المناسبة، بغية الحصول على الموالاتة لإحدى تلك الدعاوى" أما الحجاج عند (شفرين chiffirin) فهو "جنس من الخطاب تبنى فيه جهود الأفراد عامة مواقفهم الخاصة، في الوقت نفسه الذي ينقضون فيه دعامة خصومهم" فالحجاج بهذا المعنى يساوي تماما الجدل عند أرسطو، كما أنه جنس من الخطاب.

أما عند (برلمان Perelman) و(أولريبيشت تيتيكا Tyteka) نجد كتابهما :مصنف ضمن حجاج البلاغة الجديدة (Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique)^(*) هذا الكتاب لاقى نجاحا

¹ _ ينظر :أرسطو.الخطابة،الترجمة العربية القديمة ، حقه وعلق عليه :عبد الرحمان بدوي، دط ، دارالقلم بيروت، 1976 ص:09

² _ هذه الأقوال جمعناها من مقال محمد العبد. النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول،الهيئة العامة للكتاب،مصر 2002، ع 60ص: 44-43

* _ من أهم الكتب المصنفة في الحجاج حديثا، ظهر عام 1958 وقد ركز بيرلمان كثيرا على مبدئين رئيسيين هما :القصده والمقام.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

كبيراً نظراً لمحاولات التجديد الجادة في مضمونه، إذ كانت غايتها في النهاية إخراج حجاج قائم بذاته له مميّزاته وأهدافه. ويمكن الاستفادة من هذا التصور الحجاجي التقليدي، حيث يساعدنا على "اكتساب خبرة منهجية دقيقة في تحليل نصوص ذات طبيعة حجاجية قوية، كالنصوص القضائية والسياسية والفلسفية، بناء على تصور تفاعلي بين الذات المتكلمة والمخاطبة. وعلى الرغم من ميزات هذا التصور، فإنه يقصر الحجاج على بعض التقنيات والآليات البلاغية والمنطقية، وهو ما يدفعه إلى تقسيم الخطابات إلى خطابات حجاجية ذات طبيعة إقناعية، كالمناظرات والجمال ذات الطبيعة الدينية والفلسفية والسياسية والقانونية، وأخرى غير حجاجية. بينما يتبين التصور التقني للحجاج تقسيماً آخر تصوري مقتضياً كل الخطابات المختلفة التي تستعمل لساناً طبيعياً خطابات حجاجية بدرجات مختلفة.⁽¹⁾ "فوجدنا: "أن .. الحجاج الأول قوامه العقل وهو حجاج فيلسوف يتوجّه به إلى جمهور ضيق، .. وجعل العقل قوام الاستدلال، .. والحجاج الثاني يقصد دغدغة العواطف، وإثارة الأهواء استنفاراً لإرادة جمهور السامعين ودفعها إلى العمل المرجو إنجازاً مهما تكن الطرق الموصلة للإقناع بذلك العمل غير معقولة وغير منطقية"⁽²⁾. فالحجاج المقصود عند (بيرلمان) و(تيتكاه) هو المسمى (la nouvelle rhetorique) يعرف المؤلفان موضوع نظرية الحجاج بقولهما: " هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"⁽³⁾ والغاية التي يسعى المؤلفان تحقيقها من خلال هذه الدراسة "أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو تزيد في درجة ذلك الإذعان فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيتين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"⁽⁴⁾، يعتبر المؤلفان أن " غاية كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما جعل حدة الإذعان تقوى درجته لدى المستمعين، بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازاً أو الإمساك عنه، أو هو على الأقل ما وفق في جعل السامعين مهيتين

¹ _ رضوان الرقيب: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، المجلد 40، الكويت، العدد 2، أكتوبر - ديسمبر 2011م، ص: 85.

² _ عبد الله صوله. الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج .. ضمن مصنف أهم نظريات

الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، ص: 315

³ _ المرجع نفسه: ص: 301

⁴ _ المرجع نفسه: ، ص: 325

للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة .⁽¹⁾ ومؤلف (بيرلمان) و(تيتيكا) يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى الأثر الذهني في المتلقي ، و إذعانه إذعانا نظريا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف، ويأخذ من الخطابة توجيهها لسلوك أو العمل و الإعداد له والحض عليه .وباختلاف الحجاج عن الجدل وصناعة الخطاب وجمعه بين التأثير النظري والسلوكي العملي،يشكل بلاغة جديدة "⁽²⁾ كما أن (بيرلمان) أولى عناصرالحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لاكتفتي بالأساليب اللغوية بل تولي اهتماما بالظروف الخارجية التي تتعلق بكل من المخاطب والمقام خاصة لأن نظرية البرهان عند بيرلمان ل"بحث سبل التأثيرعبرالخطاب بشكل فعال في الأشخاص "ويكون الحجاج عنده:"عبارةعن تصورمعين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة،بكل من المحاجج و المقام الذي ينجب هذا الخطاب ."⁽³⁾ ويربط وجود المعنى بالسامع " الذي لولاه لما كان حجاجا أصلا" وفي سياق حديثه عن وجود آليات تعمل على تحريك المقصودين إلى الفعل وتغييره حسب المقام،ويربط بيرلمان الحجاج بعوامل لغوية تتمثل في الوضوح، وعوامل غير لغوية (نفسية اجتماعية) تتمثل في الاحترام والوعي بظروف مختلف وأن يتوجه إلى مستمع و أن يعبر عنه بلغة طبيعية ،ومسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالية و أن لا يفترق تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة و أن نتائجه ليست ملزمة"⁽⁴⁾ و إلا فقد الحجاج أثره و فاعليته، ويهتم (ديكرو Ducrot) بتأكيديه على العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب والحجاج،هذه القوانين تكمن وظيفتها في تحديد معالم الدلالات الحجاجية.

٦ . الخطاب الإقناعي في التراث العربي :

عرفت الخطابة تطورا كبيرا، خاصة بعد ظهور الإسلام فقد كانت الخطب تلقى على المنابر قبل صلاة الجمعة و في العيدين او عند الخسوف والكسوف أو عند خطب من الخطوب كالحرب والخوف والقحط وانقطاع المطر إلى غير ذلك ، وكان اكثرالناس التزاما بأركان الخطبة الشرعية الرسول ومن بعده الخلفاء الراشدون إذ يفتتحون خطبهم دائما بالبسملة والحمدلة والشهادة إضافة الى عبارة أما بعد _ غالبا _ كما وظفوا الإقتباس فوردت خطبهم موشحة بايات من القرآن و الأحاديث الشريفة كبراهين لتأكيد

¹ _ ينظر :عبدالله صولة . الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية،ص:27

² _ سامية اليردي . الحجاج في الشعرالعربي القديم بنيته وأساليبه حتى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه،عالم الكتاب الحديث،ط1 ، . 2008 .،أريد،الأردن ص:22 . 21

³ _ ينظر : محمد سالم ولد محمد الأمين . مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،عالم الفكر،الكويت، ع .2 يناير،مارس،. 2000 .ص:61

⁴ _ المرجع نفسه : الصفحة نفسها.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

صحة مايقولون وتستمد خطب الرسول قيمتها من كونها خطب مناسبات يعلم فيها الرسول المسلمين دينهم ويحظهم على التمسك بمبادئ الدين والعمل بها .

كانت خطبه تجسم هذه السلطة الروحية على نفوس المسلمين ، و سعى الخلفاء الراشدون من بعده الى اقتفاء اثره و اتباع سياسته في خطوطها الكبرى مع الحرص على التصرف و الإجتهد بحسب السياق و الظروف المحيطة و الاوضاع الجديدة للمسلمين .

كما أن اسلوب الخطابة في صدر السلام قائم على الحرص على الوصول الى الغرض مباشرة دون اطالة في المقدمات ، فهي - غالبا - تنتقل من البسمة والتحميد الى عبارة فصل الخطاب [اما بعد] التي تنبئ للوصول إلى الغرض و الهدف المنشود من اقصر الطرق .

إن الفرق بين الخطابة في الجاهلية و في الإسلام؛ أن الإسلام زادها بلاغة و حكمة بما كان يتوخاه الخطباء ؛ من تقليد أسلوب القرآن و اقتباس الآيات القرآنية، كان ذلك كله مع مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فكان أول من راع ذلك بحق هو **عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** . فسار المسلمون من بعده على نفس النهج. إذ أخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلا أو إشارة أو تهديدا حتى لقد يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات كما فعل مصعب (بن الزبير)* لما ذهب إلى العراق وأراد أن يحرض أهله على الطاعة لأخيه عبد الله ، فصعد المنبر و قال (1) :

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى و فرعون بالحق يؤمنون، أن فرعون علا في الأرض و جعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحي نساءهم أنه كان من المفسدين﴾ [و أشار بيده نحو الشام] ﴿و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين﴾ [و أشار بيده نحو الحجاز] ﴿ونمكن لهم في الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ [و أشار بيده نحو العراق]. ففي هذا الخطاب يظهر بوضوح توظيف القرآن الكريم بالمحيط السياسي و الإجتماعي و مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، في أحلى و أرفع معانيه و هو مايعرف الآن بالسياق. يقول إنعام الجندي:"و عنى الخطباء بلايجاز و حسن الإختصار و السهولة فالجملة قصيرة معبرة ، تشير و لا تطيل، وتختصر و لا تطنب... و تكثر فيها الحكم و الأمثال المستمدة من التجارب و من معاني الدين.غنية بالمنطق و الحجة

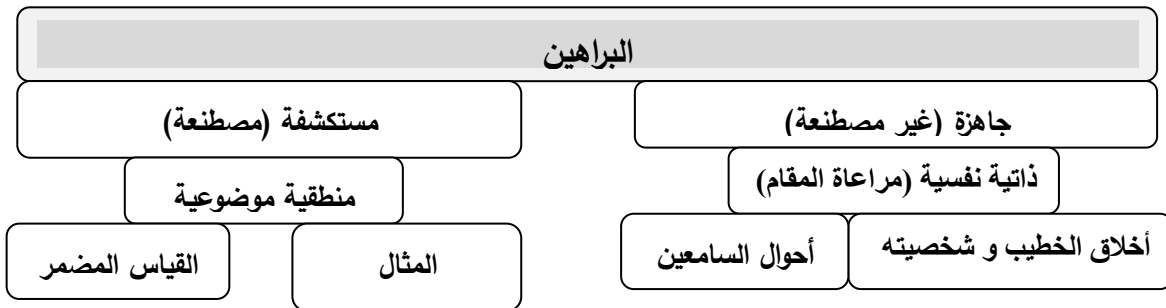
*. هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، أبو عبد الله القرشي.

¹ _ الجاحظ. البيان و التبيين، ج 2، ص: 299. 300.

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

و البرهان و الأقيسة⁽¹⁾. لقد إزدادت الخطابة قوة و وقعا أكثر من أي وقت مضى نظرا للحاجة إليها في أكثر من موقع في صلاة الجمعة و العيدين و في تجمع الجيوش و مناطق انطلاق الفتوحات ، و في النصائح و المواعيز للقادة و الولاة.. و يذكر جرجي زيدان في كتابه تاريخ الأدب العربي⁽²⁾. فبلغت الخطابة عندهم مبلغا قلما سبقهم فيه أحد من الأمم التي تقدمتهم بلاغة و إيقاعا و تأثيرا..حتى اليونان و الرومان ، و لا ننكر ما كان من تفوق هاتين الأمتين في الخطابة:(كديموستتيس)،(بريكليس)، و من خطباء اليونان:(شيشرون)،(يوليوس قيصر)، من خطباء الرومان .. فقد ذكروا ل(ديموستتيس) أخطب خطباء اليونان 61 خطبة نصفها منسوب إليه خطأ، و هذه خطب الإمام علي تعد بالمئات" و من هنا نلاحظ الفرق الشاسع بين الخطابين.

قد يقترب الخطاب التعليمي أحيانا من الخطاب الوعظي، كما هو الحال في خطبة ﷺ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) في حجة الوداع حيث "... تتكرر هذه اللازمة [ألا هل بلغت اللهم اشهد] في نهاية كل فقرة متجاوبة مع النداء والتوكيد [أيها الناس إن...]. في أول الفقرات"⁽³⁾. ونظرا لدور هذا الخطاب الفعال في التعريف بالإسلام والحث على التمسك به، قرن بمنابر في المسجد، منذ الصدر الأول، وربما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. أما في ما يتعلق بشروط المتلقين فهي شرط واحد وهو التهيئة النفسية قصد استمالة المتلقي و اعداده لاستقبال الموضوع المقصود في الخطاب الإقناعي، فينتهي ألقبول ما يعرض عليه. فأصبحت معالجة عملية الإقناع تتم عادة من خلال ثلاث مقاربات⁽⁴⁾، نبرزها في المخطط الآتي : [مقاربات معالجة الإقناع = مقارنة محتوى الخطاب + مقارنة بنية وسائل الإتصال + مقارنة الآثار التي يحدثها الإقناع]. و يمكن إجمال عناصر البراهين و أقسامها⁽⁵⁾ في المخطوطة التالية :



¹ _ إنعام الجندي. الرائد في الأدب العربي، ج 2 ، ص: 186

² . جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة منقحة راجع و علق عليها شوقي ضيف ، دار الهلال ، دط ، دت ص: 192

³ - محمد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 38.

⁴ . المخطط هو حوصلة للمقاربات التي تحدث عنها (ليونيل بلنجر) أثناء معالجة الإقناع. ينظر: ليونيل بلنجر، ص: 99

⁵. ينظر: محمد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي. ص: 27.

III – تداولية الدرجة الثالثة: La pragmatique du troisième degré

تداولية الدرجة الثالثة تختص بدراسة نظرية أفعال الكلام، مما قدمه (أوستين) و طوره (سيرل): و هي " نظرية أفعال اللغة أو أفعال الكلام ⁽¹⁾ لـ (Austin) . و سيقترن بحثنا في النظري أو التطبيقي من خلال الإجابة على الأسئلة التالية: ما حقيقة الأفعال الكلامية ؟ وكيف تسهم في فهم عملية التواصل ؟ . كيف نتكلم بشيء بينما نحن نريد شيئاً آخر ؟ و ما هي الطريقة الأمثل لتجنب الغموض في عملية التواصل ؟ وهل المعنى الحرفي لمفوض ما كاف لتحديد مقصدنا من الكلام ؟ ما علاقة الأفعال الكلامية بعلم المعاني؟ و ما هي إجراءات (أوستين) و (سيرل) و (جرايس) في هذا المجال؟ و للإجابة على هذه الأسئلة سأعتمد على مايلي:

1 - الأفعال الكلامية الكلية :

تعرف الأفعال الكلامية على أنها "كل ملفوظ يقضي التلفظ به في شروط معينة إلى حدث أو فعل وينتج هذا الفعل آثاراً قد تكون لغوية، وقد تكون غير لغوية" ⁽²⁾ إن أول ما يجب معرفته أن (أوستين) لا يعتد بالتقسيم التقليدي للقضايا كتقسيم الجمل إلى خبرية وإنشائية أو معيار الصدق والكذب، وإنما ينطلق من موقف جديد، أن الوحدة الأساسية للغة، هي الأفعال الكلامية والمقصود بها [الوحدة الصغرى] التي بفضلها تحقق اللغة فعلاً بعينه ، وإذا اعتبرنا الأقوال أفعالاً فإنها تسعى لتحقيق شيئاً ما؛ لكون الفعل الكلامي فحواه أنه: " كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعدّ نشاطاً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي، ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، في المخاطب، لإنجاز شيء ما" ⁽³⁾. و هذا ما قدمه (أوستين) سنة 1972 في مدرسة (كمبردج) ثم في أعمال (جون سيرل) صاحب نظرية أفعال الكلام ، للتحويل الفلسفة اللغوية إلى مبحث في مشكلات اللغة . فعرفت حينها بـ: [نظرية أفعال اللغة أو أفعال الكلام] ؛ لأن الأقوال التي تتلفظ لا تصف حالة راهنة للأشياء فحسب، بل إنها تنجز أفعالاً، والسياق هو المحدد فيما إذا كان التلفظ (أمراً، أو نهياً، أو استفهاماً...) وفيما إذا اسقنا مثالا يشكل تنبيهاً أو إعطاءً أمر " ⁽⁴⁾ . لقد

¹ فرانسواز أرمنيكو. المقاربة التداولية، ص: 38

² رحيمة ، شيتير. تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه في الأدب، جامعة

باتنة، 2008.2009 ص: 149

³ . مسعود صحراوي . التداولية عند العلماء العرب، ص: 30

⁴ فرانسواز أرمنيكو. المقاربة التداولية، ص: 39.

قسم (أوستن) الفعل الكلامي الكلي (Acte de langage intégral) إلى ثلاثة أفعال ترتبط بالقول (locution) و تؤدي في الوقت نفسه الذي ينطق فيه الفعل الكلامي (*)، و هذه الأفعال هي (1):

- الأفعال القولية Acte locutoire : و هي الفعل الصوتي أو فعل القول و هو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، و هما : الفعل التركيبي Syntax : يؤلف مفردات و تراكيب لغة معينة، و الفعل الدلالي Simantique : توظيف هذه الأفعال حسب معان و دلالات و إحالات محددة.

أ - **الفعل الإنجازي (Acte illocutoire) :**

يعرفه (آن روبول و جاك موشلار) على أنه " العمل الذي يتحقق بمقولنا شيئاً ما " (2) ؛ أي هو ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال و من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي. (كالوعد، والتحذير، والأمر ...).

ب _ **الفعل المتضمن في القول acte illocutoire :**

هو الفعل الإنجازي الحقيقي إذ أنه عمل ينجز بقول ما وهذا الصنف من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح (أوشين) تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية. من أمثلة ذلك: السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد أمر، شهادة في محكمة فالفرق بين الفعل الأول والفعل الثاني، هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء ، في مقابل الأول الذي هو مجرد قول شيء .

ج _ **الفعل التأثيري (Acte perlocutoire) :** يرى (أوستن) "أنه مع القيام بفعل القول ومايصحبه من فعل متضمن في القول (القوة)، قد يكون الفاعل (وهو هنا الشخص المتكلم) قائماً بفعل ثالث هو "التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر ، وسماه [الفعل التأثيري]. ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع أو المخاطب تأثيراً جسدياً كان أو فكرياً أو شعورياً (أن يسعد أن يغضب..). (3) و على العموم " فهذه التقسيمات ما هي إلا جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد ، لا يفصل بينها إلا لأغراض

*. لقد أدرك علماء النحو العربي والبلاغة العربية منذ عدة قرون شيئاً من نظرية (الحدث الكلامي) المنسوبة إلى (أوستن) حين قسموا الجملة إلى (جملة خبرية)، و(جملة إنشائية).

¹. ينظر: خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ط1 ، 2009، -العلمة-الجزئر. ص:9

². آن روبول و جاك موشلار ، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ص:3

³. الشهري. إستراتيجيات الخطاب، ص: 75.

الدراسة" (1) ويتعلق بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية، لان الأقوال التي تتلفظ لا تصف حالة راهنة للأشياء فحسب، بل إنها تنجز أفعالا، والسياق هو المحدد فيما إذا كان التلفظ أمرا أو نهيا، أو استفهاما...وفيما إذا اسقنا مثلا يشكك تنبيها أو إعطاء أمر" (2). مثل جملة: [ستشرق الشمس] تتضمن دلالات متعددة في إطار التداولية فقد تكون: سؤالاً: من المتكلم إلى المخاطب: [هل ستشرق الشمس؟] و قد تكون إخباراً: [أخبرك بأنه ستشرق الشمس.] و قد تكون تعجباً: [كيف ستشرق الشمس والسماء ملبدة!] وتتحدد الدلالات بتعيين أفعال الكلام، التي يمكن أن تتضمنها الجملة التي تمثل القصد الحقيقي للمتكلم، والتي تسهم إلى جانب السياق في تحديد الدلالة الدقيقة ونوع التواصل بينه وبين المخاطب (3) يمكن اعتبار أفعال الكلام نظرية أفعال اللغة و يتعلق الأمر بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية، فأفعال اللغة مسجلة لسانيا، .. و مفهوم السياق هنا غني جدا، و غير محدد بالنسبة للحالات السابقة (4)، نفهم من ذلك أنها تتعلق بمعالجة الأبعاد الفعلية للغة ممثلة في نظرية أفعال الكلام، و بذلك تختص بدراسة القيم التخاطبية المضمنة داخل الملفوظ والتي تسمح له بالاشتغال كفعل لغوي خاص. والبعض يطلق عليها "التداولية التخاطبية". (La pragmatique illocutoire) وتتمثل في نظرية الأفعال الكلامية التي تنطلق من مسلمة مفادهاث " أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية،تحمل معان ضمنية تتم معرفتها من خلال الإحاطة بظروف الفعل الكلامي الاجتماعية، و ما يمكن أن تحمله من دلالات ضمنية، في إطار مايسمى بالسياق الاجتماعي (5).

أما الأفعال الكلامية عند (أوسيتن J.Austin) مؤسس نظرية الأفعال الكلامية و واضح المصطلح الذي يعرف به، و ذلك في محاضراته الإثنيتي عشرة التي ألقاها في (أكسفورد oxford هارفارد) سنة 1955 - 1962 بعنوان (كيف نفع الأشياء بالكلمات quand dire c est faire) (6) فمثلا عند قولك [أو

1. محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 67. 68. 69.

2. فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية، ص: 39.

3. سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس. معجم اللسانيات الحديثة، انجليزي-عربي - مكتبة لبنان للنشر، ص: 112.

4. فرانسواز أرمينكو. المقاربة التداولية، ص: 39.

5. ينظر: المرجع نفسه، ص: 38.

6. المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

صي بنصف مالي للجمعيات الخيرية [فحين النطق بهذه العبارة فأنت لاتلقي قولاً بل تتجزز فعلاً يسمى الفعل الكلامي.

2 _ خصائص الفعل الكلامي و قوته الإنجازية :

قد لاحظ (أوستين) "أنه توجد ثلاثة خصائص للفعل الكلامي الكامل و هم: [فعل دال] و [فعل انجازي] و [فعل تأثيري]. ثم قام بتصنيف الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف :

أ. _ أفعال الحكم Verdictifs :

هدفها هو إصدار الأحكام مثلما يفعل القاضي في المحكمة، أو حكم المباراة في الملعب، وليست هذه الأحكام نهائية لأن الحكم قد يكون تقديرياً أو على صورة رأي وقانونية، مثل إصدار المذكرات التفسيرية والتعيين، وإعطاء التوجيهات التنفيذية. وهي على العموم تقوم على استعمال الحق أو القوة و ما إليهما ومن أمثلتها [عين، سمي، استقال، أعلن، صوت، صرح، أمر، نهى...].⁽¹⁾ كما نجد أن (أوستين) قد قسم الأفعال الإنجازية إلى نوعين: إنشائيات صريحة مثل قولنا [أمرك أن تجتهد]. و إنشائيات ضمنية أولية مثل قولنا: [اجتهد]. و إن كنت أرى أن هذا التقسيم قد يكون ناجعاً في اللغات الأخرى، إلا أن في اللغة العربية ليس له مبرر إجرائي على الفعل الإنجازي، لما للغة العربية من خصائص نحوية و بلاغية تؤدي نفس الغرض فالفعل [اجتهد] نحويًا هو فعل أمر و بلاغياً فهو من الإنشائية الطلبية الإلزامية بمجرد كون الأمر في أعلى منزلة و المتلقي في أدنى منزلة مما يعطيها قوة إنجازية أمرية صريحة و ضمنية دون الحاجة إلى ذكر فعل [أمرك] و إلا سيدخل ضمن فعل إنجازي ضمني آخر يفيد التأكيد على المعنى.

ب. أفعال الوعد Promissifs: الهدف منها هو أن يتخذ المرسل بإنجاز فعل معين مثل الوعد والتأييد و الخطبة قبل الزواج، ومن أمثلتها: (وعد، نذر، أقسم، رهن، عقد، عزم، نوى.) و هي على العموم تكون إلزامات المتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون إفصاحات عن نواياه.

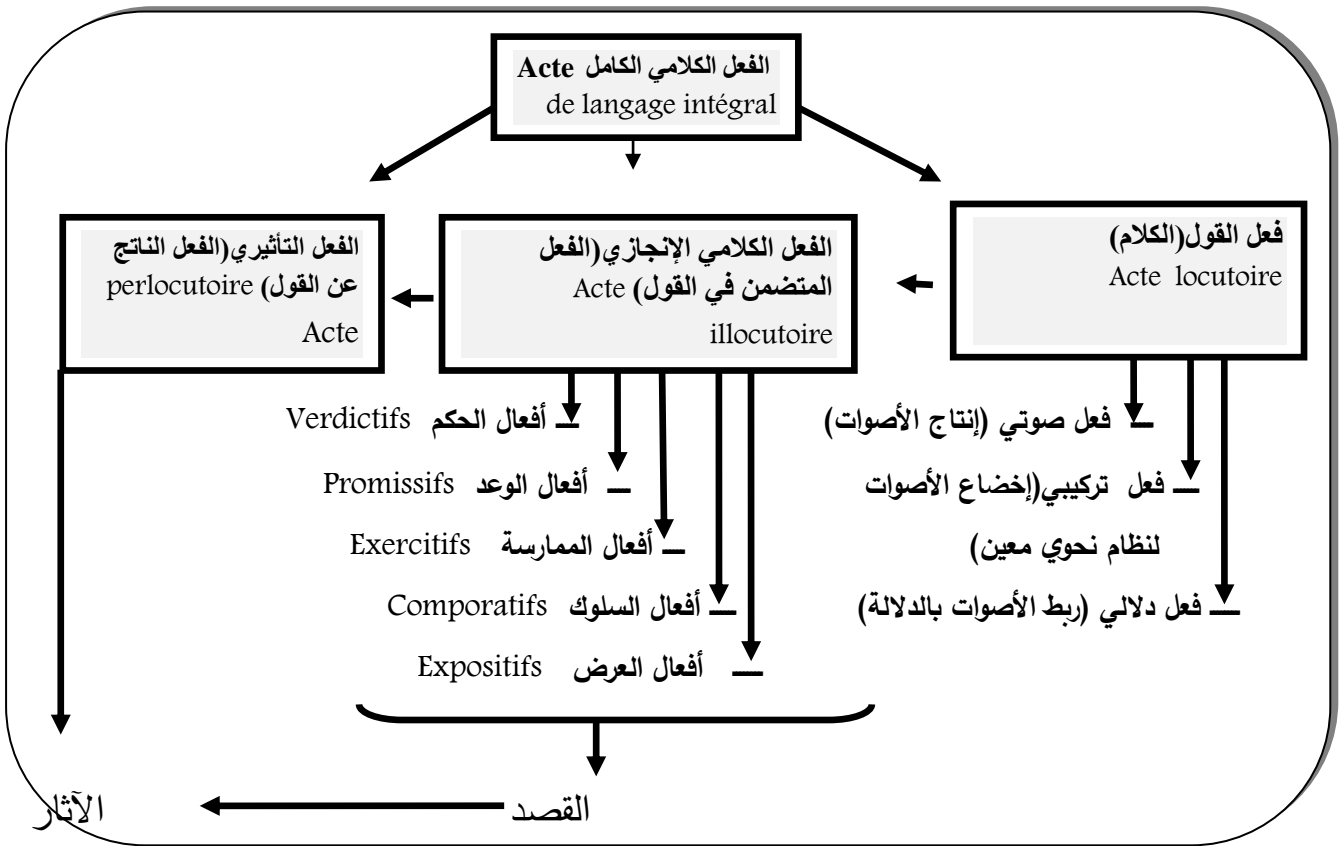
ج. أفعال السلوك Comporatifs: الهدف منها هو إبداء سلوك معين، مثل: [الشكر والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم و التحدي كقولنا: اعتذر، شكر، هنا، عزي، انتقد، مدح، هجا، وبخ، ودع،

¹. أوستين . نظرية أفعال الكلام العامة . كيف ننجز الأشياء بالكلمات . تر : عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

بارك] و على العموم فهي ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين، أو بالسلوك الاجتماعي.

د. أفعال العرض Expositifs: هي بجوهرها إطلاق أحكام على واقع، أو قيمة مما يصعب القطع به. ومن أمثلتها [يرأ، قيم، حسب وصف، حل، صنف، أرخ، فسر. والهدف منها الحجاج والنقاش و التبرير].
هـ. - أفعال الممارسة Exercitifs: هي توضح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو المحاجة الراهنة، ومن أمثلتها: [أثبت، أنكر، أجب اعترض، تأكد، استنبط، شرح، وصف، صنف ..⁽¹⁾]
و إجمالاً فالأفعال الكلامية موضحة في الجدول التالي:



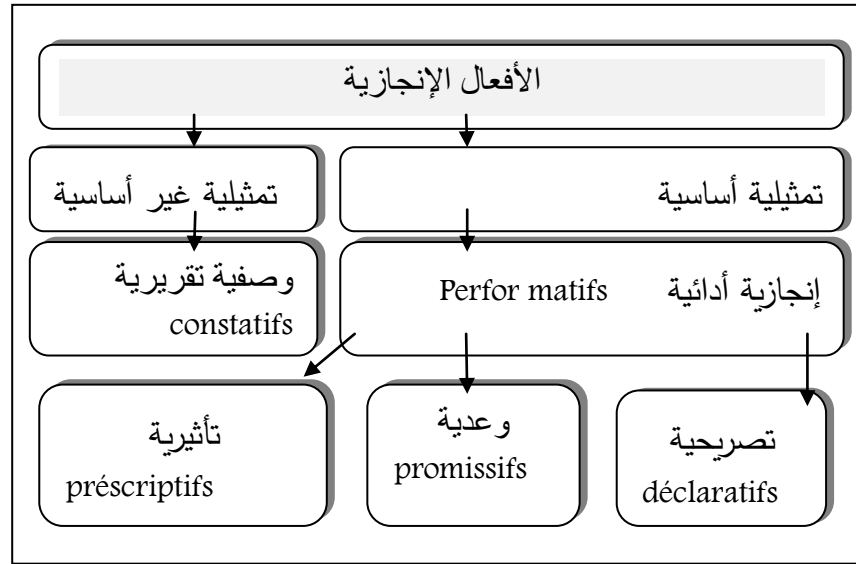
2. معاني العبارات اللغوية :

من خلال ما سبق فإن نظرية الأفعال الكلام عند (استين) أو عند (سيرل) تتعلق بمعرفة ما تم من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية، لأن الأقوال التي تتلفظ لا تصف حالة راهنة للأشياء فحسب، بل إنها تنجز أفعالاً، والسياق هو المحدد فيما إذا كان التلفظ أمراً، أو نهياً، أو استفهاماً... وفيما

¹ ينظر: المرجع السابق أوستين. نظرية أفعال الكلام العامة. كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص: 174

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

إذا اسقنا مثالا يشكل تنبيها أو إعطاء أمر" (1). وقد توسع (سيرل) مركزا اهتمامه على القوة الإنجازية للفعل، كما أعاد صياغة تصنيفه للأفعال الكلامية، وهذا بفضل ثراء جهازه المفاهيمي ودقته وعمقه، و هو يلجّ على ما يسمّى [إنجازية الفعل]، ف " المهمة الرئيسية للتداولية هي تحويل ضروب الخطاب [الجمل] إلى أفعال منجزة، وعملية تحويل الخطاب إلى أفعال منجزة يمكن أن تسمى أيضا تأويلا تداوليا للعبارات، والمهمة الثانية هي تنزيل هذه الأفعال في موقف معين، وصياغة الشّروط التي تنصّ على نجاح هذه العبارات في أي موقف من المواقف؛ أي يترك أثارا معينة في الواقع، خصوصا إذا كان فعلا ناجحا، ليقوم الفعل الكلامي على مفهوم [القصدية]، وتقوم مسلمة القصدية على أساس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسع التداوليون في تعريفها وتصنيفها، حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة تملك قيمة تداولية نصية حوارية، و تعد مراعاة شبكته المفاهيمية من أبرز المفاتيح المنهجية في الدراسات اللسانية النصية، و يمكن توضيح أشكال الفعل الإنجازي(2) عند " أوستين " من خلال المخطوطة التالية:



ميز العلماء العرب بين الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، و إن هم لم يعرفوا المصطلح فإنهم عرفوا ما يدخل فيه و يندرج تحته، فذلك يؤدي إلى إحياء المتكلم بالإضافة إلى المعنى المباشر لمقولته بمعنى إضافي هو المعنى الضمني للمحادثة (3). وقد أطلق " غرايس Grice مفهوم: [حكم الحديث

¹. فرانسواز أرمنيكو. المقاربة التداولية، ص:39.

². Dominique (Maingueneau) : Pragmatique Pour Le Discours Littéraire, nathan, P 10

Edition

³. ينظر :ج.ب. براون، ج. يول. تحليل الخطاب، ص40.41 :

Maximes Conversationnelles] على المقاصد غير المباشرة للتعامل والتواصل و لها نوعان : [الإستلزام غير الحوارى] و [الاستلزام الحوارى]. إذ يعتبر (جراسيس Paul Grice Herbert^(*)) أن الدلالة اللغوية للعبارة تنقسم إلى معنيين : معاني صريحة ومعاني ضمنية⁽¹⁾ فالمعاني الصريحة هي المعاني المستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة ذاتها [معاني مباشرة]، ويندرج تحت هذا الصنف من المعاني ما يسمى بـ [المحتوى القضوي] الذي يتمثل في معاني مفردات الجملة مضموما بعضها ببعض . أما القوة الإنجازية الحرفية و المتمثلة في القوة الإنجازية المتضمنة في الجملة والمؤشر لها بصيغة [الاستفهام، الأمر، النهي].

أما القسم الثاني و المتمثل في المعاني الضمنية و هي المعاني التي تفهم انطلاقا من السياق الذي ترد فيه [المعنى المستلزم] فالسياق هو الذي يقوم بتحديد دلالاتها، ويندرج تحتها صنفان من المعاني:

أ. المعاني المعرفية

هي معاني مرتبطة بالجملة والتي لا تتغير حتى ولو تغير سياق الجملة و يواكبها نوعان من المعاني: [الاقضاء] و [الاستلزام المنطقي].

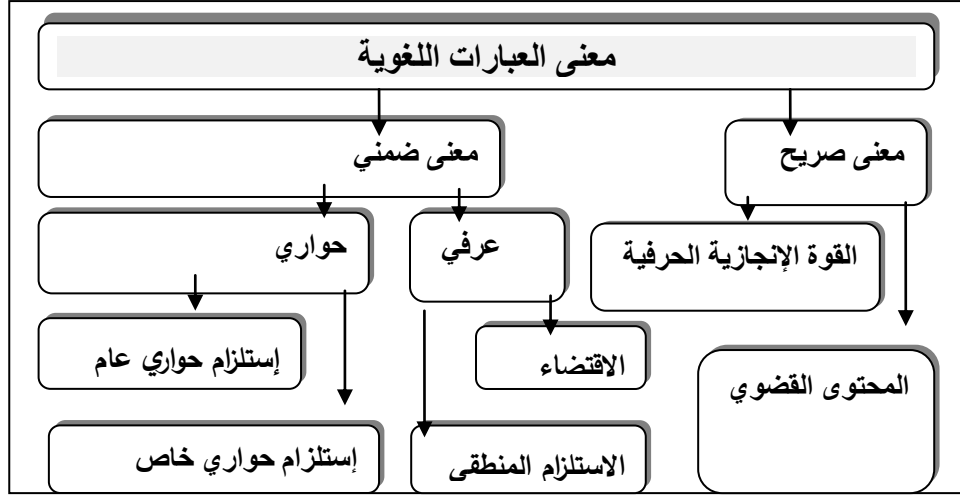
ب. المعاني الحوارية أو سياقية:

هي معاني تتولد طبقا للسياقات التي تتجز فيها الجملة و يواكبها نوعان من المعاني قام (جراسيس) بتسميتها بـ [الاستلزام الحوارى الخاص]؛ أي المعاني الناتجة عن سياق خاص، و [الاستلزام الحوارى العام] وتندرج تحته المعاني التي لم تعد مرتبطة بطبقة مقامية معينة، ويسمىها (جراسيس) عند الانتقال من المعنى الأول [الخاص] إلى المعنى الثاني [العام] بـ : [تجبر القوة الإنجازية المستلزمة]، وهي تختلف عن الأساليب الإنشائية من حيث أنها تتجاوزها دلاليا. ويمكننا تلخيص هذه المعاني⁽²⁾ ضمن المخطط الموالي:

*. وهو أحد فلاسفة أكسفورد المختصين في دراسة اللغة الطبيعية ولقد طبعت 1975 أجزاء مختصرة من محاضراته التي ألفها سنة 1967 يحمل عنوان [المنطق والحوار Logic and Conversation] ثم وسع في بحثين له نشر سنة 1978 و سنة 1981. ليصبح هذا العمل من أهم النظريات في البحث التداولي و أكثرها تطورا. ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 32

¹. أحمد ، المتوكل. اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، منشورات عكاظ. الرباط. دط ، 1987 ص ص : 24 . 25

². المرجع نفسه : أحمد المتوكل. اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، ص ص : 24 . 25



و مهما يكن فقد حاولنا في بحثنا هذا العمل على الجمع بين الأسلوبية التداولية و البلاغة القديمة حرصاً منا على الجمع بين الأصالة (التراث البلاغي) و بين المعاصرة (اللسانية التداولية) آخذين بعين الاعتبار متطلبات المدونة (الخطاب الإقناعي في نهج البلاغة)، و ما يمكن ملاحظته على نظرية (أوستين) و (سيرل) أن علماء النحو العربي والبلاغة العربية* قد أدركوا منذ عدة قرون شيئاً من هذه نظرية (الفعل الكلامي) حين قسموا الجملة إلى (جملة خبرية)، و(جملة إنشائية). وقد أجمع الباحثون على أن "البلاغة هي الأفق المنشود والملتقى الضروري للتداولية"⁽¹⁾ ، على اعتبار أن بعض مباحثها هي أكثر ارتباطاً بالمقام لوضوح المعاني التي يسبغها المقام على الكلام ، وذلك ما يظهر في (علم المعاني) لاستناده إلى أسس لسانية متينة وهي نحو الجملة وما يتولد منه من إمكانات ، و يظهر ذلك بوضوح في مواقف علماء البلاغة وخاصة في تقسيم الخبر، التي نلاحظ فيها العناية بطريقة تقديمه دلالة على مراعاة مقتضى المقام أو الحال؛ لأن المقام أو الحال من قرائن المعنى⁽²⁾ ، ويلي علم المعاني في وضوح أثر المقام (علم البيان)؛ لأن بعض الباحثين فسروا هذا المقام بأنه مقام المتكلم ، فهو لا يستطيع التعبير عن المضمون الروحي من أفكار ، وعواطف ، إلا بهذه الطرائق ، ذلك أن الألفاظ محدودة والمعاني غير محدودة ، بحسب رأي الجاحظ⁽³⁾ ، إلا أن هذه الآلية نجدها كلها تصب في مصلحة المتلقي ، إذ يجعل الكلام الغامض محسوساً قابلاً للإدراك والوصول إلى ما يقصده المتكلم عن طريق المبادئ التداولية ، التي تجعل المتلقي

* المصادر العربية التي تناولت بعض الدراسات التداولية فنذكر منها : [دلائل الإعجاز، البيان والتبيين، الخصائص، الكشف، مفتاح العلوم ، الإيضاح..].

¹. ينظر : صلاح فضل . بلاغة الخطاب وعلم النص، ص251

². ينظر : تمام، حسان. اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979، ص:79

³. ممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصودة معدودة، ومحصلة محدودة . ينظر: البيان والتبيين، ص:176

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

يفهم أكثر مما قيل له ، بحلّ الشفرات البيانية اعتماداً على القرائن المقالية والحالية التي تميز الحقيقة من المجاز . وبذلك يكون [علم البيان] هو مقتضى حال المتكلم ومن ثم يتحول هذا الوضوح الدلالي إلى المتلقي ، الذي تتجلى عنده المعاني بأساليب مختلفة جميلة مؤثرة فيتفاعل معها ومع دلالاتها ومضامينها . سنحاول في الدراسات التطبيقية دمج الدراستين البلاغية العربية القديمة و نظرية أفعال الكلام بما يتوافق مع الدراسة التداولية و يمكن للمرسل أن ينجز الفعل اللغوي بطريقة غير مباشرة ويتوصل المتلقي إلى فهم قصده من خلال المعرفة المشتركة . كما يمكن التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة و غير المباشرة بتحديد ثلاثة فروق جوهرية: (1) يمكن توضيحها في الجدول التالي:

الأفعال الإنجازية غير المباشرة	الأفعال الإنجازية المباشرة
<p>_ لا تظهر قوتها الإنجازية إلا في المقام</p> <p>_ جواز إلغاء قوتها الإنجازية غير المباشرة</p> <p>_ التوصل إلى قوتها الإنجازية عبر عمليات ذهنية استدلالية</p>	<p>_ ملازمتها للقوة الإنجازية في مختلف المقامات</p> <p>_ تؤخذ قوتها الإنجازية مباشرة من تركيب العبارة نفسها</p>

استطاع (سيرل) أن يطور تصور (أوستين) لشروط الملاءمة أو الاستخدام التي إذا تحققت في الفعل الكلامي كان موفقاً فتكون بمثابة شروط نجاح الفعل الكلامي، وتطبيق نتائج الفعل النموذجي على بقية الأفعال، فقام بتحديد مفهوم القوة المتضمنة في القول بتحليله إلى ما يلي:

– الغرض المتضمن في القول: مثل الوعود غرضها إلزام المتكلم نفسه بعمل شيء

– درجة الشدة للغرض المتضمن في القول: حيث تحقق أفعال مختلفة متضمنة في القول نفس الغرض المتضمن في القول بدرجات مختلفة في الشدة. مثال: أناأطلب منك أن تعمل على أقل شدة من: أناأصر عليك أن تعمل على شروط المحتوى القضوي: فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب (2) ، أما متضمنات القول (الظاهر والمضمّر) فهناك ظواهر لغوية و خطابية تتم معرفتها انطلاقاً من تحكّم الباحث و إدراكه لمختلف قوانين الخطاب Lois de discours و أحكام المخاطبة maximes conversationnelles (3)

وتلعب هذه الأخيرة دور تحويل الكلام من مدلوله الصريح إلى مدلوله الضمني. نشير في هذا المقام إلى أن وظيفة اللغة الأساسية هي الإخبار و التبليغ، لكن نظراً لاختلاف نظرة كل مجتمع إلى الإنسان

¹ . ينظر :أحمد محمود نحلة.آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص:83.84 بتصرف

² . ينظر : نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب،ص ص: 17 - 18

³ . الفيلسوف (جرايس) هو من استخدم مصطلح أحكام المحادثة، أما مصطلح قوانين الخطاب فهو من وضع (ديكرو).

و الوجود، اختلف البشر في قبول الأفكار أو عدمه، لذا نجد في اللغات الطبيعية ظواهر خطابية، تستخدم على جميع مستويات التخاطب منها مستوى الخطاب العادي، ومستوى الخطابات الراقية كالخطاب و النصوص الأدبي... فإذا صرحنا بهذا القول: "انقطع عمر عن التدخين". نكون قد أضمرنا قولاً آخر مستوحى منه هو: "عمر كان يدخن". والتداوليون يجمعون على أن الإخبار لا يتم بالتصريح فقط، ويعود ذلك إلى وجود العديد من المحظورات التي تمنع المتكلم من التصريح كالدين والعادات والأخلاق والسياسة ، وقد يتجلى ذلك في وجود بعض الألفاظ المحاطة بـ "قانون الصمت" والتي يتمتع المتكلمون عن التصريح بها ، كما يلجأ بعض المتكلمين إلى استعمال متضمنات القول حتى لا يجرحوا مشاعر المستمع .⁽¹⁾ و يتساءل "مانغينو (Maingueneau) لماذا المضمرة ؟ ويضيف : إذا كان الكلام : " أداة و وسيلة للاتصال ، فمن الغريب والمحيّر أن نلجأ فيه دوماً إلى المضمرة . ويرد هذا الباحث وجود الاقتضاءات في الكلام إلى مبدأ الاقتصاد في الحديث و يؤكد بأنّ المحادثة تستحيل إذا لم نفترض (principes d'économie) مجموعة من الاقتضاءات.⁽²⁾ بمعنى أن هناك القول المضمرة وهو نمط لا يمكن معرفته إلا بالعودة إلى الوضعية التخاطبية التي قيل فيها، ويعرف بأنه المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها ولكن تحقيقها في الواقع يظل رهن خصوصيات الحديث، مثال ذلك : [إن الطريق مغلق لوجود أشغال] إن السامع لهذا القول تتعدد عنده التأويلات المفتوحة مع تعدد السياقات التي صدر عنها القول منها. فيفهم أشياء كثيرة منها:

. دعوة إلى المكوث في البيت .

. تغيير مسار الطريق .

. الانتظار و التريث حتى تنتهي الأشغال .

.....

وتكمن وظيفة [متضمنات القول] من أن صاحبه يملك القدرة على التبرؤ من مسؤولية ما يترتب عن القول من نتائج. ومعرفة هذا القول يتوقف على مجموعة من العمليات الاستنتاجية تضع في الحسبان ظواهر عديدة منها قوانين الخطاب، أهمها قانون الشمول و الإخبار.

3. متضمنات القول الدلالية و متضمنات القول التداولية :

¹ . عمر بلخير. تحليل الخطاب المسرحي في ظل النظرية التداولية، ص: 111

² المرجع نفسه: ص: 81

إنّ تأويل الملفوظ لا يخضع فقط لمعنى مضمونه الأدبي المصرح به و لكن يخضع أيضا للمعاني المضمرّة والتي يمكن النظر إليها من وجهتين : طبيعتها الدلالية مقابل طبيعتها التداولية (sémantique vs pragmatique) و وظيفتها الخطابية.

أ. متضمنات القول الدلالية implicites sémantiques :

أبرز ما يميز متضمنات القول الدلالية أن طبيعتها لسانية ، بينما متضمنات القول التداولية تخضع لقوانين الخطاب . لناخذ الأقوال الآتية :

أ . "عمر أعزب".

أ . "عمر غير متزوج".

ب . "عمر قرأ كل روايات نجيب أحلام مستغانمي

ب . "عمر قرأ بعض روايات أحلام مستغانمي

الأقوال السابقة تتعلق بمتضمنات للقول دلالية ، مستوحاة من بنيتها الدلالية. ففي القول (أ) نلاحظ العلاقة التضمينية الدلالية المرتبطة بمعنى (أعزب) والذي يتضمن (غير متزوج). أما في القول (ب) فالعلاقة منطقية حيث أنّ (كل) تشمل منطقيا (بعض).

ب . متضمنات القول التداولية Implicites pragmatiques :

إذا قلنا: ج " الخط السريع الأيمن للسكة الحديدية مفتوح".

ج " الخط السريع الأيسر للسكة الحديدية مغلق".

اشتمل القول الأول على متضمن للقول تداولي ، حيث أنّ المعنى المضمر في العبارة (ج) والمنصوص عليه في العبارة (ج) غير محدد بالمعنى المستوحى من الإقرار أو الإثبات الموجود فيها ، لكنه محدد من قبل قانون من قوانين الخطاب حسب "ديكرو" ، أو قانون الحقيقة العامة (Exhaustivité) وهو هنا قانون الشمول حسب (قرايس) .

4. الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب:

تتدرج هذه الأفعال ضمن مباحث علم المعاني وتحديدًا ضمن الظاهرة الأسلوبية المعروفة [الخبر و الإنشاء] ، وبهذا يمكن أن نعدّها مقابلة لنظرية أفعال الكلام عند الباحثين المعاصرين. يعرف السكاكي علم المعاني بقوله: "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة و مايتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"⁽¹⁾ ،

¹ ينظر: السكاكي.مفتاح العلوم، ص: 247

الإطار النظري لتحليل التداولي للخطاب

ويقول ابن خلدون عن علم المعاني: "... ويبقى من الأمور المكتتفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليه الآن هو من تمام الإفادة ، وإذا حصلت للمتكلم ، فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه، وإذا لم تشتمل عليه منها فليس من جنس كلام العرب ، فإن كلامه واسع ، و لكل مقام عندهم مقال يختصبه بعد كمال الإعراب والإبانة " (1) الملاحظ أن علماء العرب عامة كثيرا ماكانوا يركزون على دعامة [الإفادة] في دراستهم للجملة و النص، إذ هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة ،لاحظنا فيما سبق أن البلاغيين و بداية من السكاكي لم يستعملوا مصطلح [الإنشاء] بل استعملوا مصطلح [الطلب]. من خلال هذه التعريفات نجد أن الطلب عند السكاكي مفهوم عام،يشمل الطلب وغير الطلب و عند القزويني يرادف الطلب الإنشاء الطلبي و سنتطرق بشيء من التفصيل في مبحثه.

- نتائج الفصل:

من التصورات الخاطئة عن التداولية أنها ليست سلة لمهمات اللسانيات فكل ظاهرة عجزت اللسانيات عن حلها إلا و كانت مجالا للبحث التداولي بالعمل على فك شفراته، وإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي فيه ، و هو موضوع له جذور في التراث العربي إذ اهتم المنظرون العرب بدراسة البنية وخصائصها وعلاقتها بالمقامات ، وعن ظروف إنجاح الخطاب وتأثيره . وهو موضوع بلاغي ذو توجه تداولي، إلا أن اهتمامهم بالخطاب كان لغويا بالأساس؛ لكونه ناتج من أن إهتمامهم منصبا على فهم [إعجاز القرآن] في حين كان اهتمام التداوليين بدراسة الخطاب من زوايا مختلفة ومعارف متنوعة (اللسانيات بأنواعها، و الأسلوبيات و السيميائيات...).

¹. ابن خلدون. المقدمة،الدار التونسية للنشر و التوزيع ، والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د .ط، 1984 ،ص:729

❖ **الفصل التطبيقي الأول: تداولية الدرجة الأولى (السياق و استراتيجية الخطاب الإقناعي في كتاب نهج البلاغة)**

● **المبحث الأول : السياق و عناصره دوره في تحديد المعنى**

- _1 المرسل
- _2 السياق العام لإرسال الخطاب
- _3 الإطار الزمكاني لنهج البلاغة
- _4 الرسالة
- _5 وسائل إرسال الخطاب
- _6 المرسل إليه
- _7 القصد

● **المبحث الثاني: إستراتيجيات الخطاب الإقناعي في نهج البلاغة**

- _1 إستراتيجية بناء الخطاب التوجيهي
- _2 إستراتيجيات الإلقاء في نهج البلاغة
- _3 التماسك النصي الدلالي (المعيار اللغوي)
- _4 قرائن المعجم
- _5 الموجّهات في العرض الحجاجي
- _6 الأسلوب غير مباشر (الاستراتيجية التلميحية)

• المبحث الأول : السياق و عناصره و دوره

بعد توضيح التداولية و مباحثها و الخطاب و الإقناع ، في الفصل النظري سنتقرب من الفصل التطبيقي بما جادت به التداولية من إجراءات في هذا المضمار ، و التي ستشعر الباحث بمتعة توظيف إجراءات المنهج^(*) التداولي في أول مقاربة له لخطاب الإمام علي الإقناعي ، و لن يتفاجأ بكثرة المصطلحات و المفاهيم التي صادفها أثناء البحث النظري بعد الاطلاع إلى ما أشارت إليه (فرانسواز أرمقو) ، في كتابها [المقاربة التداولية la pragmatique⁽¹⁾] إلى محاولة الهولندي (هانسون Hansson) حين قسم التداولية إلى درجات ثلاث ، كما سبق الإشارة إليه في الجانب النظري و سنعمل في هذا الفصل بدراسة تداولية الدرجة الأولى للخطاب الإقناعي للإمام علي ، و التي تهتم برموز التعبيرات المبهمة ، خلال ظروف استعمالها، إذ تقوم بتناول السياق ومعطيات الزمان والمكان والرمز والإشارة، ومنه سنتمكن من الإحاطة بالإستراتيجية التخاطبية للإمام علي .

السياق على العموم يهتم بدراسة الرموز الشارحية؛ أي [التعابير المبهمة]، ضمن ظروف استعمالها أي [سياق تلفظها]. فسياق هذه الدرجة هو محددات الموجودات، ومن ثم البحث في السياق الوجودي الایحالي وهم : "المخاطبون، ومحددات الفضاء والزمن"⁽²⁾ وهذه هي العناصر الأساس في السياق. و نفهم من ذلك أن تداولية هذه الدرجة تهتم بوصف العلاقات الموجودة بين بعض المعطيات الداخلية للملفوظ، وبعض خصائص الجهاز التلفظي(مرسل - متلق - وضعية التلفظ) و هذا يستلزم منا " الحديث عن المعينات بوجود أطراف التواصل ، و فعل التلفظ ، و السياق ، كما هو مبين في الجدول التالي:⁽³⁾

* من الضروري التنبيه أن التداولية ليست منهجا بحثا له قوانينه الإجرائية كتلك المعروفة في المناهج النقدية التي على الباحث الإلتزام بتبعتها أثناء تحليل الخطاب ، وإنما التداولية طريقة استعمالية للباحث الحرية الكبيرة في أن يختار منها ما يتلاءم وخصوصية النص المدروس ، حسب السياق ، وحال المرسل والمرسل إليه .و ذلك لما يشوبها من حالات التغير والتبدل مع كل خطاب جديد . لذا من السابق لأوانه قول:(المنهج أو النظرية)، لأن الأبحاث في هذا المجال لم يصل بعد إلى درجة بناء نمط إجرائي ونظري متكامل ومنسجم يشكل نظرية، على شاكلة البنيوية أو الأسلوبية....

1 _ فرونسواز، أرمينكو. المقاربة التداولية ، ترجمة د ، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد ، سنة 1986، ص:38

2_ المرجع نفسه: ص:38.

3_ ينظر :جميل حمداوي. المقاربة التداولية في الأدب و النقد، دراسة ضمن مجلة (العربية و الترجمة)، اصدار : المنظمة

العربية للترجمة ، السنة الرابعة العدد: 9 ربيع 2012 بيروت ، لبنان ، ص:79

كشف السياق العام و الاستراتيجيات الإقناعية

السياق	المعينات	فعل التلفظ	أطراف التواصل
<p>_السياق التواصلية الذي يتكون من سياقات فرعية ، كالسياق الشخصي و السياق المكاني و السياق الزمني.</p>	<p>_الوحدات اللغوية من ضمائر ، و أسماء الإشارة و أدوات التملك ، وظروف المكان و الزمان</p>	<p>_الملفوظات و العبارات و الجمل و الكلمات المكتوبة أو الشفوية</p>	<p>_المرسل و المرسل إليه، أو المتكلم و المستقبل</p>

و على نفس التوجه حين اعتقد (أوزفالد ديكرود) (O.Ducrot) أننا نتكلم عامّة بقصد التأثير و هذا التأثير و الحمل على الإذعان و الاقتناع، إنما يحصل بما يعرض علينا من أفكار و معتقدات، بتوظيف " الوسائل اللغوية و بإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلم⁽¹⁾"، فالدراسات التداولية إهتمت بأكثر من جانب من جوانب الخطاب ، ويمكن إرجاع هذه الجوانب إلى أربعة مسارات، على حد قول عبد الهادي الشهري و هي: [الإشاريات، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية].⁽²⁾ و لهذا يمكن اعتبار "السياق مفتاح ؛ لفتح مغاليق المعاني و إزالة الإبهام عنها ، و يشمل ذلك كل الوقائع الخارجية (الظروف الزمانية والمكانية) و العنصر الذاتي و يشمل المعرفة المشتركة بين المخاطبين أو ما يسمى بالأرضية المشتركة و هي معرفة معقدة التركيب " ⁽³⁾ هذه العناصر المكونة للسياق تشمل بالدرجة الأولى على طرفي الخطاب : [المرسل] و [المرسل إليه] و [المحيط الخارجي] الذي يضم عنصري الزمان و المكان [متى، أين] وكل ما يتعلق بالمعارف المشتركة بينهما.

إن لكل عنصر من هذه العناصر دورا معينا يؤديه من أجل إنتاج الخطاب ، و تحقيق القصد من وراء عملية التخاطب، و عليه سنحاول الوقوف على أهمّ العناصر التي يبنى عليها هذا المستوى بطرح الأسئلة التالية:

- من هو المتكلم في كتاب [نهج البلاغة]؟ وما هي الخلفية الدينية والثقافية للإمام علي؟
- من هو المتلقي الذي يستهدفه الإمام علي في خطابه؟ - ما هو الإطار الزمني والمكاني لخطاب الإمام علي؟ ما هي الظروف المحيطة التي استدعت إلقاء الخطاب؟. ما القصد من إلقاء الخطاب و ماهي وسائل إرسال الخطاب؟

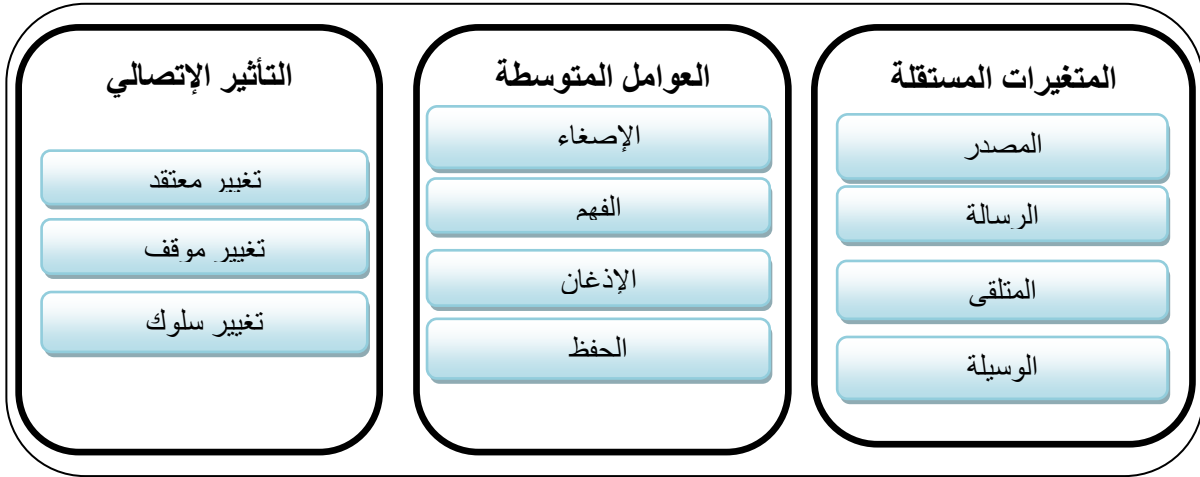
1 _ الحجاج: حدود وتعريفات، ج1. ص:56

2 _ عبد الهادي بن. ظافر الشهري . إستراتيجيات الخطاب، ص:24.

3 _ المرجع نفسه . ص:45

كشف السياق العام و الاستراتيجيات الإقناعية

هي أسئلة بمثابة إحالات مرجعية ، تمكن القارئ من تأويل وفهم النص، و مختلف مقاصد المرسل و يمكن اعتبار أن "هذه العناصر هي نفسها التي تؤثر على اتخاذ المواقف من خلال بث رسالة" (1) كما هو مبين في هذا الجدول الموضح لدور هذه العناصر في عملية الفهم و التأثير في المتلقي.



للإجابة عن ذلك علينا بتحليل هذه العناصر من خلال نهج كتاب نهج البلاغة و معرفة هوية المتكلم و المتلقي و الإطار الزمني و المكاني للحدث اللغوي، فتكون العملية التواصلية بذلك محدّدة . وقد آثرنا أن نبدأ بالمرسل ثم السياق العام و الخاص، فالرسالة و المرسل إليه ؛ حتى نفهم مدلول هذه الوحدات إذا ما وردت في مقطع خطابي.

1. المرسل (المتكلم ، الباث):

المرسل هو من مكونات العنصر الذاتي: [معتقدات المتكلم و مقاصده، و اهتماماته و رغباته] و " هو طرف الخطاب الأول الذي يتجه به إلى الطرف الثاني ؛ لتكتمل دائرة العملية التخاطبية، بقصد إفهامه مقاصده أو التأثير فيه" (2) ؛ ولكونه من أحد الشروط إجراء المقاربة التداولية يستلزم منا البحث عن معتقدات المتكلم الأساسية التي شكلت شخصية الباث أو المرسل، فالخطاب لا يوجد بمعزل عن ذاتيته و العلاقة بينهما علاقة جدلية، "فالأديب تتجاذبه ثقافات محلية و إقليمية و عالمية، و ترسبات اجتماعية و نفسية في تكاملها و تنافرها، لأن ثقافة الأديب تتلون من [الأنا و الآخر و العالم] فهذه الثلاثية

1 _ علي رزق. نظريات في أساليب الإقناع . دراسة مقارنة . دار الصفوة ، بيروت . لبنان ، ط1، 1414 ، ص:36

2 _ عبد الهادي بن ظافر الشهري. استراتيجيات الخطاب، ص:7

لها أبعادها في كل نص إبداعي تقني و فكري (1). فمحاولتنا التنقيب عنها سيكشف لنا الكثير من الحقائق و يجلي ما كان غامضا و يكشف ما كان مبهما .

إن مرسل الخطاب هو منتج الخطاب و باعته ، و هو محور العملية التواصلية ، و لتوضيح هذا الكلام سنعمد إلى أصناف الإشارات من خلال المفاهيم التداولية التي تكتنف كل صنف ، وهي: "الإشارات الشخصية، الإشارات الزمنية الإشارات المكانية، الإشارات الاجتماعية، الإشارات الخطابية". (2) إن البحث في هذه العناصر يقودنا إلى البحث في كلمات تشير إليها: [أنا ، أنت ، الآن ، هنا] بدءا بضمائر الحضور (ضمائر المتكلم): [أنا - نحن] ، وضمائر المُخاطب(المُسْتَقْبَل): [أنت - أنتم] و كل الضمائر الدالة على المتكلم و المخاطب المتصلة منها والمنفصلة ، والدالة على الملكية أو النسبة.

نجد في الخطاب المتناول في نهج البلاغة ، المُرسَل هو أمير المؤمنين ﷺ و أن الذي يحدده في الخطاب هو الضمير [أنا] مع ما يميّز به من استعمال ، بالاستناد إلى المحيط [المكاني و الزماني] لكل عملية تلفظ ؛ لأن تفسيرها مرهون بوجود صاحبها وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره " فالمتلقف لا يكون مستمعا حقا حتى يكون قد ألقى إليه بما يتلقف مقصودا بضمونه هو أو مقصودا به غيره بوصفه واسطة، أو قل حتى يدرك رتبة المتلقي " (3) ، و عليه يجب أن تتوفر في صاحب الخطاب شروطا حتى يكون متكلمًا، و كذا الأمر للطرف الثاني المخاطب .

فالتعريفات في البلاغة العربية تتفق أن هناك عاملا مهما يجب أن يتوفر في المتكلم وهو إرادة التلطف بالخطاب في السياق المناسب ؛ لأن " إرادة المتكلم تظل ركنا أساسيا في تداوليته(4). لنخلص أن للمتكلم دورا بارزا في تحديد المعنى المرتبط بما يقصده في خطابه .

و لمعرفة هذا المقصد علينا أولا تتبع الوقائع التاريخية لتقافة الإمام علي (رضي الله عنه)، و التي يمكن حصرها في خطاب نهج البلاغة في ثلاث مراحل أساسية : حياة الإمام علي (رضي الله عنه) في عهد الرسول (ﷺ) ، فهي المدرسة الأولى و الرافد المهم و المحوري في التأسيس الهوياتي للإمام قبل البعثة و بعدها ، و ما أحدثه الإسلام من تغيرات جذرية في كثير من مناحي الحياة ، ثم تلي مرحلة ما بعد وفاة الرسول (ﷺ) في خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب و عثمان بن عفان (رضي الله عنهم أجمعين) و أخيرا خلافته

1 _ حسن محمد حماد . تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1 ، سنة 1998 ، ص:35

2 _ محمود أحمد، نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:22 وما بعدها.

3 _ ينظر: طه عبد الرحمان . اللسان والميزان، ص:214

4 _ عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب، ص:47

كشف السياق العام و الاستراتيجيات الإقناعية

(ﷺ) و ما وقع فيها من أحداث سياسية و فكرية طرأت في هذه المرحلة ، و حتى نتمكن من رصد كل هذه المكونات الثقافية من [الأنا و الآخر و العالم] ؛سنستعين برسم مخطوطة تبين لنا أهم الأحداث التاريخية و التجربة الحضارية للإمام علي في كتاب نهج البلاغة.

مخطط لرصد المكونات الثقافية و التجربة الحضارية للإمام علي في كتابه نهج البلاغة

الإمام علي (ﷺ)

بعد وفاة الرسول (ﷺ)	بعد مقتل الخليفة عثمان (ﷺ)	في حياة الرسول ﷺ
الإعتزال و الزهد و التقوى و التعلم و التعليم و التوجيه و النصح	الإمام علي (ﷺ) خلافة أحداث : الكوفة ، البصرة صفيين..	التأسيس الهوياتي
دراسة القرآن و الحديث، إستخلاص العبرة و الحكم ، الزهد ، في للقضاء والشورى الإمام بأوضاع المسلمين ، الإلتزام بالمنهج العمدى	القضاء على الفتن ، تصحيح الإنحراف الفكري ، مع خصومه و معارضيه أحداث موقعة الجمل و صفيين ، قتال الخوارج ، في الدعوة إلى إلتزام الشرع...	- نسبه الشريف ، ملازمته الرسول(ص) ، قوة الذاكرة حفظ القرآن و الحديث أخلاقه و شجاعته ، فضائله...
- النص الفقهي القضائي - الحكم و المواعظ - النص الحجاجي	- النص الجهادي - ملاحم أدبية - النص الفقهي - النص الوصفي - النص الحجاجي	- النص العقائدي - الحكم و المواعظ - النص الفخري الروحي - الإستدلال
الخطب و الحكم و الوصايا و الرسائل		
جامع النص : (نهج البلاغة)		

فالمرسل أو المتكلم أو الباعث هو الإمام علي (ﷺ) ، الذي تحدر من أكرم المناسب ، وانتمى إلى أطيح الأعراق ، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش ، ووجهه عبد المطلب أمير مكة وسيد البطحاء ثم هو قبل ذلك من هامات بني هاشم وأعيانهم ، وبنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ : " ملح الأرض وزينة الدنيا ، وحلى العالم ، والسنام الأضخم ، والكامل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم وسر كل

عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، و المغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم وينبوع العلم ..
 "(1)، واختص بقرابته القريبة من الرسول (ﷺ)، فكان ابن عمه ،و زوج ابنته وأحب عترته إليه ، كما
 كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس إلى فصاحته و بلاغته ، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه ، أسلم على يديه
 صبيا قبل أن يمس قلبه عقيدة سابقة ، أو يخالط عقله شوب من شرك موروث ، ولازمه فتيا يافعا ، في
 غدوه ورواحه ،وسلمه وحره ، حتى تخلق بأخلاقه ، واتسم بصفاته ، وفقه عنه الدين ، وثقف ما نزل به
 الروح الأمين ، فكان من أفضه أصحابه و أقضاهم ، وأحفظهم وأوعاهم ، وأدقهم في الفتيا، وأقربهم إلى
 الصواب ، وحتى قال فيه عمر : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن ،وكانت حياته كلها مفعمة
 بالأحداث ، مليئة بحلائل الأمور ، فعلي في عهد الرسول ﷺ ناضل المشركين واليهود ، فكان فارس
 الحلبة ومشعر الميدان ، صليب النبع جميع الفؤاد.."(2) ، وهو أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل
 العلم ، تربى في حجر النبي ﷺ وكفالته ، ولم يفارقه ، وشهد معه المشاهد كلها، وكان لواء المهاجرين
 في يده في أكثر المشاهد، و لم يشهد غزوة تبوك ، وقد قال له النبي ﷺ (ألا ترى أن تكون مني
 بمنزلة هارون من موسى) و لما آخى النبي (ﷺ) بين المهاجرين و الأنصار قال لعلي : (أنت أخي)
 (3) ،مما يبين رفعة الإمام علي و علو شأنه.

عُرِفَ الإمامُ علي ب[الوصي]، و يظهر هذا الموضوع خاصة في خطبة له(عليه السلام) المعروفة
 بالشَّقْشِقِيَّة (*) وتشمّل على [الشكوى من أمر الخلافة، ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له]" دعي
 بهذه الصفة بعد وفاة الرسول ﷺ من قبل شيعته. وهي تعني وصية الرسول (ﷺ) له بالخلافة .

1 _ مقدمة شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد. ص:54

2 _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

3 _ الأشعري. مقالات الإسلاميين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دارالحداثة، ط2 ، 1985م، ص ص: 5554

* _ هذه الخطبة أسألت كثيرا من الحبر بين شراح النهج بين مثبت للخطبة و بين مشكك لها ونورد هنا تعليقا للشيخ
 إسماعيل حريري يقول في مضمونها: ""..إن في هذه الخطبة ما يتعلق بالغرض المنشود من الشرح حيث وجه كلامه بثلاث
 اتجاهات أولا: إثبات أن خلافة رسول الله ﷺ هي حق ثابت له ﷺ بكل المعايير سواء قلنا بالنص أم لا. ثانيا: إثبات أن
 من تقدمه لم يكن يملك من الفضائل و المرجحات ما يجعله يتولى مسؤولية خلافة رسول الله ﷺ و يحكم باسمه ،بل فيه ما
 يمنع من تولي هذا الموقع الحساس . ثالثا: إثبات أن الطريقة التي تم بها تنصيب كل من سبقه ليست طريقة شرعية على
 الإطلاق ، بل هي طريقة مزاجية لها خلفيات معينة لا تمت إلى الشرع و الشريعة بصلة ،لذا كانت عاقبة الذين خالفوه و
 حاربوه عاقبة من أراد الفساد و العلو في الأرض ينظر: الشيخ إسماعيل حريري العاملي . إثبات الوصية في شرح الخطبة
 الشَّقْشِقِيَّة ، دار الولاية . ط1. بيروت . لبنان . 1424هـ 2003م ص:10

أما مولده و الظاهر أن أغلب الروايات ترجح أنه كان ابن عشر سنين حين أظهر النبي (ﷺ) دعوته⁽¹⁾ يقول عباس العقاد "ولد علي داخل الكعبة _ كرم الله و جهه _ عن السجود لأصنامها فكأنما كان ميلاده ، ثمة إيذانا بعهد جديد للكعبة و للعبادة فيها. و كاد علي أن يولد مسلماً، بل لقد ولد مسلماً على التحقيق، إذا نظرنا إلى ميلاد العقيدة و الروح، لأنه فتح عينيه على الإسلام ، و لم يعرف قط عبادة الأصنام .. و قد رأينا الغرباء يحبون محمداً و يؤثرونه على آبائهم و ذويهم، فلا جرم أن يحبه هذا الحب من يجمعه به جدو يجمعه به بيت، و يجمعه به جميل معروف جميل أبي طالب.."⁽²⁾ لقد تربي الإمام علي (ﷺ) في بيت النبوة و في حجر رسول الله (ﷺ) و عمره ست سنوات ،يسدي إليه النبي (ﷺ) من إحسانه و شفقتة و بره و حسن تربيته في ما وهبه الله له - لرسوله - من إمكانيات عقلية و نفسية و جسدية بالإضافة إلى النبوة و الوحي، حتى يتمكن من تحمل تبعات الدعوة الإسلامية ، لقد تنشق الإمام علي الخلق المحمدي العظيم مع الهواء، ملازماً له ملازمة الظل لصاحبه فذاق حلاوة الإسلام منذ طفولته ؛ فهو أول صبي يدخل الإسلام و يتربي في حضنه ، فأدرك بالمحسوس إرهابات النبوة الأولى و أعراض تباشيرها . يقول ﷺ: ".... وقد علمتم موضعي من ﷺ ، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وانا وليد يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خبطة في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر أمه.."⁽³⁾ فكان الرسول (ﷺ) للإمام علي بمثابة الأب و المعلم، وكانت له أمنا خديجة (ض) بمثابة الأم وبيتهما بمثابة المدرسة ، إضافة إلى أن الإمام علي (ﷺ) زوج فاطمة بنت الرسول (ﷺ)، و فوق كل ذلك فهو من آل البيت الذين طهرهم الله، و أبعد الرجس عنهم.

أما صفات الإمام و أخلاقه فنجد الشجاعة عند الإمام علي، مضرب للمثل، فقد خاض غمرات

1 _ ديوان الإمام علي ، شرح علي مهدي زيتون ، دار الجيل بيروت، د طلات، ص:8

2 _ عباس محمود العقاد.عبقرية الإمام علي ، ص:4039

3 _ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ابن أبي الحديد، ج13، خ238، ص:197

الموت في كثير من جوانبها حتى قيل فيه " إن عليا لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه،" (1) و أول ما عرف من شجاعته مبيته موضع الرسول (ﷺ)، ليلة الهجرة، و ما يمثل ذلك من خطر قتله. فما تزعزع قلبه لذلك، ثم تلتها غزوة بدر و غزوات أخرى، و كثير من المشاهد كان فيها الإمام " علما لا يخفى مكانه، يبارز الأقران فلا يقفون له، و يفرق الجماعات بشدة هجماته،" (*) ، وقد قال (ﷺ) في جهاده: "ولقد كنا مع رسول الله (ﷺ) نقتل أباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا و تسليما و مضيا على اللقم" (2)، و صبرا على مضمض الألم و جدا على جهاد العدو، و لقد كان الرجل منا ، و الآخر من عدونا، يتصاولان يتصاول الفحلين ، يتخالسان أنفسهما، أيهما يسقي صاحبه كأس المنون... فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت و أنزل علينا النصر" (2)، أما روافده الدينية فقد كان ولا يزال مصدراً سخياً، من مصادر الإلهام الشعري، و الأدبي و الفكري، و الروحي، و العقائدي، لدى الكثير من الناس، خاصة المسلمين منهم من بداية صدر الإسلام إلى وقتنا الحاضر.

نتج عن ذلك الإلهام أعمالاً أدبية عظيمة وخالدة. و حتى نتعرف على شخصية الإمام علي يجدر بنا معرفة مرجعيات الإمام و خلفياته الثقافية، و مرجعياته الدينية، كما يقول رولان بارث: " إن النص مصنوع من كتابات مضاعفة ، و هو نتيجة لثقافات متعددة تدخل كلها في حوار و محاكاة" (3) فعندما نريد أن نفهم نصا من النصوص يتضمن رأيا في الإنسان، و في مصيره" يجب علينا أولاً أن نفهم الثقافة التي صدر عنها هذا النص، ثم يجب علينا ثانياً أن نفهم الواقع التاريخي الذي صدر فيه النص، فإذا تم لنا من ذلك ما أردنا وضعنا النص في إطاره التاريخي الخاص و أحطناه بظروفه النفسية المعينة و فسرناه

1 _ محمد الخضري بك . محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ج2، مطبعة الإستقامة، مصر، 1354هـ، ص:72
* _ الشجاعة : فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ، و محا اسم من يأتي بعده ، و مقاماته في الحرب مشهورة يضرب بها الامثال إلى يوم القيامة ، وهو الشجاع الذي ما فر قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحدا إلا قتله ، ولا ضرب ، ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما ، قال له عمرو : لقد أنصفك ، فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم ! أ تأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي ! وكانت العرب تتختر بوقوفها في الحرب في مقابلته ، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر ، قالت أخت عمرو بن عبد ود ثريته : لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت في الابد . ينظر : نهج البلاغة شرح ابن أبي

الحديد ج1، ص:20

* _ على جادة الطريق

2 _ لإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج4، خ55، ص:34

3 _ رولان بارث. نقد و حقيقة الأعمال الكاملة ، ص:215

من وجهة نظر الثقافة التي ألهمت قائله، فحينئذ يتهيأ لنا أن نفهم النص فهما صحيحاً.⁽¹⁾ و أول ما نبداً به من الروافد.

أ. روافد الإمام من الحضارة الإسلامية:

كان ولا يزال التراث الإسلامي مصدراً سخياً، من مصادر الإلهام الشعري، و الأدبي و الفكري والروحي، و العقائدي، لدى الكثير من الناس، خاصة المسلمين منهم، من بداية صدر الإسلام إلى وقتنا الحاضر، بل إلى أن يرث الله الأرض و من عليها. فقد نتج عن ذلك الإلهام أعمالاً أدبية عظيمة وخالدة. وهذا ما نحاول معرفته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي (عليه السلام). مع التركيز في هذه الدراسة خاصة في الخطب الإقناعية.

لقد امتلكت الحضارة الإسلامية مميزات تختلف عن كل الحضارات السابقة؛ لأن حضارة أي أمة إنما هي ناتجة و منبثقة عن أفكار عقيدتها أو فلسفتها الخاصة التي تؤمن بها، و تعمل على إحيائها و التي تمثل وجهة نظرها في الحياة، فهي مصدر بقائها و رمز شخصيتها و هذا هو سر اختلاف الحضارات و تمايزها، يقول مصطفى السباعي: "فإن الحضارة الإسلامية تختلف عن غيرها من الحضارات سواء القديمة منها كالإغريقية و الهندية، أو غيرها كالحضارة الغربية، و على هذا فإن القول بوحدة الحضارة الإسلامية و سائر الحضارات قول خاطئ"⁽²⁾ فالحضارة الإسلامية إذا ليست مكتملة ولا متممة للحضارات القديمة، فهي تقوم على أساس عقيدة التوحيد و على إدراك صلة الإنسان بخالقه و هذه العقيدة تجعل رضوان الله غاية للإنسان و هي جسمن الدنيا إلى الآخرة، و هي خصائص مستمدة من الحضارة الإسلامية التي تقوم على: "الوحدانية المطلقة، الاتجاه الإنساني، الاتجاه الأخلاقي في المبادئ والأهداف، التسامح الديني"⁽³⁾. فالرسالة الإسلامية على العموم كما يراها شوقي ضيف، تقوم على ركنين أساسيين هما: [العقيدة و العمل].

بهذه القيم الروحية يقوم الإسلام، فهو ليس فروضاً دينية فحسب بل عبادة و عمل و سلوك قويم و طهارة النفس، فالإسلام كامل متكامل. و قد مضى الصحابة رضوان الله عليهم على هذا النهج الرباني

1 _ محمد مهدي شمس الدين . دراسات في نهج البلاغة ، مكتبة الروضة الحيدرية، دار الزهراء للطباعة و النشر لبنان: ط2، 1392هـ/1972م، ص:202.

2 _ عز الدين الخطيب التميمي و مجموعة من الأساتذة . نظرات في الثقافة الإسلامية ، د ط ، دار الشهاب للطباعة و النشر عمار قرفي، باتنة، الجزائر، دت ، ص:253

3 _ محمد مهدي شمس الدين . نظرات في الثقافة الإسلامية ، ص:253

عقيدة و عملا و سلوكا و في طليعتهم آل البيت الطاهرين ، فقد استمد الإمام علي من هذه الروافد كلها من الحكم الخالدة و الخطب الرفيعة و الوصايا النافعة ، قال عباس محمود العقاد: "آمن الإمام بحكمة الرسول إيمان محبة و تصديق، و لكنه لم يفارق الدنيا حتى كان قد آمن بها تعليما و تطبيقا " (1) و على نفس المنوال قال أيضا: ".ثم سار (علي) في خصومته و خلافته و سياسته على ضوء هذه الأخلاق، فما قارف الأثر، ولا حاول الفرقة، و لا راقب الفرصة، و لا أثار العصبية و لا استخدم المال، و إنما أخلص النيّة للعمرين، و محض النصيحة لعثمان و أعذر بالحجة لمعاوية. و لكن دنيا الفتوح كانت قد أخذت على عهده تتجاهل دين البساطة و الزهد. و لم تعد السياسة الدينية وحدها قادرة على كبح النفوس المفتونة بمال معاوية في الشام، و ثراء الوافدين في العراق، فانتشر أمره و تصعدت خلافته، ثم قتل مظلوما في محرابه، فكان محياه و مماته تاريخا داميا للفصيلة المعذبة و النفس مطمئنة الشهيدة.."(2) . هكذا هي كانت بداية و نهاية إمام له من المجد و الشرف ما يعتز به كل مسلم و قدوة له في مساره العظيم.

إذا كان الإمام لم يقدر له أن يصل إلى الحكم بعد النبي ، فإنه لم ينقطع عن الحياة العامة، بل ساهم فيها مساهمة خصبة، فقد كان أبو بكر ثم عمر ومن بعدهما عثمان لا يسعهم الاستغناء عن آرائه في السياسة والقضاء والحرب، وخاصة في خلافة عثمان، فقد كان فيها على أتم الصلة بالتيارات التي تمخر المجتمع الإسلامي... ولقد كان يرى التوجيهات الدينية العظيمة التي عمل النبي طيلة حياته على إرساء أصولها في المجتمع العربي ، قد فقدت فاعليتها في توجيه حياة الناس. " وكان ﷺ يعرف السبيل الذي يرد الأشياء إلى نصابها، وإنما صار الناس إلى واقعهم هذا لأنهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة التي تهيمن عليهم. فقدوا الثقة بهذه القوة كناصر للمظلوم وخصم للظالم، فراحوا يسعون إلى إقرار حقوقهم"(3) ، قد صرّح بذلك في أول خطابه بعد خلافته، فقال ﷺ: "أيها الناس ! إني رجل منكم لي ما لكم وعلي ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمر به، ألا وإن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال فإن الحق لا يبطله شيء، ولو وجدت قد تزوج به النساء، وملك الإماء، وفرق في البلدان لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق

1 _ عباس محمود العقاد. عبقرية الإمام علي ، ص:143

2 _ المرجع نفسه: ص:97

3 _ محمد مهدي شمس الدين . دراسات في نهج البلاغة ، ص:206

عليه الحق فالجور عليه أضييق"⁽¹⁾. بهذا التصريح نجد أن الإمام قد وضع للمتلقي المنهاج الذي سيسر فيه في خلافته عليه السلام و بين للمتلقي الطريقة التي سيسلكها .

كل هذه المزايا و الخصائص مجتمعة ، مكنت للإمام علي من وجوه البيان و البلاغة وألهمته أسمى المعاني و أشرفها ، و أكرم المواقف وأعزها ، فعلى لسانه تدفقت أروع الخطب ، وأجمل الرسائل وأنفع الوصايا ، بالإضافة إلى الحكم الصائبة ، والمعنى الواضح واللفظ العذب.

ب. السلطة المعنوية للمرسل:

توفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة الحادية عشر هجري، و القرآن إما مدون على أمثال هذه الصحف(جريد النخل واللخاف وهي الحجارة العريضة البيضاء) ،أو محفوظ في صدور حفظته(القراء) و كان أكثر الناس عناية به على عهد النبي " علي بن أبي طالب،و عبد الله بن مسعود و أبو الدرداء و معاذ بن جبل، وثابت بن زيد، و أبي بن كعب وغيرهم"⁽²⁾ ، لقد اكتسب الإمام علي فوائد جمة من القرآن الكريم ما لا يعد و لا يحصى ، و منها على سبيل المثال لا الحصر: " علم الطريقة ^(*) و الحقيقة و أحوال التصوف"⁽³⁾، ومنها علم النحو في اللغة العربية ^(*) الذي يقدر البعض أنه أول من ابتدعه و أنشأه حين أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه، و أصوله، إذ يقال في ذلك ما رواه ابن الحديد: " لعل أهم ما يتصف به علي (عليه السلام) علمه حيث ينسب إليه [علم الكلام]. حيث عده المعتزلة في طبقتهم الأولى كما أن المعتزلة و الأشعرية ،و الإمامية، و الزيدية ينتهون بأخرة إلى أستاذ المعتزلة، و معلمهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) و أن أصل [علم الفقه]، و أساسه وكل فقيه في الإسلام هو عيال عليه و مستفيد من فقهه ، أبو حنيفة و الشافعي، و أحمد بن حنبل، و مالك و علماء الشيعة سواء في أخذهم عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) الذي قرأ عن أبيه إلى أن ينتهي الأمر في كل ذلك إلى علي)

1. * لم يذكر الشريف الرضي هذا النص بتمامه، وإنما ذكره ابن أبي الحديد، وغيره من شراح نهج البلاغة.

ينظر: شرح ابن أبي الحديد. مج2، ج7، ص:171

2 _ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص: 344. 345

* _ هو علم يدرس مناهج الفكر، ومنها مناهج الفهم الديني، ويوضح العلاقة فيما بينها وبين تأسيساتها القبلية، ومن ثم بين هذه التأسيسات وبين الفكر. فهو يمارس التفكير في المنهج لا بالمنهج، ويقوم برصد الممارسة المعرفية من الخارج عبر تحديد ما تستند إليه من الأسس والقواعد والأدوات المنهجية.

3 _ الإمام علي بن أبي طالب. ديوان شعري ، ص:14

* _ من العلوم : علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الاسود الدؤلي جوامعه وأصوله ، من جملتها الكلام كله ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف . ومن جملتها : تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة ، وتقسيم وجوه الاعراب إلى الرفع والنصب والجر والجرم ينظر: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج 1 ، ص:20

عليه السلام). و من العلوم التي عرف بها علي (عليه السلام) [علم تفسير القرآن(*)] الذي أخذ عنه، و عن ابن عباس الذي طالت ملازمته له، و انقطاعه إليه بصفته تلميذا له. و هو يقر بأن علمه من علم ابن عمه " (1) ففي وصف له وهو يذكر تتلمذه على يد الرسول الأكرم (عليه السلام) يقول الإمام علي في خطبة القاصعة (عليه السلام): "يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ عِلْمًا مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالِإِقْتِدَاءِ بِهِ. وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءٍ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاحِدٌ يَوْمًا فِي الْأَسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَخَدِيجَةَ وَأَنَا نَالْتُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشْمُ رِيحَ النُّبُوءَةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ (ﷺ) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آسَى مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ" (2)؛ أي أنّ الرسول (ﷺ) يقول: إنّ رنة الشيطان هذه هي حسرته أطلقها بعد أن عرف أنّه لا يعبد في مكان يكون للوحي والنبوة والرسالة نفوذ، هكذا علم الرسول (ﷺ)، علياً (عليه السلام).

أمّا الإمام علي (عليه السلام) نفسه فيقول: "يُنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ." وعبارة هذه هي من العبارات المعروفة في الخطبة الشقشقية حيث يصف الإمام (عليه السلام) نفسه فيها بأنّه جبل شاهق تتحدر عنه العلوم، وطبيعي أنّّه لا ينحدر السيل عن كلّ جبل إلا إذا كان مرتفعاً؛ فهو يرى أنّ لا قدرة لطائر ذروته وقمته، ولا قدرة للفكر البشري الاعتيادي أن يصل إلى المقام العالي الذي وصله (عليه السلام)، وتتحدر كانهدار السيل، لذا لا قدرة للأفراد الاعتياديين على هضمها واستيعابها، ولما لم يكن الوقوف أمام السيل ميسوراً فإنّه لا بدّ من الاستفادة من أطرافه وحوافه.

أمّا مقامه العلمي (*) الرفيع فيقول عنه: (عليه السلام) "أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقُدُونِي، فَلَنَا بِطُرُقِ

* _ العبادَة : فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاة وصوما ، ومنه تعلم الناس صلاة الليل ، وملازمة الاوراد وقيام النافلة
...وأما الرأي والتدبير : فكان من أسد الناس رأياً ، وأصحهم تدبيراً ، وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار ... وهو الذي أشار على عثمان بأمر كان صلاحه فيها ، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث . وإنما قال أعداؤه : لا رأي له لانه كان متقيدا بالشرعية لا يرى خلافها ، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه .
وقد قال عليه السلام : لو لا الدين والتقى لكنت أدهى العرب . ينظر: نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد ، ج1 ، ص:2827

1 _ الإمام علي بن أبي طالب. ديوان شعري، ص ص: 15.14

2 _ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد ، ج13، خ238، ص:197

* _ قراءته القرآن واشتغاله به : اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول من جمعه ، نقلوا كلهم عليه.... وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه ... هذا الفن

السَّمَاءِ أَغْلَمَ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ" (1) يقول (عليه السلام): "ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثُ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءٌ دَائِكُمْ، وَنَظْمٌ مَا بَيْنَكُمْ" (2) ننظر هنا إلى كلماته يخاطب فيها الناس، وهو قائم مقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعلمهم ويعظمهم ويميل إليهم بإلفاتهم إلى نور الله الذي أستمده من روافده السابقة .

إن الكلام عن فضائل الإمام كثيرة و خير مثال عن فضائله ما نراه في قول ابن سعد في الطبقات عن علم علي (عليه السلام) أن الإمام قال: "و الله ما نزلت آية إلا و قد علمت فيما نزلت ، و أين نزلت ، و على من نزلت، إن ربي وهبني قلبا عقولا و لسانا ناطقا." (3) و عنه أيضا أنه قال: "سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار في سهل أم في جبل. ثم يقول: أَللَّهِمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنْابَ ، و سمع و أجاب . لم يسبقني إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بِالصَّلَاةِ (4) و هذا ما يبين عظمة السلطة المعنوية للإمام ونعمها على المسلمين قديما و حديثا.

إن حكم الإمام علي (عليه السلام) سراج مضيء يستمد نوره من معاني القرآن الكريم و حديث النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) ، كما سنستدل على ذلك من خلال اقتباساته المتنوعة ، فالإمام في حكمه النظرية وفي الحكمة العملية، حكيم بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وأن "حكمته هذه ليست خارجة عن حدود الطاقة البشرية، بل في حدود ما يقوى عليه الإنسان السائر نحو الكمال، وقد بلغ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أرفع مستويات الحكمة." (5) قال (عليه السلام): "إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ، ثم تلا (عليه السلام) : (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي..... ثم قال: إن ولي محمد من أطاع الله و إن بعدت لحكته ، و إن عدو محمد من عصى الله و إن قرّبت قرابته" (6) ، لن يحتاج المتأمل في هذه الكلمات إلى مزيد من تدبّر، كي تتكشف له حقيقة ما يؤديه فعلي الذي ما أقسم بالله إلا صادقا يقول للناس: "إن المسافة التي تفصلكم عن آبائكم الذين كانوا عندما بعث الله نبيّه (صلى الله عليه وآله) يفرقون في متاهات

من الفنون التي تنتهي إليه أيضا ، مثل كثير مما سبق. ينظر: المرجع السابق: نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد ج1 ص:2827

- 1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح وتحقيق فارس الحسون، ص:47
- 2 _ المصدر نفسه:خ: 158 ، ص:342
- 3 _ جبر محمود لفضيالات. القضاء في صدر الإسلام، تاريخه و نماذج منه، دط، شركة الشهاب الجزائر: 1989. ص:98
- 4 _ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها
- 5 _ جوادى أملي . الحكمة عند الإمام علي (عليه السلام) في نهجه ، مكتبة الروضة الحيدرية ، د ت ، د ط ، ص: 97
- 6 _ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج18، ص:251

الضلال، ليست بمسافة بعيدة، وأن رسول الله (ﷺ) قام فيهم، فأزاح عنهم ظلمة الضلال، وأضاء قلوبهم بنور ربّه وكلماته، وإنني الآن أقوم فيكم ذات المقام، وأودي رسالته، أسمعكم ما أسمع النبيّ آباءكم، وأكشف عن بصائرهم".⁽¹⁾ والذي يجرؤ على قول كهذا، لا يكن مدّعياً، وهو على رأس أمم من صحابة النبيّ الله (ﷺ)! كذلك لا يكون المدّعي أن ينفرد بإتيان الناس مذكراً ما كان عليه آباؤهم من جاهلية، ومنفراً إلى الله ورسوله بمثل ما نقرأ عن عليّ. "فاسألوني قبل أن تفقدوني، فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركابها، ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً، ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحوازي الخطوب"⁽²⁾ فالذي أنجزه محمد (ﷺ) من تثبيت وترسيخ لمجمل رسالات الله، واجتماع الأديان كلها في دائرة الدين الإسلامي وإقامة البيّنة التي ختم الله فيها جميع الأديان، لهي التي تلفت نظر الإنسان إلى الذي ييوح به عليّ (رضي الله عنه)، فهو العارف بما عرفه رسول الله (ﷺ) وقد شقّ عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) بمثل هذه المعارف الطريق الذي رسمت فيما بعده المدارس الكلامية مناهجها؛ فأثرت في تراث الإنسانية مخزوناً عظيماً من الكتب والبحوث العقائدية والفلسفية، استمدها من المدرسة المحمدية و المنهج الرباني وأراد تثبيتها في نفوس الناس من العواصف التي أوشكت أن تعصف بهم، فقد قال (رضي الله عنه): "لا يزيدني كثرة الناس حولي عزّة، ولا تفرّقهم عني وحشة"⁽³⁾ ونختم هذا بوصيته (رضي الله عنه): "واعلم . يا بني . أنك إنما خلقت للأخرة لا للدنيا، وللغناء لا للبقاء، وللموت لا للحياة، وأنك في منزل قلعة، ودار بلغة، وطريق إلى الآخرة... وإياك أن تغتر بما ترى من أخلاق أهل الدنيا إليها وتكالبهم عليها، فقد نبأك الله عنها... فإنما أهلها كلاب عاوية، وسباع ضارية، يهرّ بعضها بعضاً يأكل عزيزها ذليلها... سلكت بهم الدنيا طريق العمى، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى"⁽⁴⁾ وقد وردت كثير من الأحاديث في فضله مدونة في عدة مصادر منها ما جمعها السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء نرد منها ما يأتي:

1 _ الامام علي . نهج البلاغة، شرح فارس الحسون، خ88، ص:177

2 _ الامام علي . نهج البلاغة. شرح ابن ابي الحديد، ج7، خ 92، ص:45

3 _ المصدر نفسه : ج3، ص:96

4 _ المصدر نفسه : ج16، ص:89

المحتوى : فضل الإمام علي	المرجع
_ قال رسول الله (ﷺ): «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت باب المدينة».	_ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ترجمة الإمام علي بن أبي طالب: ج42 ص378، الرقم 8976
_ سئل علي(عليه السلام) عن هذه الآية: (فاسألوا أهل الذكر..) سورة الأنبياء: 7. فقال: «والله إننا لنحن أهل الذكر، نحن أهل العلم، ونحن معدن التأويل والتنزيل، ولقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها»	_ الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج1 ص432، الرقم: 459:
_ قال رسول الله (ﷺ): «أنا دار الحكمة وعليّ بابها. وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله (ﷺ) ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين فقال (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا) سورة الأحزاب: 33،.	_ الترمذي في سننه: ج5 ص637، كتاب المناقب، ب19، مناقب علي بن أبي طالب، الحديث 3723:
_ «تصدّق عليّ... بخاتمه وهو راعح، فقال النبي (صلى الله عليه وآله) للسائل: من أعطاك هذا الخاتم؟ قال: ذاك الراكح، فأنزل الله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) الآية: سورة المائدة: 55	_ الترمذي في سننه: ج5 ص632. الحديث 3712 كتاب المناقب ب19، مناقب علي بن أبي طالب..السيوطي في الدر المنثور: ج2 ص293: عن ابن عباس قال
_ «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض» ⁽¹⁾	_ احمد بن حنبل في مسنده: الحديث 20596. حسب ترقيم العالمية. مسند الانصار، حديث زيد بن ثابت عن النبي (ﷺ)
_ «من صام يوم ثمانى عشرة خلت من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم لما أخذ رسول الله (ﷺ) بيد علي... فقال: ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا عليّ بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن، فأنزل الله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم*)» ²	_ ابن المغازلي في مناقب عليّ بن أبي طالب... ص1918 الرقم: 24. عن أبي هريرة قال:

يقول في ذلك أحمد بن حنبل(ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) من الفضائل ما ورد لعلي (عليه السلام) أخرجه الحاكم (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي(ت911هـ)) و قد أورد في كتابه تاريخ

1 _ السيوطي . تاريخ الخلفاء، ص :من 124إلى 127

2 _ المصدر نفسه، الصفحة نفسها

* _ سورة المائدة: الآية 3.

الخلفاء⁽¹⁾ ستة وثلاثون حديثاً تتضمن فضل الإمام علي وهي تتوافق في معظمها مع ما ذكره ابن المغازلي في كتابه (مناقب علي بن أبي طالب) .

ج. مقتل الإمام علي (رضي الله عنه):

اجتمع ثلاث نفر من الخوارج و هم:"(عبد الرحمن بن ملجم، و البرك بن عبد الله، و عمرو بن بكر التميمي) - لعنهم الله - فتذاكروا أمر الناس و عابوا و لاتهم ، و التمسوا قتلهم فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، و قال عمرو بن بكر: و أنا أكفيكم عمر بن العاص. فتعاهدوا و تواتقوا بالله أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه ، فأخذوا أسيافهم فسموها و اتعدوا لسبع عشرة تلو من رمضان سنة (40هـ) أن يثب كل على صاحبه الذي توجه إليه"⁽²⁾ ، و لما كانت ليلة الجمعة (15 رمضان سنة 40هـ) ترصد عبد الرحمن بن ملجم⁽³⁾ في مسجد الكوفة للإمام علي حتى خرج يريد صلاة الصبح ، فضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف، ففزع الذين كانوا بالمسجد للصلاة، و علي يقول :لا يفتكم الرجل . فشد عليه الناس من كل جانب و أخذوه و دخل الناس على علي فقالوا له: إن فقدناك و لا نفقدك فنبايح الحسن، فقال : ما أمركم أنتم أبصر. ثم أوصى أولاده، و في يوم الأحد (17 رمضان سنة 40هـ) توفي بعد أن مضى على خلافته أربع سنين و تسعة أشهر إلا أيام ، و دفن بالكوفة التي كانت حاضرة خلافته⁽⁴⁾ . و من كلامه (عليه السلام) قبل موته⁽⁵⁾ : " أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ أَمْرٍ لَاقٍ بِمَا يَفْعُرُ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ. كَمْ أَطْرَدْتُ، الْإَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونٍ هَذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ، هَيْهَاتَ! عَلِمَ مَخْرُؤُنْ! أَمَا وَصِيَّتِي: فَاللَّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّدًا فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ

1 _ السيوطي . تاريخ الخلفاء، ص :124 إلى 127

2 _ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص: 265

3 _ عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدولي الحميري، .. أدرك الجاهلية و هاجر في خلافة عمر .. . كان من شيعة علي بن أبي طالب (رض) و شهد معه صفين ثم خرج عليه ، فاتفق مع " البرك " و عمر بن بكر على قتل علي و معاوية و عمر بن العاص في ليلة (17 رمضان) و تعهد " البرك " بقتل معاوية ، و " عمر بن بكر " بقتل عمر بن العاص و تعهد بن ملجم بقتل علي... فضربه ابن ملجم فأصاب مقدمة رأسه (عليه السلام) ... توفي علي (ع) من أثر الجرح.

ينظر: الزركلي ، الأعلام ، ط14، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1999 ، ج 3 ، ص:339

4 _ محمد الخضري بك . محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص: 265

4 _ الإمام علي. نهج البلاغة . تحقيق فارس الحسون ، خ 149 ، ص: 318

5 _ المصدر نفسه: خ 149 ، ص: 318

المُصْبَاحِينَ، وَخَلَائِكُمْ نَدَمٌ⁽¹⁾ مَا لَمْ تَشْرُدُوا⁽²⁾، حُمِلَ كُلُّ امْرِئٍ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهْلَةِ، رَبِّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَعَدَاً مُفَارِقُكُمْ! عَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ! إِنْ تَثُبَّتِ الْوِطْأَةُ⁽³⁾ فِي هَذِهِ الْمَرْزَلَةِ⁽⁴⁾ فَذَاكَ، وَإِنْ تَدَحَّضَ الْقَدَمُ⁽⁵⁾ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ⁽⁶⁾ أَعْصَانِ، وَمَهَابِ رِيَاحٍ، وَتَحْتِ ظِلِّ غَمَامٍ، اِضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا⁽⁷⁾، وَعَفَا⁽⁸⁾ فِي الْأَرْضِ مَحْطُّهَا⁽⁹⁾. وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمُ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتَعْقُبُونَ مِنِّي جُنَّةً خَلَاءَ⁽¹⁰⁾ سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَكَ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ لِيِعْظَمَكُمْ هُدُوءِي، وَخُفُوتِ إِطْرَاقِي، وَسُكُونِ أَطْرَاقِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمُنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِيكُمْ وَدَاعِ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي! عَدَاً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوقِ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي."



قبر الإمام علي بالنجف من الداخل.

- 1 _ خَلَائِكُمْ نَدَمٌ: برئتم من الذم.
- 2 _ تَشْرُدُوا: كتنصروا. أي: تتفروا وتميلوا عن الحق.
- 3 _ إِنْ تَثُبَّتِ الْوِطْأَةُ: يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه.
- 4 _ الْمَرْزَلَةُ: محل الزل.
- 5 _ دَحَّضَتِ الْقَدَمُ: رَلَّتْ وَرَلَقَتْ.
- 6 _ جَمْعُ فَيْءٍ: وهو الظل ينسخ ضوء الشمس عن بعض الامكنة.
- 7 _ مُتَلَفِّقُهَا: بفتح الفاء: مجتمعا، أي ما اجتمع من الغيوم في الجو، والتلفيق: الجمع.
- 8 _ عَفَا: اندرس وذهب.
- 9 _ مَحْطُّهَا: أثر ما حطت في الارض.
- 10 _ جُنَّةً خَلَاءَ: خالية من الروح

2. السياق العام لإرسال الخطاب:

ما نقصده هنا من السياق العام ، هو ما يشمل كل الوقائع الخارجية و الداخلية من الظروف الزمانية و المكانية التي احاطت بالخطاب، و" هو الإطار العام الذي يسهم في ترجيح أدوات بعينها و اختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام و الفهم بين طرفي الخطاب"⁽¹⁾ ، و أهم ما وقع من الأحداث في حياة الإمام علي قضية اختلاف المسلمين نجدها في ما يلي .

أ. بعد وفاة الرسول (ﷺ):

الإختلاف الذي عرفه المسلمون و الذي يعتبره الكثير من المؤرخين الأكثر خطورة بعد وفاته (ﷺ) ، إذ يقول الإمام أبي الحسن الأشعري : "و أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين . بعد نبينهم (ﷺ) . اختلافهم في الإمامة، وذلك أن رسول الله (ﷺ) لما قبضه الله عزّ و جلّ، و نقله إلى جنته و دار كرامته، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة (*) بمدينة الرسول (ﷺ)، وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عباد، و بلغ ذلك (أبا بكر و عمر) رضوان الله عليهما ، نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين....ثم بايعوا أبا بكر .. و لم يحدث خلاف غيره في حياة أبي بكر و أيام عمر إلى أن ولي عثمان بن عفان (رضوان الله عليه أجمعين)"⁽²⁾. نستدل بذلك بقول الإمام (ﷺ) لَمَّا عَزَمُوا عَلَى بَيْعَةِ عِثْمَانَ (3) لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَ وَاللَّهِ لَأَسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً أَلْتَمَسَا لِجَرِّ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَرُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرَفِهِ وَزِبْرَجِهِ (1) .

و هذا الخطاب يلمح إلى ذلك الحدث و ذلك الإختلاف مبديا رأي الإمام في ما حدث.

1 _ المرجع السابق : استراتيجيات الخطاب: ص:10

* _ (حديث السقيفة) اختلفت الروايات في قصة السقيفة ، فالذي تقوله الشيعة - وقد قال قوم من المحدثين ان عليا (ﷺ) امتنع من البيعة حتى اخرج كرها ، وان الزبير بن العوام امتنع من البيعة وقال : لا ابايع الا عليا (ﷺ) ، وكذلك أبو سفيان ابن حرب ، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وجميع بنى هاشم ، وقالوا : إن الزبير شهر سيفه فلما جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم ، قال في جملة ما قال : خذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر . ويقال : انه اخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجرا فكسره ، وساقهم كلهم بين يديه إلى أبي بكر فحملهم على بيعته ولم يتخلف إلا علي (ﷺ) وحده ، فانه اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام ، فتحاموا إخراجها منه قسرا وقامت فاطمة عليها السلام إلى باب البيت فاسمعت من جاء يطلبه ، فتفرقوا وعلمو انه بمفرده لا يضر شيئا ، فتركوه . وقيل : أنهم أخرجوه فيمن اخرج وحمل إلى أبي بكر فبايعه . وقد روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيرا من هذا .. ينظر المرجع السابق: شرح ابن أبي حديد ، ج 2 ، ص:221

1 _ الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري . مقالات الإسلاميين ، ص:59

3 _ الإمام علي. نهج البلاغة شرح و تحقيق فارس الحسون ،الخطبة 73، ص:136

ب. في خلافة عثمان (رضي الله عنه) :

مهما يكن فإن الإمام لم ينقطع عن الحياة العامة، بل ساهم فيها مساهمة خصبة، و فعالة فقد كان أبو بكر ثم عمر ومن بعدهما عثمان - رضي الله عنهم - لا يسعهم الاستغناء عن آرائه في السياسة والقضاء والحرب، وخاصة في خلافة عثمان (رضي الله عنه). و سنركز في بحثنا هذا على الخليفة الثالث لما فيها من أحداث انعكست في ما بعد على انفلات الأمور و كثرة الفتن و الصراعات، عمل الإمام علي في خلافته على أخمادها بشتى الوسائل فبرزت بقوة في خطابه بكل وضوح.

لقد كتب كثير من المؤرخين على حقبة خلافة عثمان و ما وقع فيها من أحداث ، و كل يستند إلى تبريرات منهم من يبرئ الخليفة و منهم من يحمله تردي الأوضاع الإجتماعية ؛ بسبب سوء التسيير و المحاباة، و منهم من يرجعها إلى فتنة أثارها أعداء المسلمين. و قد أشار بعض المؤرخين فذكروا بعض سليات الخليفة الثالث (رضي الله عنه) أنه: "ولى على البلدان الإسلامية شبانا من بني أمية، لا يحسنون الحكم ولا السياسة، ذوي روح تسلطية عاتية، لم ينل منها الإسلام شيئا مذكورا. وهكذا كونت هذه الطبقة طبقة أريستوقراطية من الأغنياء المترفين الذين لا تزال تعتمل في صدورهم القيم البدوية الجاهلية." (1) و كان لذلك آثار سلبية على المجتمع، حيث تضخمت الفروق بين الطبقات تضخما كبيرا من الناحية المادية والمعنوية. و قد يكون هؤلاء الانتهازيون استغلوا طيبة الخليفة عثمان المعروف عنه بالحياء واللين ، في جاهليته و في إسلامه حتى قال في حقه (رضي الله عنه): "إن الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله و رسوله " (2) ، وفي خضم هذه الأحداث و مع هذا الإختلاف ، جاء الناس إلى الإمام يطلبون منه أن يلي الحكم ولكنه أبى عليهم ذلك، في قوله (رضي الله عنه): "دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت ، واعلموا أي إن أحببتم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً" (3) يظهر من الخطاب أن الإمام علي على دراية كبيرة و بالتفاصيل الدقيقة، لما وصلت إليه الحياة العامة من احتقان في خلافة عثمان ؛ فقد كان فيها الإمام علي دراية بالتيارات التي تمخر المجتمع الإسلامي ، و التي كانت تحيط بالخليفة عثمان (رضي الله عنه)، يقول ابن حديد في ذلك: "وكان (رضي الله عنه) يعرف السبيل الذي يرد

1 _ دراسات في نهج البلاغة ، ص: 203

2 _ السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص: 112

3 _ لامام علي . نهج البلاغة، شرح و تحقيق فارس الحسنون، ص: 90.

الأشياء إلى نصابها، وإنما صار الناس إلى واقعهم هذا ؛ لأنهم فقدوا الثقة بالقوة الحاكمة التي تهيم عليهم، فقدوا الثقة بهذه القوة كناصر للمظلوم وخصم للظالم، فراحوا يسعون إلى إقرار حقوقهم وصيانتها بأنفسهم. وهكذا، رويدا رويدا انقطعت الصلة بينهم وبين الرموز المعنوية التي يجب أن تقود حياتهم. (1)

لنخلص أنه كان يمكن تفادي هذه الأحداث الأليمة و هذه الفتن الملتبهة لو أن الخليفة عثمان رضي الله عنه ، أخذ بالمشورة و بنصيحة الإمام علي .

ج. ظروف مبايعة الإمام علي (عليه السلام):

لما قتل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) في (18 من ذي الحجة سنة 35هـ) على الأرجح في فتنة كان لها الأثر الأكبر في خلافة الإمام علي بعد ذلك ،لقد دأب بعد أن بويع، على بيان الهدف الذي ابتغى من وراء ولاية الحكم ، من أن يصلح ما يفتقر إلى الإصلاح من شؤون الناس، وأن يرفع عن المظلومين الظلم، فتراه يقول: "ولكني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباده خولا والصالحين حربا ، والفاستقين حزبا، فان منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا في الاسلام، وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ.."(2) و هذا الخطاب بمثابة التقرير الأولي عن السياق و الظروف التي استلم فيها الإمام الخلافة.

د. في خلافة الإمام علي :

كانت لخلافة الإمام علي (رضي الله عنه) أحداث (*) يقول فيها ابن أبي حديد: ".. وفي أيام خلافته كانت له أحداث أخرى لقي فيها ما لقي من تفرق الكلمة واختلاف الجماعة وانفصام العروة ما طوى أضالعه على

1 _ المصدر السابق: ص: 206

2 _ المصدر نفسه: ص: 62

* _ حدث الإختلاف في أمر طلحة و الزبير و حربهما أياه، وفي قتال معاوية إياه، وصار علي و معاوية إلى صفين، و قاتله علي حتى انكسرت سيوف الفريقين، ونصلت رماحهم، وذهبت قواهم ، وجثوا على الركب، فوهم بعضهم على بعض.فقال معاوية لعمر بن العاص:يا عمرو، ألم تزعم أنك لم تقع في أمر فضيع فأردت الخروج منه إلا خرجت؟ قال: بلى. قال فما المخرج مما نزل؟ قال له عمرو بن العاص:فلي عليك ألا تخرج مصر من يدي ما بقيت؟ قال: لك ذلك، ولك به عهد الله و ميثاقه. قال:فأمر بالمصاحف ترفع،ثم يقول أهل الشام لأهل العراق:يا أهل العراق،كتاب الله بيننا و بينكم، البقية البقية، فإنه إن أجابك إلى ما تريده خالفه أصحابه، و إن خالفك خالفه أصحابه...فأمر معاوية برفع المصاحف فكانت الوقائع بعد ذلك مثل ما أشار عمرو بن العاص في خديعته . و كانت نتائج ذلك " اختلف أصحاب علي عليه،وقالوا:قال تعالى ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله﴾ لم يقل حاكموهم...فقال علي رضوان الله عليه:قد أبيت عليكم في أول الأمر فأبيتم إلا إجابتهم إلى ما سألوا، فأجبناهم و أعضيناهم العهودو المواثيق، و ليس يسوغ لنا الغدر، فأبوا إلاخلعه و إكفاره بالتحكيم، و خرجوا عليه

الهم والأسى ولاع قلبه بالحزن والشجن ...⁽¹⁾ ، فكانت أول خطبة له في أول خلافته⁽²⁾ ، يقول ﷺ :
 "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا وَاصْذَبُوا عَنْ سَمِّ
 الشَّرِّ تَقْصِدُوا. الْفَرَايِضُ الْفَرَايِضُ! أَدُّوهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ،
 [وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَنْدُحُولٍ] وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالنُّوْجِيدِ حُقُوقَ
 الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ إِيهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَدَى الْمُسْلِمِ إِلَّا
 بِمَا يَجِبُ. بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ أَمُوتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ مِنْ
 خَلْفِكُمْ، تَحَقَّقُوا تَلَحُّفُوا"⁽³⁾ وفي كل ما لقي من أحداث هذه وغيرها ، وما صادف من محن وخطوب ،
 كان الإمام ثابت كالجبل لم يتزعزع إيمانه، و لم يحد عن طريقه و لا عن المنهج الشرعي الذي سلكه.

في خضم هذه الأحداث سيجد الإمام نفسه في مواجهة فتنة مقتل عثمان ، و فتنة اختلاف الناس
 و انقسامهم إلى فرق ، أرادها الكثير من هذه الفرق أن تكون لمآرب دنيوية ، فكان أول سؤال وجيه يوجه
 للإمام علي عن الموضوع، و قد قال له قوم من الصحابة: " لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان؟
 فأجاب في أول كلام له (ﷺ) بعد ما بويح بالخلافة، فقال: " يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ،
 وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَالْقَوْمِ فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوْلِيكُمْ آخِرُكُمْ، الْمُجَلْبُونَ⁽⁴⁾ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا
 نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هُوَلاءِ قَدْ تَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانُكُمْ، وَالتَّفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ وَهُمْ خِلَالُكُمْ، يَسُومُونَكُمْ، مَا شَأُؤُا؛
 وَهَلْ تَرُونَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةِ عَلَى شَيْءٍ، تُرِيدُونَهُ؟! إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ وَإِنَّ لِهَؤُلاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً."⁽⁵⁾

و يقول الإمام بحكمته و قد شخص الأمر وتوصل إلى نتائجها إذ يقول: "إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . إِذَا
 حُرِّكَ . عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى لَا هَذَا وَلَا هَذَا فَاصْبِرُوا حَتَّى
 يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَفْعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُوَخَّذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً فَأَهْدَأُوا عَيْي، وَانظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي

فسموا خوارج لأنهم خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ينظر: أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري . مقالات
 الإسلاميين، ص: 61 إلى 64

1 _ الامام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ص: 60

2 _ المصدر نفسه ، ص: 4

3 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح وتحقيق فارس الحسنون، ص: 378

4 _ المُجَلْبُونَ من أَجَلَبَ عليه: أعانه

5 _ المصدر نفسه: خ 168 ، ص: 376

وَلَا تَفْعَلُوا فَعَلَهُ نَضَعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مِنْهُ، وَتُورِثُ وَهْنَاً وَذِلَّةً. وَسَأْمُسِكُ الأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً فَأَجْرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ".⁽¹⁾ و هو خطاب يبرز مدى عمق المشكل و تشابكه حينها.

لقد حدد الإمام علي (عليه السلام) طريقته و نهجه في الحكم المستمد من الشريعة الإسلامية فور تسلمه السلطة بقوله : " لم تكن بيعتكم إياي فلتة . وليس أمري وأمركم واحد . إني أريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم . أيها الناس أعينوني على أنفسكم و أيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه . ولأقودن الظالم بخزأتمه حتى أوردته منهل الحق وإن كان كارها. " ⁽²⁾ و الإمام بتوضيح هذه الرؤية للرعية إنما يضرب مثلاً رائعاً في الأمانة و المصارحة لهم في مواجهة الأحداث القادمة التي تهدد وحدة الأمة .. والإمام يرفض اغتصاب السلطة والاستسلام للأمر الواقع ⁽³⁾ بقوله : أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أقوامهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه فإن شغب شاغب استعجب فإن أبي قوتل . ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى تحضرها عامة الناس فما إلى ذلك سبيل ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار .⁽⁴⁾ و قد قدم الإمام في ذلك أبلغ الحجج و البراهين . و في تحليل لصالح الوردني رأى أن هناك " أربعة خطوط برزت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) خط آل البيت بقيادة الإمام علي وهو يمثل الإسلام النبوي .. وخط أبو بكر وعمر وهو يمثل الإسلام القبلي (...). وخط عثمان ومعاوية وهو يمثل الإسلام الأموي (...). وخط الخوارج وهو يمثل الإسلام القشري (...). وقد انتهى الإسلام القبلي بمصرع عمر ، وبقيت في الساحة الخطوط الثلاثة الأخرى ..⁽⁵⁾ . و إن كانت هي وجهات رأي ، إلا أن ما يمكن التأكيد منه ، هو أن لهذه الأحداث التاريخية بكل ما لها و عليها ؛ لها انعكاسات كبيرة في العصور و المراحل التي تلتها إلى الآن، وما هذا الصراع الفكري و الثقافي الذي نعائشه على الساحة الإسلامية إلا إنعكاس لذلك المظهر، و لتلك المرحلة ، مما يستلزم لأهل الاختصاص إعادة قراءة التراث بكل موضوعية و حيادية، بما يخدم وحدة الأمة و رقيها.

1 _ المصدر نفسه: خ 168 ، ص:377

2 _ المصدر السابق: خ 143 ، ص:339

3 _ صالح الوردني . السيف و السياسة في الإسلام ،(الصراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي) مطبعة دار الحسام القاهرة ، ط 1 ، 1996 . ص:183

4 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح وتحقيق فارس الحسنون . خ:171، ص:408

5 _ صالح الوردني . السيف و السياسة في الإسلام ، ص:175

رأى علي أن يكون [أول أعماله]، عزل جميع ولاية عثمان خاصة معاوية بن أبي سفيان قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمصار " و إن كان قد حذره (المغيرة بن شعبة) و(ابن عباس)⁽¹⁾ من مغبة التسرع في هذا الأمر ، حتى يستتب الأمر ، إلا أن الإمام علي (رضي الله عنه) قد وقر في نفسه أن هؤلاء الولاة لا يصلحون لتولي أمور المسلمين، و أن بقاء واحدا منهم يوما آخر هو انتقاص من الدين واستخفاف بالعدل، و ظلم للرعية. فقرر أن يفرق عماله على الأمصار فأرسل (عثمان بن حنيف) إلى البصرة و (عمارة بن شهاب) إلى الكوفة، و (عبيد الله بن عباس) إلى اليمن و (قيس بن سعد بن عبادة) إلى مصر و (سهل بن حنيف) إلى الشام ، إلا أن ولاية عثمان بالشام و البصرة و تبوك و مصر رفضوا الاعتزال و لم يسمحوا لعمال الإمام علي بأداء مهامهم. متحججين في ذلك بدم عثمان .

ومن خطبته (عليه السلام) حين بلغه خبر الناكثين بيعته: "ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه و استجلب قلبه، ليعود الجور إلى أوطانه و يرجع الباطل إلى نصابه. و الله ما أنكروا علي منكرًا ، ولا جعلوا بيني و بينهم نصفا. و إنهم ليطلبون حقا هم تركوه، و دما هم سفكوه فلئن كنت شريكهم فيه فئن لهم لنصيبهم منه، و لئن كانوا أولوه دوني فما التبعة إلا عندهم. و إن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم يرتضعون أمّا قد فطمت، و يحيون بدعة قد أميتت ،يا خيبة الداعي ! من دعا و الإمّ أجيب، واني راض بحجة الله عليهم"⁽²⁾ . فوق اضطراب في معظم الأمصار الإسلامية الكبرى، ففي الشام كان معاوية أميراً على الشام ؛ فعلي (رضي الله عنه) يرى أن أول واجباته عزل معاوية عن إمارة الشام، و ليس من السهل لرجل كمعاوية اعتاد الإمارة والعزة، و السياسة المحنكة أن يُعزل بسهولة ، كما أن ليس لعلي (رضي الله عنه) بكل ما عُرف عنه من التقوى و الورع و الالتزام ، أن يهادن شخصا كمعاوية و ما عرفه عنه .

إن عليا مصمم على تطبيق العدل بكل معانيه فمن كلامه له (عليه السلام) فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان (رضي الله عنه): " والله لو وجدته قد تزوج به النساء ، وملك به الاماء ، لرددته ، فإن في العدل سعة . ومن ضاق عليه العدل ، فالجور عليه أضيق ."⁽³⁾ فقد أفصح بهذا الخطاب و غيره، طريقة

1 _ محمد الخضري بك . محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، ج2، ص: 43

2 _ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح محمد عبده، خ22 ، ص: 49

3 _ وقد كان عثمان أقطع القطائع صلة لرحمه ، وميلا إلى أصحابه ، عن غير عناء في الحرب ولا أثر . وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبي صالح عن ابن عباس رضى الله عنه : أن عليا عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة ، فقال : ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان ، وكل مال أعطاه من مال الله ، فهو مردود في بيت المال ، فإن الحق القديم لا يبطله شئ ، ولو وجدته وقد تزوج به النساء ، وفرق في البلدان ، لرددته إلى حاله ، فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عنه الحق فالجور عليه أضيق : ينظر: نهج البلاغة ، شرح ابن أبي حديد ، ج1، ص: 269

العمل ، و منهجه في التسيير، هذه صراحة و صرامة الإمام وحرصه على العدل على أوسع نطاق، في محيط كثر فيه اللاعدل و اللامساواة و طغيان الأنانية . فكيف ستكون عليها ردود أفعال المتلقي؟.

- واقعة الجمل:

من أكثر الاضطرابات و أخطرها واقعة الجمل (*) ؛ بدأت بعد استلام الإمام علي الحكم ،فبعد وفاة عثمان بأربعة أشهر تقريبا، وقعت معركة الجمل 36 هـ⁽¹⁾ التي كان خصومه فيها طلحة^(*) والزبير^(φ) ومعهما عائشة بنت أبي بكر^(*) زوجة الرسول (ﷺ) الذين طالبوا بالقصاص من قتلة عثمان رغم تشكيك البعض في مصداقية هذا الادعاء⁽²⁾ و مجمل القصة : "أن طلحة و الزبير بعدما بايعا أمير المؤمنين فارقه في المدينة و أتيا مكة مغاضبين، فألتقيا بعائشة زوج النبي (ﷺ)، فسألتهما الأخبار فقالا: "إن تحملنا هربا من غوغاء العرب بالمدينة و فارقنا قومنا حيارى ، لا يعرفون حقا، و لا ينكرون باطلا و لا يمتنعون أنفسهم . فقالت: "نهض إلى هذه الغوغاء أو نأتي الشام .." فقال أحد الحاضرين: " لا حاجة لكم في الشام ، قد كفاكما أمرها معاوية ، فلنأت البصرة فإن لأهلها هوى مع طلحة." فعزموا على المسير و جهزهم (يعلى بن منبه) ،و كان واليا لعثمان على اليمن، و عزله علي كرم الله وجهه،و أعطى للسيدة عائشة جملا إسمه (عسكر)، و نادى مناديهما في الناس بطلب ثأر عثمان. فاجتمع نحو ثلاثة آلاف ، فسارت فيهم إلى البصرة. وبلغ الخبر علي فأوسع لهم النصيحة و حذرهم الفتنة، فلم ينجح النصح. فتجهز لهم، و أدركهم بالبصرة . و بعد محاولات كثيرة منه، يبغى بها حقن الدماء، انتشبت الحرب بين الفريقين و اشتد القتال و كان الجمل يعسوب البصريين ، قتل دونه خلق كثير من الفئتين،و أخذ خطامه سبعون قرشيا ما نجا منهم أحد .و انتهت الموقعة بنصر علي كرم الله وجهه بعد عقر الجمل.

* _ " ينظر: شرح نهج البلاغة ، فارس حسون، كتاب 48، ص:691

1_ أبو جعفر. تاريخ الطبري ، ج5، دار الفكر بيروت ، ط1 ، 1407 هـ 1987 م ص:469

* _ طلحة يقول أنه كان مني في عثمان شيئا ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه.

ينظر: محمد بن أحمد عثمان الذهبي .سير أعلام النبلاء ، ج1 ، مؤسسة الرسالة ، ص:34

φ _ الزبير يقول : نهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل ، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدا، إذا لم يفظم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب. ينظر: تاريخ الطبري ج5 ص487

* _ عائشة تقول إن عثمان قتل مظلوما و الله لأطالب بدمه . ينظر: تاريخ الطبري. ج5 ، ص:475

2 _ حيث تقول بعض روايات الشيعة أنهما حرضا على قتله، لذلك يعتقدون أن أغراضهما من وراء مقاتلة علي هو تحقيق أطماع سياسية.... رافعين شعار الانتقام لعثمان، فساروا من مكة إلى البصرة بعشرة آلاف مقاتل وتحرك إليهم علي ولقيهم على مشارف البصرة، ينظر: المرجع السابق، ص:27

و فيها قتل طلحة و الزبير و قتل سبعة عشر ألف من أصحاب الجمل و كانوا ثلاثين ألفاً. و قتل من أصحاب علي ألف و سبعون.

تختلف الروايات حول وقائع المعركة إلا أن جمهور المسلمين السنة و بعض من الشيعة ينسب الفتنة إلى عبد الله بن سبأ ظهر بين المسلمين بأفكار و خطط سبئية ليلفت المسلمين عن دينهم و طاعة إمامهم و يوقع بينهم الفرقة و الخلاف؛ فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكونت به الطائفة السبئية المعروفة كانت سببا في نشوب الصراع و المعارك بين المسلمين...^(١) و هذا الرأي نراه الأقرب إلى الصواب " إن اتباع ابن السبأ حريصون على إشعال الفتنة و تأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص"^(١) دون أن نستثني الظروف و المناخ السياسي المذكور سابقا ، كله ساعد على اشعال لهيب الفتنة.

انتهت المعركة بانتصار الخليفة و أنصاره، بعد أن قُتل فيها من الطرفين المتنازعين "عشرة آلاف من شجعان المسلمين بينهم كثير من أعلامهم منهم: طلحة و ابنه محمد و الزبير، وبعد أن انتهت الموقعة، صلى الإمام علي على القتلى، و أمر بدفنهم جميعا، و بعد ذلك زار عائشة في البيت الذي نزلت فيه، و أمر بأن تجهز إلى المدينة، و جهزت خير جهاز، ولما جاء يوم رحيلها ودعها بنفسه وقد قالت في وسط مشييعها: "إنه و الله ما كان بيني و بين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة و أحماؤها و أنه عندي على معتبتي من الأخبار. و قال علي : أيها الناس صدقت و الله وبرت ما كان بيني و بينها إلا ذلك و إنها لزوجة نبيكم . ﷺ. في الدنيا و الآخرة. وخرجت من البصرة يوم السبت لغرة رجب سنة 36هـ و" (2) وحول سبب عدم قيام علي بالاقترصاص من قتلة عثمان، فالبعض يرى أنه كان صعبا لاختلاط القتلة بجيش ومؤيدي علي الذي لم يكن لديه ما يكفي من القوة والسيطرة الكافية لتطبيق الحد ، فانظر حتى تهدأ الفتنة وهذا ما قاله علي لطلحة والزبير في بعض الروايات.

ومن كلام له (ﷺ) في ذم أهل البصرة : كنتم جند المرأة، و أتباع البهيمة⁽³⁾ و عهدكم شقاق و دينكم نفاق ، وماؤكم زعاق..⁽⁴⁾ فكانت هذه الظروف بداية للفتن بين المسلمين.

^١ ينظر : علي محمد الصلابي .حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل و صفين و قضية التحكيم ، دار الحوزي .

القاهرة . 1428هـ 2008م ص:12 إلى 17

1 _ تاريخ الطبري ، ج 5 ، ص:526

2 _ محمد الخضري بك . محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ، ج 2، ص: 48

3 _ يريد الجمل: القصة السالفة الذكر

4 _ الإمام علي. نهج البلاغه شرح ، محمد عبده، مراجعة و تدقيق أحمد إبراهيم زهوة دار الكتاب العربي،بيروت

1426هـ 2005م خ13، ص:39

- حرب صفين:

لم تكن واقعة الجمل . على شدة هولها و فضاة أمرها ، إلا مقدمة لما هو أشد منها ، و هي حرب صفين التي " قتل فيها من شجعان المسلمين و أنجدهم تسعون ألفاً " (1) فشيعة علي يناصرونه لأنهم يرون فيه ابن عم رسول الله ﷺ . و أحد آل بيته، و هو الوصي، وعليه فهو أحق الناس بولاية الأمر و يرون في معاوية الانحطاط فهو من الطلقاء و أولاد الطلقاء الذين عادوا رسول الله و حاربوه. و شيعة معاوية تنصره لأنه وليّ عثمان و أحق الناس بطلب دمه المسفوك ظلماً، و لا يرون أنه ينبغي لهم مبايعة من آوى إليه قتلته.

فمن كلام له (ﷺ) (2) لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان: "أولم ينه بني أمية علمها بي عن قرفي (3)؟ أو ما ورع الجهال سابقتي عن تهمتي؟! ولما وعظهم الله به أبلغ من لساني. أنا حجاج المارقين (4)، وخصيم المرتابين، على كتاب الله تعرض الأمثال (5)، وبما في الصدور تجازي العباد! ". و لم تنته هذه الحرب التي مال الانتصار فيها لشيعة علي إلا بعد خديعة معاوية في رفع المصاحف، و الدعوة للاحتكام إليها ، وقد قال الإمام في كتاب بعث به إلى معاوية (وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله، ولستنا إياك أجبنا، ولكنا أجبنا القرآن إلى حكمه و السلام). (6) و هذه خطبة للإمام ﷺ بعد انصرافه من صفين قال بعد الحمد و التشهد: "... و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، أرسله بالدين المشهور و العلم المأثور، و الكتاب الضياء اللامع و الأمر الصادع ، إزاحة للشبهات و احتجاجا بالبينات و تخويفا بالمثلات، و الناس في فتن أنجدهم حبل الدين و تزعزعت سوارى اليقين، و اختلف النجر و تشتت الأمر ، و ضاق المخرج، و عمي المصدر. فالهدى خامل و المي شامل. عصي الرحمن، و بصر الشيطان، و خذل الإيمان، فانهارت دعائمه و تنكرت معالمه، و درست سبله و عفت شركه. أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا منهاهله. بهم سارت أعلامه، و قام

1 _ محمد الخصري بك. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج2، ص:44

2 _ الامام علي. نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسنون: الخطبة74 ص:136

3 _ قرفي؛ قرفه قرفاً . بالفتح .: عابه، والاسم منه القرف.

4 _ حجاج المارقين: خصيمهم، والمارقون: الخارجون من الدين

5 _ الامثال: يراد بها هنا متشابهات الاعمال والحوادث، تعرض على القرآن، فما وافقه فهو الحق المشروع، وما خالفه فهو الباطل الممنوع، وهو (ﷺ) قد جرى على حكم كتاب الله في أعماله، فليس للغامز عليه أن يشير إليه بمطعن، مادام ملتزماً لأحكام الكتاب .

6 _ الامام علي. نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسنون، كتاب 48، ص:691

لواؤه في فتن داستهم بأخفافها، و وطنتهم بأظلافه..⁽¹⁾ . و هكذا ظهرت الصراعات السياسية و الفرق ، و ظهرت طروحات و اختيارات سياسية أخرى في خلافة الإمام علي بن أبي طالب واتخذت منها عينا كثيرا ما كانت تعتمد على الأبعاد الدينية ، وهي غالبا ما تشبه الأحزاب السياسية ، فكان خلف ذلك كله مشكلة الخلافة التي اتخذت من هذه الخلافات الصبغة الدينية .

فتحت هذه الصراعات أبوابا ؛ لوجود فرق أخرى اتخذت مواقف مبكرة تدور حول النظر في الإلوهية و في أفعال العباد ، فغلب عليها النظر في أصول الدين، بداية من هذا العهد أصبح النظر في الإمامة و البحث فيها مرتبطا بالمواقف الدينية، وفي مباحث علم الكلام، وأهم هذه الفرق [المرجئة، الشيعة الخوارج أهل السنة]. و قد ذكر الأشعري أكثر من ذلك في قوله: "اختلف المسلمون عشرة أصناف: [الشيعة، والخوارج والمرجئة، والمعتزلة وهي أمهات الفرق و الجهمية و الضررية و الحسينية و البكرية والعامة، و أصحاب الحديث، و الكلابية أصحاب عبد اله بن كلاب القطان].⁽²⁾ إن الجزيرة العربية بما فيها البداوة العربية ، هي ليست جزيرة منعزلة عن باقي الثقافات المحيط بهم بل كانت على صلات بالثقافات المحيطة خاصة عن طريق التجارة و أهمها المحور الجنوبي اليمن و الشمالي الشام و يقول في ذلك عباس محمود العقاد: "فقد كانت على اتصال بعقائد الهند و فارس والروم وكانت للمعارف الإنسانية أشعتها التي تتخلل الجزيرة العربية من قديم العصور.."⁽³⁾ إضافة إلى امتداد الفتوحات الإسلامية و اتساع رقعتها ، فسرعان ما احتك العرب المسلمون بأمم لها حضارتها العريقة احتكوا بثقافات مزدهرة، فوجدوا أنفسهم أمام عقائد أخرى مخالفة، اتخذ العديد منها لنفسه دعائم فكرية و فلسفية و سرعان أيضا ما بدت المواجهة الفكرية بين المسلمين و بين الملل الأخرى ، فأثيرت قضايا جديدة في الدين وقفوا على ظاهر القرآن وباطنه و المتشابهات منه، فكان لزاما على المسلمين و مفكرهم أن يدافعوا على العقيدة الإسلامية ، كانت هذه المضامين و هذه الأفكار و الحوادث مدونة في نهج البلاغة و في رسالة الإمام علي ، فعلى الإمام أن يصحح بعض الأفكار و يقنع المتلقي بالأدلة و الحجج ستكون لنا وقفة للموضوع في ما يخص الحجاج.

1 _ الامام علي. نهج البلاغه، شرح محمد عبده ، خ 2 ، ص: 2726

2 _ الإمام أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري. مقالات الإسلاميين، ص: 65

3 _ عباس محمود العقاد . عبقرية الإمام علي ، ص: 691

3. الإطار الزمكاني لنهج البلاغة :

نقصد بها هنا الإشارات الزمانية فهي كلمات تدل على زمان و مكان يحددهما السياق بالقياس إلى زمان التكلم "فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام. فإذا لم يُعَرَفَ زمن التكلم التبس الأمر على السامع." (1) إنَّ التفاعل لا يمكن أن يحدث إلا بالتلفظ بملفوظات ، هذه الملفوظات ترد في سياق معين وحديثنا عن السياق يجرنا إلى الحديث عن الزمان والمكان . "إن تحديد الزمان والمكان الذي يصدر بموجبهما الخطاب يخضعان لشروط ترتبط بالمتكلم وبإحداثي الزمان والمكان ، والأهم أن نوضح بأن لهما سياقات تتجلى مرجعيتها انطلاقاً من خطاب المتكلم". (2) فزمن التكلم هو الذي يحدد المقصود من ساعة معينة" هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ فإذا لم يعرف زمان التكلم التبس الأمر على المتلقي.

أ. الزمن :

للحضور الزمني و المكاني أهمية ضرورية في تحليل الخطاب ، ولا يمكن عزلهما عن السياق العام، لكونهما يتفاعلان كعنصرين أساسيين مؤثرين في العملية السردية أو الخطابية ، كقوله عليه السلام : " من أمن الزمان خانه ومن أعظمه أهانه ". و مما جاء في نهج البلاغة أيضا عناوين بعض الخطب والوصايا و التي نجدها ارتبطت ببعض الأحداث المكانية التي تشكل ترابطا زمانيا و مناسباتيا فيقال:

[خطبة يوم الجمل] : حين أرسل ابن عباس الى الزبير، وكلامه عليه السلام (لولده محمد بن الحنفية حين أعطاه راية الجمل و خطب [صفين] و[النهران]. وهي خطب توثق خروج الإمام علي إلى هذه المعارك. و على العموم فإن خطاب نهج البلاغة ينتمي إلى زمن صدر الإسلام ، ويظهر هذا من خلال مولد الإمام علي عليه السلام من جهة والأحداث الموجودة في نهج البلاغة و بين الماضي و حاضر الإمام من جهة أخرى. وتتقسم - زمانا - إلى مرحلتين :

- المرحلة الأولى: تشمل المدينة المنورة (10هـ) بعد وفاة الرسول عليه السلام) ومن كلام له عليه السلام (3) قاله وهو يلي غسل رسول الله عليه السلام) وتجهيزه: "بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النَّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سِوَاءً، وَلَوْ لَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَرَعِ، لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤْنِ ، وَلَكَانَ الدَّاءُ

1_ محمود احمد ، نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 19-20.

2_ عمر بلخير . تحليل الخطاب المسرحي في ظل النظرية التداولية ، ص: 80

3_ الإمام علي. نهج البلاغة ، شرح فارس الحسون ، خ 234، ص: 572

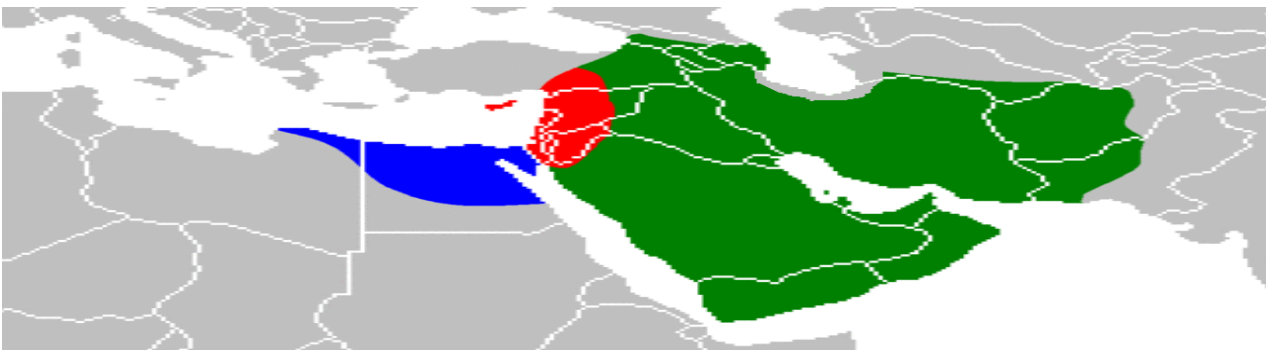
كشف السياق العام و الاستراتيجيات الإقناعية

مُطَابِلًا ، وَالْكَمْدُ مُحَالِفًا ، وَقَلًّا لَكَ !وَلِكِنَّهُ مَا لَا يُمَلِّكَ رَدَّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ!" و كذلك أثناء و خلافة أبي بكر و أيام خلافة عمر بن الخطاب حين كان يشير عليه الإمام علي (عليه السلام)، بمشورات مختلفة (1)

— المرحلة الثانية : تمتد هذه المرحلة إلى خمس سنوات - و هي الأغلب - في الفترة الواقعة بين العام 35 هـ حتى تصل إلى لحظة اغتيال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، في عام 40 هـ (٥) أي فترة خلافته كما هو مبين في الجدول:

الحدث	الزمن	المكان
— وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) — خلافة أبي بكر (ض)	10 هـ	— المدينة المنورة
— مشورة الإمام علي لعمر (ض)	23 هـ	— المدينة المنورة
— اهتزاز العدالة الاجتماعية و التمرد على الخليفة — مقتل الخليفة عثمان (ض)	35 هـ	— المدينة المنورة
— تمرد معاوية و عمرو بن العاص — واقعة الجمل و واقعة صفين — ظهور حركة الخوارج	35 هـ _ 40 هـ	— العراق ، الكوفة — البصرة ، النهروين — صفين

الدولة الإسلامية في عهد الخليفة علي بن أبي طالب (عليه السلام):



□ الأقاليم الخاضعة لعلي □ الأقاليم الخاضعة لمعاوية □ الأقاليم الخاضعة لعمر بن العاص

1 _ المرصد السابق ، خ 134 ، ص: 299

* _ و في هذه السنة قتل علي (عليه السلام) في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه ، ابن الأثير ، الكامل ، تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي ، ج 3 : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان . ص: 264

لقد أظهر الإمام علي تفاصيل و حيثيات الزمن في خطابه، بغرض إفهام أوضوح بما أعدّه للمتلقي من عناصر وصيغ دالة على خصوصيته.

والزمن يتجلى في اللغة عن طريق قرائن بجوار الأفعال في بدايتها [أحرف المضارعة] أو في نهايتها [الضمائر التي تلحق بالفعل الماضي]، أو عن طريق الظروف [الآن- اليوم-غدا-أمس]، أما زمن الخطاب فهو زمن الحديث ويتمحور في الحاضر الذي يشكل مرجعيته ، أما الأزمنة الأخرى فتحديدها يتم من خلال علاقتها بالزمن الحاضر. كقوله ﷺ "أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ، إِنَّ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيٌّ دَمِي، وَإِنْ أَفَنَ فَأَلْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفَ فَأَلْعَفُوا لِي قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ) وَاللَّهُ مَا فَجَّأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٍ كَرِهْتُهُ، وَلَا طَالَعَ أَنْكَرْتُهُ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ (2) وَرَدٍّ، وَطَالِبٍ وَجَدٍّ، (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ).

المبهمات الزمانية الإشارية	نوعها	قوتها الإنجازية
_ أصبحنا ، ساعة موسم ، الصباح المساء ، الليل الدنيا، الآخرة.	_ المبهمات القبليّة بالأمس المبهمات البعديّة مازال، أصبح، بات المبهمات الحيادية يوما، حيناً .	_ تساعد على توضيح حال الأمة في الماضي وحالها في الحاضر، و استشراق المستقبل و السياق هو الذي يساعد القارئ على استجلاء هذه المعاني وفهمها، بالإضافة إلى المعرفة المشتركة بين الإمام والمتلقي بصفتها ينتميان إلى ثقافة واحدة.

أو كما هو واضح في قوله ﷺ : " فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمْ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَاسْتَتِمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْمَجَانِبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ فِي الشَّهْرِ وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ. " (1) فعلى المتلقي أن يحدد الزمن من خلال زمن القاء الخطاب و مناسبته ليتم ربط علاقته بالمعنى.

1 _ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق و شرح فارس الحسون ،خطبة 188، ص:374

ب. الإشارات المكانية:

تعرف الإشارات المكانية على أنها "عناصر إشارية⁽¹⁾ يَعمَدُ استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان التكلم أو مكان آخر معروف للمخاطب والسامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريباً أو بعداً أو وجهة، فأكثر الإشارات وضوحاً هي كلمات الإشارة نحو [هذا ، ذاك] للإشارة إلى قريبٍ أو بعيدٍ من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك [هنا ، هناك]، وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريبٍ أو بعيدٍ أو سائر ظروف المكان مثل [فوق ، تحت ، أمام ، خلف]، كلها عناصر يشار بها إلى مكان لا يتحدد إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه. وهناك من قال - كما يرى محمود نحلة- بتنقل عناصر الإشارة من المكان إلى ما يسمى بالمسافة العاطفية أي الوجدانية بعداً أو قريباً. وقد يكون للتقابل الإشاري⁽²⁾ أثرٌ حاسمٌ في فهم بعض الأفعال الشائعة الاستعمال مثل [يأتي] و[يذهب]. فالفعل [يأتي] يتضمن حركة نحو المتكلم، والفعل [يذهب] يتضمن حركة من المتكلم إلى غيره. وسائر ظروف المكان مثل: [فوق]، و[تحت]، [أمام]، و[خلف].⁽³⁾ من المتكلم، ومن كلام له (ﷺ): وقد شاوره عمر بن الخطاب في الخروج إلى غزو الروم⁽⁴⁾: "وَقَدْ تَوَكَّلَ اللَّهُ لِأَهْلِ هَذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ"⁽⁵⁾، وَسَتِرِ الْعَوْرَةَ وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنْعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لَا يَمُوتُ. إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هَذَا الْعُدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبُ، لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانْفَةً"⁽⁶⁾ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ، وَلَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مَحْرَبًا، وَاحْفَظْ⁽⁷⁾ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ⁽⁸⁾ وَالنَّصِيحَةَ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ فَذَلِكَ مَا نُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى، كُنْتَ رِءَاءَ لِلنَّاسِ⁽⁹⁾ وَمَثَابَةً⁽¹⁰⁾ لِلْمُسْلِمِينَ .

" هذه العناصر الإشارية تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على

1 _ محمود أحمد، نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 21-23.

2- المرجع السابق: ص: 22.

3 _ المرجع نفسه: ص: 22.

4 _ الامام علي. نهج البلاغة، شرح و تحقيق، فارس الحسون الخطبة 134 ، ص: 299

5 _ الحَوْزَةُ: ما يَحُورُهُ المالك ويتولى حفظه. وإِعْزَازُ حَوْزَةِ الدين: حمايتها من تغلب أعدائه .

6 _ كانفة: عاصمة يلجأون إليها، من «كنفه» إذا صانه وستره .

7 _ احْفَظْ: أمر من الحفز، وهو الدفع والسوق الشديد.

8 _ أهل البلاء: أهل المهارة في الحرب مع الصدق في القصد والجرأة في الإقدام. والبلاء: هو الاجادة في العمل وإحسانه .

9 _ الرِّءَاءُ . بالكسر .: الملجأ. 6 .

10 _ المثابَة: المرجع.

مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريباً أو بعداً أو وجهة. ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان ، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه. (1) (...) وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا أنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه. (2) أما المكان فدلالته المرجعية لا تتجلى إلا من خلال تلك النقطة في الفضاء الذي يتحقق فيه الكلام. (3) ومهما يكن الملفوظ فإنه يتحدد بالنظر إلى الظروف الحقيقية التي يقع فيها التلفظ، وفي المقام الأول الوضعية الاجتماعية المباشرة . ولا يمكن فهم الاتصال اللغوي أو تفسيره خارج علاقته بالوضعية الملموسة. والجملة باعتبارها وحدة لغوية افتراضية لا يحتاج تكوينها إلى سياق، بل تكفي القواعد النحوية لتكوينها أما الملفوظ فإنه ينتج ضرورة في سياق خاص، وهو سياق اجتماعي أو نفسي دائماً.

و من الإشارات المكانية في نهج البلاغة التي مثلت مراجع لكلام الإمام على أساس أن لها تأثيراً في سير أحداث حياته، وعبرت عن الأماكن التي عاش فيها فترات عمره وهي [مكة ، المدينة المنورة ، الكوفة البصرة ..] ، وهي أماكن لا نعرف مرجعيتها إلا بعد التعرف على حياة الإمام و تنقلاته وإدراك أثر وطأة تغير المكان أو مجرد ذكره في نفسية الإمام كقوله ﷺ (كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي) (4) فهو محل حياة المخاطبين في تلك البرهة الزمنية، و هي شبه الجزيرة العربية [مكة المكرمة . المدينة المنورة] . و العراق [البصرة . الكوفة] و من أمثلة ذلك:

— صفيين : قول الإمام علي (ﷺ) (5): "أَكَلْتُمْ شَهْدَ مَعْنَا صِفِيْنَ؟ فَقَالُوا: مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ: فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مِنْ شَهْدِ صِفِيْنَ فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أَكَلِمَ كَلًّا مِنْكُمْ بِكَلَامِهِ وَمَنْ وَصِيَّتَهُ (ﷺ) (6) لعسكره قبل لقاء العدو بصفيين "لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ"، و يبقى المكان هو كيان

1 _ ينظر: محمود أحمد، نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 21

2 _ المرجع السابق: ص: 22.

3 _ المرجع نفسه: ص: 88

4 _ العكاظي نسبة إلى عكاظ سوق تقيمه العرب في صحراء بين مكة والطائف يجتمعون إليه في بداية شهر ذي العقدة ليتعاكظو أي يتفاخرو كل بما لديه من فضيلة وأدب

5 _ الامام علي. نهج البلاغة ، شرح و تحقيق ،فارس الحسون ، خطبة 121

6 _ الامام علي نهج البلاغ، شرح ابن ابي الحديد، ج15، خ14، ص: 104

مادي يشكل طرق هامة من التاريخ النصي أعطى فسحة كبيرة لإبراز الأحداث وتعد خصوبة المكان عمق دلاليًا ، وقد أكتشف النقاد والباحثون أن ثمة التصاقا حقيقيا بين الإنسان و المكان وقد عبر عنه الإمام علي (عليه السلام) في تداخل [المكان _ الإنسان] حيث خلق الله الإنسان من معنى المكان نفسه فيقول () في صفة خلق آدم (1) ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربة سنى بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلبة حتى لزجت فجل منها صورة ذات احناء ووصول و أعفاء وفصول أجهدها حتى أستمسكت و أصلدها حتى صلصلت.... والحزن الغليظ الخشن من الأرض و السبخ ما ملح من الأرض) و اختلاف أرضية المكان منحت الإنسان طباعه المختلفة وتباين استعداده للخير والشر منذ تكوينه البيولوجي الأول والحياتي؛ ليكون رحم الأم مكانًا ومن ثم المهدي والبيت والشارع و القبر في الأخير فالحساب و الجزاء .

فالمكان يقدم إلهاما و صورا و تصورا إبداعيا تظهر في خطب الإمام علي (عليه السلام) الكثير من دلالات المكان والعناصر الإشارية تكمن أهميتها إلى توضيح و تفسيرها معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للسامع أو المخاطب. لا يمكن للمتكلم أن يتخلى عن المكان عند تلقظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشارات المكانية مشروعية الإسهام الوظيفي الدلالي ، فهي تختص "بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي ، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء هما :إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى أو بتحديد أماكنها من جهة أخرى " (2) وتتمثل بعض الأماكن المذكورة في نهج البلاغة في أسماء الأماكن التي عايش الإمام أحداثها منها:

– **الكوفة:** يقول الإمام علي: في ذكره للكوفة(3) من كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة، عند مسيره من المدينة إلى البصرة : "مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، جَبَّهَةِ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ. " ومن كلام له (عليه السلام) (4) (في ذكر الكوفة) "كَأَنِّي بِكَ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَيْمِ الْعُكَاظِي تَعْرِكِينَ بِالنَّوْازِلِ ، وَتُرْكِبِينَ بِالزَّلَازِلِ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكَ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ابْتِلَاءَهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ، وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ!" فيتحول المكان من دلالاته الجغرافية إلى دلالة شخصية، لا يمكن فهمها والوعي بأهميتها إلا بالعودة إلى

1 _ المصدر السابق: ج1، خ1، ص:57

2 _ عبد الهادي بنظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص:84

3 _ الامام علي . نهج البلاغة ، تحقيق ،فارس الحسون ، الرسائل 1

4 _ المصدر نفسه: خ 47 ، ص:108

السياق الذي وردت فيه، و المتمثل في حياة الإمام وما اعترها من ظروف، فرضت أهميتها في استعمال الدلالة السياقية للمكان، لتوضيح مقصوده من إيراده

— العراق: ذكر العراق كمكان في عدة خطب للإمام علي ومن كلام له (عليه السلام) (1) في ذم أهل العراق: " [وفيها يوبّخهم على ترك القتال، والنصر يكاد يتم، ثم تكذيبهم له] "أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أُتِمَّتْ أُمَلِّصَتْ (2)، وَمَاتَ قَيْمُهَا (3)، وَطَالَ تَأْيِمُهَا (4)، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا.

— الشام: قال (عليه السلام): يومئذ فيها إلى ذكر الملاحم (5): (كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي صَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الصَّرُوسِ وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ، قَدْ فَعَرَتْ فَأَعْرَتْهُ، وَتَقَلَّتْ فِي الْأَرْضِ وَطَأَتْهُ، بَعِيدَ الْجَوْلَةِ، عَظِيمَ الصَّوْلَةِ. المطلق عبر مواضيع المواعظ و الحكم كقوله (6) [لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان] والشاهد في هذه العبارة في [وإن طال به الزمان] فهذه العبارة يمكن أن ترتبط بأي زمان أو مكان، ولا يقتصر استعمالها على الزمن الذي عاش فيه أمير المؤمنين فقط، بل تتجاوز إلى أزمان بعده. وتظهر أهميتها التداولية في مراعاة المتلقي من خلال إعطاء شحنة تأملية، تعمل إلى دفعه إلى أعمال الذهن في ما بثه المرسل واستعمال الإحالة المطلقة يدل على كيفية استثمار الكفاءة التداولية التي يملكها الإمام من خلال ما يستعرضه

— اليمن: ومن كتابه (عليه السلام): (7) "هَذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا :أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُونَ بِهِ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ، لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا، وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلًا، وَأَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، ..."

— الإحالة المطلقة: تظهر الفائدة التداولية للإحالة المطلقة في إمكانية الاستشهاد بها في كل زمان و مكان على اعتبار أن لا علاقة تربطها بزمان أو مكان التلفظ، لذلك يمكن أن تذهب مذهب الأمثال و الحكم. ففي لغة نهج البلاغة نجد متسعاً لمساحة الزمان من حكمة و خبرة بالحياة في طلق الأمثال السائرة و التي هي كثيرة و ثرية في نهج البلاغة، و كذلك نجدها في مواضيع المناجاة ، والتي هي كثيرة أيضاً

1 _ المصدر السابق ، خ 70

2 _ أُمَلِّصَتْ: أسقطت، وألقت ولدها ميتاً.

3 _ قَيْمُهَا: زوجها.

4 _ تَأْيِمُهَا: خلؤها من الأزواج

5 _ المصدر نفسه: خ : 138

6 _ المصدر نفسه: ح : 150

7 _ المصدر نفسه: خ: 74، ص764

فيها وصف القيامة والصراف ويوم الحساب وهي من المواضيع الدينية التي تقوي الإيمان. ثم نجد انفتاحات على الأفعال التي ترسم الزمن كالفعل الماضي والحاضر والمستقبل، وبعد هذا نجد موضوعا كبيرا يتحرك حول حيثيات زمانية متنوعة و من هذا المكان و الزمان و من هذا الواقع الاجتماعي والسياسي و العقائدي الداخلي منه و الخارجي، تشكل الهدف و الغاية، و القصد و من ثمة الرسالة و المرسل إليه عند الإمام علي.

4. الرسالة (نهج البلاغة):

بعد التعرف على المرسل و السياق العام للأحداث و زمان و مكان و وقوع الأحداث ، يقتضي منا السياق معرفة الرسالة و الخطاب الذي سيوجه إلى المتلقي الذي "يعتبر ثمرة اجتماع العناصر الثلاثة السابقة : ففيه تبرز الأدوات اللغوية و الآليات الخطابية المنتقاة.."⁽¹⁾ و هذا يستوجب منا طرح الأسئلة التالية: . ما مضمون الرسالة الموجهة إلى المتلقي من خلال هذه الأحداث؟ و هل الرسالة تتطابق و الأحداث السابقة و هل عبرت بالفعل عن مقاصد الإمام علي؟. هذه أسئلة تجلبنا إلى العناصر التالية:

أ. عتبات نهج البلاغة:

يعتبر [العنوان] بمثابة البوابة الرئيسية لاقتحام مكونات مختلف أنماط النصوص، إذ يشكل المفتاح الرئيسي للباحث الذي يسعى إلى اكتشاف مغاور الخطاب و تفسير عوالمه الدينية والأدبية، و الإقناعية وحتى الجمالية ، وبهذا فإن أهمية العنوان تنبثق من كونه مكونا خطابيا و نصيا، لا يقل أهمية عن المكونات الأخرى ، فهو كالدال يمتلك سلطة معينة في النصوص ويشكل جهتها الخارجية ، لما له من إحياء دلالي لا يمكن لأي متلق أن يلح عوالم النص ، واستكشاف بنياته التركيبية والدلالية ، و الوقوف على مقاصدها التداولية ، دون الانطلاق من المفتاح الأول لهذا الولوج ألا وهو [العنوان]. و لكون العنوان يحمل كل هذه الأهمية ، أصبح موضوع دراسات مختلفة ، بدءا من النقاد العرب القدامى إذ إن بعض المعاجم العربية تشير كلمة [عنوان] إلى التعيين كالاسم للشيء، فابن منظور مثلا في (لسان العرب) يشير إليه بتعريف "سمي عنوانا لأنه يعن الكتاب من ناحيته، وأصله عنان، فلما كثرت النونات قلبت إحداهما واوا، و من قال علوان الكتاب جعل النون لاما لأنه أخف وأظهر من النون"⁽²⁾. و العنوان في الدراسات السيميائية ، يعد بمثابة علامة أو مؤشر يهئ الأرضية للمتلقى لكيفية قراءته للنص ، و ما يريد الكاتب أن يوصله إليه ، لهذا نجد العنوان يحتل مكانة هامة في الفضاء النصي.

1 _ عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، مقدمة الكتاب

2 _ ابن منظور . لسان العرب ، ص: 294

عندما يبدأ المتلقي بقرءة كتاب [نهج البلاغة] ، وقبل أن يبدأ في الولوج في تحليل نصوصه فإن أول ما يقابله في عتبة الكتاب [العنوان] ، الذي يعتبر من بين المؤشرات المهمة التي تحيط بالخطاب كما يعد الباب الأساسي الذي نلحّ منه لاقتحام عوالم النص ، وهو أيضا من بين أهم العتبات السياقية التي ستسمح لنا بقرءة خطاب الإمام [نهج البلاغة] قراءة جيدة و دقيقة. فعنوان [نهج البلاغة] اسم وضعه الشريف الرضي (ت 406هـ) على الكتاب الذي جمع فيه المختار من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه ولعلّ للسائل الحق هنا انطلاقا مما سبق . أن يسأل عن السبب الوجيه الذي جعل جامع النهج أن يختار هذا الاسم [نهج البلاغة] عنوانا لهذا المؤلف ، رغم ثراء الكتاب بالمواضيع المختلفة الدينية و الأدبية و الجمالية ، يقول الشيخ محمد عبده : " لا اعلم اسما أليق بالدلالة على معناه منه و ليس في وسعي أن اصف هذا الكتاب ،بأزيد مما دلّ عليه اسمه ،ولا أن أتى بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الامتياز "(1) ، و يقول في هذا الشأن عباس محمود العقاد: "...فديوانه الذي سمي نهج البلاغة ،أحق ديوان بهذه التسمية بين كتب العربية واشتماله على جزء مشكوك فيه لا يمنع من اشتماله على جزء صحيح النسبة إليه صحيح الدلالة على أسلوبه و ربما كانت دلالة الأخلاق و المزاج فيه أقوى و أقرب إلى الإقناع من دلالة الأسانيد التاريخية ، لأن طابع (الشخصية العلوية) فيه ظاهر من وراء السطور و من ثنايا الحروف ، يوحى إليك حينما و عيته أنك تسمع الإمام و لا تسمع أحدا غير الإمام ، و يعز عليك أن تلمح فيه غرابة بين صاحب التاريخ و صاحب الكلام."(2) . يمكن ان نقول و لكون نهج البلاغة بهذا الثراء اللغوي و البلاغي و الفكري أن هذه التسمية جديرة بهذا المسمى شكلا و مضمونا .

ب. أقسام نهج البلاغة و مضامينه:

من بين أهم الملاحظات المستخلصة في منهجية جمع كتاب [نهج البلاغة] استعمال جامع الخطاب (الشريف الرضي) [أبواب فرعية] داخل الكتاب بعد العنوان الرئيسي ،حيث نجده قد قسمه إلى مقدمة للجامع نفسه تناول فيها محاسن النهج : (...النهج هو محاسن ما نقل عن الإمام علي (عليه السلام) من الكلام القصير، في المواعظ و الخطب، و الحكم ، و الأمثال و الآداب، دون الخطب الطويلة و الكتب المبسوطة ،يتضمن عجائب البلاغة ، و غرائب الفصاحة، و جواهر العربية

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ،ص:6

2 _ العقاد . عبقرية الإمام علي، ص: 129

* _ بينات الطريق : هي الطرف الصغار تتشعب ، وهي الترهات، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد،ج:1 ص:7

و ثواقب الكلم الدينية و الدنيوية... و جعل كلامه يدور على أقطاب ثلاثة : اولها : **الخطب و الأوامر** و ثانيها : **الكتب و الرسائل** ، و ثالثها : **الحكم و المواعظ**.....⁽¹⁾، و هذا هو محتوى الكتاب.

فجعله جامع نهج البلاغة يدور على ثلاثة أقطاب : [الخطب و المواعظ]، و [العهود و الرسائل]، و [الحكم و الآداب] ، و فيها تصوير لحياة الإمام (عليه السلام) سواء قبل الخلافة أم بعدها ⁽²⁾ أولاً: الخطب وهو أول قسم من أقسام النهج وأوسع. ويستوعب 214 خطبة. و نجد في هذه الخطب موضوعات متنوّعة، من (فلسفة و الهيات و مباحث مرتبطة بالصفات الإلهية و الجبر و الاختيار ، إلى مسائل فقهيّة شرعيّة، و من عرض العبر التاريخيّة، إلى مسائل اجتماعيّة، و من علم الظواهر إلى الوصايا الأخلاقيّة العميقة الدقيقة، و من التوبيخ أو النقد إلى الملاحم الأدبيّة و التوجيهات العسكريّة). ليست كلها على شاكلة الخطب المنبرية المعروفة بخصائصها في صدر الإسلام . كما سبق الإشارة إليها . و إنما فيها جانب من الخطب التي أمام جمهور متجانس سواء أكان جمهوراً معارضاً معادياً كالخوارج أم جمهوراً موافقاً مسانداً كأصحابه و أنصاره و قد قالها علي و هو في حالة غضب ، أو في حالة ألم و حزن ، و توجد قطع نصية أخرى فيها المجاوبات و فيها الوصايا ، و فيها المحاورات... فهي مجموعة من الأجناس الخطبية ضمن الخطب المعروفة ⁽³⁾ لقد تأثر الإمام بالغ التأثير بالإسلام و مقوماته . كما سبق الإشارة إليه . و على اعتبار أن الإسلام يقوم على ركنين أساسيين هما: "العقيدة و العمل"⁽⁴⁾ لما لهما من دور مؤثر في كمال الإنسان و فوزه بالدارين الدنيا و الآخرة فقد وجدنا أن الإمام علي رضي الله عنه في مواضيع حكمه و مواعظه يساير هذين الركنين الأساسيين في الإسلام ، فكانت كل حكمه و مواعظه تدعو في هذا الاتجاه ، و منه ارتأينا إلى تقسمها إلى قسمين: حكم نظرية عقائدية ، و حكم عملية.

فإذا أردنا أن نعرف نهج البلاغة، في الوعظ و الحكم ، للاستفادة من ذلك المنبع الذي لا تنبض نعمه، أن مواضيع وعظه و حكمه (عليه السلام) مختلفة و متنوعة حسب ما يقتضيه السياق المشار إليه في السابق، و الروافد التي استلهمها من الدين الإسلامي القرآن الكريم و الحديث الشريف . **مواضيع في أصول العقائد:** ك [التوحيد ، صفات الله ، الملكوت، و الأمور الغيبية خيرها و شرها ، الحساب و العقاب]

1_ الأمام علي. نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد (مقدمة الرضى للنهج) ، ج1 ، ص: 7

2_ عبد الزهراء الحسيني . مصادر نهج البلاغة و اسانيده : مطبعة القضاء في النجف الأشرف ، ط1 ، 1386 هـ - 1966 م ج1 ص: 95.

3_ علي عمران . حاجية الصورة الفنية في الخطاب الحربي ، دار نينوي سوري دمشق دط ، ص: 38

4_ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، ج2 ، ص: 11

و مواضيع عملية: [التقوى، التوكل، الصبر، الزهد، التحذير عن الاغترار بالدنيا، ورفاهية العيش، وهوى النفس وطول الأمل، والظلم والجور والتفرقة. والترغيب في الإحسان، والمحبة، والأخذ بيد المظلومين، وحماية الضعفاء والمساكين، والاستقامة، والقوة والفتوة والمروءة، والشجاعة والبسالة والبطولة، والوحدة، والعبرة والفكرة، والمحاسبة، والمراقبة، واغتنام العمر، وتذكر الموت وشدائده وسكراته، وما بعده، ..]. هذه هي معظم العناصر التي أعيرت الاهتمام في كلام الإمام (عليه السلام) في نهج البلاغة مع أن أكثر الكلمات استخداماً في الحكم و المواعظ: هي كلمة [التقوى] و هي أكثر الكلمات استعمالاً، فقد جعل الإمام علي (عليه السلام) [التقوى] مثلاً أعلى للحياة.

— أولاً الخطب: إن خطب علي بن أبي طالب ليست على جنس أدبي واحد ، و لا هي على درجة واحدة من الإقناع كما أن بعض الخطب هي أشهر من غيرها، ومنها: الخطبة [الشَّشْقِيَّة]،⁽¹⁾ وهي ثالث خطبة في نهج البلاغة والموجودة في المجلد الأول لشرح النهج لابن أبي الحديد وخطبة [الأشباح]⁽²⁾ و فيها وصف السماء و الأرض و السحاب و الملائكة و غير ذلك، ومنها الخطبة [القاصعة]، وهي الخطبة الحادية والتسعون في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ومنها الخطبة التي تصف المتقين، وهي الخطبة الثالثة والتسعون والمائة في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .

و ما يمكن ملاحظته في هذه الخطب هو اعتمادها على عنصر [الموعظة] ، و التي هي من أهم أبواب نهج البلاغة ، هذه المواعظ استمدت ضياءها من نور آيات الله قال تعالى : " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة"⁽³⁾ حتى أن حوالى نصف نهج البلاغة جاء في المواعظ، إذا علمنا إحصاء في النهج نجد (ستة و ثمانين) خطبة من مجموع (مائتين و أربعين) خطبة في المواعظ ، منها ثلاث خطب طويلة تختص بالموعظة و هي : [الخطبة (174)] التي تبتدئ بقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : [انتمتعوا ببيان الله...]. و [الخطبة(*) القاصعة]⁽⁴⁾ و [خطبة المتقين 191].

1 _ الامام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن ابى الحديد ، مج 1، خ3، ص: 151

2 _ المصدر نفسه : مج 3. ج 6، خ 90 ، ص: 398 إلى 438

3 _ سورة: النحل الآية: 125

4 _ الامام علي. نهج البلاغة ، تحقيق و شرح فارس الحسون، الخطبة القاصعة 192 ، ص: 459

القاصعة: من قضع فلان فلاناً: أي حقره، لانه(عليه السلام) حقر فيها حال المتكبرين . المرجع نفسه: ص: 459

* _ علم الكلام هو علم أصول العقائد و سماه البعض من أهل السنة علم التوحيد

- ثانيا الكتب (الرسائل): نجد في هذا القسم (79) كتاباً، منها الطويل، ومنها القصير الذي قد يضمّ جملتين أو أكثر. ونلاحظ في هذه الكتب وصايا متنوّعة في ميادين متعدّدة، منها: خمسة و عشرون كتاباً من مجموع (ثمانين) كتاباً هي كتب مواعظ! أو فيها موعظة، ثلاث منها أيضاً كتب طويلة تختص بالموعظة: كالكتاب: (31) إلى ولده الإمام الحسن (رضي الله عنه)، وعهده (53) إلى مالك الأشتر النخعي [حينما ولاه مصر ، والكتاب (45) إلى عثمان بن حنيف الأنصاري واليه على البصرة (رضوان الله عليهم أجمعين) وهي على عمومها تتضمن توجيهات عامة كالحكومة في الإسلام، والنظام المالي بخاصة نظام الزكاة، وقضايا الحرب، ومؤاخذة الولاة، ووصايا أخلاقية. و عدد آخر من الرسائل بعثها الإمام علي (رضي الله عنه) إلى خصومه منها أربع عشرة رسالة إلى معاوية و حوارات عدة مع الخوارج، و مع طلحة والزبير، وكذلك مراسلات لعمر بن العاص وغيره من المخالفين.

هذا يدل على أن الإمام يحاور من يخالفه أيّاً كان، في حين . المسلمون حالياً . يكفهر أحدنا من الآخر ربما لأبسط الأمور هذا الأسلوب يتمّ عن تخلف في الرؤية، لأن الاختلاف في الموقف لا يفسد للودّ قضية، ولا يؤدي إلى هذا النوع من القطيعة، وهو خلاف التعاليم والآداب والمبادئ التي ورثناها عن نبينا وأئمتنا و علمائنا، فما هو الإمام علي (رضي الله عنه) يحاور معاوية والخوارج، وجميع خصومه وأعدائه؛ لأن هذا الموقف منه يدل على قوة في الرأي والحجّة يمتلكها من يتمسك بمبدأ الحوار، وفي المقابل يدل موقف القطيعة وعدم المواجهة على ضعف في الحجّة والرأي.

- ثالثاً: الحكيم أو قصار الكلم : هو باب المختار من حكم الإمام علي ، فقد اشتهر نهج البلاغة بهذا الغرض أكثر من سائر الأغراض الأخرى فلا نجد له مثيلاً بعد مواعظ القرآن الكريم و أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم، و نقرأ في هذا القسم (480) عبارة أطلق عليها الحكم أو الكلمات القصار والتي تعد مواعظهما كأصول لمواعظ و حكم نهج البلاغة و يدحل في ذلك المختار من أجوبة مسائله و الكلام القصير الخارج في سائر أغراضه وهذا الجزء يمثل ربع نهج البلاغة في مواضيع حكم و مواعظ نهج البلاغة.

تتضمن حكم الإمام المواضيع الأخلاقية أكثر من أيّ شيءٍ آخر. ويشتمل هذا القسم على وصايا قصيرة في مجال الآداب الاجتماعية والأخلاقية ونظائرها. وفي هذه الكلمات القصار قسم يتميز عن غيره من الأقسام وقد أورده الشريف الرضيّ تحت عنوان «فصل نذكر فيه شيئاً عن اختيار غريب كلامه المحتاج إلى التفسير». وهو بين الحكمة (260) و (261).

5. وسائل إرسال الخطاب :

أهم ما اعتمد عليه الإمام علي من أدوات إرسال الخطاب [اللسان] ، هو الأداة الأساسية لنقل الخطاب ، يقول في ذلك (عليه السلام) "إن اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه من لا يحمده"⁽¹⁾ ، بالإضافة إلى استخدام [الآداءات السيميولوجية] كالإشارات و الإيماءات التي تصاحب الخطاب أثناء التلفظ به، كقوله (عليه السلام) : "... ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع. فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الباطل أن تقول سمعت، والحق أن تقول رأيت!"⁽²⁾ ، و مظاهر الأداء الصوتي المختلفة من نبر و تنغيم ثم يليها أدوات هامة ك : [كتابة الرسائل] ثم [القدوة] في قوله "الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر"⁽³⁾ و سنتطرق إليه بأكثر تفصيل في موضوع الأفعال الكلامية .

6. المرسل إليه :

هو الركن الثاني في الخطاب ، و هو من يرسل إليه المرسل خطابه، إذ لا يستطيع المرسل أن يغفل المرسل إليه و هو يدع الخطاب أو يتحدث به إليه ، وعلى العموم فالمتلقي أنواع نذكر منها:

أ. المتلقي المباشر:

هم الناس الذين يعيشون معه في الفترة الواقعة بين العام 35هـ إلى العام 40 هـ و هم جملة المخاطبين من المسلمين . و يمكن مع التصنيف البلاغي أن نقسم المرسل إليه في نهج البلاغة ثلاثة أصناف:

— مرسل إليه خالي الذهن مما يلقي عليه : وهو في نهج البلاغة [بقية الناس]

— مرسل إليه متردد أو متعنت: ك[أهل الكوفة... خصوم الإمام ك معاوية وزياد ابن أبيه]

— مرسل إليه غير متردد: وهو في نهج البلاغة [أهل المدينة والأشخاص الذين تربطهم علاقة ما بالإمام عليه السلام ، كالإمام الحسن عليه السلام، محمد بن أبي بكر، مالك الأشتر، عثمان بن حنيف، الولاة الذين عينهم الإمام، و مجمل أنصاره المخلصين له ..] ، و من خلال السياق سنجد أن مواضيع خطاب الإمام علي تعكس بدقة متناهية تلك الأوضاع و أن طريقة معالجة الإمام علي أياها تتماشى أيضا مع

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي حديد ، ج1، ص:127

2 _ المصدر نفسه : ج 9 ، خ 141

3 _ الامام علي . نهج البلاغة ، شرح فارس الحسون ، قصار الكلم 337 ، ص:421

شخصيته التي من خلال نشأة الإمام علي في عهد الرسول ﷺ، و بعده ، و أثناء خلافته ، فالإمام لم يد و لم تتغير مواقفه و لا مبادئه ، وفي نهج البلاغة يشير الضمير [أنا] إلى الإمام وبمجرد تلفظه بـ[أنا] فقد وضع أمامه وبطريقة آلية شخصاً يقابله هو [أنت]، وكأن شخصيته تتقدم إلى المتلقي لتعرف نفسها لأنّ الضمير [أنا] ذو طبيعة إخبارية، وفي هذا يقول سيبويه (ت 180 هـ): "اعلم أن المضمّر المرفوع، إذا حدث عن نفسه فإن علامته (أنا)، و إن حدث عن نفسه و عن آخر قال: (نحن)، وإن حدث عن نفسه وعن آخرين قال: (نحن)، (...). وأما المضمّر المخاطب فعلامته إن كان واحداً: [أنت] ، و إن خاطبت اثنين فعلامتهما: [أنتما] ، و إن خاطبت جمعا فعلامته: [أنتم]، (...). فإن [أنا] أو [أنت] و[نحن] و[أنتما] و[أنتم] و[أنتن] (...). لا يقع شيء منها في موضع من العلامات مما ذكرنا، و لا في موضع المضمّر الذي لا علامة له ، لأن استغنوا هذا فأسقطوا ذلك." (1) أما المرسل إليه أو (المخاطبون) في خطاب الإمام علي قد أشار إليهم بالضمير [أنت ، أنتم] أو أي شكل آخر من أشكال ضمير المخاطب يظهر حينما يتوجه المتكلم بالحديث على الشخص المخاطب أو مجموعة الأشخاص المخاطبين، وقد يوجّه الإمام في بعض خطابه بالحديث إلى الإنسان المسلم عموماً ومتلقي الخطاب خصوصاً، لكن من دون أن يستعمل الضمير [أنت أو أنتم] بل استعمل أشكالاً أخرى من أشكال ضمير المخاطب، كضمير الخطاب المتصل [كم] يقول ﷺ: (2) "أيها الناس أي قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الأنبياء بها أمهم"....

ب. ردات الفعل المتلقي:

فهي ما كان يظهر من آثار بعد الخطاب أو إرسال الرسائل والكتب عند صدور الخطاب من المرسل (الإمام علي) يميل إليه بعض الناس ليؤيد و يتخلف عنه البعض الآخر فيتحركون في طريق الضلال والعداء، و في كلام الإمام إشارات كثيرة على ذلك كقوله ﷺ "واختار من خلقه سماعاً أجابوا إليه دعوتّه، وصدّقوا كلمته، ووقفوا مواقف أنبيائه وتشبهوا بملائكته".... (3) و في خطبة الجهاد يقول (ﷺ): "استنفرتكم الجهاد، فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهاً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا" و قوله: "وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده" (4). و قوله ﷺ: " -من أسرع الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون" (1) و في

1 _ ينظر: سيبويه، الكتاب، تحقيق و شرح: محمد عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي القاهرة، ط3، 1988 ج3 ص: 123

2 _ الامام علي. نهج البلاغة ، شرح وتحقيق فارس الحسون، خ 182، ص: 192

3 _ المصدر نفسه: الخطبة 01 ، ص: 7

4 _ المصدر نفسه: الرسالة 53 ، ص: 326

كلمات أخرى جد مؤثرة في قوله عليه السلام: "يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة و لا يتعظ، فهو بالقول مُدَلّ، ومن العمل مُقَلّ"⁽²⁾. و من كلامه الأكثر تأثيراً في من لا يأخذ بالنصيحة حين شبههم بالحيوانات في قوله: " و لا تكون ممن لا تنفعه العظة إلا إذا بالغت في إيلامه، فإن العاقل يتعظ بالآداب، و البهائم لا تتعظ إلا بالضرب"⁽³⁾ و من هذه النماذج نستخلص أن المتلقي أنواع و أصناف، أحسن الإمام تصنيفهم ومخاطبتهم و التأثير فيهم. لنخلص أن التطابق واضح بين ما ورد في النهج و بين حياة الإمام علي عليه السلام و مبادئه و قصده التبليغي و صدقه .

ج. المتلقي الكوني:

وجد الكثير من الأدباء و الخطباء قد تأثروا بأدب و وحكم و مواظب الإمام علي عليه السلام، عبر مختلف العصور والأزمنة فهو منبع لا ينضب إشعاعه في المبنى الفني و البلاغي، و قيم المعاني، و قد أشار إلى ذلك كثير من المؤلفين و الأدباء، فوصفوه بأحلى العبارات في ناحية التاريخ كالقمر في وسط السماء"⁽⁴⁾ وليس غريباً هذا إذا ما عرفت انه كلام لـ " شخصية فريدة في التاريخ الإنساني على مختلف المستويات"⁽⁵⁾ و قد كتب العلماء والمفكرون والأدباء عن هذه الشخصية الكثير قديماً و حديثاً فقد كان عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

أما قديماً فهذا المسعودي يقول: "والذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمئة خطبة، و نيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة، تداول عنه الناس ذلك قولاً و عملاً. ثم ظل هكذا محفوظاً في الصدور مروياً على الألسنة، حتى كان عصر التدوين والتأليف، فانتشرت خطبه ورسائله في كتب التاريخ والسير و المغازي والمحاضرات والأدب على الخصوص، كما انتخبت كلماته و مآثر حكمه فيما وضعوه من أبواب الموعظ والدعاء: وفي كتابي الغريب لأبي عبيد القاسم بن سلام و ابن قتيبة منه الشيء الكثير." ⁽⁶⁾ شهد الصحابة رضوان الله عليهم بأن علي أقضاهم، فكان الفاروق رضي الله عنه (يتعوذ من معضلة و لا أبي الحسن لها)، و كان معاوية بن أبي سفيان يرسل إليه سائلاً عن حل لما يشكل عليه

1 _ المصدر نفسه: قصار الكلم 35، ص:326

2 _ المصدر نفسه: قصار الكلم 150، ص:389

3 _ المصدر السابق: الرسالة 31، ص:306

4 _ دراسات في نهج البلاغة، ص:10

5 _ فاضل عباس الملا. الامام علي (ع) ومنهجه في القضاء: مطبعة الغدير، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ ص:5

6 _ الامام علي. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد.، مج1، ج1، ص:11

من القضاء رغم ما كان بينهما، و يقول عمر (رضي الله عنه) (أفضانا علي) و عن (ابن العباس) (رضي الله عنه) قال: "إذا بلغنا شيئاً تكلم به علي قضاء فتيا لم نجأوزه إلى غيره، وكان (معاوية) يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب، فلما بلغه قتله قال: ذهب العلم بموته" (1). فقد ورث علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بحكم مولده و مرباه مناقب النبوة و مواهب الرسالة، و بلاغة الوحي و صراحة المؤمن، و بسالة المجاهد فأجمع الناس على إجلاله و كادوا يطبقون على حبه.

كل هذه الروافد و الأحداث كان لها صدى في كتابه (رضي الله عنه) نهج البلاغة فكان بمثابة صوت الإمام، و حكمة الأمة، فكان كلامه هذا كما قال فيه ابن أبي حديد " يملأ السهل و الجبل و ينتقل في البدو و الحضر، يرويه على كثرتة الرواة و يحفظه العلماء و الدارسون، و إذ كان لكلام الإمام على طابع خاص يميزه عن غيره من الخطباء و نهج واضح يخالف غيره من البلغاء و المترسلين فقد تأثر به الكثير من الأدباء و الوعاظ و الخطباء منهم" (نصر بن مزاحم صاحب صفين) و (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي)، و (أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي)، و (محمد بن عمر الواقدي)، و (أبو الحسن على بن محمد المدائني)، و (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ)، و (أبو الحسن على بن الحسين المسعودي)، و (أبو عبدالله محمد بن سلامة القضاة) و (عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي) و (ورشيد الدين محمد بن محمد المعروف بالوطواط) و (عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد)، و غيرهم كثيرون (2). إلا أن أعظم هذه المحاولات شأنًا، و أهمية كما يرى النقاد، أن يفردوا لكلامه كتبًا خاصة و دواوين مستقلة، أهم ما وصلنا منها، هو مجموع ما اختار الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي، في كتابه نهج البلاغة هذا الكتاب الجليل الذي سبق و أن وردنا قيمته الأدبية و التاريخية و قد ترجم إلى معظم لغات العالم.

كان الإمام عليّ بحراً في علومه و فكره الذي لا ينضب، يؤاتيه الكلام في تتابع دون تكلف و لا صنعة، فهو يمتاز بسهولة المخرج، مطرد السياق و القياس و على أمثلته هذا كل خطيب، و بكلامه استعان كل واعظ بليغ، و بحكمه أخذ كل هاد عاقل لما لكلام الإمام من خصائص و طبقات لغوية أما الشواهد التاريخية فهي كثيرة في تأثر القراء به، كما أنها مدونة في كثير من أمهات الكتب العربية نورد منها قول ابن واضح اليعقوبي (292 هـ) في كتابه (مشاكل الناس لزمانهم): "و حفظ الناس عنه

1 _ جبر محمود الفضيلات. القضاء في صدر الإسلام، تاريخه و نماذج منه، دط، شركة الشهاب الجزائر: 1987
ص: 235

2 _ الامام علي. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد. ص: 17

الخطب ، فإنّه خطب بأربعمائة خطبة ، حفظت عنه ، وهي التي تدور بين الناس و يستعملونها في خطبهم".⁽¹⁾ و قال الكليني (329 هـ) بعد نقل خطبة له (عليه السلام) في التوحيد ما لفظه : " و هذه الخطبة من مشهورات خطبه (عليه السلام) ، حتّى لقد ابتذلها العامّة و هذه الخطبة مرجع لكل باحث في علم التوحيد إذا تدبّرها بإمعان و فهم ما فيها من حكم فلو اجتمع ألسنة الجنّ و الإنس ليس فيها لسان نبيّ على أن يبيّنوا التوحيد بمثل ما أتى به بأبي و أمّي ما قدروا عليه و لولا إبانته (عليه السلام) ما علم الناس كيف يسلكون سبيل التوحيد ".⁽²⁾ و لنا في هذه الخطبة من تفصيل في الفصل التطبيقي . و قال ابن ميثم " و أما الفصحاء فمعلوم أنّ جميع من ينسب إلى الفصاحة بعده عليّ (عليه السلام) يملؤون أوعية أذهانهم من ألفاظه ، و يضمّنونها كلامهم و خطبهم فتكون منها بمنزلة ورد العقود كابن نباتة و غيره ، و الأمر في ذلك ظاهر " .⁽³⁾ و قال ابن نباتة : "حفظت من الخطابة كنزا لا يزيد الإنفاق إلاّ سعة و كثرة ، حفظت مائة فصل من مواعظ عليّ بن أبي طالب " .⁽⁴⁾ لنهج البلاغة قيمة فنية بالغة الأهمية ، سواء أكان في الحكم والمواعظ أو الأسلوب ، فقد كان هذا الكتاب اسما على مسمى فهو نهج كل من أراد البلاغة و البيان إذ أشاد بقيمته كل من اطلع عليه قديما و حديثا ، إذ يقول في ذلك ابن ابي الحديد نقلا عن المسعودي: " و الذي حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة و نيف و ثمانون خطبة، يوردها على البديهة ، تداول عنه الناس ذلك قولاً وعملاً"⁽⁵⁾ و يقول في ذلك صلاح الدين الصفديّ في ترجمة أحوال محمّد بن عبد الملك بن عبد الحميد الشهير بالزاهد الفارقي (564 هـ) ما لفظه : " و كان دعا الخلق إلى الله تعالى و كان يتكلّم على الناس كلّ جمعة بعد الصلاة بجامع القصر .

و كان يحفظ كتاب نهج البلاغة و يغيّر عبارته و كان الكبار يحضرون مجلسه و الأعيان و الفضلاء ، و كان يتكلّم على لسان أهل الحقيقة بلسان عذب و كلام لطيف و عبارة رشيقة و منطق بليغ فانتفع

1 _ عباس بن محمد رضا القمي، شرح حكم نهج البلاغة ، مؤسسة نهج البلاغة ، طهران ، 1417هـق ، ص:14

2 _ المرجع السابق: ص:13

3 _ المرجع نفسه: ص:14

4 _ الامام علي. نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ج 1 ، ص:24

5 _ نقلا عن المصدر نفسه ج:1، ص:5

الناس به".⁽¹⁾ بالإضافة إلى شرح ابن أبي حديد ذي القيم التاريخية و الدينية و القيم الأدبية والغوية لا يستهان بها .

إن فائدة نهج البلاغة تمثل أيضاً في تعدد شروحاته إذ " شرح نحو أربعين مرة و إن ذكرتم أن فيه فصولاً ترجمت إلى بعض اللغات الشرقية و الغربية و إن ذكرتم أنه فتح أمام النقد أبواباً و مذاهب ، و إن ذكرتم أن له فضلاً على أكثر الفصحاء من الخطباء و إن ذكرتم أنه أشهر مجموعة و أكبر مجموعة حفظت منسوبة إلى عصر الخلفاء و إن ذكرتم أن له شرق و غرب و لم تخل منه مكتبة عربية أو أجنبية من المكتبات التي تستوفي أصول المراجع و إن ذكرتم أن مفنديه لم ينكروا قيمته الأدبية .. إن ذكرتم كل هذه الخصائص عرفتم أن الشريف خدم الأدب واللغة والأخلاق بجمع أصول ذلك الكتاب الفريد".⁽²⁾ بل نظموا فيه الشعر إعجاباً لقيمه هذا و قال السيد المرتضى : "إن أبرز أثر للشريف الرضيّ هو كتاب [نهج البلاغة] الذي جمع فيه طائفة من كلام الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، والذي يضطرّ معه كلّ خبير بجواهر الكلام على الاعتراف بمنزلته الرفيعة الشامخة، و يُطأطأ الرأس تواضعاً له وخضوعاً"⁽³⁾. أما حنا الفاخوري فيقول: " فلا عجب بعد ذلك كلّه إذا كان كتاب [نهج البلاغة] ثروة فكرية وأدبية واسعة. ففيه الدعوة الملحة إلى العمل بشعائر الدين وإلى اتباع تعاليم القرآن وتعزيز كلّ ما هو شريف الغاية، والحثّ على السير في سبيل الفضائل. وهو يجمع الدين إلى الاجتماع والسياسة ويجعل الدين أساساً لهما... وفي الكتاب إلى جنب هذه التعاليم آراء شتى في الفلسفة الماورائية، والفقه، ومعلومات تاريخية جمّة، ممّا يجعل له محلاً رفيعاً في عالم الأدب، والدين، والاجتماع"⁽⁴⁾. أما في العصر الحديث، يقول الشيخ محمد عبده مفتي مصر الأسبق وشارح [نهج البلاغة] في وصف هذا الكتاب: "(... وليس في أهل هذه اللغة إلا قائل بأنّ كلام الإمام عليّ بن أبي طالب هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيّه صلى الله عليه وآله، وأغزره مادّة، وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني ... فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة، و الطامعين في التدرج لمراقبها أن يجعلوا هذا الكتاب أهم محفوظهم و أفضل مأثورهم، مع تفهم معانيه في الأغراض التي جاءت لأجلها، و تأمل الفاظه

1 _ صلاح الدين الصافدي ، الوافي بالوفيات ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط2000، 1، ج4 ، ص34

2 _ المصدر السابق: ص ص: 18.17

3 _ المصدر نفسه: ص ص: 18.17

4 _ حنا الفاخوري . تاريخ الأدب العربي ، ص :278

في المعاني التي صيغت للدلالة عليها، ليصيوا بذلك أفضل غاية و ينتهوا إلى خير نهاية⁽¹⁾ ويقول الشّارح الكبير ابن أبي الحديد المعتزلي: "إنّ سطرّاً واحداً من (نهج البلاغة) يساوي ألف سطر من كلام ابن نُباتة وهو الخطيب الفاضل الذي اتفق الناس على أنّه أوجد عصره في فنّه⁽²⁾ و من الخصائص التي تخصّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في العلم "أنّ ذلك يتضمّن عجائب البلاغة و غرائب الفصاحة وجواهر العربيّة و ثواقب الكلم الدنيّة والدنيويّة ما لا يوجد مجتمعاً في كلام ولا مجموع الأطراف في كتاب. إذ كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها."⁽³⁾ إن هذا الحكم وهذه العاطفة شاركهم فيه حتى غير المسلمين، منهم الكاتب الإنجليزي (كارليل) إذ قال: "أما ذلك الفتى علي فلا يسعك إلا أن تحبه . ركب الله في طبعه النبل منذ الحداثة، و تجلى في خلاله الكرم طوال عمره، ثم طبعه على العمل و نفاذ المهمة و صراحة البأس"⁽⁴⁾. فأما فضائله (عليه السلام) فإنها قد بلغت من العظم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمح معه التعرض لذكرها ، والتصدي لتفصيلها ، فصارت كما قال أبو العيّن لعبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل والمعتمد : " رأيتني فيما أتعاطى من وصف فضلك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر ، الذي لا يخفى على الناظر ، فأيقنت أني حيث انتهى بي القول منسوب إلى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثناء عليك إلى الدعاء لك"⁽⁵⁾ ، ويقول فيه عباس محمود العقاد: "...فقد خلق الإمام، و في كل خليفة من خلائقه الكبار اجترأ على الدنيا، على ضرب من ضروب الاجترأ. خلق شجاعاً بالغاً في الشجاعة و زاهداً عظيم الزهد، ودارساً محباً للحقيقة الدينية يتحرّرها حيث اهتدى إليها..⁽⁶⁾ هذا هو نهج البلاغة وهذه هي بعض من صفاته . فما هو الهدف و القصدية من إرسال الخطاب؟.

7. القصدية و الهدف من إرسال الخطاب:

مفهوم القصدية هي ماذا كانت الأطراف المشاركة تنوي التوصل إليه كنتيجة للحدث الكلامي و تتعلق النقطة الأولى، بالمتكلم و بما يدور في خلدّه باستمرار أثناء إصداره لمفوضاته، ونريد بذلك

1 _ الإمام علي. نهج البلاغة ، مقدمة شرح محمد عبده ، ص: 8

2 _ الإمام علي. نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ص6

3 _ المصدر نفسه: ، ص: 17

4 _ نقلا عن حسن محمد الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص: 98

5 _ الإمام علي. نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ج1، ص: 17

6 _ عباس محمود العقاد .عبقرية الإمام علي ، ص: 141

القصدية، حيث يرتبط هذا المفهوم بكل ما من شأنه أن يحفز المتكلم على تحريك العملية التبليغية، فمن الناحية المنهجية، يلعب القصد دورا محوريا في تأويل الملفوظات والنصوص، باعتبارها صادرة عن شخص قد لا يصرح عن مقاصده إلا قليلا، وعلى المحلل، في هذا المجال، أن يبحث عنها من ملفوظات المتكلم، ومن الظروف إصدار الملفوظات ؛ من خلال ثلاثة مستويات: [مستوى العمل اللغوي] و [مستوى العمل المتضمن في اللغة]، و [مستوى العمل القائم في أثر القول].

و القصدية و الدوافع الإخبارية عند الإمام علي (ع) تتمثل في جانب تبليغ دين الله الذي جاء به ﷺ و يتمثل في توجيه الناس و وعظهم و نصحهم ،و تثبيت الإيمان في قلوبهم، و العمل بما انزل الله تعالى و ما أوصى به الرسول (ﷺ) خاصة مع الفتوحات التي وقعت في عهد الخلفاء الراشدين، فواجه المسلمون عقائد لم يعهدوها مثل الغنوصية (المجوسية) في فارس و العراق و المسيحية في الشام و مصر وغيرها من الفرق، تأثر بها بعض المسلمين ، مما اضطر بالإمام إلى توضيح و تصحيح هذه المفاهيم؛ لغاية تثبيت الإيمان في قلوب المسلمين و إقناع غير المسلمين بخطأ ما يفكرون .إضافة إلى توجيه سلوكيات بعض المسلمين تأثروا بالحالة السياسية و المذهبية في ذلك الوقت ،هذه العناصر و غيرها هي التي أعيرت الاهتمام في الخطاب الإقناعي للإمام علي (ع) في نهج البلاغة ،و من هذا الواقع الاجتماعي و السياسي و العقائدي الداخلي منه و الخارجي تم إرسال الخطاب، الذي صرح فيه الإمام بنواياه و بالقصد الذي من أجله ألقى الخطاب . يقول (ع): (1) "أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ: فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ: فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ (2) عَلَيْكُمْ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا تَجْهَلُوا، وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا. وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ: فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالْأَجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُّكُمْ." فالهدف و الغاية و القصد واضح في الخطاب وهو توجيه الناس و وعظهم و قبلها أن يتسلحوا بسلاح خصومهم فاطلعوا على المناهج العقلية وأفكارهم ، وإذا بهم يرون بأن القرآن الكريم يشمل كل القضايا الكبرى التي شغلت الإنسان كمعاني الوجود و الحياة الدنيا والآخرة و الخير و الشر الحق و الباطل، الكفر و الإيمان الوعد و الوعيد، الخالق و المخلوق و تمكن المسلمين من استعمال الجدل و المنطق و الاستدلال بالحجج لمواجهة خصومهم بها ، فكان الجدل الديني و كان النظر العقلي في أمور العقيدة ، فظهر ما يسمى بعلم الكلام الذي تسلح بالفلسفة من غير أن يكون منها لأن الفلسفة تتخذ الشك منطلقا لها للوصول إلى الحقيقة في حين أن علم الكلام

1_ الإمام علي . نهج البلاغة ، تحقيق و شرح ، فارس الحسون ، خ34 ، ص ص:95-94.

2_ الفئء: الخراج وما يحويه بيت المال.

منطلقه الإيمان الراسخ بالعبقدية و مبادئها فانعكست هذه الظروف في مدونة نهج البلاغة التي يطرح فيها قضيتين أساسيتين فالقضية الأولى تضمنت الأمور العقائدية ك: [التوحيد، و صفات الله، و الأمور الغيبية...] و القضية الثانية تضمنت الأمور العملية: [التقوى، الصبر، الزهد، تهذيب النفس...].

نخلص إلى أن الإمام علي كان رأس المدافعين عن الإسلام (ﷺ) فأمثال و مواظب الإمام علي () كلها واقعية أو معظمها مستمدة من واقع الحياة و الإيمان، يقول في ذلك أنور الجندي في حكم الإمام: " قد يكون الإيمان متصلا بما وراء الطبيعة، غير أنه في صميم الوجود البشري لأنه يوجه سلوكهم و عواطفهم، و أحلامهم، و أفكارهم". (1) فالإمام علي يؤمن بالحياة الباقية و يعتبر الدنيا جسرا نحوها و مجازا إليها. فهو متشبع بالثقافة الإسلامية عن قرب و من مصادرها النيرة استلهم الحق و طريق الوصول إليه و نصحهم، و تثبت الإيمان في قلوبهم، و العمل بما انزل الله تعالى و ما أوصى به

ﷺ (عليه السلام).

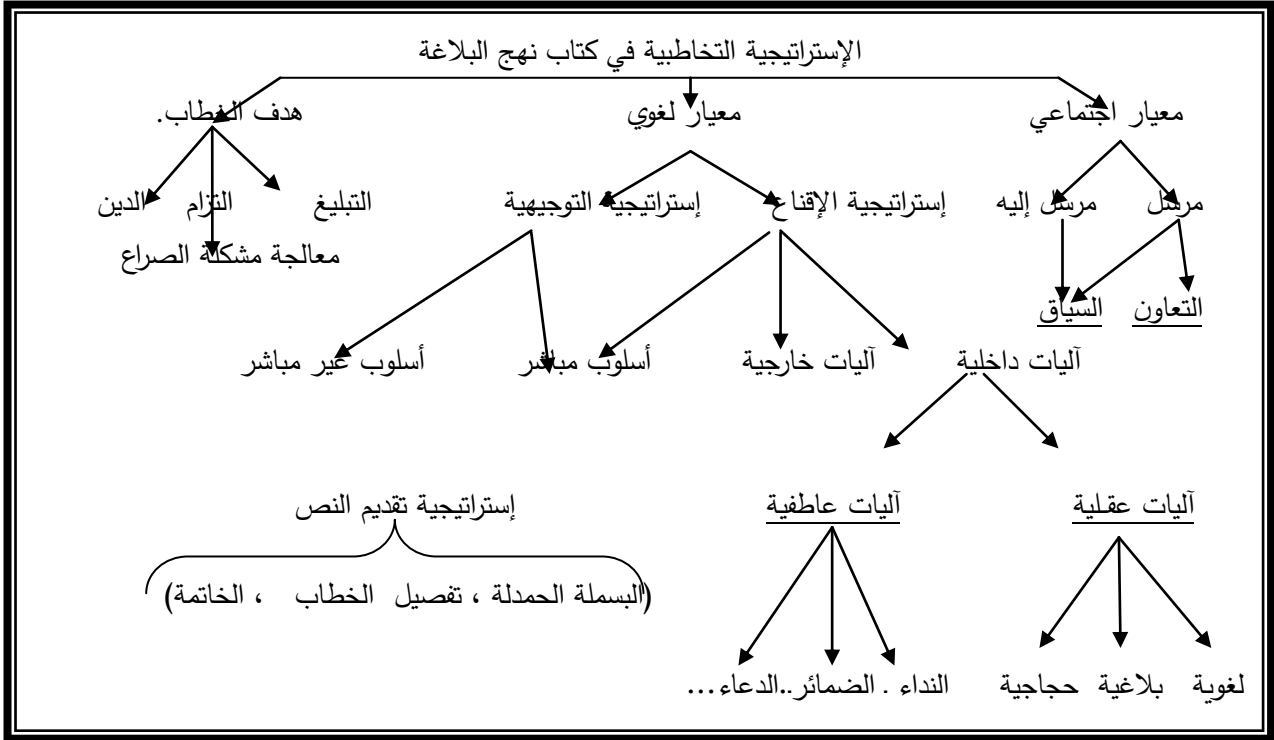
• المبحث الثاني: إستراتيجيات الخطاب الإقناعي في نهج البلاغة

بعد ما عرفنا المرسل و السياق العام و الخاص والرسالة و أنواع المتلقي والقصد من إلقاء الخطاب نعود إلى الإستراتيجية الخطابية عند الإمام. فما الاستراتيجيات الخطابية التي يتوخاها الإمام علي لإرسال خطابه الإقناعي في كتابه نهج البلاغة؟

معايير إستراتيجية الإمام في نهج البلاغة كثيرة و متنوعة ؛ قد تفوق الحصر لتعدد السياق و المتلقي و القصد من الخطاب باختلاف القدرات الذهنية للمتخاطبين ، و الذين عرفهم الإمام علي و صنفهم تصنيفا محكما ؛ لأن غاية المتكلم أثناء مخاطبته للآخر (المتلقي) هي في الحقيقة انسجام لمقاصده بالأساليب التي يصوغ عليها ملفوظاته ، لغاية تحقيق عمليات لغوية إقناعية. لذلك فهي تختلف باختلاف هذه العقبات والمعوقات و لحصر هذه الإستراتيجيات سأحدو في هذا الجانب حدو عبد الهادي بن ظافر الشهري ، قد ينتظم من خلالها عقد هذه الإستراتيجيات في المعايير التالية: [معيار اجتماعي]: العلاقات التخاطبية و معيار لغوي [شكل الخطاب] و معيار ثالث هو [هدف الخطاب](2)؛ و على العموم يمكن اجمالها في المخطط التالي:

1 _ أنور الجندي، الرائد في الأدب العربي، ج 2 ، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1986. ص: 342

2 _ المرجع السابق : استراتيجيات الخطاب ، ص: 11



1. إستراتيجية بناء الخطاب التوجيهي :

تظهر هذه الإستراتيجية على الصعيد الخارجي في شكل تقديم الخطاب الإسلامي، فتخضع بذلك الى ثلاثة عناصر ، وفق مؤشرات لغوية و علامات تبين البداية و تكون - غالبا - لفظا شائعا معروفا ك[البسمة و الحمدلة أو غيرها]، أما العرض فيتبين باستخدام قالب لفظي يكون عادة بفصل الخطاب [أما بعد] كما تبين تلك العلامات المرحلة الأخيرة أي الخاتمة أو النتيجة وفق جملة من الحروف و الأدوات تدل على الاستنتاج و الختام ، مثل [الفاء و حتى ...] و يمكننا أن نتبين نوعين من الخطب في مدونة نهج البلاغة: خطب تخضع للتقسيم الثلاثي [مقدمة ، عرض ، خاتمة] و مثالها الخطبة رقم (35) التي يبدؤها الامام بمقدمة يضمنها الأركان الشرعية للخطبة من الحمدلة و الشهادتين و الصلاة على النبي اذ يقول فيها : " الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح و أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ايس معه إله غيره ، و أن محمدا عبده و رسول الله صلى الله عليه و آله". ثم عرض الموضوع و يتم ذلك من خلال أنساق لغوية وأدوات معينة.

2. استراتيجية المقياس الاجتماعي:

تتمثل هذه الإستراتيجية في مقياس العلاقات التخاطبية بين المرسل و المرسل إليه، إذ أولت التداويات الحديثة اهتماما كبيرا لعنصري [المتكلم و المخاطب] بحكم أن الخطاب موجه [من و إلى] أحد

الطرفين فلا يمكن فهم الخطاب دون استحضار صاحبه وكذا الموجه إليه، فهما يعتبران ركنان أساسيان ومظهران مهمين في الحالات التكميلية⁽¹⁾، فأما المرسل إليه (المتلقي) فقد صنفه الإمام علي إلى خمسة أصناف، أربعة أصناف منهم مسيئين و صنف واحد راغب في الله في قول الإمام (عليه السلام) في خطبة له منها: (2) في تبيان أصناف المسيئين: "فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ، وَكَلَالَةً حَدِّهِ، وَنَضِيضٌ وَفَرِهِ. وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمَجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ لِحُطَامِ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مَقْبَبِ يَفُودُهُ، أَوْ مَبْرٍ يَفْرَعُهُ. وَلِبَيْسِ الْمَتَجَرِّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ تَمَنًا، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوْضًا! وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَرَخَّرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِأَمَانَةٍ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْعَدَهُ عَنِ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةً نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاخٍ (4) وَلَا مَعْدَى" (5). أما أصناف الراغبين في الله: (3) ففي قوله (عليه السلام): "وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ نِكْرَ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفَ الْمَخْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدِ نَادٍ، وَخَائِفِ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتِ مَكْعُومٍ، وَدَاعِ مُخْلِصٍ، وَتَكْلَانِ مُوجِعٍ، قَدْ أَحْمَلَتْهُمْ النَّفْيَةَ، وَشَمَلَتْهُمْ الدَّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرِ أَجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَفَهَرُوا حَتَّى دَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا." من خلال هذا الخطاب نجد الإمام علي في إستراتيجيته يراعي المرسل إليه أو المتلقي و الذي يمكن تصنيفها إلى مايلي:

_ أولا : من يستوعب كلام الإمام و يعمل به دون ترد

_ ثانيا: من يتردد في تطبيق توجيهات الخليفة الإمام علي

_ ثالثا: العنيد المخالف غير المطيع لتوجيهات الإمام

فالإمام دقيق في تصنيفاته بعيد عن النمطية التعميمية في الحكم على الآخرين ، على هذا المنوال انطلاقا من أن إستراتيجية المتكلم في توجيهه للخطاب يراعي في ذلك معرفة المخاطب(المتلقي) بما يحمله الخطاب و قد ورد في هذا المجال ما أشار إليه السكاكي⁽⁴⁾ ، ففي الحالة الأولى يكون مفتقرا إلى الخبر

1 _ إدريس مقبول . الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص:330

2 _ الإمام علي. نهج البلاغة ،شرح و تحقيق فارس الحسون، خ 32 ،

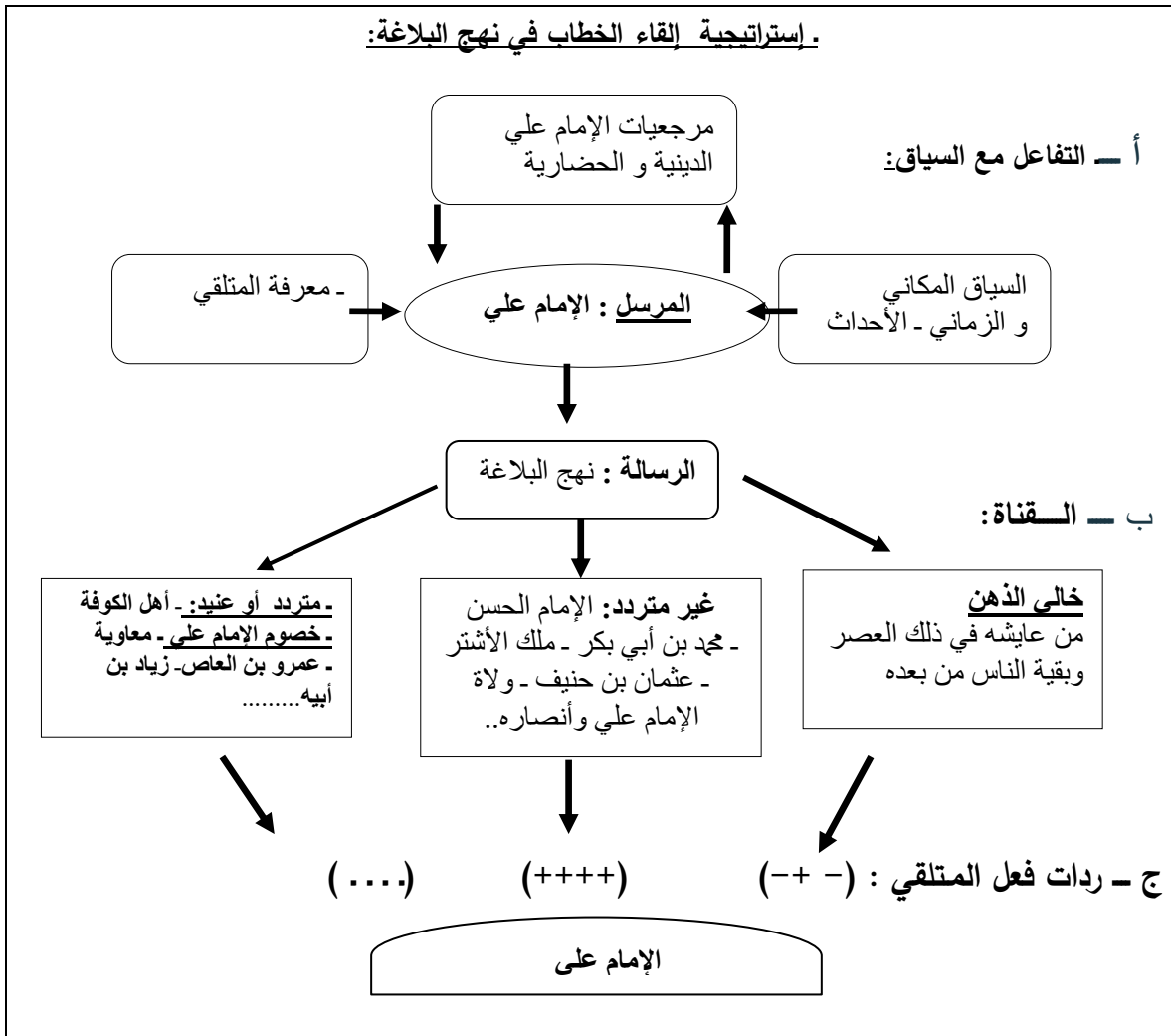
3 _ الإمام علي. نهج البلاغة ،شرح و تحقيق فارس الحسون ، خ 32،

4 _ السكاكي . مفتاح العلوم ، ص: 170

كشف السياق العام و الاستراتيجيات الإقناعية

فيفيده بقدر حاجته، أما في الحالة الثانية فإن المرسل إليه في ورطة الحيرة، و المرسل هو المنقذ له منها بإضافة أدوات أخرى للخطاب . أما حالة المرسل إليه المنكر فإن المرسل يعتمد إلى إضافات أخرى في خطابه ليعدل المرسل إليه عن جحوده و إنكاره .

ومنه سنكون قد أمسكنا بالأطراف التي تكوّن إستراتيجية بناء و إلقاء الخطاب، اعتماداً على مصطلح السياق في بعده التداولي ، و يمكن تجسيد إستراتيجية خطاب الإمام حسب السياق و نوعية المتلقي في المخطط التالي:



على ضوء هذا المعيار نستطيع أن نعيّن الإستراتيجيات على النحو التالي:

3. الإستراتيجية التضامنية :

يهتم هذا العنصر بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، التي تتراوح قرباً وبعداً، علواً أو دنواً، في نظام يعرف بـ[النظام القولي] بما يضمه من قرائن، تعمل على كشف مجموع

القيم و المقامات الموزعة على مستوى النص، والمتمثلة في المعيار اللغوي أو ما يعرف بالتماسك النصي الدلالي.

4. إستراتيجية التماسك النصي الدلالي (المعيار اللغوي):

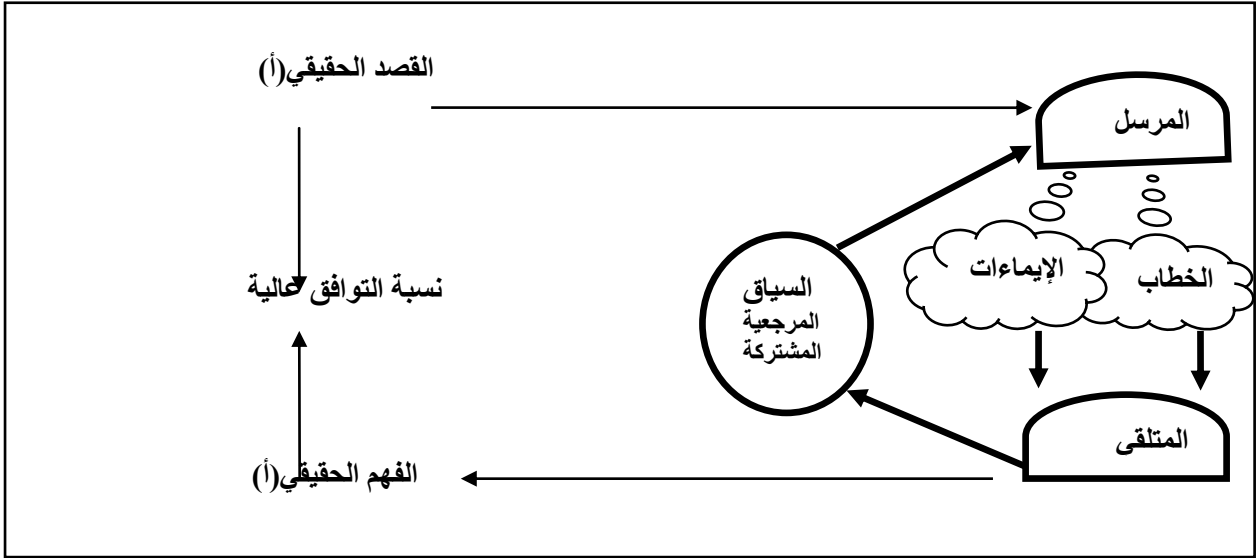
هو معيار تشكل لغة الخطاب في الاستراتيجية الإقناعية والإستراتيجية التوجيهية ، و يعدُّ الهدف الإقناعي من أهم الأهداف التي يسعى الإمام علي إلى تحقيقها، هذه الأهداف التي هي بحاجة إلى إستراتيجية للإقناع، انطلاقاً من أن المرسل يتوخَّاهم لتحقيق مآرب كثيرة، و يستخدم لذلك آليات لغوية و بلاغية و حاجية متعددة، منها ما يخاطب بها العواطف، ومنها ما يتعامل بها مع العقل إذ يملك الإمام علي حمولة فكرية عظيمة استمدها من تناصاته مع القرآن الكريم ومجاوراته عليه السلام بالإضافة إلى تجاربه الخاصة، كل ذلك مكنه عليه السلام من اكتساب قدرة رهيبه في الجانب اللغوي و البلاغي و الفكري ، ومن ثمة الإقناعي حتى نعتت خطابته بـ [نهج البلاغة] ، و أصبح كتابه طريق و سبيل كل طالب و خطيب يرغب في التحكم في ناصية الخطاب، و هذا ما تيسر إليه الخطابة الجديدة خاصة من جانب الإقناع .

فمن طرائق عرض الحجاج وجود مقدمات يخضع اختيارها لطريقة العرض و يجب أن يُراعى السامعون في عرض هذه المقدمات أيضاً ، فلا يقدم بما هو معلوم لدى السامعين فيؤدي ذلك إلى الملل كما يجب ألا يُفصل بين الشكل والمضمون ، ولا يمكن من ثمَّ دراسة البنى الأسلوبية منفصلةً عن أهدافها الحجاجية . و يجب أن يؤخذ في الاعتبار كل المظاهر الشكلية بما في ذلك التنعيم والإشارات وتدرس في ضوء تأثيرها الحجاجي ، و اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها كما اهتم الإمام علي بالنبر والصمت وما يؤديانه من دور عند بعض المقاطع. هذه العناصر التي سنفصل في تحليله في حينها . و قد قسم الإمام علي الحجاج بحسب نوع الجمهور [حجاج إقناعي] ، وهو يرمي إلى إقناع الجمهور الخاص و [حجاج اقتناعي] ، وهو حجاج غايته أن يسلمَّ به كل ذي عقل .

و هذا ما نجده في الخطبة الأولى في نهج البلاغة ، إذ يذكر فيها الإمام [ابتداءً خلق السماء والأرض]، و [خلق آدم عليه الصلاة والسلام] [وفيها ذكر الحج] [وتحتوي على حمد الله، وخلق العالم وخلق الملائكة، واختيار الانبياء، ومبعث النبي، والقرآن و الأحكام الشرعية؛ لأن الإمام علي كان يقصد من خلال خطابه التبليغي تقليص المسافة بينه وبين المتلقي، بوصفهم مخاطبين فعليين ، خاصة إذا كان المرسل شخصية لها سلطتها المعنوية المشهود لها و ثقلها السياسي و الديني ، إضافة أنه من أهل البيت الذين طهرهم الله و ابعدهم الرجس . فالإمام علي يعمل جاهداً على تطبيق الصيغ الإسلامية

كشف السياق العام و الاستراتيجيات الإقناعية

الصحيحة للحياة الإنسانية على المجتمع في سبيل بناء الإنسان المتكامل ويوظّف لها كافة العمليات شبه المنطقية التي تتجسّد باللغة الطبيعية على الصعيد الداخلي لها، فيكون فيه التّركيز على [الرّوابط الحجاجيّة]، وعلى كلّ ما يدل على مناحي الحجاج، كعبارات [التقديم] و[الانتقال]، و[الاختتام]. فاللغة تعد أداة لسانية مهمة للتعبير عن أفكار المرسل ومعتقداته و هذا ما يسمى [بالتأثير اللغوي] ولنا عودة إلى موضوعه بأكثر تفصيل ، و هذا نموذج لمبدأ التعاون بين المرسل [الإمام علي] و[المتلقي]:



بالإضافة إلى استخدام الإمام لإستراتيجية الأداءات السيميولوجية أو ما يعرف ب[تأثير السياق غير اللغوي] ، و يشمل هذا النوع من السياق مجموعة من الإشارات و الإيماءات التي تصاحب الخطاب أثناء التلفظ به، وكذا مظاهر الأداء الصوتي المختلفة من نبر و تنغيم، وهذه الخصائص تتعلق بالنصوص الشفاهية أكثر من النصوص المكتوبة لكون معظم خطاب الإمام ألقى مشافهة .

ولكون هذه الخطابات مدونة و مكتوبة ، فإنه يتعذر علينا معرفة الأداءات و الدلالات السيميولوجية المصاحبة لها، وطرائق التلفظ بها؛ لكن هذا لا يلغي خاصية نهج البلاغة الشفهية حين إلقائه أو إرساله و يمكن لنا تصور [السياق المصاحب] من خلال الرؤية الشاملة عن واقع العصر الذي عاش فيه الإمام فيما سبق تناوله ، خاصة و أن خطب نهج البلاغة تتميز بالاستمرارية و التجديد لما تملكه من طاقات دلالية و أدبية و حكم خالدة ، كلها من عناصر الإقناع التي تدخل في إستراتيجية بنية الخطاب الإقناعي و الإقناعي عند الإمام علي.

5. الإستراتيجية المعجمية :

أنشأ الإمام علي (رضي الله عنه) لغة خاصة لخطاباته و ضمن هذه اللغة بطل البديع و كثيرا من الأمثال المستقاة من واقع البيئة العربية ،والاقتباسات من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف والشعر والإشارة إلى بعض الجوانب التاريخية، إضافة إلى الصور الفنية و مختلف العناصر المكونة للخطاب و المتمثلة في [البعد التركيبي . البعد الدلالي . البعد التداولي] إضافة إلى [البرهان، التمثيل، التكرار العتاب، المدح، التحذير، الترغيب، القسَم..].

فقد استعمل الإمام أساليب متعددة لجعل خطابه مؤثراً موظفا كل عناصر اللازمة لبناء الخطاب (*). إضافة إلى [التأثير المعنوي] كالموعظة، القول الحق، الصدق والصواب، الابتعاد عن الفحشاء إرادة الخير، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقوى الله، حسن العشرة، العمل بالأقوال .

لقد ابتلي الإمام في حياته وخاصة في فترة خلافته بالصراعات والخلافات و الفتن المتعددة و المتنوعة مع خصومه، في خلافة لم تتجاوز الخمس سنوات، إلا أن الإمام قد واجهها بصبر و حلم و حكمة و أخلاق رفيعة، لأجل ذلك ورد خطاب الإمام في شطره الأكبر من نهج البلاغة هو في معالجة مشكلة الصراع و أساليب التعامل معه، وأنقل هنا نصاً للإمام (رضي الله عنه)، يوضح فيه رؤيته لمسألة الخلاف، يقول (رضي الله عنه) من كتاب له (رضي الله عنه) إلى أهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه إمارتها: «أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا (ﷺ) نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَمُهَيِّمًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَلَمَّا مَضَى (ﷺ) تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنْ الْعَرَبَ تُرْعَجَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ (ﷺ) عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنْحَوُّهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْتِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايِعُونَهُ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَخِقِ دَيْنِ مُحَمَّدٍ (ﷺ)، فَحَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ تَلْمَازًا أَوْ هُدْمًا، تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فُوتِ وَلَايَتِكُمْ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ، يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ، فَهَضَّتْ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاخَ الْبَاطِلُ وَرَهَقَ، وَأَطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَّنَهُ»⁽¹⁾. الإمام في هذا النص يبيّن استغرابه لتتحيته عن موقعه الشرعي ولكنّه يبيّن أنه أمسك عن البيعة في البداية ؛ لكنه لما رأى خطر الردّة عن الإسلام وضياع هيبة الأمة بايع الخلفاء وساعدهم في مواجهة التحديات.

* - ينظر في الأطروحة الفصل الخاص بالحجاج

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج3، ص:62

حاول الإمام علي فسح المجال أمام هذا المتلقي للتوعية ، و من ثمة توجيهه الوجهة السليمة الصحيحة التي حث عليها الشرع الإسلامي " كما قال (عليه السلام): "إنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والإحياء للسنة" (1) ، وأن أهم ما يميز مفهومها أنها تهتم بدراسة شروط سلامة الخطاب و التواصل ، و إبراز مظاهر الإقناعية فيه إذ يجتهد المخاطب بإستراتيجيته جاهداً إلى إقناع متلقيه بموضوع الخطاب ، و استمالته إليه و هذا باستحداثهم فنا يسمى [الاستدراج]، و قد أشار إلى ذلك حازم القرطاجني حين قال : "الإقناع هو قوام المعاني الخطابية " (2) ومن طرائق العرض ذات الأثر الحجاجي كثرة إيراد الحكايات الدائرة حول موضوع واحد .

كذلك الإحالة إلى مكان الحدث وزمانه ، والميل إلى استعمال اللفظ الحسي المجسد دون اللفظ المجرد، كما أن انتقاء اللفظ هو ذو قيمة حجاجي ثابتة لها علاقة بالمقام ، وتبعاً لهذا لا يمكن أن يُقال بسهولة : إن هناك خطاباً وصفيّاً محايداً ، فكل خطاب يحمل في الحقيقة قدرّاً من الحجاجية . كما أن النفي له دور في الحجاج ؛ إذ لا ينشأ النفي في العادة إلا ضمن معطيات حجاجية قوية وراسخة ، كما أن طرائق الربط بين القضايا بواسطة أدوات الربط المختلفة [الواو ، لكن ، إلا ، على الرغم ...] تبني النتيجة على السبب وتحثه رمية في شأن القيم وتتيح للخطيب سلاسة انقياد المستمعين لما يقول (3) . كل طرائق العرض السابقة قد يكون لها علاقة بالتماسك النصي في شقّه الدلالي بالإضافة إلى تنوع وثرى الحقول الدلالية بالمختلفة منها حقول الصراع و الرفض، حقول الإعتزاز بالتمسك بالدين والأخلاق الفاضلة حقول النقوى و الوعظ، حقول الحسرى و الحزن و الأسى، حقول الدعوة إلى الجهاد.

6. استراتيجية التوجيه في العرض الحجاجي:

ذكر (بيرلمان) و (تيتيكاه) أهم الموجّهات في العرض الحجاجي وحصراً " في أربعة هي:

أ. التوجيه الإثباتي: ومن شأنه أن يستخدم في أي حجاج .

1 _ نهج البلاغة ، شرح و تحقيق فارس الحسون ، الخطبة 105، ص: 98

2 _ حازم القرطاجني . منهاج البلاغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب خوجة ، دار العرب الإسلامي

ط3، 1986، لبنان، ص: 361

3 _ عبد الله ، صولة. الحجاج أطره ومنطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج ..، ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، كلية الآداب منوبة ، تونس دت ، ص ص: 316 - 321

ب. **التوجيه الإلزامي** : وصيغته اللغوية هي الأمر. لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية وذلك على عكس ما قد يعتقد إذ يستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص الأمر و ليس من ذات الصيغة ، ولهذا يتحول الأمر إلى معنى الترجي حين لا يكون الأمر مؤهلاً شرعياً لتوجيه الأمر.

ج. **التوجيه الاستفهامي** : هي ذات قيمة خطابية جليلة إذ يفترض السؤال شيئاً تعلق به ذلك السؤال ويوجي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء. كما أن اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحياناً إلى حمل من وجه إليه الاستفهام على إبداء موافقته

د. **التوجيه بالتمني**: مداره على الصيغ المفيدة تمنياً، وهذه الصيغ يستفاد منها الاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تقر بها المجموعة ... وصيغ لغوية أخرى شأن الأزمنة ... وشأن استخدام الضمائر يعوض بعضها بعضاً. ذو مجال هذه الصيغ التوجيهية في الحجاج أوسع بكثير من مجال التوجيهات المنطقية و قد حصرها المناطقة في اليقين والإمكان والضرورة⁽¹⁾ وكل الموجهات السابقة بما فيها الموجهات المنطقية ، وما عرضه المؤلفان من تقنيات حجاجية في كتابهما، يمكن أن تنتظم في إستراتيجية تسمى إستراتيجية الاقتناع و سنجد لمعظم هذه التقنيات دورا بارزا في إستراتيجية الإمام في الجانب التطبيقي

7. إستراتيجية الإقناع العاطفية:

تعرف بالسمات الذاتية (النداء، الضمائر، الدعاء...) فمنها أسماء الإشارة التي تحيلنا على المتخاطبين؛ أي ضمائر الشخص الأول [المرسل]، والشخص الثاني [المتلقي] أ. **نظام الزمن و الإشارات:**

هي من علامات التحديد الزمني زمن الإلقاء (الحكي)، وزمن وقوع الأحداث. ففيها يصبح طرفا الخطاب وكأنهما من الأقران ، ويمكن أن يُعبّر المرسل عن تلك العلاقة بأدوات لغوية كثيرة منها الأدوات الإشارية اللغوية التي تقرب البعيد أو تقترب منه، وتجمع الأطراف التخاطبية، مثل الضمير (نحن) الذي يدل على الجمع بين طرفي الخطاب و له تأثير كبير على المتلقي لما يشعره من كونه فردا في المجموعة. فمن خلال تأملنا لنهج البلاغة ، نلاحظ أن الإشارات الشخصية تحفل بعناصر الوعظ و التوجيه و الحث على التقوى ، فالإمام انطلق من ذاته، و ذلك من خلال وجود الإمام (رضي الله عنه) على رأس العملية التواصلية والإبلاغية و عبر عن دواخل نفسه التي تطوق إلى العدل في أسمى معانيه، قوله ﷺ:

1_ المرجع السابق : الحجاج : أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال ، مصنف في الحجاج ، ص: 321 – 322

"أعظكم بالموعظة البالغة"⁽¹⁾. تجدر الإشارة إلى أنّ استعمال الإمام الضمير الجمعي في الخطاب " يتوفر للمرسل عند التفاعل ثلاثة نماذج من الاستعمال، أنت و أنتم التعاونية أو المتبادلة ، أو الاستعمالات المختلفة لها؛ فيشير استعمالات هذه الإشارات إلى أن المشاركين في الخطاب يعتبرون أنفسهم ذوي علاقة حميمة من الناحية الاجتماعية، ويمكن تعريف العلاقة الحميمة بأنها: "التعبير عن القيم المشتركة، والقرباة، والجنس والجنسية، والموقع الوظيفي، وتكرار التواصل".⁽²⁾ فالضمير [نحن] من أصناف تلك الإشارات الشخصية للدلالة على المتكلم الحاضر، انطلاقاً من أنه "يسمى ضمير المتكلم والمخاطب: ضمير حضور؛ لأن صاحبه لا بد أن يكون حاضراً وقت النطق به"⁽³⁾، ولذلك يعد استعمال المرسل للضمير نحن دليل على استحضر الطرف الآخر إن كان غائبا عن عينه. سواء من حيث دلالاته على الجمع أو تعظيم المفرد. ومن جهة أخرى يمكن استعمالها على نحو تداولي بوصفها دلالة على التضامن فيما وضعت له، وفي غير ما وضعت له، نرى أنه إذا ورد منفصلاً فإنه يحمل قيمة تداولية تتمثل في اعتماده أساساً على مبدأ المشاركة بين طرفي العملية التواصلية، لأنه يحمل مشاركة بين المتكلم والمخاطب قبل الكلام، ومن كتاب كتبه (ﷺ)⁽⁴⁾ إلى أهل الأمصار يقتصّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين: "وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا التَّقِينَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِينَنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتُنَا فِي الْأَسْلَامِ وَاحِدَةٌ، لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ (ﷺ)، وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا، الْأَمْرُ وَاحِدٌ، إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ! فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ"⁽⁵⁾، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ!⁽⁶⁾ فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِشَتْ.⁽⁷⁾ فَلَمَّا ضَرَسْتَنَا⁽⁸⁾ وَإِيَاهُمْ، وَوَضَعْتَ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ⁽⁹⁾ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ

1 _ الإمام علي. نهج البلاغة، شرح و تحقيق فارس الحسون، الخطبة 97، ص: 89.

2 _ الشهري. استراتيجيات الخطاب، ص: 28.

3 _ عباس حسن. النحو الوافي، ج 1، ص: 218.

4 _ الإمام علي. نهج البلاغة، شرح و تحقيق فارس الحسون، خ 58، ص: 737.738.

5 _ النَّائِرَةُ. بالنون الموحدة. : بمعنى النائرة بالتاء المثناة، وأصلها من ثارت الفتة إذا اشتعلت وهاجت .

6 _ المكابرة : المعاندة

7 _ حَمِشْتُ: استقرت وشببت

8 _ ضَرَسْتَنَا: عضتنا أضرارها

9 _ سارعناهم: سابقناهم

الْمُعَذَّرَةُ. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّائِسُ (1) الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ (2)، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ. هذا ما يسهل المهمة المخاطب في استدعائه للتعبير على التضامن مع المخاطب وتوطيد العلاقة بينهما بالمخاطب. فدلالة " نحن في [وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا التَّقِيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ ، وَنَبِيْنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتُنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ] ، نجد أن ضمير الجمع [نحن] لفظة واحدة في تكوينها، وصيغة مستقلة بنفسها في أداء الغرض منها، و هو التكلم مع الدلالة على الجمع ، أو على تعظيم المفرد، ولم يتصل آخرها اتصالاً مباشراً بما يساعدها على ذلك الغرض " (3) فالضمير [نحن] من أصناف تلك الإشارات الشخصية للدلالة على المتكلم الحاضر ، انطلاقاً من أنه "يسمى ضمير المتكلم و المخاطب ضمير حضور؛ لأن صاحبه لا بد أن يكون حاضراً وقت النطق به" (4)، و لذلك يعد استعمال المرسل للضمير [نحن] دليلاً على استحضر الطرف الآخر حتى وإن كان غائباً عن عينه. يقول الإمام (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (5) [يصف أصحاب رسول الله و ذلك يوم صفيين حين أمر الناس بالصلح] وَ لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، نَقُتِلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ ، وَجِدًّا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَ لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفُحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا ، أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الْأِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَمُتَّبِعًا أَوْطَانَهُ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا اخْصَرَ لِلْإِيمَانِ عَوْدٌ، وَأَيُّمَ اللَّهُ لَتَحْتَلِبُنَّهَا (7) دَمًا، وَلَتُنْبَغِثُنَّهَا نَدْمًا! (6) و من أهم الاستعمالات التداولية للضمير [نحن] عندما يجمع المرسل في خطابه بينه و بين المرسل إليه دلالة على التضامن بينهما .

1 _ الراكس: الناكث الذي قلب عهده ونكثه.

2 _ ران على قلبه: غطي.

3 _ عباس حسن. النحو الوافي، ج1، ص: 212

4 _ المرجع السابق: النحو الوافي ، ج 1، ص: 197

5 _ الإمام علي. نهج البلاغة ، شرح و تحقيق فارس الحسون ، الخطبة 55

6 _ الشرح : 1. اللَّقْمُ . بالتحريك و يوزن صُرْدٌ أيضاً .: معظم الطريق أوجادته. 2. مَضَضِ الْأَلَمِ: لذعته و بُرْجَاؤُهُ. 3. التَّصَاوُلُ:

أن يحمل كل واحد من التَّادِينَ على صاحبه. 4. يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا: كل منهما يطلب اختلاس روح الآخر. 5. الْكَبْتُ: الازدلال.

6. جِرَانِ الْبَعِيرِ . بالكسر .: مقدَّمُ عنقه من مذبحه إلى مُنْحَرِهِ; وإلقاء الجِرَانِ كناية عن التَّمَكُّنِ. 7. الاحتلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن.

ويبلغ أسلوب عليّ قمةً الجمال في المواقف الخطابية التي تثور بها عاطفته الحيّاشة ، مثل ذلك خطبة الجهاد* المشهورة ، وقد خطب عليّ بها الناس لما أغار سفيان .. "فيا عجباً! والله يميث القلب ويجلب الهمّ اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفزؤكم عن حقكم . فقبحاً لكم حين صرتم غرضاً يُرمى: يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون ، ويُعصى الله وترضون!". فتظهر مقدرة الإمام في هذه الكلمات الموجزة . في تدجّ إثارة شعور سامعيه حتى وصل بهم إلى ما يصبو إليه . وسلك إلى ذلك طريقاً تتوقّر فيه بلاغة الأداء وقوة التأثير .

فمن الطبيعي أن يغضب الإمام في مثل هذا الموقف في قوله : [فقبحاً لكم حين صرتم غرضه يُرمى: يغار عليكم ولا تغيرون ، وتغزون ولا تغزون . ويُعصى الله وترضون!] يقول ﷺ "بعيداً فحشه، لئناً قوله"⁽¹⁾ فهي عبارة تحمل كل ما في نفسه من هذا الغضب .

ب. مبدأ الكم (قانون الإخبارية والشمولية):

لقد استخدم الإمام القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة و لا نقصان مع تجنب الغموض، واللبس، و القيام بالإيجاز وترتيب الكلام . يقول "رضي الله عنه" من علم أنّ كلامه من عمله، قلّ كلامه، إلا فيما يعنيه"⁽²⁾ و قد أشار الإمام (رضي الله عنه) عنه في حكمة أخرى له "قليلٌ مدوم عليه، خير من كثير مملول منه"⁽³⁾: وذلك من خلال التزام الإمام بمبدأ الكمية، من خلال اهتمامه بنقل الخبر بالاستعانة بالتوسع والاسترسال قدر المطلوب، فهو يقصد إلى التفصيل في الإخبار؛ سواء أكان تعبيراً عن إيمانه الراسخ بأن إنقاذ الأمة و ازدهارها لا يتم إلا عبر الالتزام بالدين و بقوة الله ، وإصراره على التبليغ عما لزم القيام به كخليفة للأمة. و هذا ما يعرف في التداولية **قانون الخطاب و الإستلزام الحواري** فغالبا ما يستعمل الإمام في هذه الإستراتيجية مبدأ التآدب والتخلق؛ وذلك عملاً لقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾⁽⁴⁾. و الإمام علي في هذا الجانب هو الصادق الصدوق، إذ يقول ﷺ⁽⁵⁾: " مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ، وَلَا ضَلَلْتُ وَلَا ضُلَّ بِي. "فهو الذي تربى في حجر مدرسة

* _ بن عوف الأسدي على مدينة الأنبار بالعراق وقتل عامله عليها إستهلها الإمام علي بقوله : " هذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار وقتل حسان بن حسان البكري وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالاً صالحين "

1 _ الإمام علي. نهج البلاغة ،شرح و تحقيق فارس الحسون ،خ 193، ص:227.

2 _ المصدر السابق: قصار الكلم 349، ص:423.

3 _ المصدر نفسه: قصار الكلم 444، ص:440.

4 _ سورة : النحل الآية:125

5 _ الإمام علي. نهج البلاغة ،شرح و تحقيق فارس الحسون ،قصر الكلام 175

النبوة، "ومن خطبة له (ﷺ) [الحث على التآلف] (1)* (لَيْتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلَيَرَأْفَ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلَا تَكُونُوا كَجَفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ: لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ يَكُونُ كَسْرُهَا وَزُرًّا، وَيُخْرِجُ حِصَانَهَا شَرًّا. أو في تبيان طريقة التعامل مع الخصم: أني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر (2) " .

ج. مبدأ الإفادة :

إذا أردنا أن نعرف نهج البلاغة، أو الإمام (ﷺ) خطيباً واعظاً وناصحاً مشفقاً، أو مدرسته الإرشادية، كي نستفيد من ذلك المنبع الفياض، لا يكفي أن نعدّد المواضيع والعناصر المطروحة في نهج البلاغة فقط، قد تكلم في نهج البلاغة في التقوى والتوكل والزهد والدنيا مثلاً.. بل يجب علينا أن نتعرف على تلك المفاهيم الخاصة التي كان يفهمها الإمام (ﷺ) من هذه المعاني، وأن نعرف فلسفته التربوية الخاصة في تربية الإنسان المسلم، وترغيبه في الطهارة والنجاة.

إن هذه الكلمات التي عدّناها عناصر لوعظه (ﷺ) كلمات تجري على جميع الألسن وتسمع من كافة الأفواه، ولا سيما ألسنة أولئك الذين يتخذون لأنفسهم سمة الناصح الأمين، و من خلال السياق سنجد أن مواضيع خطاب الإمام علي تعكس بدقة متناهية تلك الأوضاع و أن طريقة معالجة الإمام علي أيّاهما تتماشى أيضاً مع شخصيته التي من خلال نشأة الإمام علي في عهد الرسول (ﷺ)، و بعده ، و أثناء خلافته ، فالإمام لم يحد و لم تتغير مواقفه و لا مبادئه ، ثابت كالجبل لا تغريه زخرف الدنيا في حين قد أغرت فيه كثير من الناس كل ذلك ينطبق على خطب علي في مفرداتها وتعاييرها .

فهي تجمع روعة هذه الصفات في اللفظ إلى روعة المعنى وقوّته وجلاله!

د. مبدأ الملاءمة (principe de pertinence):

فهو مبدأ لا يقل أهمية عن مبدأ التعاون ، ويُعدُّ مُسَلِّمةً أساسية في التبادل الخطابي، ومبدأ الملاءمة يجعل القول مفيداً بغض النظر عن كونه مخبراً أو غير مخبر ، فهو يثري معلومات ومدركات المستمع ويجعله يعدل باستمرار في مدركاته . إلى جانب المبادئ العامة للخطاب يمكن أن نسجل قوانين

1 _ المصدر نفسه: خ 166

* _ شرح : 1. لَيْتَأَسَّ: لِيَقْتَدِرَ. 2. الْقَيْضُ: القشرة العليا اليابسة على البيضة. 3. الاداخي: جمع أدخي. كَلَجِيّ: وهو مبيض النعام في الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه. 4. الْقَرَعُ: محركاً: القطع المتفرقة من السحاب، واحده قرعة بالتحريك.

5 _ الرُّكَامُ: السحاب المتراكم. والمستنار: موضع انبعاثهم ثائرين. وسيل الجنتين هو الذي سماه الله سَيْلَ الْعَرِمِ الذي عاقب الله به سبأ على ما بطروا نعمته فدمرَ جنانهم وحول نعيمهم شقاء. والقارة: كالقزارة: ما اطمأن من الارض.

2 _ المصدر نفسه: خ 256، ص: 245.

خاصة ومحددة تتعلق بمضمون الملفوظ ، من بينها قانون الإخبارية (la loi d'informativité). الذي يعد الأكثر استعمالاً لأن مجال استعماله واسع ، والإخبار اللغوي هو أحد المكونات الأساسية لعملية التواصل اللغوي ، وهذا الأخير هو عملية متمثلة في رغبة المتكلم في تمثيل الفكر وتجسيده ليكون معروفاً عند الآخر . والتواصل كما يحدده (ديكرو) هو تزويد المخاطب بالمعلومات التي لم تسبق له معرفتها ، أما قانون الإخبارية فهو حسب (ديكرو) دائما الشرط الذي يخضع له الكلام والذي هدفه إخبار السامع ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه. (1) و قانون الإخبارية يمنع ترديد ما قيل ويعتبر ذلك حشوا ما عدا في بعض الحالات التي يضطر فيها المخاطب إلى إعادة الخبر لكي يربط ذهن المستمع الشارد أو لكي يربط ما يقول بما قال أو قيل بسبب إطالته في الكلام. كقوله ﷺ (يا بني عبد المطلب، لا أُنْفِيَنَّكُمْ تَخَوُّصُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْصًا، تَقُولُونَ: قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلا قَاتِلِي انظُرُوا إِذَا أَنَا مَتُّ مِنْ صَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاصْرِبُوهُ صَرْبَةً بِصَرْبَةٍ) (2)

هـ. قانون الشمول la loi d'exhaustivité:

فهو يرتبط بالقانون السابق ، لأن الشمول يكون عند الإخبار ويتلخص هذا القانون في إعطاء المتكلم كل ما بحوزته من معلومات للمستمع ،ويلج (جريس) على أن تحتوي مساهمة المتكلم على أكبر قدر ممكن من المعلومات ليكون كلامه شاملا . ويحدده (ديكرو) بقوله "إن المتكلم يجب أن يعطي المعلومات اللازمة التي بحوزته عن موضوع الخطاب والتي من شأنها أن تنفع المخاطب". (3) يرى سحر كاظم الشجيري في كتابه نظرية التوصيل (4) "أن القراءة المطلوبة هي القراءة التي في سبيل سعيها للوصول إلى جوهر الرسالة و تذوق جمالياتها كاملة ، تجند كل السبل و الأمور التي تحقق لها ذلك سواء بالاستعانة بالسياق الذي يشمل المجتمع الذي انبثقت منه الرسالة و ظرفها أو ساق حالها و جنسها الأدبي أو الاستعانة بمرسلها ، و التعرف على حياته الاجتماعية و النفسية ، و التعرف على نتاجه الإبداعي أو الاستعانة كذلك باللغة ، الشفرة ، بنظامها الخاص بالرسالة ، أو بالمرسل أيضا و أخيرا تسند

1. Ducrot : "dire et ne pas dire" p133 _

2 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الجديد :ج16، ص:161

3 - 204 Ducrot : "dire et ne pas dire" p

4 _ سحر كاظم حمزة الشجيري . نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث ، ط1، 2011م /1432هـ، دار صفاء

للنشر و التوزيع . عمان . ص 150

القراءة المطلوبة إلى خبرات القارئ و سماته التي تشمل ذكائه، و فطنته، و رهافة ذوقه، و ثقافته، و معرفته و خلفيته الأدبية .

ومن هنا نكون قد تمكنا من معرفة إستراتيجية الإمام في بناء النص الإقناعي وقد قال (ﷺ) (1): "لَوْ صَرَبْتُ خَيْشُومَ⁽¹⁾ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يُبَغِّضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا⁽²⁾ عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي: وَذَلِكَ أَنَّهُ فُضِيَ فَأَنْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: «[يَا عَلِيُّ،] لَا يُبَغِّضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ»

انطلاقاً من هذا التحديد، تكونت الإستراتيجية الخطابية و التي تكمن في التنبؤ بسلوكيات الأشخاص المرسل إليهم ، ويقدم طه عبد الرحمن مقتضى مهما للتأدب في الخطاب يساعد على حفظ عرى التواصل بين طرفي العملية الخطابية يقول: التأدب في الخطاب "مقتضاه أن يأتي المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالاته القريبة و يقوي أسباب الانتفاع العاجل به، فلا يخفى أن هذا الضرب من التهذيب يولي الأهمية في التخاطب لعملية التبادل و معلوم أن كل تبادل بين طرفين يكون مبناه أساساً على سعي كل منهما إلى تحقيق أغراض تكون مشتركة أو متساوية بينهما و إلى طلب الاعراض عن أعماله التي لا يأتي الطرف الآخر بمثلاً لذلك تجد المتكلم في هذه المرتبة من التعامل حريصاً على أن يحفظ عرى التواصل حتى يجلب أقصى ما يمكن منع اجلال منفعة لنفسه و لمخاطبه فيجتهد في التوسل بما يجلب إقبال المخاطب على سماعه و فهم مراده وتلقيه له بالقبول طمعا في أن يبادل نفسه الحرص على التواصل وعلى الوصول إلى المنفعة المشتركة " (2) إنَّ المتحاورين كل منهما يبدي تعاوناً و يبذل مجهوداً لنجاح المحاوره و جعلها مثالية و الأمر لا يتعلق بمدى التزام المتكلمين بقوانين الخطاب بقدر ما يتعلق مما يجعل من المحادثة نشاطاً اجتماعياً. من خلال التعاون العميق بين الباث و المتلقي ، إن البلاغة بعنايتها بمقتضى الحال و سياق الموقف ، فهي بذلك تُعد من صميم تداولية ، ذلك أن التداولية تعرف في أبسط صورها بأنها "مراعاة العلاقة بين مستعملي اللغة : [متكلم + متلق + السياق الكلامي أو ظروف الكلام]، ولذلك تتفق البلاغة و التداولية في اعتمادها اللغة بوصفها أداة " (3) إذ يبيني المتكلم رسالته اللغوية بشكل مفارقات معتمداً في توصيله على مبدأ تداولي هو: [التعاون] أو [التآزر]، وفيه قواعد (4) تضمن الوضع المثالي للتواصل،

1 _ الإمام علي. نهج البلاغة ،شرح و تحقيق فارس الحسون ، قصر الكلام 40 ، ص: 783

2 _ طه عبد الرحمان . اللسان والميزان ، ص: 223 :

3 _ صحراوي . التداولية عند العلماء العرب ، ص: 98

4 _ ينظر : التداولية من أوستن إلى غوفمان ، ص: 48

لكن المتكلم كثيراً ما يخرق بعضها ويظلّ التواصل قائماً معولاً على هذا المبدأ؛ لأنه يفترض أن المتكلم ما زال مراعيًا للمبدأ نفسه ، معتمداً على حسن ظنه بمخاطبه في استنباط النقص في المعلومات وعدم وضوحها، ولاسيما في النص الأدبي ،الذي يعد ظاهرة اجتماعية تكمن اجتماعيتها في داخلها وليست مفروضة عليها من الخارج ، وهنا تكمن عناية أي دراسة ذات طابع جمالي بوحدة الشكل والمضمون وسياقهما التاريخي ومعنى هذا المزيج الكائن والممكن بالتأويل الذي تضطلع به السيميائية التداولية ، التي تسعى إلى الكشف عن شبكة العلاقات اللغوية وما تحمله من دلالات لا متناهية ناتجة من كيفية التعبير ، وقد التفت النحاة إلى دور المخاطب في الاتصال الكلامي.

إن هذه العناصر تتدرج ضمن قواعد تعرف في التداولية بمبدأ التعاون أو الاستلزام الحواري (Conversational implicature) .

لقد عمد (جرايس) . أحد المنظرين للتداولية . إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد فما يقال هو: ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية، وما يقصد هو: ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. ونتيجة لهذا كان يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام⁽¹⁾ فهي ما تدل هيئتها التركيبية على معنى لا يقصده المتكلم . فكأنه يقول شيئاً و يعني شيئاً آخر كاستخدام المتكلم أو المخاطب لعبارات إستعارية و أشكال قول مجازية بدل استخدام المعاني الحقيقية والجره بما يريد الإلقاء به ؛ أي إجبار المتلقي على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى الذي يسنده المتكلم إلى قوله .

7. الاستراتيجية التلميحية:

يكون المعنى هنا مستلزماً من شكل الخطاب وبالتالي يصبح شكلاً يستلزم قصداً غير المعنى الذي يدل عليه ظاهر القول أو الكلام، فقد يستخدم المرسل شكلاً ما بقصد تبطين مقاصده ومعانيه، ويرمي من خلاله إلى أمور يتدخل سياق الخطاب في كشفها وتحديدها ، و هذا ما يعرف عند عبد القاهر الجرجاني بالمعنى ومعنى المعنى " ⁽²⁾ إن الاهتمام بالكناية يتعاضم في الخطب الدينية أو السياسية أو الاجتماعية التي تتطلب الإقناع و التأثير بالجمهور ، أكثر من اهتمامهم في ما يقال لتوضيح بعض

1 _ محمود نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،ص: 33

2 _ ينظر : عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز في علم المعاني،ص: 203. 202

الأوامر أو لشرح بعض الخطط الحربية وما شابه ذلك. إذ يلجأ إليها الخطيب للإفادة من طاقاتها في التعبير والتأثير، وقدراتها على الإيحاء.

ففي الكناية إثبات للمعنى بشاهد ودليل، كما يقول عبد القاهر (1). وفي سياق الحديث عن تقاعس جيشه الذي يضغط على قرارات الإمام علي ومن ذلك قوله (عليه السلام) في حث أصحابه على القتال: "وَأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ، لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ" (2) ف[لسيف العاجلة] كناية عن المنية في الدنيا بأي شكل من الأشكال، وب[سيف الآخرة] عقاب الله تعالى في الآخرة على الفرار من الموت (3)، نجد كنيات الإمام علي (عليه السلام) ما ورد في خطبته المشهورة بالخطبة الشقشقية، إذ يقول (عليه السلام): "أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا تَوْبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا .." (4) دعا سياق موقف الكلام أن يأتي الإمام بالمعنى مبالغاً فيه: (ينحدر عني السيل) و(لا يرقى إلي الطير)، ليصور خطورة الموقف الذي تعرض له الإسلام بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا سيما أنه دعا إلى استكمال تلك الأسس، وقد بالغ الإمام للكشف عن هذا المعنى، لا لقصد المبالغة، وإنما لتبيان الشخصية التي ينبغي لها أن تخلف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد وجدها منحصرة في هذا الوصف المتفرد غير المنطبق على شخصية غير شخصيته (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ لذا كنى عن علوه وشرفه وسعة علمه. واستعار لتلك الكمالات لفظة [السيل]، وكنى ب [لا يرقى إلي الطير] عن غاية أخرى من العلو، إذ ليس كل مكان علا بحيث ينحدر عنه السيل وجب ألا يرقى إليه الطير فكان ذلك علواً أزيد (5) دلالة على تفرد الإسلام نسبا وحسبا. يحفز مخاطبه على بذل طاقة إضافية، متمثلة في استثمار الكفاءة التأويلية للمخاطب لفهم قصد المخاطب الذي لا يريد التصريح به، بل يضمنه في كلام يبدو عاديا وبسيط المأخذ إلى حد ما. وهو ما يطلق عليه غرايس [اسم الاستلزام الحواري]. قال (عليه السلام) من حكمة له: (مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةَ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةَ) (6) فهو يحتاج إلى قراءتين الأولى [سطحية]، والأخرى: [عميقة] معتمدة على السياق الذي يرجح المعنى الثاني لا الأول، فمن خلال استعمال الكتابة أسلوبيا غير مباشر، يفسح المرسل المجال للمرسل إليه لاختبار كفاءته

1 _ المصدر نفسه: ، ص: 343.

2 _ الإمام علي. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ج 8، ص: 5.

3 _ المصدر نفسه: ج 8، ص: 6.

4 _ المصدر نفسه: ج 1، ص: 151.

5 _ ينظر: شرح نهج البلاغة، البحراني: ج 1، ص: 314.

6 _ الإمام علي. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد ج 19، ص: 59.

التأويلية و الاستنتاجية ، و ذلك من خلال اكتشافه للمتضمن في القول من خلال انطلاقه من السياق الذي ورد فيه النص. و في ظل هذه الشروط ، و لما كان التفاعل (العملي) بين المؤلف و القارئ قد يكون منعماً أو مخلاً لمبدأ التعاون ، و كان القارئ مُطالباً بأن يبني موضوعاً لغوياً ، و تبعاً لذلك يبني عالماً ممكناً ، قد اقترح (فان ديك) أن يُعوضَ ، في حقل الأدب ، مبدأ التعاون ب : [مبدأ البناء]⁽¹⁾ و في هذا الموضوع نجد أنفسنا نلامس مجالاً آخر لـ [نظريات التلقي] و التي قد درست قضاياها دراسة عميقة غالباً ما كانت منطلقاتها تداولية، و نظراً للعلاقة المتداخلة بين قضايا اللسانيات التداولية و مباحث البلاغة القديمة فقد عدت هذه الأخيرة لدى الدارسين و الباحثين أحسن ما يبرز العلاقات التداولية في اللغة و وظائفها ، لأنها لا تميز في دراسة اللغة بين مستوياتها [اللفظية و التركيبية والدلالية] ، فكل ذلك يؤدي إلى إحياء المتكلم بالإضافة إلى المعنى المباشر لمقولته بمعنى إضافي هو المعنى الضمني للمحادثة.⁽²⁾ وهي تتمثل في استعمال الصور البيانية (التشبيه . الإستعارة . الكناية . المجاز) و استغلال ما فيها من طاقات حجاجية لإثبات قول أو نفيه، من خلال اعتبارها آليات بلاغية لها القدرة على حمل المخاطب على التمعن فيها، يقول أبو هلال العسكري في أهميتها بأنها: "ما تعطف به القلوب النافرة ، ويؤنس القلوب المستوحشة، و تلين به العريكة الأبية المستصعبة، و يبلغ بها حاجة ، و تقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب، و يلزم صاحبك الذنب ، من غير أن تستدعي غضبه، و تثير حفيظته ".⁽³⁾ فدور المتكلم هو بناء الصورة وفقاً للمقام الذي ترد فيه و وفقاً للمخاطب الذي أمامه، دون أن يفوته أن هدفه في الأصل من الصور البيانية هو التعبير عن قصده، و حمل المخاطب على إدراك ذلك القصد عن طريق تأويل العبارة اللغوية. وإذا انطلقنا من أن التشبيه ربط بين عنصرين من واقعين مختلفين، و تقديمهما للمتلقي الذي يعمل ذهنه للاستدلال على وجه الشبه الرابط. ووجه التأثير هو أن المتكلم يحمل المتلقي على الاستنتاج ، و ذلك هو مناط الحجاج كما أن للمتلقي دوراً محورياً في إنشاء الأقوال و تداولها ، و من ثمة فإن هذا الملقى (المرسل) صنع جملة من المبادئ يصوغ وفقاً لأقواله ؛ حتى يضمن قدراً كبيراً من نجاح الرسالة و التأثير في المتلقي ، فهذه المبادئ ناشئة عن تقدير الملقى لجمهور المتلقين و قد عرفت في الدراسة التداولية بآليات التحليل التداولي وهي أربعٌ : التضامن ، التوجيه ، التلميح و الإقناع .

1 _ فرنان آلين . (التداوليات) ترجمة : يونس لشهب ، مقال ضمن مجلة العربية و الترجمة السنة الرابعة العدد 9 ربيع

2012، إصدار المنظمة العربية للترجمة لبنان، ص: 136

2 _ ينظر : ج. ب. براون، يول. تحليل الخطاب، ص ص: 4041

3 _ أبو هلال العسكري. الصناعتين، ص: 57

8. مواضيع الخطاب و استراتيجية الإقناع:

سننطلق في تحليلنا لـ: [إستراتيجية الخطاب الحجاجي] من فكرة بديهية تتمثل في ما يلي :

كتاب نهج البلاغة ← خطاب ← إقناع وتأثير

معتمدين في ذلك على قول (بنفنيست) في هذا الشأن إن "الخطاب في أعم مفاهيمه كل قول يفترض متكلما وسامعا مع توفر مقصد التأثير بوجه من الوجوه في هذا السامع" (1) ، و لا يقتصر الحجاج على نوع معين من النص ؛ بل يمكن إيجاده في النص الوصفي أو السردى أو الشعري أو غيرها من النصوص ، والأكثر من ذلك يذهب البعض إلى أنّ اللغة أصلا متورطة في الحجاج ؛ إذ كلّ قول مرشح نظريا للرد من قبل المتلقي و هو ردّ يتحول بدوره إلى مثير يحدث استجابة في بنية الأقوال اللغوية.

أما إرتباط الحجاج بنهج البلاغة ، فأمر لا يمكن إنكاره إذ نجده قد ورد أكثر من مرة في إستعمالات الإمام ليدل على معان متنوعة، قال واصفا القرآن: بأنه " شاهد لمن خاصم به و فلج لمن حاج به " (2) و لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان : قال ﷺ : "...أنا حجاج؟ المارقين؟ و خصيم المرتابين وعلى كتاب الله تُعرض الأُمثال" (3) وعليه فإنّ خطب الإمام عليّ الإقناعية كغيرها من الخطب برزت فيها الوظيفة الحجاجية بروزا واضحا ومميزا ، إذ ارتبط الخطاب عند الإمام علي بنوع المتلقي وبالسياق و الظرف المحيط به، فانعكس ذلك في تتعدد المواضيع وطريقة الإلقاء وأسلوب الإقناع.

2 _ إستراتيجيات الخطاب الحجاجي بحسب المواضيع :

أ. إستراتيجية الخطاب الوعظي:

إذ يكون فيه المتلقي غافلا ومقصرا فيما يجب عليه وقد ازدادت العناية بهذا النوع من الخطاب في العصر الأموي، خلافا لما كان عليه الأمر في صدر الإسلام؛ لأن الواعظ أو المرسل أصبح يحس بإفلات المستمع أو المتلقي من قبضته، بفعل الصراعات الاجتماعية والسياسية التي يعيشها المجتمع كما سبق الإشارة إليه في مبحث السياق، لذلك " قام الوعظ في أول الأمر على المزوجة بين الوعد والوعيد كما هو الشأن في بعض مواعظ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) التي يذكر فيها بعذاب الآخرة حتى إذا رأى

¹ -Emile Benveniste : "Problèmes de linguistique générale ". Edition Gallimard .p246

² _ الإمام علي. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد ، ج5 ، ص:200

³ _ المصدر السابق : ج 1 ، ص:38

تغير أحوال مستمعيه وخوفهم ذكرهم بالنعيم⁽¹⁾. لكن سرعان ما تغير هذا الأمر بفعل توسع الدولة الإسلامية وميل الناس إلى الحياة وشؤونها، فأصبحت العلاقة بين المرسل والمتلقي متوترة أشد التوتر؛ فقد كان للصراع بين الشيعة (أنصار علي بن أبي طالب) والخوارج (الخارجين عن علي بن أبي طالب) و خصومه (معاوية و اتباعه) دورا كبيرا في هذه المسألة. وأصبح موضوع الساعة المُلح ، هو زوال الدنيا وزخرفها وبقاء الآخرة ووجوب التزود لها. فيكون المخاطب في الخطاب الحجاجي في هذه الحال موضع المنكر الجاحد حسب تصنيف البلاغة العربية⁽²⁾ لمن يلقي إليهم الخبر، فاقترض الأمر أن يعتمد على الحجج والبراهين العقلية والنقلية بحسب نوع الثقافة والتوجه التي تحكم المخاطب، وقد يستدعي الأمر أحيانا التعسف والاحتيال⁽²⁾،

ب. إستراتيجية الخطاب السياسي:

ارتبط هذا النوع بالدولة والسلطة وشؤونها، و غالبا ما يتمثل في خطب الصلح ، وخطب الصراع حول الخلافة والحكم داخل المجتمع الإسلامي، إذ برزت معالمه الأولى بعد وفاة صلى الله عليه وسلم) عليه السلام ، يوم اشتد الخلاف بين الفرقاء في سقيفة بني ساعدة يحتج كل واحد منهم بأسبقيته في الخلافة ،واستئنفت المسألة بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه وتكون الأحزاب السياسية، عندها أصبحت معالم هذا الخطاب واضحة، يمكن تصنيفها بحسب العلاقة بين المتحاورين إلى صنفين كبيرين:

ج. إستراتيجية الحوار بين الأنداد:

من المواضيع التي وظفت فيها هذه الإستراتيجية في الأحداث التاريخية في صدر الإسلام ، نجد ما دار حول قضية الخلافة وشؤونها من " اعتماد النصح والمشاورات والمناظرات، ولم يكن هذا الصنف من الخطاب غريبا عن العرب في حياتهم الجاهلية سواء في شؤون الحرب أو الرئاسة، وكانت لقريش دار للمشاورات في حالتها السلم والحرب يتحدث فيها الخطباء مدافعين عن وجهات نظرهم، ولذلك كان عاديا أن يعودوا إلى هذا التقليد بعد موت الرسول. غير أن الأمور ستأخذ مسارا آخر لاختلاف تركيبة المجتمع الإسلامي الجديد عن نظام القبيلة"⁽³⁾ والمناسبة الأولى جمعت بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبين ممثل المهاجرين، وممثل الأنصار، فكان الحكم في نهاية المطاف إلى الأنصار لكثرة عدتهم وعددهم. والمناسبة

1 _ محمد العمري . في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 39

2 _ المرجع نفسه : ص: 44

3 _ المرجع السابق : ص : 47.

الثانية كانت بعد مقتل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وكان الخطاب فيها من الند للند فانتهدت المشورات فيها بترشيح عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كخليفة بعد عمر بن الخطاب. وبعد مقتل عثمان طال السرى وركبت أعجاز الإبل، واشتد الحوار بين بني هاشم وبني أمية فتحوّلت الخطابة من المشاورة إلى المفاخرة. وبعد أن تولى بنو أمية الحكم تحول مجرى الخطاب، وأصبحت المخاطبات الاستشارية تتم داخل الأحزاب والجماعات المنسجمة⁽¹⁾. وفي جميع الأحوال، فالخطاب في هذه المرحلة يستند إلى إستراتيجية المنطق والحجة بعيدا عن المدح والهجاء، في حين نجد خطاب الأنداد قائم على المفاخرة والمدح والذم، إلا أن كلاهما لا يعتمد الزخرف والتميق.

د. إستراتيجية الحوار بين الراعي والرعية:

يتقسم هذا الصنف إلى قسمين ، قسم من الحوار يكون في الغالب بين راع متمسك بموقفه و أن تكون كلمته هي العليا ، وقسم بين رعية تنازعه هذا الحق، ما يستوجب على الراعي أن يلين خطابه، ويخاطب نازعيه مخاطبة الند للند . ومن أمثلة هذه التجارب و هي كثيرة في التراث الإسلامي، كالتي عاناها عثمان مع الثوار ، و أمثلة الإمام علي مع طائفة من جنوده (الخوارج) اتهموا الإمام علي بسوء التدبير، أو ما عاناها الإمام علي من جنده قبل معركة صفين و التي جمعته بمعاوية. ف" الحوار الأول يتطلب الحجة والإقناع فإن الحوار الثاني يتطلب التحميس وتحريك الهمم والإثارة العاطفية⁽²⁾. وقد كانت للإمام علي في ذلك كله خطب مشهورة .

هـ. إستراتيجية الخطاب الإجتماعي:

يمكن تصنيف هذا النوع بحسب كثرة موضوعاته إلى صنفين: صنف يخص موضوعات اجتماعية كالعلاقة بين الناس، وتنظيم المجتمع والقضاء بين الخصوم، وهي في أغلبها ذو إستراتيجية طبيعية موضوعية. وصنف ذو إستراتيجية طبيعية وجدانية هدفه المشاركة والإشراك في المسرات والأحزان كالتعزية والتهنئة ووصف المشاهد والبلاد⁽³⁾، أما الأدوات التي اعتمدها الإمام لإرسال الخطاب فهي [الخطابة وكتابة الرسائل و العهود]، و رغم أن الحجاج يعد نظرية غريبة حديثة تناولت من جانبيين، جانب تداولي ظهر في اعمال (ديكرو) و جانب بلاغي مع (بيرلمان) رغم اختلاف توجههما ومع ذلك يمكن حصر الخطاب الحجاجي في ثلاثة أنواع: [الحجاج البلاغي، الحجاج المنطقي، والحجاج

1_ المرجع نفسه : ص ص: 48. 49.

2_ المرجع السابق : ص ص: 51-52.

3_ المرجع نفسه : ص ص : 289. 290

التداولي]، وتختلف هذه الخطابات باختلاف أصولها وامتداداتها المعرفية والمنهجية، لكن ذلك لا يمنع من تداخلها. و سيكون لنا وقفة في تحليل كل عنصر على حدة.

- نتائج الفصل:

نستنتج أن الإمام علي قد تمكّن في مدة قصيرة من التواصل والتفاعل مع مخاطبيه من خلال إستراتيجيته الخطابية ، فكانت هذه الأخيرة أداة تواصل مع أصحابه أو مع خصومه، تناول بها الإمام مختلف المواضيع ، حسب ما يتطلبه السياق بمختلف أبعاده المحدد لنوع الإستراتيجية و أساليب التخاطب و فهمه. كما وظف الإستراتيجية التضامنية التي تعمل على كسب المخاطب من خلال المرونة التي منحها استعمال الضمائر، وكيفية توزيعها و تنويع استعمالها الناجع مع مخاطبيه إذ عبّر عن انتمائه و مشاركته للمسلمين من خلال التعبير بضمير الجمع [نحن]، كما ساعده استعمال أسماء الإشارة على كسب تأييد المخاطب له، من خلال استحضار الأمور التي أشار لها كما عمل على تغييب الذات المعيقة له في حياته و في خطابه.

❖ الفصل الثاني : تداولية الدرجة الثانية
(الحجاج في نهج البلاغة)

• I . المبحث الأول : الآليات اللغوية الحجاجية

1 _ الفاظ التعليل

2 _ المفعول لأجله

3 _ التوكيد

4 _ التكرار بأنواعه

5 _ النص الوصفي

• II . المبحث الثاني : الآليات الحجاجية البلاغية

1 _ الآليات البيانية

2 _ الآليات البديعية التداولية

3 _ الآليات التناسية

4 _ الأسلوب المباشر للتصوير

5 _ الإيجاز في نهج البلاغة

• III . المبحث الثالث : الآليات الحجاجية المنطقية

1 _ الروابط الحجاجية

2 _ السلاسل الحجاجية

3 _ العوامل الحجاجية

4 _ أسلوب المحاجة

5 _ القياس

• المبحث الأول: الآليات اللغوية الحجاجية

بغض النظر عن الاختلاف الحاصل في تحديد مفهوم الحجاج و الإقناع و التداولية و ما يتبع ذلك من مسائل فرعية، فإنه يمكن الاستئناس بالقول الآتي " اللغة تحمل بصفة ذاتية و جوهرية وظيفة حجاجية " (1)، أما ما يتعلق بالخطاب فيمكن الاستئناس إلى ما وضحه (أرسطو) حين قسم بنية الخطاب الإقناعي إلى ثلاثة عناصر: [وسائل الإقناع و البراهين . الأسلوب و البناء اللغوي . ترتيب أجزاء القول] (2)، مع الأخذ بعين الاعتبار السياق و القصد في خطابات الإمام علي في نهج البلاغة ودورها الكبير في فهم اللغة و العملية التأويلية وتحليلية الخطاب . وبهذا كان لابد من التركيز على هذه الوظائف الحجاجية و نعني بذلك تلك الوظائف التي تحمل في طياتها مجموعة من الوسائل التي يتحقق من خلالها أهداف الخطاب ، أما الوسائل فنعني بها تلك الأدوات اللغوية والأساليب والأبنية التي تشهد على أن الخطاب خطاب إقناعي حجاجي من جملتها: [البرهان، التمثيل، التكرار ، التحذير، الترغيب، القسَم،أسلوب الشرط، القياس، التأريخ ، التمثيل،الإعتماد على القرآن و الحديث..]

بهذه التعاريف نستنتج : أنّ الخطاب هو لغة و أن اللغة هي حجاج ، و أن الحجاج خطاب اعتمد على إستراتيجية الإقناع ، على اعتبار أن الخطاب يسعى دوماً إلى إحداث التأثير في المتلقي وحمله على تبني موقف أو عمل ما .

لهذا تعدّ الآليات اللغوية في كل خطاب، وفي خطاب الإمام علي، هي من أهم الوسائل لتحقيق الإقناع والتصديق ، وقد استعمل الإمام ﷺ أساليب متعددة بما يتطلبه الموضوع و السياق و نوع المتلقي يمكن لها أن تساهم بشكل فعّال في عملية الإقناع في خطاب الإمام علي ،حسب المقام و القصد و المرسل و الرسالة و المرسل إليه ، لعلّ "من أهمها الوسائل اللغوية(3) " التي تعتبر لحمّة النص الحجاجي ، على اعتبار أن اللغة في الحجاج هي وسيلة لفرض السلطة على الآخرين وإقناعهم بمصداقيتها. وسأقتصر هنا على استكشاف الوسائل اللغوية ذات الصلة الوثقى بالإقناع وتحليل أنماطها المختلفة، ومن هذه الوسائل اللغوية في خطاب نهج البلاغة نجد:

1 _ جميل حمداوي. المقاربة التداولية ،ص:65 .

2_ محمد العمري،في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص:20

3 _ أبو بكر العزاوي.الحجاج والمعنى الحجاجي ، ص:5

1. الفاظ التعليل :

يستعمل المتكلم الفاظ التعليل ، إذا ما أراد أن يحاجج و يقنع متلقيه بما يعرضه عليه، ونذكر على سبيل المثال بعضاً من هذه الألفاظ [حروف التعليل، المفعول لأجله] بشرط توفر شروط المفعول له، أو لأجله التي تفيد التعليل :ك[اللام، ثم، في، الباء، ومن]؛ ولا يستعمل المتكلم أي أداة من هذه الأدوات، إلا تبريراً أو تعليلاً لفعله بناء على سؤال ملفوظ به من قبل المخاطب أو مفترض. وسأكتفي في هذا السياق بالتعريف بالأداة التعليلية التي وردت في الخطاب الإقناعي للإمام علي و دورها في الإقناع، وعلى سبيل المثال نجد في خطبة له عليه السلام تتضمن الغاية من البعثة (1) " فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيَقْرَأُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّىٰ سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ (2)، وَاخْتَصَدَ مَنْ اخْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ! " فالخطاب من النوع الوعظي الذي يتطلب الكثير من التعليل.

ذكر السبب	التعليل	حرف التعليل	النتيجة
_ فَبَعَثَ	ق5 _ وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ.	_ لام التعليل	_ فَتَجَلَّىٰ سُبْحَانَهُ لَهُمْ
اللَّهُ مُحَمَّدًا	ق4 _ وَلِيَقْرَأُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ،	_ لام التعليل	فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ
بِالْحَقِّ	ق3 _ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ	_ لام التعليل	أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ، بِمَا
	ق2 _ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَىٰ طَاعَتِهِ،		أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ،
	بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَ		وَخَوْفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ
	ق1 _ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ	_ لام التعليل	
	إِلَىٰ عِبَادَتِهِ		

وقد أستعملت [اللام] حجاجياً بالوصل بين الحجة و النتيجة " فألفاظ التعليل تستخدم لربط النتائج بأسبابها في التركيب الخطابي الحجاجي ، تعد مؤشرات على توظيف الإستراتيجيات الإقناعية في الخطاب". (3) فمن شأن الرابط الحجاجي [اللام] أن يجعل الحجج و النتائج تترابط فيما بينها بعلاقة سببية تكون مقنعة للمتلقي ، فهو لا يقتصر على الربط و حسب بل يجعل الحجة سبباً و علة تفضي إلى النتائج المحصل عليها ، و على المخاطب أن ينطلق من أرضية يبني عليها أدلته المساعدة على تقوية حجته

1 _ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح و تحقيق فارس الحسون، خطبة 147

2 _ المثلثات . بفتح فضم : العقوبات .

3 _ ينظر: حافظ اسماعيل علوي. ومحمد أسيدا . الحجاج مفهومه و مجالاته ، ص : 122

- الآليات الحجاجية -

فيوحي إلى المتلقي بقبول النتيجة⁽¹⁾ وبهذه العلاقة السببية يحصل الإقناع بجعل الحجة لا تتفك عن النتيجة.

2. المفعول لأجله:

يتحقق المفعول لأجله بوجود شروط أربع أن يكون مصدر ا قلبيا- أو يدل على سبب ما قبله(أي بيان علته)؛ أن يشارك عامله في الزمن؛ ويشارك عامله في الفاعل. ويرد المفعول لأجله في الخطاب في وجوه ثلاثة قياسية: (مجرد من (ال)، والإضافة؛ مضاف؛ مقترن ب (ال) ، ذكر المفعول لأجله: ومن خطبة له (ﷺ) بعد انصرافه من صفين [(2) وفيها يبين حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين: " أَحْمَدُهُ اسْتِثْمَامًا لِنِعْمَتِهِ، وَاسْتِثْلَامًا لِعِزَّتِهِ، وَاسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، وَلَا يَيْلُ (3) مَنْ عَادَاهُ، وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ؛ فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وَأَفْضَلُ مَا خُزِنَ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةً مُنْتَحَنًا إِخْلَاصَهَا، مُعْتَقِدًا مُصَاضَهَا (4)، نَتَمَسَّكَ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا، وَنَدْخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ، وَفَاتِحَةُ الْأَحْسَانِ، وَمَرْصَاةُ الرَّحْمَنِ، وَمَدْحَرَةٌ الشَّيْطَانِ." و هذا الخطاب من النوع الوعظي الذي يتطلب التعليل لغاية التأثير.

القول(ق)	التعليل	المفعول لأجله	النتيجة(ن)
ق1 _ أحمد الله	ت1 _ استثماماً لِنِعْمَتِهِ	_ استثماماً	ن1_ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ،
	ت2 _ وَاسْتِثْلَامًا لِعِزَّتِهِ	_ استثلاماً	ن2_ وَلَا يَيْلُ مَنْ عَادَاهُ
	ت3 _ وَاسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ	_ استعصاماً	
ق2 _ وَأَسْتَعِينُهُ	ت1 _ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ	_ فَاقَةً	

3. أدوات التوكيد:

وظف الإمام علي أدوات أخرى لغوية حجاجية مستعملة بقصد التأكيد والإقناع، و لهذه الروابط أثر في عمليات فهم الخطاب " إذ تسهم على نحو أساس في توجيه العمليات و لا يمكن التأمل من دونها"⁽⁵⁾ ، كما أن لتوكيد الخبر أدوات كثير منها: [إِنَّ، وَأَنَّ، وَالْقَسْمُ وَالْأَمُّ الْإِبْتِدَاءَ، وَنُونَا التَّوَكِيدِ، وَأَحْرَفِ التَّنْبِيهِ وَ الْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ، وَقَدْ، وَ أَمَا الشَّرْطِيَّةُ] و التي توظف حسب حالة المتلقي للخبر، فوضع الخبر

1 _ ينظر: راكان عبد الكريم .هندسة الإقناع في الإتصال اللساني، ط1 ، دار جدة ، د ت ، ص:190

2 _ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسنون، خ2 ، ص ص:4039

3 _ وَأَلْ: مضارعها يَيْلُ. مِثْلُ وَعَدَّ يَعُدُّ. نجا ينجو.

4 _ مُصَاضٌ كُلُّ شَيْءٍ: خَالِصُهُ.

5 _ ينظر: أن رويول و جاك موشلار. التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، ص: 173

- الآليات الحاحية -

ابتدائياً أو طلبياً أو إنكارياً ، إنما هو على حسب ما يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذهن ، أو متردد أو منكر ، وتوضيحاً لهذه القاعدة، يقول عبد القاهر الجرجاني : " روي عن ابن الأنباري أنه قال :ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له :إنِّي لأجد في كلام العرب حشواً، فقال له أبو العباس :في أيِّ موضعٍ وجدت ذلك، فقال :أجد العرب يقولون :عبد الله قائم، ثم يقولون :إنَّ عبد الله قائم، ثم يقولون :إنَّ عبد الله لقائم، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم :عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم :إنَّ عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائلٍ، وقولهم :إنَّ عبد الله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررَّت الألفاظ لتكرَّر المعاني ، قال : فما أحرار المتفلسف جواباً (1). " و هذه دلالة عن إمام المبرِّد العميق باللُّغة و بالسياق و المقام و هو ما يعرف الآن باللسانيات والتداولية ، و من امثلة ذلك ما قيل في صنف السامع المتردد و المنكر قوله (ﷺ) في ذم أهل العراق (2) : " أَمَا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْءِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ وَ مَاتَ قَيْمُهَا وَ طَالَ تَأْيِمُهَا وَ وَرِثَهَا أَبْعَدُهَا . أَمَا وَ اللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ إِخْتِيَاراً وَ لَكِنْ جِئْتُ إِيْنِكُمْ] أَتَيْتُكُمْ [سَوْقاً وَ لَقَدْ بَلَّغْنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلَيَّ يَكْذِبُ قَاتِلُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذَبُ أَعْلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ بِهِ كَلًّا وَ اللَّهُ لَكِنَهَا لَهْجَةٌ غِيبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيَلْمُهُ كَيْلًا بَغَيْرِ نَعْمٍ لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ "في هذا الخطاب نجد المتلقي من النوع المتردد و الإنكاري الذي يحتاج إلى إلى تعدد الحجاج و الإقناع فكثرت فيه أدوات التوكيد كما يأتي:

الجملة	ضرب الخبر	أدوات التوكيد
_ فإنما أنتم كالمراة الحامل	_ ابتدائي	_ إنَّ
_ أما والله ما أتيتكم اختياراً	_ إبتدائي	_ و الله
_ ولقد بلغني أنكم تقولون	_ إنكاري	_ لقد (+) أنَّ
_ كلا والله لكنها لهجة غبتم عنها	_ إبتدائي	_ و الله
_ ولتعلمنَّ نبأه بعد حين!	_ إنكاري	_ ل (+) ن التوكيد

هذا بالإضافة إلى التراكيب اللغوية الأخرى كالدعاء [قاتلكم الله تعالى!] و أساليب الإستفهام التعجبية الأخرى التي تكن عن سخافة تفكير المتلقي [فعلى من أكذب! أعلى الله فأنا أول من آمن به! أم

1 _ عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز، ص:242

2 _ الإمام علي ، نهج البلاغة شرح ابن ابي الحديد، ج6، خ70، ص:127

على نبيه؟ فأنا أول من صدق به] و هي صيغ حجاجية أقتاعية جد مؤثرة على المتلقي.سنعرضها بتفصيل في مواضعها.

4. التكرار :

التكرار أو ما يطلق عليه المعاودة أو التردد أو الترداد ،من الآليات الغوية المهمة في نهج البلاغة. و إن كان لا يدرس ضمن الحجج والبراهين ،إلا أنه يعد رافدا أساسيا له .و من هذا المنطلق ساعرض هذه الآلية في هذا البحث بمختلف صيغها و انطلاقا مما تفرضه المدونة من كون التكرار هو أبرز أساليب الحجاج اللغوية الشائعة في خطابات الإمام علي، و ذلك لما يوفره من طاقة مضافة ، تترك أثرا بالغا في المتلقي، ومن ثمة إقتاعه،أو إذعانه ، و ترسيخ الفكرة في ذهنه. و نظرا لأهميته فقد خصص البلاغيون بابا مستقلا له ، فقد صنفتها ابن الأثير إلى قسمين: قسم متعلق باللفظ والمعنى و قسم متعلق بالمعنى دون اللفظ ، وكل قسم من هذين القسمين ينقسم إلى مفيد وغير مفيد ؛ فالمفيد الذي يأتي في الكلام توكيدا له وتسديدا من أمر هو إشعار بعظم شأنه، وأما غير المفيد فهو الذي يأتي في الكلام توكيدا له فقط⁽¹⁾ ومن ثم رفضوا ما عداها من التكرارات ، خاصة القائم على التلاعب اللفظي الذي لا تأثير له. " فالتكرار يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده و تناميهِ⁽²⁾، وفي لسانيات النص عولج التكرار من منظور دوره في السبك المعجمي وذلك " أن يحيل اللفظ المكرر إلى لفظ آخر سابق مرادف، أو مرادف قريب، يرتبط به بالإحالة المشتركة⁽³⁾،و ينقسم التكرار بحسب طبيعته البنائية على عدة أقسام منها:

أ. التكرار البنائي :

يقصد بـالتكرار البنائي التركيز على مفردة معينة وذلك بإعادتها في سياق النص ، حاملا لمعنى أو معانٍ يقصدها المتكلم، وفي ذلك تعد إعادة اللفظة المفردة في المستوى السطحي التي تتخذ محتوياتها المفهومية وإحالاتها من الأمور الطبيعية في المرتجل من الكلام⁽⁴⁾ و من أمثلة ما ورد في هذا التكرار نجد ذلك في كلام الإمام علي(عليه السلام) قوله: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مِنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَقَّ، وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا

1_ أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1983 ، ج 2 ، ص ص:

338.339

2_ أبو بكر العزاوي. الخطاب و الحجاج، ص: 48

3_ محمد العبد . النص والخطاب و الإتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط1 ، 2005 ص:223

4_ ينظر: المرجع نفسه: ص: 303

- الآليات الحاحية -

هُدِي، لِتِي هِيَ أَقْوَمُ، فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ، آمَنُ وَعُدْوَهُ خَائِفٌ، وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، إِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمْتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ"⁽¹⁾ . ما نلاحظه وجود تكرار لفظ الجلالة [الله] ثلاث مرات + الإشارة إلى لفظ الجلالة [الله] في الضمير [الهاء] ست مرات. و في تأملنا للفقرة الأخيرة [وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، إِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمْتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وَسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ] نجدها قد بدأت بلفظة الجلالة [الله] ثم أردفت بإشارات متعددة من الضمير ؛و لأن التكرار قد وصل إلى أعلى منحى فيفقد بعدها تدريجياً شحنته التأثيرية ، و تضعف مقوماته الأسلوبية ، وهو ما عبر عنه (ري فاتير) ^(*) ب [مقياس التشبع^(ف)] ، استطاع الإمام من خلاله أن يحدث نوعاً من الربط القائم على مبدأ التشابه أو التماثل" فالابتداء ب [أيها الناس] كان يمثل للمتكلم والمتلقي على السواء مفتتحاً و تنبيهاً لموضوع الخطاب و الذي سيحكيك لفظياً و دلالياً ما يحقق الإبانة والوضوح لدى المتلقي ، بفعل التكرار المتصل للفظ الجلالة [الله] بين الفقرات بمواقع من الكلام مثلت حلقات للوصل الدلالي. قال: (ﷺ) (وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأُدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فُجْرَةٌ، وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَعْرِفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..وَاللَّهِ مَا أُسْتَعْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلَا أُسْتَعْمَرُ بِالشَّدِيدَةِ .⁽²⁾ لقد كرر الإمام الفعلين: [يغدر، ويفجر] باشتقاقات مختلفة: [الغدر، وغادر، و غدره]، و [فجرة] مرتين، وقد عمل التكرار هنا على خلق أسس مشتركة بين أجزائه مما يسهم في وحدته وتماسكه وشدة تأثيره في متلقيه ، فيكون التكرير منبعثاً عن المثير النفسي مفضياً إلى نفس المخاطب بأثره .

ب. تكرار الإشتقاق:

يتضح هذا النوع من خلال هذه الخطبة التي خطب بها الإمام بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) حين أفضت الخلافة إليه ﷺ قال: "قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَ لَمَعَ لَامِعٌ وَ لَاحَ لَائِحٌ، وَ إِعْتَدَلَ مَائِلٌ"⁽³⁾. نجد في

1_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ، ابن أبي الحديد، ج9 ، ص:106

*_ يعتبر ريفاتير من المجددين في التنظير الأسلوبي بمقالاته التي نشرها في بداية الستينيات ثم جمعت واستكملت في أوائل السبعينيات من القرن الماضي في كتابه مقالات في الأسلوبية البنوية . (Essais de stylistique structurale) .
 ف_ التشبع مصطلح يستخدم بالكيمياء عادة، ويعني أن المادة المنحلة في السائل قد بلغت حداً لم يعد للسائل القدرة على الامتصاص . استعمل (ريفاتير) هذا المصطلح مجازاً للدلالة على أن الخاصية الأسلوبية إذا تكررت باطراد تشبع النص فلم يعد يطبق إبرزها كعلامة مميزة . مما يستدعي الكاتب أن يبتكر دائماً و إلا فقد بريقها و قيمتها لدى القارئ فيسمى بالتشبع.

2_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ، ابن أبي الحديد، ج10، ص:163

3_ المصدر نفسه: ج2 ، خ 142، ص:62

— الآليات الحاحية —

هذه العبارة توظيف المؤثرات و الروابط الصوتية الناتجة عن تكرار أخواتها الجناسية من هذه الكلمات [طلع طالع] ، و [لمع لامع] و [لاخ لائح] هذه الخاصة أدت إلى مجموعة من الوظائف الدلالية و الجمالية و التداولية في آن ، منها أنها تكشف عن معانٍ محذوفة، كما أشار إليها ابن أبي الحديد . ربما هي المقصودة بالمعنى - " قد [طلع طالع] يعني عود الخلافة إليه ، و كذلك قوله: [لمع لامع] و [لاخ لائح] كل هذا يراد به معنى واحد . و [اعتدل مائل] إشارة إلى ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان و استبدل الله بعثمان و شيعته عليا و شيعته و بأيام ذلك أيام هذا ... لا سبيل له إلى النهي عن المنكر و الأمر بالمعروف إلا بولاية الخلافة⁽¹⁾. مما يسمح لنا بإدراج هذا الخطاب ضمن الخطاب التقريري. فالتكرير الحاصل هنا هو " نتيجة له وقعه ، إذ يدق اللفظ بعدما يتكرر أبواب القلب موحيا بالإهتمام الخاص بمدلوله فيشعل شعور المخاطب إن كان خافتا و يوقظ عاطفته إن كانت غافية"⁽²⁾ فيكون بذلك له الأثر الأكبر على توجيه المتلقي.

ج. تكرار الجملة:

يمتاز هذا النوع بكونه يأتي في نسق إسنادي كامل ؛ فبسبب تقليبه و تكراره للفكرة من اختلاف المعنى الواحد يحقق الشرط الجمالي و الإقناعي المنشودين . و مثال ذلك ما ورد في قوله (ﷺ) في وصيته لما ضربه ابن ملجم : "يا بني عبد المطلب، لا أفتينكم تحوضون دماء المسلمين خوفاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فأضربوه ضربة بضربة"⁽³⁾ فقد كرر الإمام قوله: [قتل أمير المؤمنين] مرتين موظفاً البنية التكرارية في النهي عن فعل الاقتصاص، الذي رشح من وجود [لا] الناهية التي لم يكتف بها، وإنما عمد إلى تكرارها لترسيخ هذا المنع في أذهان المتلقي و السبب في ذلك يعود إلى "أن المتكلم يريد أن يضمن لخطابه درجة عالية من أمن اللبس"⁽⁴⁾. بالإضافة إلى ما له من وقع في النفوس ، و من أثر بليغ في الأذهان.

1 _ المصدر السابق، ج 9، ص:153

2 _ عز الدين علي ، السيد . التكرير بين المثير و التأثير، دار الطباعة المحمدية د/ط 1978 ، القاهرة ، ص:212

3 _ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ابن ابي الحديد، ج16، ص:161

4 _ ينظر : صلاح فضل، بلاغة الخطاب و علم النص، ص:196

د. تكرار المعنى دون اللفظ:

يكثر استخدام هذا النوع في العبارات خاصة في الحكم و قصر الجمل بطريقة فنية متزنة ، كقوله (ﷺ)⁽¹⁾ من حكمة له : (مَنْ يَعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةَ يَعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةَ) . لم ترد [اليَدِ القَصِيرَةَ] و [اليَدِ الطَّوِيلَةَ] بالمعنى القريب الظاهر؛ فاليدان هاهنا عبارة " عن النعمتين ففرق (ﷺ) بين نعمة العبد ونعمة الرب، ذكره بالقصيرة والطويلة، فجعل تلك قصيرة و هذه طويلة، لأن نعم الله أبدا تضعف على نعم المخلوقين أضعافا كثيرة، إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها، فكل نعمة إليها ترجع، ومنها تنزع."⁽²⁾ لتصبح اليد هنا رمزاً للكرم وطيب النفس وحب الآخرين ، وضعت في صياغة لغوية فيها من الجمال الإيقاعي و من البديع اللفظي؛ فالاختلاف بين العبارتين في كلمة واحدة هي بين الطويلة و القصيرة مما تجذب انتباه المتلقي بالتركيز على هذا الاختلاف.

هـ. تكرار إسم الفاعل:

يعرف هذا النوع بأنه: " اسم مشتق يدل على معنى مجرد حادث و على فاعله، فلا بد أن يشتمل على أمرين معا هما :المعنى المراد الحادث و فاعله ودلالة اسم الفاعل على المعنى المراد الحادث أغلبية لانه قد يدل- قليلا -على المعنى الدائم أو شبه الدائم (...) و دلالاته على ذلك المعنى المراد مطلقة أي لا تفيد النص على أن المعنى قليل أو كثير. فصيغته الأساسية محتملة لكل واحد منهما "⁽³⁾. و يعد هذا النوع من نماذج الوصف التي يوردها الإمام علي في خطابه بوصفها حجة داعمة لموضوعه و من أمثلة ذلك قوله من وصيته (ﷺ) عند انصرافه من صفين: " .الذَّامِ لِلدُّنْيَا، السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتِ الظَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا، إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ، رَهِيئَةِ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدِ الدُّنْيَا، وَتَاجِرِ الْغُرُورِ، وَغَرِيمِ الْمَنَائِيَا، وَأَسِيرِ الْمَوْتِ، وَخَلِيفِ الْهُمُومِ، قَرِينِ الْأَحْزَانِ، وَنُصْبِ الْأَفَاتِ وَصَرِيحِ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ الْأَمَوَاتِ .. " (4) فالكلمة يرسلها في حكمة ، و أداء محكم و معنى واضح في صور دالة موجز العبارة بتكراره لإسم الفاعل [الذَّامِ ، السَّاكِنِ الظَّاعِنِ، الْمُؤَمَّلِ ،السَّالِكِ ..] تلتها سلسلة منه معرفة بالإضافة [تَاجِرِ الْغُرُورِ، غَرِيمِ الْمَنَائِيَا، أَسِيرِ الْمَوْتِ ،

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ،شرح ابن ابي الحديد، ج19، ح229، ص:59

2 _ المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

3 _ عباس حسن . النحو الوافي، ج3 ، ص:221

4 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، تحقيق فارس الحسون ، خ31، ص:631

– الآليات الحاحية –

حَلِيفِ الْهُمُومِ...].و هي صيغ لها تأثيرها الكبير على المتلقي من خلال ما تمتلكه من خصائص جمالية عند التغير المتتابع من إيقاع [اسم الفاعل] المعرف بـ:(ال) إلى إيقاع اسم الفاعل المعرف بالإضافة وإقناعية من خلال تكرار الوزن و الصياغة التركيبية في توظيف الجمل القصيرة.

و. **تكرار صيغ المبالغة :**

يتم هذا النوع بتحويل صيغة [فاعل] وهي صيغة [اسم الفاعل] الأصلي من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف إلى صيغة أخرى ؛ تفيد الكثرة و المبالغة الصريحة ، ما لم تفده صيغة [فاعل] ، كقول الإمام في ذم الدنيا: " غرارةٌ، ضرارةٌ، حائلةٌ، زائلةٌ ، نافدةٌ ، بائدةٌ، آكالةٌ، غوالةٌ" (1). ما نلاحظه في هذه العبارات ورود سلسلة من صيغ المبالغة ، لها وقعها الصوتي المنسجم بصيغة المبالغة مع الجرس الموسيقي في نهايته ، بالإضافة إلى وقعها المعنوي ، فينشأ عنها تأثيرها الخاص على المتلقي جماليا و تداوليا.

و في موقف آخر لنفس الموضوع في المبالغة في التوبيخ و التنديد ، يقول (ﷺ) في ذم قوم لم ينهضوا بالجهاد: " اطلبكم ما اختلف جنوب و شمال، طعانين، عتابين، حيادين، رواغين" (2). فقد وردت العبارة في صياغة فنية بديعية جد مؤثرة ، ختمها بحلقات من صيغ المبالغة ذات تشابه في الوزن و الإيقاع مع اختلاف في المعني التفصيلي سيكون لها وقعها الخاص على القوم بمتتالية من التوبيخ. و في موقف آخر للتحذير و التوجيه و الوعظ يقول: (ﷺ) " فاحذروا الدنيا فانها غدارةٌ، غرارةٌ" (3).

إذ وظف الإمام صيغ المبالغة في صفات الدنيا ؛ حتى يتمكن المتلقي من الإتيان لما فيها من خطورة و أن يحترس منها ، و ما يلاحظ في توظيف هذه الصيغ خاصة في النصيح و الوعظ ، أنها تأتي متقاربة و متداخلة غالبا لا روابط تجمعها ؛ فيكون و قعها و إيقاعها أكثر تأثيرا على المتلقي . و مثال ذلك قوله (ﷺ) في مواضع الذم و التوبيخ : " و إنك لذهاب التيه و رواغٌ عن القصد و مندحق البطن رحب البلعوم" (4) إذ يكون النبر فيها على الحروف المشددة من وزن [فَعَالٌ] مما يعطيها جرساً متنسقاً أكثر تأثيرا.

1_ المصدر السابق : خ 111، ص:212

2_ المصدر نفسه : خ 119، ص:229

3_ المصدر نفسه : خ 230، ص:482

4_ المصدر نفسه : خ 57 ، ص :93

- الآليات الحجاجية -

ز. تكرار إسم التفضيل:

تستعمل أفعال التفضيل في الإثباتات ؛ وهو اسم مشتق ،على وزن [أفعل] - يدل في الأغلب - على أن شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه. قال : (ﷺ) (1) وقد سئل عن قريش: " أَمَا بَنُو مَخْرُومٍ فَرِيحَانُهُ قُرَيْشٌ، نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ، وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ. وَأَمَا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا، وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا. وَأَمَا نَحْنُ فَأَبْدَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا. وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمَكْرُ وَأُنْكَرُ، وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ."

الوزن اسماء التفضيل	الآلية اللغوية	الحجاج	القبيلة
أَبْعَدُهَا _ أَمْنَعُهَا = أفعل	وَأَمَا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا.	الحجة	ق 1- بنو عبد شمس
أَكْثَرُ _ أَمَكْرُ _ أَنْكَرُ = أفعل	وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمَكْرُ وَأُنْكَرُ	النتيجة	
أَبْدَلُ = أفعل	وَأَمَا نَحْنُ فَأَبْدَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا.	الحجة	ق 2 - بنو هاشم
أَسْمَحُ = أفعل	و نحن أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ	النتيجة	

لقد تنوعت كل هذه الصيغ في خطاب واحد من خلال هذه الموازنة و المفاضلة ، كما يقول (ﷺ): "لا مال أعود من العقل ، ولا وحدة أوحش من العجب، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوى، و لا قرين كحسن الخلق، ولا ميراث كالأدب ، ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولا زرع كالثواب، ولا ورع كالعند الشبهة، ولا زهد كالزهد في الحرام ، ولا علم كالتفكير، و لا عبادة كأداء الفرائض، و لا إيمان كالحياء و الصبر، و لا حسب كالتواضع، و لا شرف كالعلم، ولا عز كالعلم، و لا مظاهره أوثق من المشاورة" (2) . نجد أن الخطاب هو من النوع الوعظي الإرشادي ، أكثر فيه الإمام تكرار اسم الفاعل و صيغة المبالغة و اسم المفعول و أفعال التفضيل ، و كلها تساعد على تأكيد الأمر ، وتعظيم شأنه، بغية لفت انتباه المخاطب إليه، فيفسح المجال لقابلية تأثره وإذعانه لأفكار المتكلم. إن توظيف مثل هذه الأدوات: الصفة، اسم الفاعل، واسم المفعول، إسم التفضيل ،صيغ المبالغة ستحملنا إلى النص الوصفي .

1 _ المصدر نفسه : ح 115، ص: 652

2 _ المصدر السابق: ح 108، ص: 651

5. النص الوصفي:

يعدّ الوصف من الآليات اللغوية و النص الوصفي عند الإمام يتميز بالدقة ، إذ كان يستعين بذاكرة قوية، وقدرة هائلة على اختزان صور الناس والطبيعة، وأخبار البشر، وأوصاف الأشياء. قال عليه السلام (1) وفيها يصف حال الناس قبل البعثة وصفة آل النبي ثمّ صفة قوم آخرين : " . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالَّذِينَ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ، وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزْاحَةً لِلسُّبُهَاتِ، وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ، وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ، وَتَحْوِيفًا بِالْمَثَلَاتِ...). أول مانلاحظه في هذا الخطاب الوصفي توظيف مختلف ألوان التعبير و صيغها التركيبية و الإيقاعية و البيانية ؛ حتى وصل إلى قمة الإبداع الفني ، من خلال نقل الصور البليغة للأشياء بأجمل تعبير، وأقوى إيحاء، فعملية الانعكاس، من إعادة الخلق الصوري للموصوف جعلت من الصورة البلاغية و البيانية كأنه حقيقة ملموسة للشيء الموصوف. " .إن الفنان ذاتي، فردي و خاص ، و أن كل عمل فني سواء كان لوحة أو تمثالا أو قطعة أدبية هو تعبير من شخص فرد في مكان ما في وقت ما. إنه يعبر عن الواقع كما يبدو للفنان متأثرا بانفعالاته المختلفة" (2) . قال عليه السلام () في صفة المؤمن : (المؤمن بشره في وجهه ، و حزنه في قلبه . أوسع شيء صدرا ، و أدلّ شيء نفسا . يكره الرّفعة و يشنأ السّمعة . طويل غمّه . بعيد همّه ، كثير صمته ، مشغول وقته . شكور صبور . مغمور بفكرته ، ضنين بخلّته . سهل الخليقة ، لئین العريكة . نفسه أصلب من الصّلد ، وهو أدلّ من العبد(*) . (3) هذا النوع من الخطاب تأثيره على المتلقي سريع و نافذ و راسخ في الذهن ؛ بسبب ما فيه من تنوع في جماليات الأساليب و الصيغ و التراكيب ، تم شحنها بكثير من الصور الفنية ؛ فيقرب المحسوس من الملموس فتتضح دلالاته و تلتحم تأثيراته ، كما هي واضحة في المخطوطة التي تبين التعالقات الممكنة بين السرد الظاهر و السرد الفني.

1_ المصدر نفسه: خ 2 ، ص:40.39

2 _ خير الله ، عصار . مقدمة لعلم النفس الأدبي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1989، ص:23

* أي أن نفس المؤمن أصلب من الحجر في فعل الحق . و ان كان في تواضعه أدلّ من العبد

3 _ الإمام علي.نهج البلاغه، تحقيق و شرح، فارس الحسون: ح 333 ، ص:633

- الآليات الحجاجية -

الوصف الأدبي الفني	السرد الواقعي الحقيقي
_ المؤمن بشره في وجهه	_ المؤمن بشوش :.....
_ و حزنه في قلبه _ أوسع شيء صدرا	_ صبور:.....
_ يكره الرفعة	_ متواضع:.....
_ سهل الخليقة ، لين العريكة	_ متسامح:.....
_ نفسه أصلب من الصلد ، و هو أذل من العبد	_ قوي شديد في الحق، ذليل في التواضع:.....

و هذا ما نجده في كثير من المواضيع كوصف السحاب و الزرع والحيوانات المختلفة المتباينة.. وجدت كلها لغرض أخذ العبرة و الإلتعاض فإذا قيل أن "الشعوب تصنع الثقافات كما أن الثقافات تصنع الشعوب.."⁽¹⁾ ، فإن الإمام استطاع وحده أن يصنع ثقافة و أن هذه الثقافة صنعت كثيرا من الشعوب و هو بذلك كما يقول العقاد في الإمام علي: (تلميذ ربّه جلّ وعلا)⁽²⁾ إذ يعتبر في ذروة أنموذج التفكير العلمي المبدع المبني على دقة الملاحظة والإدراك الواعي.

● المبحث الثاني : الآليات الحجاجية البلاغية

لقد دأب البلاغيون العرب القدامى على البحث عن أسرار الإعجاز في الخطاب القرآني و الخطابات الأخرى على عكس اللغويين و النحاة^(*)، فتأسس عندهم مصطلح مقتضى الحال، يقول الجاحظ و هو يؤسس لمصطلح البيان: "إن بعض البلغاء وصف اللسان فقال: اللسان أداة يظهر بها حسن البيان، وظاهر يخبر به عن الصّмир، وشاهد ينبئك عن غائب، وحاكم يفصل به الخطاب، وناطق يردّ به الجواب، وشافع تُدرك به الحاجة، وواصف تُعرف به الحقائق، ومعزّ ينفى به الحزن، ومؤنس تذهب به الوحشة، وواعظ ينهى عن القبيح، ومزيّن يدعو إلى الحسن، و زارع يحرث المودّة، وحاصد يستأصل الصّغينة، وملهم يوفق الأسماع." ⁽³⁾ فيكون الجاحظ بذلك قد تمثّل الإجراءات والآليات التي تحقّق حسن البيان، و من هنا " تعدّ البلاغة آلية من آليات الحجاج؛ لاعتمادها الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية ، والأساليب الجمالية و عن طريق إقناع المتلقي فكريا وجماليا معاً .

1 _ خير الله عصار . مقدمة لعلم النفس الأدبي، ص:25

2 _ العقاد . عبقرية الإمام علي ، ص33

* اللغويون و النحاة يهتمون بتحسين اللغة من خلال جمعها ولم شتاتها في مقاييس يرى فيها البلاغيون الحصر والانغلاق

3 _ الجاحظ. البيان والتبيين، ج2 ، ص: 270

— الآليات الحجاجية —

يتبين من هنا أن "معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية ولانجاز مقاصد حجاجية و لإفادة أبعاد تداولية" (1) ؛ ولما كان للصورة دور هام في التأثير والإيضاح، كان لابد أن يُعنى الخطباء بالتصوير في خطاباتهم، فقد استعملوا مصطلح الصورة منذ القديم بمعان متعددة فهذا أرسطو يقول: "إن التفكير مستحيل من دون صور" (2) و بذلك فقد ربط بين التفكير و الصورة ، في حين نجد الجاحظ في البلاغة العربية القديمة ، قد بيّن ربط أهم عناصر التعبير الشعري بالصورة عندما قال: "فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج و جنس من التصوير" (3) إلا أن ما يهمننا في الصورة بحكم موضوع التداولية ،هي الوظائف الحجاجية التي تؤديها بنية الصور البلاغية ولما كانت الوظيفة الحجاجية هي أهم ركن في أغراض الخطاب ؛ و أن الخطاب أهم وظائفه الحجاجية هي الصورة ، فإننا سنقتصر في تحليلنا على وظائف الصور الحجاجية و بنيتها في خطاب نهج البلاغة ؛ بغرض استكشاف آليات الإقناع وكيفية توظيف هذه الصور في ذلك الغرض.

إن الأساليب البلاغية قد يتم عزلها عن سياقها البلاغي لتأدية وظيفة إقناعية استدلالية بعد أن كانت جمالية إنشائية ، بل ومن هنا يتبين " أن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول ؛لأداء أغراض تواصلية ولانجاز مقاصد حجاجية و لإفادة أبعاد تداولية" (4) ، وهذا ما نجده في خطب الإمام علي الإقناعية فالصورة الفنية في عمومها تحمل وظائف حجاجية ، لما فيها من طاقات تثبت القول أو تنفيه لكونها آليات بلاغية لها القدرة على حمل المخاطب على التمعن فيها، يقول أبو هلال العسكري في أهميتها بأنها: " ما تعطف به القلوب النافرة ، و يؤنس القلوب المستوحشة، و تلين به العريكة الأبية المستصعبة، و يبلغ بها حاجة ، و تقام به الحجة، فتخلص نفسك من العيب، و يلزم صاحبك الذنب من غير أن تستدعي غضبه، و تثير حفيظته". (5) فدور المتكلم هو بناء الصورة وفقا للمقام الذي ترد فيه ، و وفقا للمخاطب الذي أمامه، دون أن يفوته أن هدفه في الأصل من الصور البيانية هو التعبير عن قصده، وحمل المخاطب على إدراك ذلك القصد عن طريق تأويل العبارة اللغوية.

1_ صابر الحباشة . التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صفحات للدراسات والنشر، 2008 ، ص:50

2_ شاعر عبد الحميد . عصر الصورة ، ضمن مجلة عالم المعرفة ، العدد 311، الكويت سنة 2004 ، ص:7

3_ الجاحظ .البيان و التبيين:ج 3 ، ص ص: 131 . 132

4_ صابر الحباشة . التداولية والحجاج مداخل ونصوص،صفحات للدراسات والنشر، 2008، ص:50

5_ أبو هلال العسكري .الصناعتين، ص:57

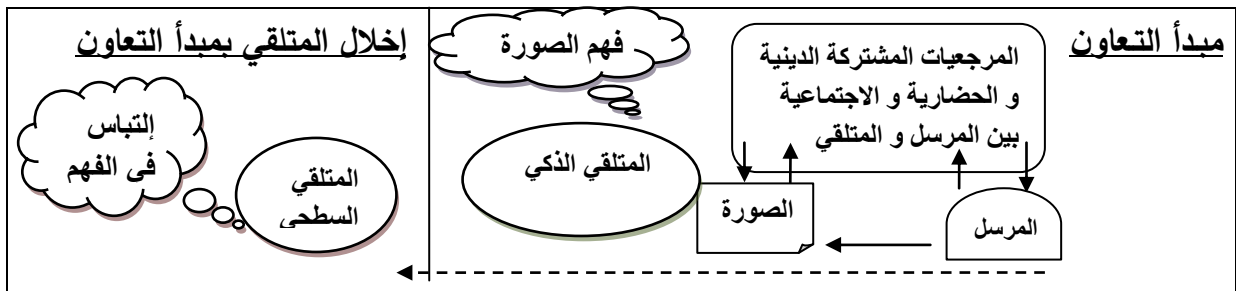
1. الصور البلاغية :

من الصور الأكثر بروزاً في الآليات البلاغية الصور البلاغية ، و التي تتشكل من عدة أنواع

كما يأتي:

أ. التشبيه:

يعد التشبيه من مكونات الصور البلاغية الأساس الأكثر وضوحاً ؛ لأنَّ العلاقة بين المشبه و المشبه به تدرك ببساطة لكونها تقوم على القياس والاستنتاج المباشر؛ إذ يرى عبد القاهر الجرجاني، أن "التشبيه قياس، والقياس في ما تعيه القلوب وتدركه العقول، و تستفتي فيه الإفهام و الأذهان ، لا الأسماع و الأذان "⁽¹⁾ لهذا كانت قدرة التشبيه تتمثل في بناء علاقة بين عنصرين من عالمين مختلفين للأديب المبدع خاصة قوة الإدراك التي تمكنه من اكتشاف العلاقات بين الأشياء المتباعدة ، ومنها قوله **﴿... زَرَعُوا الْفُجُورَ وَ سَقَوْهُ الْعُرُورَ وَ حَصَدُوا النَّبُورَ لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ ص مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَ لَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَ بِهِمْ يُلْحَقُ﴾** ⁽²⁾ كشف فيها الإمام عن طبائع المنافقين و نواياهم الخبيثة بتحليل نفسياتهم ببراعة أسلوبية ووظف سلسلة من الإستعارات و بأسلوب التقسيم الذي سننطق اليه في موضوعه، فقسم أفعالهم القبيحة تشبيها لهم بهيئة النبات: "زرع وسقي وحصاد، فكان ذلك كما يسقى الزرع ، ويربي بالماء ، ويستحفظ"⁽³⁾.. و منه بناء صورته الفنية، بعد طمس الفروق بين المشبه و المشبه به، ليأتي دور المتلقي الذي يعمل على اكتشاف وجه الشبه الذي يجمعهما لإدراك المعنى المقصود ، كما هو موضح في المخطوطة الآتية:



1_ عبد القاهر الجرجاني . أسرار البلاغة في علم البيان ، ص:15

2_ الإمام علي نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد، ج1، خ139، ص:140

3_ يذكر أن ابن أبي الحديد جعل كلام الإمام هذا في معاوية، وليس إشارة إلى المنافقين، كما ذكر الشريف الرضي ينظر: شرح ابن أبي الحديد، ج1، خ134، ص:140

– الآليات الحجاجية –

وقد تكون هذه الصورة أكثر عمقا فتحتاج إلى تأمل وتأنٍ أكبر و تعاون أكثر مع المرسل ، بالاعتماد على المرجعيات المشتركة بينهما .

يشير عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد إلى "أن أجود التشبيه ما كان بين الأشياء المتباعدة التي لا يلاحظ المرء أوجه اتفاقها؛ معللا ذلك بأن هذا النوع من التشبيه أكثر تأثيراً في النفوس؛ لما فيه من شعور بالمتعة و بلذة الاكتشاف الجديد،⁽¹⁾ فحن نرى به " الشئيين مثلين متباينين ومؤتلفين مختلفين⁽²⁾".

وبسبب هذا الدور الذي يؤديه التشبيه في الإيضاح ، فالإمام علي يرسم المعاني رسماً، ويعمل على تمثيلها سعيًا وراء التعريف والتأثير. كقوله عليه السلام ⁽³⁾ : "كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ"⁽⁴⁾، لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبُ،

وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبُ". و" ابن اللبون لا يكون قد كمل و قوي ظهره على أن يركب و ليس بأثنى ذات ضرع فيحلب و هو مطرح لا

ينتفع به فقد ذكر الإمام المشبه و المشبه به (الفِئْتَةُ) ك(ابْنِ اللَّبُونِ) و هي عناصر تظهر للوهلة الأولى

أنها متباعدة و لكن تذييلها بأوجه اتفاقها (لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبُ، وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبُ) تُمَكِّنُ المتلقي من اكتشاف

العلاقة ؛ فيكون لها وقعها الخاص متعة و تأثيراً ؛ فتكون الصورة أكثر إقناعاً للمتلقي لينحاز إلى

صاحب الحق للقضاء على الفتن التي يعيشها ، كما شرحها ابن ابي الحديد" فأما إذا كان أحدهما

صاحب حق فليست أيام فتنة كالجمال و صفيين و نحوهما بل يجب الجهاد مع صاحب الحق و سل

السيف و النهي عن المنكر و بذل النفس في إعزاز الدين و إظهار الحق. "⁽⁵⁾ و التشبيه كثير في كلام

العرب، ولذلك كان من الطبيعي أن يعول عليه الخطباء في بناء صورهم وأن يستفيدوا من مميزاته التأثيرية

و الإقناعية، فهو " نافع في الكلام الخطابي منفعلة الاستعارة، وذلك إذا وقع معتدلاً"⁽⁶⁾. ومنه نجد التشبيه

الحسي بالحسي، في قوله عليه السلام ⁽⁷⁾ : "اللِّسَانُ سُبْعٌ، إِنْ حُلِّيَ عَنْهُ عَقْرٌ"⁽⁸⁾ فالمشبه هو (اللسان) و

المشبه به هو (سبع) ، و هو تشبيه بليغ حسي بحسي وهو قريب من إدراك المتلقي ، وبالإضافة إلى

1 _ عبد القاهر الجرجاني . أسرار البلاغة في علم البيان، ص:73.

2 _ ينظر: أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر - تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، 1971. ص:243.

3 _ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد ، ج18، ح1، ص: 83

4 _ ابن اللبون : ابن الناقة إذا استكمل سنتين.

5- شرح ابن ابي الحديد ، ج18، ح1، ص: 83

6 _ جابر عصفور. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ،المركزالثقافي العربي،ط3، الدار البيضاء،المغرب1992، ص :371.

7 _ الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون قصار الكلم رقم55

8 عَقْرٌ : عَضٌ، ومنه الكلب العَقُور.

- الآليات الحاحية -

ذلك، نجد التشبيه المعنوي بالحسي ومن ذلك في خطبة له (عليه السلام) (1): "وتشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ كَقَطْرِ المَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قَسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةِ أَوْ نُقْصَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِإِخِيهِ غَفِيرَةً (2) فِي أَهْلِ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا تُكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ المَرَّةَ المُسَلِّمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيُخْشَعُ لَهَا إِذَا دُنُكِرَتْ، وَيُعْرِى بِهَا لِئَامَ النَّاسِ، كَانَ كَالفَالَجِ (3) اليَاسِرِ (4) الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ المَغْنَمَ، وَيَرْفَعُ عَنْهُ بِهَا المَعْرَمُ." و التشبيه ورد فيه كما يلي:

المشبه المعنوي	أداة التشبيه	المشبه به الحسي
_ الأَمْرَ ...	_ ك_	_ قَطْرَ المَطَرِ
_ كَانَ (الدناءة ، الفتنة)	_ ك_	_ الفَالَجِ اليَاسِرِ

في حين نجد أن أدوات التشبيه التي استعملها الإمام قد كانت متنوعة وردت [إسماً، وفعلاً، وحرفاً] أو بالحذف أحيانا لما له من دور في التأكيد والإثبات.

ب. التشبيه التمثيلي :

التشبيه التمثيلي هو عقد صلة بين صورتين ليمكن المرسل من بيان حججه، وقد عقد الجرجاني فصلاً " في مواقع التمثيل وتأثيره" في كتابه (أسرار البلاغة) فيقول في هذا الصدد: "واعلم أن مما انتق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته...رفع من أقدارها... وضاعف قواها في تحريك النفوس لها فإن كان مدحا كان أبهى وأقبح... وان كان حجاجا كان برهانه أنور ، وسلطانه اقهر وبيانه أبهر" (5) فالتمثيل بهذا المفهوم هو احدى الأساليب التي يستعملها المرسل في الحجاج. لما لها من قدرة التمثيل على التأثير أشار إليها غير واحد من النقاد والبلاغيين القدماء ، كذلك أشاروا إلى " قدرته على استمالة النفوس وتحريك العواطف " (6). ويعتبره (برلمان) " طريقة حجاجية تعلق قيمتها على مفهوم مشابهة المستهلك، حيث لا يترابط التمثيل

1_ الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون ، خ 23 ، ص: 70

2_ غفيرة: زيادة وكثرة.

3_ الفالج: الظافر

4_ الياسر: الذي يلعب بقِداح المسير أي: المقامر، وفي الكلام تقديم وتأخير، ونَسَقُهُ: كالياسر الفالج، كقوله تعالى :

(وغرابيب سود)، وحَسَنَهُ أن اللفظتين صفتان، وإن كانت إحداهما إنما تأتي بعد الاخرى إذا صاحبتهما .

5_ عبد القاهر الجرجاني . أسرار البلاغة ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية، بيروت، ط 2، 1999 ، ص: 88

6_ المصدر نفسه: عبد القاهر الجرجاني . أسرار البلاغة ، ص: 93

- الآليات الحاحية -

بعلاقة المشابهة دائماً ، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مرتبطة" (1) ، نجد في هذا الصدد أن خطاب الإمام علي وظف التشبيه التمثيلي أكثر من التشبيه المفرد لما فيه من نجاعة التعبير والتصوير والإيضاح و التأثير؛ تسهّل على المتلقي استيعاب الفكرة .

إن التمثيل بمميزاته التي أشرنا إليها وسيلة جيدة لبلوغ تلك الغاية. يقول (عليه السلام) (2): "أَوْصِيكُمْ بِالصَّبْرِ، فَإِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ، وَلَا فِي إِيْمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ." فهذه الصورة من التشبيه التمثيلي المكوّنة من مجموعة عناصر حركية تركيبية ربطت العناصر المعنوية بالعناصر المادية؛ أي قوة الجسد هي من قوة الرأس و لا معنى لجسد من غير رأس ، كما أنه لا معنى لإيمان من غير صبر، نجد هذه العلاقة قد ساهمت في بناء الصورة وتجسيد المعنى وبيان خفاياه؛ لغرض التأكيد و الإثبات، و من ثمة التأثير في المتلقي.

و في صورة أخرى للإمام (عليه السلام) قد برع في تصوير دقيق لها ، وتتمثل في توضيح مشهد من يفرّ من أصحابه من الحق الذي يدعوهم إليه ، فيقول: "أظأركم على الحقّ (3) وأنتم تنفرون عنه نفور المغزى من و غوعه الأسد" (4). و لكون المتلقي ملزم - كما يتوقع المرسل - بالإحاطة بجوانب المشبه و المشبه به ؛ حتى يتمكن من الولوج إلى المعنى الدقيق المقصود ، و بذلك يتعرف على ما يحملانه من خصائص ؛ ليتوصل بالطريقة التفكيكية من حل شفراتها . فيكتشف ما في هذه الصورة من شحنة حركية سارت اتجاهين متماثلين على الشكل التالي:

الأثر المطلوب	الحركة	نوع الحركة	عناصرها	الصورة	
الإنضباط	باطل على غير هدى	حركة داخلية للنفس	المشبه	جيش الإمام	1
و حسن التدبر	ركض على غير اتجاه	حركة خارجية للبدن	المشبه به	حيوانات المعز	2

1 _ عبد السلام، عشير . عندما نتواصل نغير ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 2006 ، 1 ، ص: 97

2 _ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح و تحقيق فارس الحسنون، قصار الكلم رقم 77

3 _ أظأركم: أعطفكم، طأرت الناقة طأراً، فهي مطؤورة، إذا أعطفتها على غير ولدها.

4 _ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ابن أبي الحديد ، ج 8 ، ص: 263.

- الآليات الحجاجية -

إن الوظائف الحجاجية أظهر ما تكون حجاجيتها في التمثيل ؛ الذي يعدّ من الخصائص الأسلوبية البارزة في خطاب الإمام علي الإقناعية. ومن أمثله، قوله : (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (1): "مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ: لَيْنٌ مَسَّهَا، وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْعَرُ الْجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ!" فهذا الكلام قد حوى على مجموعة من التمثيلات ؛ إذ مثل الدنيا بالحية ثم أردفها بمجموعة من التقابلات و التوازنات كما هو واضح في الجدول التالي:

الدنيا	الحية
_ زخرف و متاع	_ لَيِّنٌ مَسَّهَا
_ البلاء و الهلاك	_ السُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا
_ يَهْوِي إِلَيْهَا الْعَرُ الْجَاهِلُ	_ تلذغ الإنسان المتهور الذي لا يقرأ العواقب
_ وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ!"	_ يتفادها الإنسان الحكيم الذي يعرف خطورة سمومها

ما يلاحظ في هذه العناصر المكونة للصورة القائمة على التشبيه في خطاب صدر الإسلام على العموم و في خطاب الإمام علي على وجه الخصوص، أنها انتزعت من الطبيعة المحسوسة، ومن بيئة الخطباء، فهي بمثابة النبع الذي يستقون منه المادة الخام لصقل أسلوبهم وتقوية تشبيهاتهم ، إذ ربطوا تشبيه المحسوس بالمحسوس، والمعقول بالمحسوس؛ فرسم الفكرة المجردة بصورة محسوسة، يدرك المتلقي مكوناتها بسهولة ، فالمحسوس أقرب إلى العقل وأثبت عندهم من المجرد، ولذلك أشار البلاغيون القدماء أن مهمة التشبيه تكمن في الإيضاح، يجب أن يقوم على إخراج النفوس " من خَفِيٍّ إِلَى جَلِيٍّ " (2).

و منه نلاحظه أن عناصر الصورة الحسية في خطابات الإمام علي قد سارت على المنوال السابق فتمحورت و ارتكزت على معطيات البيئية و موجوداتها، ولأسيما الحيوانات كالإبل والغنم والماعز والضبع وغيرها، كقوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ) (3): " لَنَا حَقٌّ، فَإِنْ أُعْطِينَاهُ، وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْأَيْلِ، وَإِنْ طَالَ السَّرَى ". (4) فالتأمل لهذه الصور التشبيهية التمثيلية ، يجد أن الحركة تطغى على الصورة "رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْأَيْلِ" ،

1 _ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون، قصار الكلام :رقم 114

2 _ عبدالقاهر الجرجاني. أسرار البلاغة في علم البيان ، ص: 102.

3 _ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق: فارس الحسون قصار الكلام: رقم 18

4 _ و هذا القول من لطيف الكلام وفصيحه، ومعناه: أننا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء، وذلك أن الرديف يركب عجز البعير، كالعبد والاسير ومن يجري مجراهما.

— الآليات الحجاجية —

بسبب توفر الكناية والاستعارة ، و دورهما في بناء الصورة التشبيهية وإعطائها أبعادها، فتشكيلة الصورة من تعدد هذه العناصر أعطى شحنة قوية للمتلقي لتأخذ طريقها للتأثير. و في صورة أخرى للإمام علي قوله (عليه السلام) "من عرف من أخيه وثيقة دين، وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال، أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام"⁽¹⁾. و المعنى المراد من هذه الحكمة أنه قد تتوجه تهم باطلة للبعض وهو بريء منها، ثم تظهر الحقيقة فيما بعد، وتبقى التبعة و المسؤولية على المغتاب، وحينها لا ينفع الندم ، هذه الصورة قائمة على التشبيه التمثيلي مدعمة بالكناية ، و التي تميل في الغالب، إلى الاهتمام بجزئيات المشبه به ، وفي هذا النوع و إن كانت قليلة الإستخدام في نهج البلاغة ، نجد الإمام لا يصرح بأركان التشبيه على الطريقة المألوفة، وإنما يستنتج العقل من سياق الكلام ؛ و على المتلقي أن يبرز نكاهه في الربط بين جزئيات الصورة و عناصرها.

و منه نستج أن الصورة التشبيهية الفنية، تتميز عند الإمام علي بجزالة التعبير وصدق الأداء و قوة التأثير ولم تكن من قبيل الزينة، ولذلك جاءت بعيدة عن التكلف والصنعة.

ج. الاستعارة:

الاستعارة هي إحدى آليات الحجاج البلاغية ، وهي العنصر البالغ الأهمية في عناصر بناء الصورة الفنية، وهي خطوة متطورة فنياً على التشبيه، على أساس أنها " فرع من فروع التشبيه "⁽²⁾. بمعنى أن " تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالاً على ذلك بإثبات كل لمشبه ما يخص المشبه به... " ⁽³⁾، ففي الاستعارة ينطلق المتكلم مما هو مشترك بينه و بين المتلقي، في العرف اللغوي السائد بينهما، وإمكانية احتمال المعاني الحرفية لمعان تستدعيها المقامات والأحوال. وهي تقوم على ما يسمى بقانون الحذف، أي حذف أحد عناصر التشبيه للوصول إلى الاستعارة و مثال ذلك في كتاب له (عليه السلام) ⁽⁴⁾ إلى معاوية يقول: "وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ (5) مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا .. ، وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمْرَتْكَ

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج 9، ص:72.

2 _ ينظر : السكاكي. مفتاح العلوم، ص439

3 _ السكاكي . مفتاح العلوم، ص: 439

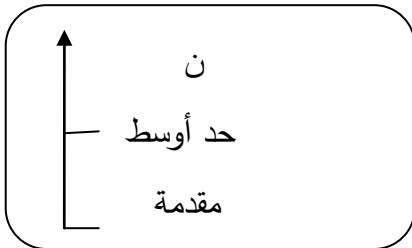
4 _ الإمام علي . نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد : ج15، من كتابه رقم 10 ، ص: 79

5 _ الجلابيب . جمع جلباب: الثوب فوق جميع الثياب كالمُحَفَّة.

- الآليات الحجاجية -

فَأَطَعْتَهَا، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفَكَ وَاقِفٌ⁽¹⁾ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجْنٌ" إذ يتعجب الإمام من خصمه معاوية بتمسكه بملذات الدنيا في حين أن الموت هي أقرب له من حبل الوريد ، موظفا الاستعارة بعلاقة التشبيه المجسدة للقيمة التي يسعى النص إلى إبرازها (تَكشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ) فيمارس وظيفته في التأدية إلى الانكشاف و الفضيحة و كيف سيقابل الله بعد ذلك . هذا التشبيه الذي استطاع بعملية دمج تقوم بين ما هو مادي (جَلَابِيبُ) وبين ما هو معنوي (الانكشاف) ف " .. التباعد بين الشئيين كلما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب ".⁽²⁾ كما أردف الإمام بسلسلة أخرى من الاستعارات و هي (تَبَهَّجَتْ بَرِيئَتَهَا) و (وَحَدَعَتْ بِلَدَّتِهَا) و (دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا)، و (قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا) و (أَمَرْتُكَ فَأَطَعْتَهَا) و (يَقْفَكَ وَاقِفٌ) و (لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجْنٌ) فكان الانتقال من قيمة واحدة [التعجب] إلى أربعة أحوال تأكيدا على التعجب الذي اتخذ طريقة التعدد في تأكيد نفسها ، فلم يتوقف تحقق الشعرية على علاقة الاستعارة ، وإنما شارك في ذلك ما موجود من تعدد في مقابل الأفراد، ويدخل ذلك ضمن علاقة ثنائية طرفاها كما سبق الإشارة إليه ؛ هما الترغيب في العودة جادة الصواب والترهيب من خاتمة السوء.

هذا يدعونا إلى تصور الحركة الذهنية التي تصاحب الصور البيانية ؛ حركة فكرية منطقية إلى حد كبير، وقد حدد السكاكي وجهة نظره ،عندما يرى بأن كل تشبيه أو استعارة أو كناية قياس منطقي، قد حذف منه الحد الأوسط والنتيجة ؛ فإذا قلت: " خدها وردة" ،فأنت تؤلف قياسا نطقت بمقدمته ،وتركت لصاحبك أن يبني عليها الحد الأوسط " الوردة حمراء" ، ثم النتيجة " خدها أحمر"⁽³⁾



ولاكتشاف ما لهذه الأقيسة البلاغية من طاقات حجاجية نعتد على السلم الحجاجي الذي يعرفه طه عبد الرحمن

بأنه " :عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال ،مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم، يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

1 _ ويقفك واقف : يعنى الموت

2 _ عبد القاهر الجرجاني. أسرار البلاغة في علم البيان، ص:109

3 _ ينظر: السكاكي .، مفتاح العلوم، ج1، ص:555

– الآليات الحجاجية –

– كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه. " ولديه ثلاثة قوانين هي: [قانون الخفض] و [قانون تبديل السلم] و [قانون القلب] ؛ حيث تترتب الحجج في الخطاب على أساس طاقتها الحجاجية، وقدرتها على الإقناع، و يقوم المرسل بترتيب الحجج على أساس دعمها لدعواه⁽¹⁾. لذلك فإنها تتمتع بقدرة أكبر على التعبير، وعلى إثراء المعنى ؛ لما لها من دور في التأثير والتخييل.

لقد اهتم بها البلاغيون اهتماماً بالغاً وأشادوا بدورها ومزاياها، و منهم عبد القاهر الجرجاني الذي خص لها صفحة كاملة في تبيان أهميتها في كتابه أسرار البلاغة، ويرى من مناقبها "أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ"⁽²⁾. فللاستعارة الحجاجية هدف محدد وهو إحداث تغيير في مواقف المتلقي . أما النظرة التداولية فهدها القيام بوظيفة التواصل، وتبنى على مستويين الأول [السمة التواصلية]، والثاني [الجانب الفني والأدبي] في الاستعارة.

حتى يبني القول الاستعاري افترض طه عبد الرحمن: " أن القول الاستعاري قول حوارى ، وحواريتة صفة ذاتية له، و أنها قول حجاجي، وحجاجيته من الصنف التفاعلي و أنها قول عملي، وصفته العملية تلازم ظاهره البياني و التخيلي⁽³⁾، وهو بذلك يتفق طه عبد الرحمن مع النظرة التداولية للاستعارة؛ باعتبارها وسيلة للتفاعل والحوار.⁽⁴⁾ إن عملية الاستعارة تؤدي وظيفة سد الثغرات التي تعترض عملية الاستدلال المنطقية، ولذلك يتم اللجوء إلى الاستعارة لإنقاذ اتساق النص المنطقي، كما أن خصوبة الاستعارة، وبفضل خاصية الالتباس التي تحملها، يجعلها تضمن الخصوبة الدلالية للنص، وتجعل القارئ منخرطاً في حركة النص الفكرية ومساهماً مع المؤلف في إنتاج المعنى. و بحكم وظيفة الخطابة، فإن الاستعارة أميل إلى إعطاء معنى يتميز بالدقة، والواقع.

إن النثر بشكل عام يكون في الغالب "أقرب إلى جوّ الواقع القريب البسيط، ولذلك فهو أكثر استعداداً لقبول المقارنات والتشبيهات، وأتمّ تقديراً لمعنى متميز من الضبط والدقة في ظل الإدراك العقلي أو التحليل الواقعي"⁽⁵⁾.

1_ طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان، ص: 277

2_ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص: 32

3_ عيد بليغ. الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، ع 23، 2005، ص: 99

4_ طه عبد الرحمن. اللسان والميزان، ص ص: 310. 313

5_ مصطفى ناصف. الصورة الأدبية، دار الأندلس، ط2، 1981. ص: 266.

- الآليات الحجاجية -

وتطالعنا الاستعارة في خطاب الإمام بكل أشكالها، غير أن النوع المكني يغلب عليها والخطباء يراعون العلاقة المنطقية بين عناصر استعاراتهم ؛ ليسهل على المتلقي الوصول إلى المراد، كما استمدوا عناصر صورهم من البيئة التي يعيشون فيها توضيحا لمتلقي، ومن كلام له (1) رضي الله عنه "وفيه يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام" **فَتَدَاكُوا (2) عَلَيَّ تَدَاكَ الْأَبْلِ الْهَيْمِ (3) يَوْمَ وَرَدِهَا (4)**، **فَدَأْرَسَلَهَا رَاعِيَهَا، وَخُلِعَتْ مَتَانِيهَا (5)**، **حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِي، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ، وَقَدْ قَلَبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهَرَهُ حَتَّى مَعْنِي النَّوْمُ، فَمَا وَجَدْتَنِي يَسْعَنِي إِلَّا قِتَالَهُمْ أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**، **فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ، وَمَوَاتَاتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتَاتِ الْآخِرَةِ** .

لقد استعان الإمام بعناصر من الواقع المحسوس، فشخص الأمور المعنوية، و أضفى عليها الحياة. إذ استعان بأعضاء من جسم الإنسان أو الحيوان، ولاسيما الأليف منها كالناقة أو ببعض موجودات البيئة من شجر وخيام وأقواس وسهام... فجاءت في الغالب من النوع المكني، إذ أن المشبه أو المستعار له ، هو الذي يتحرك ويؤدي دوره في تقديم المعنى ، فالصور الاستعارية صور جزئية تأتي في ثنايا الخطبة، و لا تشكل لوحات واسعة. كما أنها تستعين بالكناية في كثير من الأحيان. و إذا ما أردنا إبراز واكتشاف ما لهذه الأقيسة البلاغية من طاقات حجاجية فعلينا مراعاة ما يقوم به المرسل من ترتيب للحجج على أساس دعمها لدعواه و لفكرته. ومن خطبة له (صلى الله عليه وسلم) المعروفة بالشَّقْشِقِيَّة (*) [وتشتمل على الشكوى من أمر الخلافة] " **أما والله لقد تقمصها (6) فلان (**)**، **وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من**

1_ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق و شرح فارس الحسون خ53 ، ص:115

2_ تَدَاكُوا: تزاحموا عليه ليبياعوه رغبةً فيه.

3_ الهيم: العطاش من الابل.

4_ يوم وردها: يوم شربها الماء.

5_ المتأني : جمع المتناة بفتح الميم وكسرهما :. حبل من صوف أو شعر يُعْقَلُ به البعير .

* الشَّقْشِقَةُ بكسر فسكون فكسر : شيء كالرثه يخرج البعير من فيه إذا هاج

6_ تقمصها : لبسها كالقميص.

**_ في النسخة الأصلية لم يذكر (ابن أبي قحافة) و إنما ذكر (فلان) و كذلك في شرح فارس الحسون ، و في شرح محمد

عبد في حين ذكرت في شرح ابن أبي الحديد بالصياغة التالية : (أما والله . لقد تقمصها ابن أبي قحافة) و ابن أبي قحافة

المشار إليه هو أبو بكر ، واسمه القديم عبد الكعبة ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله.

ينظر : شرح ابن أبي الحديد ، ج1 ، ص:152

— الآليات الحاحية —

الرحا، يُحدر عنيّ السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت⁽¹⁾ دونها ثوبًا، وطويت عنها كشحًا⁽²⁾، وطفقت أرتبي بين أن أصول بيد جدًا⁽³⁾، أو أصبر على طخية⁽⁴⁾ عمياء يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتىّ يُلقى ربه.⁽⁵⁾ و الصورة هنا في [تقمصها]، فالهاء تعود على الخلافة⁽⁶⁾، وحسب مضمون الخطاب : يصرح الإمام علي شاكيا من أمر الخلافة التي لم تؤل إليه في بداية الأمر، رغم أنه أولى بها ؛ لما له من خصائص تميزه عن غيره ، موظفا في ذلك الاستعارة الممكنة [لقد تقمصها] بعلاقة التشبيه المجسدة للقيمة التي يسعى النص إلى إبرازها ، وهي [الاستيلاء] فيمارس وظيفته في التأدية ، هذا التشبيه الذي استطاع بعملية دمج تقوم بين ما هو مادي (القميص) وبين ما هو معنوي (الخلافة)، كان له وقعا كبيرا على النفوس، كما أردف الإمام هذه الصورة بسلسلة أخرى من الاستعارات و الكنايات ؛ وهي شحنات إضافية مثل الاستعارة التمثيلية (وإنه ليعلم أن محلي منها محلّ القُطب من الرحي) و الكناية في قوله (، يُحدر عنيّ السيل، ولا يرقى إليّ الطير) و هي كناية عن التميز و العلو و كذلك في قوله (فسدلت دونها ثوبًا)، و (طويت عنها كشحًا)، و (طفقت أرتبي بين أن أصول بيد جدًا، أو أصبر على طخية عمياء) فكان الانتقال من قيمة واحدة [الشكوى] إلى حلقات متعددة يصب كلها في موضوع المقدمة ، وهو سلب الخلافة وهو بذلك اتخذ طريقة التعدد في تأكيد نفسها أعطى للخطاب قيمة أدبية و فنية لها تأثير بارز في المتلقي .

د. الكناية:

يعرفها القزويني على أنها " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ " ⁽⁷⁾ فهي من العناصر العناصر الهامة في بناء الصورة ، وقد أدرك الخطباء المسلمون مالها من دور في التأثير، ومالها من أهمية في تحقيق وظيفة الخطابة ، و يرجع البلاغيون أهمية الكناية كونها نابعة من " أن إثبات الصفة

1_ سدل الثوب : أرخاه.

2_ طوى عنها كشحًا : مال عنها.

3_ الجذء بالجيم والذال المعجمة : المقطوعة.

4_ طخية بطاء فحاء بعدها ياء، ويتلث أولها : ظلمة.

5_ لإمام علي، نهج البلاغة . تحقيق و شرح فارس الحسون ، خ 3 ، ص:36 ينظر أيضا: شرح محمد عبده، مراجعة و تحقيق

أحمد إبراهيم زهوة ، دار الكتاب العربي بيروت ، 2005، ص: 28

6_ المصدر نفسه: شرح محمد عبده، ص:28

7_ القزويني.الإيضاح في علوم القرآن، شرح: علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط2 ، 1991 . ص:273

— الآليات الحجاجية —

بإثبات دليلها وإيجابها هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى...⁽¹⁾ . وبعضهم يرى أن حسنها يعود إلى ما توقعه من المبالغة في الوصف⁽²⁾ ، وقد تنوعت صور الكناية في خطابات الإمام علي ، فاستعملها للتعبير عن موضوعاته، فكثرت عن الصفة، وعن الموصوف، وعن النسبة. وتوسل بها في التعبير عن مواقفه الدينية و السياسية و الاجتماعية، لوعبر عنها بالتصريح و الأسلوب المباشر لفقدت كثيراً من دلالاتها وجماليتها.

يكثر الاهتمام بالكناية خاصة في الخطب السياسية؛ إذ يلجأ إليها الخطيب للإفادة من طاقاتها في التعبير والتأثير، وقدراتها على الإيحاء. ففي ذلك إثبات للمعنى بشاهد ودليل⁽³⁾ و من ذلك قوله (ﷺ) في حديثه عن الخوارج: " أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشَّعَارِ فَأَقْتُلُوهُ، وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ " ⁽⁴⁾ نجد الاستعمال الكنائي في قوله (ﷺ): [كان تحت عمامتي]، إذ كنى الإمام بها عن أقصى القرب من عنايته، أي لو كان ذلك الداعي إلى شعار التفرقة إلى هذا الحد من عنايتي به ، وقيل : أراد لو كان ذلك الداعي أنا.⁽⁵⁾ و الكناية هنا هي كناية عن نسبة وفيها دعوة للتوحد والتآزر.

أما السمات الفنية للكناية في هذه الخطابة، فلا تختلف كثيراً عن السمات التي ذكرناها للتشبيه والاستعارة؛ فقد استعان الإمام علي في بناء كناياته بالبيئة ، وبالأمثال ، و بدلالات بعض الألفاظ القرآنية و يبقى رغم ذلك أن الكناية عن صفة هي الغالب في هذا النوع. وقد توصل الخطباء بالكناية المفردة والمركبة لكنهم مالوا إلى النوع المركب، لكونها أكثر قدرة على التصوير والتعبير، ومن ذلك قوله (ﷺ) في حث أصحابه على القتال: (وَأَيْمُ اللَّهِ لئن فررتم من سيف العاجلة، لا تسلموا من سيف الآخرة، وأنتم لهاميم العرب والسنام الأعظم)⁽⁶⁾ ف[سيف العاجلة] كناية عن المنية في الدنيا بأي شكل من الأشكال، وب[سيف الآخرة] عقاب الله تعالى في الآخرة على الفرار من الموت⁽⁷⁾. لذلك رأى القدماء " أن المجاز أبلغ من الحقيقة

1_ عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز، ص: 57

2_ ضياء الدين بن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، تح: محمد محيي الدين - مصر، 1939 ص: 132.

3_ عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز، ص : 343.

4_ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد : ج 8 ، ص: 112

5_ ينظر : شرح نهج البلاغة، البحراني: ج3 ، ص: 127

6_ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج 8 ، ص: 5

7_ المصدر نفسه: ج8 ، ص: 6

— الآليات الحجاجية —

الحقيقة ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع...⁽¹⁾ فالعبارة المجازية " ... تكسب الإنسان عند سماعها هزة، وتحرك النشاط، وتمايل الأعطاف، ولأجل ذلك يقدم الجبان، ويسخو البخيل.. ويجد المخاطب بها نشوة كنشوة الخمر..."⁽²⁾ كما نجد في هذا الجانب أن (مايير) يولي أهمية قصوى للبلاغة وصورها المجازية في التخاطب ؛ لأنّ هذه الصور تعمل على تأسيس فعل الحجاج و اغنائه " فيصبح الحجاج ما تتحبه البلاغة من صور بيانية"⁽³⁾ يمكن القول أن نظريته المجازية في الحجاج تأسست من خلال مفاهيم ، هي عبارة عن " ثنائيات متقابلة يتشكل بها القول الحجاجي منها : الحقيقة والمجاز ، الافتراض واليقين ، الاستعمال والابتكار السلطة المجازية والسلطة المادية..."⁽⁴⁾ أما الصور الغالبة هي التي تقوم على التشبيه والاستعارة.

2. التناصات :

نجد صوراً أخرى في خطاب الإمام الإقناعي التي لم يعتمد فيها على بيئة المتلقي الطبيعية بل اعتمد فيها على البيئة الثقافية ، و هو ما يعرف حديثاً ب(التناصات) [تداولية توظيف المثل التاريخي] و هو نوع أشبه بالاستعارة التمثيلية و أقرب إلى الإقتباسات ، نجد تجلياته تستشف من أن التداخل النصي كظاهرة فنية جلية ، تعمل على الأخذ من النص السالف (الغائب) فيضفي عليه اشراقاً و توهج خاصة و أن حكيماً كالإمام علي ، مطالب بأن يحيا عصره، و يطلع على عصر غيره، فيطعم عالم الحكم و المواعظ بثتى الروافد الثقافية ، و هذا ما يعرف بالتناص .

ففي المعاجم الغربية يعرف على أنه : "مصطلح أدبي نقدي و هو مجموعة من العلاقات المتواجدة بين نصوص"⁽⁵⁾ و(التناص) يعد من الظواهر النقدية التي باتت تستخدم بكثرة في النصوص الأدبية، ظهر إلى الوجود في ظل الاتجاهات النقدية الجديدة في العقدين الآخرين من القرن العشرين، و هو يعني أن النص الأدبي "[النص المائل] يتم إدراكه من خلال علاقته بالأعمال الأخرى النص الغائب "قالأدب ينمو في عالم مليء بكلمات الآخرين"⁽⁶⁾ و أما "النص مجرد معجم غير متجانس تصطف كلماته في تتابعية

1_ ابن رشيقي القيرواني. العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين ط5، بيروت، 1981 ج1، ص : 266.

2_ يحيى بن حمزة العلوي. الطراز ، ج 2، مصر، 1914 - ص: 223.

3_ شكري المبخوت . ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، ص: 352

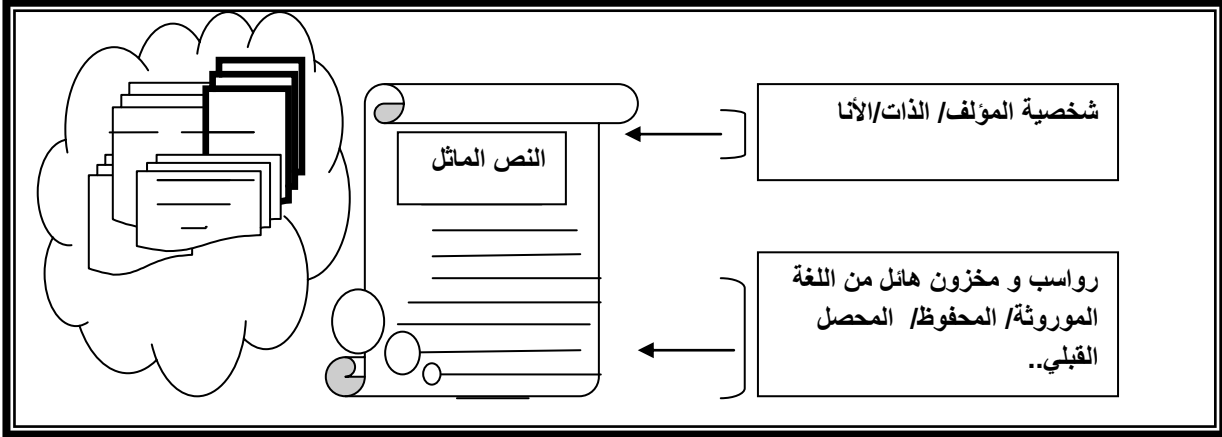
4_ المرجع نفسه، ص: 372- 357

5_ dictionnaire hachette encycédique édion 2002 spademLadagp paris p :830

6_ محمد عزام. النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، ص: 11

– الآليات الحجاجية –

من العلامات أو الإشارات حسب أعراف مقننة لا يمكن لمؤلف أن يتجاوزها، وتتبع من مخزن نصوص متداخلة، هذه الصفات تقبل المؤلف، وتحول التاريخ إلى نصوصية متداخلة " (1). إلا أن الغدامي يؤكد أن فكرة تداخل النصوص التي شغف بها النقاد الغربيون لا تعني: " أن الكاتب أصبح مسلوب الإرادة، وأنه ليس سوى آلة لتفريغ النصوص، إن هذا أبعد صور الحقيقة على حالة الابداع، و السر يكمن في طاقة الكلمة



وقدرتها على الإنعتاق ، فالكلمة و هي موروث رشيق الحركة من نص إلى آخر لها قدرة على الحركة أيضا بين المدلولات ، بحيث أنها تقبل تغيير هويتها و وجهتها حسب ماهي فيه من سياق " (2) ، فالناقد من خلال قوله يبحث عن نوع من المتأقفة بين التراث النقدي العربي و الغربي، للوصول إلى جوهر النظرية التي تفيد العملية النقدية و الأدبية على حد سواء، كما حدد مفهومه للتناص وربطه بالاقتراسات إذ يرى في التناص : " أنه يستمد وجوده من المخزون اللغوي الذي يعيش في داخل الكاتب مما حمله معه على مر السنين، و هذا المخزون الهائل من الإشارات و الاقتراسات جاء من مصادر لا تحصى من الثقافات ، و لا يمكن استخدامه إلا بمزجه و تأليفه... [3] و يرى (أحمد الزعبي) أن مصطلحات الاقتباس والتضمين والاستشهاد ؛هي نماذج من التناص يستحضرها الكاتب إلى نصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الروائي، سواء كان هذا التناص نصاً تاريخياً أم دينياً أم أدبياً ، ويسمي هذا النوع (التناص المباشر)، وهو الاقتباس بلغة النص نفسها التي ورد فيها وضرب أمثلة من ذلك: الآيات القرآنية، والأحاديث والأشعار والقصص، أما ما يقتبس بروحه أو مضمونه عن طريق التلميح أو

1_ ميجان الرويلي. سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي الأدبي ، ص:242

2_ عبد الله الغدامي. الخطيئة و التكفير ، النادي الأدبي الثقافي ،جدة السعودية ، د ط ، د ، ت، ص:324

3_ محمد عزام. النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، ص:10

— الآليات الحجاجية —

الإشارة أو الرمز فهو التناص غير المباشر⁽¹⁾. و هكذا نجد النص هو تشكيل لنصوص سابقة أو معاصرة له أو هما معا، أُعيدت صياغتها بشكل جديد؛ فيأخذ النص من نصوص أخرى، ويعطيها في آن .
أما التناص نجدها في نهج البلاغة تتوزع ظواهر التناص مع [القرآن الكريم و الحديث الشريف و التراث الأدبي] على عدّة نقاط وتشمل عدّة محاور؛ لكل منها دوره، وأهميته في إنتاج الدلالة وتوجيهها وفق زاوية، أو رؤية معينة وقد تأخذ هذه الظواهر أشكالاً مختلفة، بحيث تتضافر، وتتفاعل المحاور في النص ، فتعطي التناص قيمة دلالية خاصة، تتمّ على إدراك الإمام علي(عليه السلام)، واستشرافه لموروثه الديني، وفي مقدمته القرآن الكريم. فالحديث الشريف ، ثم التراث . فنهج البلاغة ، يغلف نصوصه حيناً ويتخلل مضامينه حيناً آخر، فهو في أقوى أشكاله تامين عاملين في تطبيق آلية التناص على حكم نهج البلاغة في المضمون و في الشكل " على اعتبار أن التناص في المضمون و أن لا مضمون خارج الشكل ، بل إن الشكل هو المتحكم في التناص الموجه إليه"⁽²⁾، ونشير إلى أن تمثّل النصّ القرآني والحديثي و التراثي في نصوص نهج البلاغة، قد يأتي جلياً تارة، وخفياً تارة أخرى وهو يأتي موافقا كله لمعاني القرآن الكريم و الحديث الشريف .

أ. التناص الديني:

لقد تعلق الإمام علي بالقرآن الكريم و الحديث الشريف تعلقا بالغا كما سبق الإشارة إليه في الفصل التطبيقي الأول ، وبرز هذا التأثير في توظيفه للنص القرآني و الحديثي بكثافة، إذ أعاد كتابته في نصوصه وفق مستويات تناصية مختلفة تراوحت بين التناص الإجتزائي الذي يعيد النص القرآني أو الحديثي في النص الحاضر ، والإمتصاضي حيث يتمثل الإمام الدوال اللغوية و دلالاتها ويعيد توزيعها في نصه و فق تجربته ، ومن ثم يحدث الإنسجام و التلاقي لنص سابق^(*) في نص حاضر ومن هنا يتضح من خلال قراءتنا لنهج البلاغة يظهر الكثير من هذا التفاعل الذي يبني غالبية على الإقتباس و التضمين كمصطلح عند القدامى أو التناص الظاهر والتناص المخفي أو الإيحائي، في المصطلح الحديث ومن هذا التناص أو الإقتباس ما يكون باللفظة المفردة أو بالإشارة و التلميح أو الإيماء الخاطف أو بأية أو بجزء من آية ، مع توليد دلالات تتجاوز التمظهر اللفظي للنص تنوع توظيف الإمام للنصوص

1 _ أحمد الزعبي. التناص التاريخي والديني، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد13، ع1، 1995م، ص: 169..

2 _ محمد مفتاح . تحليل الخطاب الشعري ، ص: 130

*_ فضلنا مصطلح (السابق) عن مصطلح (الغائب) على اعتبار أن النص القرآني ماغاب على المسلم فكيف به مع الإمام علي أو بقية الخلفاء رضوان الله عليهم.

- الآيات الحاحية -

القرآنية الكريمة و الأحاديث الشريفة من حيث التصريح بنسبة المقتبس، أو عدم التصريح به، ونقله كاملاً أو نقله بتغيير بنيته؛ بالإضافة أو الحذف أو هما معا ، لأسباب تتصل بمقتضى الحال أو الموقف.

أولاً: التناص القرآني:

نجد من استشهاداته القرآنية يصرح فيها الإمام (عليه السلام) بكلمات⁽¹⁾: ل[قوله سبحانه وتعالى أو في ما معناها] "الْفُسْحَةَ قَبْلَ الصَّيْقِ فَاسْعَوْا فِي فَكَائِكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمَرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمَلُوا أَقْدَامَكُمْ وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخَذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ تَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: "إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلِّ، اسْتَنْصِرْكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرِضْكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ ﴿يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فَبَادَرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ، رَافِقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ!" من خلال استحضار الإمام للصيغة القرآنية كما هي دون تغيير ، مثل : ﴿يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ﴾ إضافة للإقتباس الصريح، هنا نلاحظ كثافة الاستدعاء. قال (عليه السلام):⁽²⁾ "مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمِ أَرْبَعًا: مَنْ أُعْطِيَ الدَّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْأَجَابَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ. وَتَصَدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدَّعَاءِ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. وَمِنْ كَلَامِ لَهُ (عليه السلام)⁽³⁾ فِي ذَمِّ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي الْفِتْيَا لِوَفِيهِ يَذَمُّ أَهْلَ الرَّأْيِ وَيَكِلُ أَمْرَ الْحُكْمِ فِي أُمُورِ الدِّينِ لِلْقُرْآنِ [تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيُحْكَمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرُدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةَ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيُحْكَمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ إِمَامِهِمُ الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ⁽⁴⁾، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا، وَإِلَهُمْ وَاحِدًا! وَنَبِيَّهُمْ وَاحِدًا! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدًا! أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ . سُبْحَانَهُ .

1_ الإمام علي . نهج البلاغه ، تحقيق فارس الحسون ، خ 179 ، ص: 417

2_ المرجع نفسه، ح 130، ص: 806

3_ المصدر نفسه ، خ 18 ، ص: 65

4_ الإمام الذي استفضاهم: الذي ولّاهم القضاء .

- الآليات الحاحية -

بِالاختلافِ فَأَطَاعُوهُ! أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ! أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ!
 أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى؟ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًا فَقَصَرَ الرَّسُولُ(ﷺ)
 عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ؟ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَفِيهِ تَبَيُّانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ،
 وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
 اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾. وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ⁽¹⁾، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ، وَلَا تَنْقُضِي غَرَائِبُهُ، وَلَا
 تُكْشِفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ".

أما الأسلوب الآخر في اقتباس الإمام علي (عليه السلام) من آي الذكر الحكيم فهو عدم التصريح باسم القائل عز وجل . و هذا يسمى بالإقتباس الضمني، إذ يتفاعل النصان لفظاً ومعنى وصولاً إلى الانسجام الدلالي والسبك اللفظي، لينصهر الكلامان معا في قالب واحد يصعب فصلهما لشدة توافق الموقفين أما المعنى المضاف فيظهر في عملية تداخل الأسلوبين ووقع هذا التداخل في النفس وهو ما يؤلف ظلال للمعنى، فمن ذلك قوله (عليه السلام): (...إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، ثُمَّ يَنْتَه إِلَيْكَ نَظْرٌ وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الْأَبْصَارَ، وَأُحْصِيَتِ الْأَعْمَالُ، وَأُخِذَتْ بِالنُّوَاصِي وَالْأَفْدَامِ"⁽²⁾ تبيانها بالجدول الآتي:

سبب الاختلاف	كلام الله تعالى	كلام الإمام علي
تكرير: (حَيٌّ قَيُّومٌ)؛ لإرتباطه بالسياق [أنك].	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ⁽³⁾	إِلَّا أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ

فقد جاء النص أكثر تأثيراً في المتلقي، لأنه يدعو للتأمل في التشابه بين الأصل والاختلاف المعدل (العدول) فيدفع المتلقي إلى إعمال الفكر وتنشيطه بربطه بالسياق ، فأول ملاحظة أن جل المواضيع التي تطرق إليها الإمام علي في مواظبه و حكمه مقتبسة من القرآن الكريم و الحديث النبوي نذكر منها توحيد الذات وهذه نماذج منه في قوله ﷺ: «لَمْ يُوَلَّدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعَزِّ مُشَارِكًا، وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مُؤَرُوثًا هَالِكًا، وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتُ وَلَا زَمَانٌ، وَلَمْ يَتَعَاوَرَهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عِلْمَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتَقِنِ، وَالْقَضَاءِ الْمُتَبَرِّمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ

1_ أنيق: حسن مُعْجَبٌ (بأنواع البيان)، وأنقني الشيء: أعجبني.

2_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد :ج9 ، ص: 222

3_ سورة البقرة :الآية 255

— الآليات الحجاجية —

بِإِسْنَادٍ...⁽¹⁾ و يمكن هنا رصد تداخل نص الإمام الماثل موضوع في علاقة مع نص قرآني سابق ساهم إلى حد كبير في معمارية نص الإمام عليه السلام و بنائه ويمكن تتبع هذه النصوص القرآنية في النص السابق التي تتفاعل معها الإمام و استتصص معانيه و ألفاظه ، فكانت أول مضامينه النظرية العقائدية التي استعلنت النص القرآني استغلالاً فنياً و استدلالياً في توحيد الله ودلائل وجوده.

فمن واجب كل إنسان أن يعرف وجود الله و الإقرار بأنه واجب الوجود ويتم إدراك ذلك عن طريق آياته و آثاره في خلقه، قال تعالى في سورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ و في سورة فصلت: ﴿ سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَ مَا يَكْفِي بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾⁽²⁾ فمن هذه الآيات و غيرها إقتبس الإمام علي مواضعه واستدلالاته، و هذا نموذج آخر للموضوع نجده قد استحضر عدة آيات خاصة سورة [الإخلاص] التي امتص معانيها وبعض ألفاظها (لم يولد...)(لم يلد...) ، ثم يحشدها بمعان ذات سمو بلاغي و نسق فني، فيكون خطابه له جاذبية سحرية تؤثر في القارئ و تقنعه بالتوجه الصحيح. يقول الإمام علي عليه السلام: " لَمْ يَلِدْ فَيَكُونُ مَوْلُودًا، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَخْدُودًا، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَنْبَاءِ، وَطَهَّرَ عَنِ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ. لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتَقْدِرُهُ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطْنُ فَتُصَوِّرُهُ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحَسِّسُهُ، وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ....."⁽³⁾ و يظهر انشغال الإمام في النموذج السابق على عدة معان آيات ومنها قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا، وَأَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾⁽⁴⁾. و قد بين فيها الإمام علي علاقة الإنسان بربه و علاقة الإنسان بنفسه، و علاقة الإنسان بغيره و لكون الإنسان مجمع الأضداد تصارعه العواطف والأهواء والغرائز، نتيجة للصراع بين قواه العقلية والعاطفية.

لعل أحسن تعريف للتربية و أقربها لما طرحه الإمام ، ما قاله الإمام الغزالي (450هـ-505هـ) في التربية: " ومعنى التربية، يشبه فعل الفلاح الذي يقطع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع

1_ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون ، خ179 ، ص: 405

2_ سورة فصلت : الآية 53

3_ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون ، خ186 ، ص : 427

4_ سورة الفرقان: الآية 32

— الآليات الحاحية —

ليحسن نباته ويكمل ريعه" (1) وهي قريبة من طريقة الإمام (عليه السلام) إذ يراها كما تعلمها من المدرسة المحمدية أن يبتعد الإنسان عن كل ما من شأنه أن يلطخ كرامته و يضعف من إنسانيته و لا يتسنى له ذلك إلا بالتقوى. هذا المعنى الذي كان بمثابة الدوحة التي القت بظلالها على نهج البلاغة. و ما يلاحظ في منهج الإمام علي في التربية و التعليم و الوعظ ، أنه كان يؤيد قوله بالحجة ، لهذا كان موضوع باب التقوى هو أكثر الأبواب التي انشغل بها الإمام من سائر المواضيع الأخرى (وتوخيت لك جميله و صرفت عنك مجهوله). (2) و ذلك لاعتبار أن التقوى وقاية و حماية للإنسان. يقول الإمام (عليه السلام):
" .. فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة.. " (3). وكما أن الإمام علي يستشهد بقصص الأنبياء ليلقي بظلالها على الموضوع فيسمو النص ليتلقاه القارئ بشيئ من القدسية ، إضافة إلى الحجة الدامغة لكل الناس و على مختلف أديانهم ومذاهبهم ، فيستحضر لذلك قصص الأنبياء و الرسل، لكونهم على سلوك واحد في التقوى.

يقول الإمام في موسى (عليه السلام) في أول خطبه في النهج: "وَإِنْ شِئْتَ تَنْتَبِهُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ (عليه السلام) إِذْ يَقُولُ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرِ فَقِيرٍ، وَاللَّهُ، مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْرًا يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الْأَرْضِ، وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةَ الْبُقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهَزَالِهِ وَتَشَدُّبِ لَحْمِهِ وَفِي دَاوُدَ (عليه السلام) وَإِنْ شِئْتَ تَلْتُمُ بِدَاوُدَ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وَقَارِيءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ وَيَقُولُ لِحُجَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا! وَيَأْكُلُ فُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا] .

الغاية التي يود الإمام علي بلوغها في هذه القصص هو تحقيق المعانقة للإسلام و الإستدلال عن عقيدة التوحيد و أخذ العبرة، و ربط المتلقي بأهداف الرسالة السماوية خاصة و أنها شحنت القصة بعدة وحدات سيميائية ، ساهمت في تثبيت العقيدة ، و تقوية الإيمان و تطهير الثقافة الإسلامية، من الثقافات الدخيلة التي لا تمت بصلة بالإسلام .

نستنتج في دراسة التناص مع القرآن الكريم، أن الإمام سار في تناصه مع المعطيات القرآنية وفق خط خاص، بما يتناسب و تجربته و إبداعه، أدى هذا إلى تنوع أساليبه في الاستحضار من الإشارة القرآنية، أو الإيماءة أو اللفظة، أو الآية، أو التراكيب، أو القصص القرآنية وهي جانب ثري يمُدُّ حكمه و مواظمه و ينمي فاعلية الحركة و التداخل فيهما على مستويها اللفظي والدلالي .

1_ أبو حامد الغزالي(ت:555هـ). رسالة أيها الولد، توفيق الصباغ، دط ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دت، ص:37

2_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ابن أبي حديد ، ج16، ص: 67.

3_ المصدر نفسه ، ج19، ص: 284.

— ثانياً: التناص مع الحديث الشريف

تأثر به كثير من الأدباء فراحوا يقتفون آثاره، و ينحون نحوه، مقتبسين بدائعهم، وحله و لآلئهم، وقبل هؤلاء الأدباء كلهم كان الإمام علي أولهم في الإقتداء و الحذو و الإقتباس لما وجد فيه من النموذج المثالي، و الصياغة البديعة، والمعنى السديد و الفكرة الصائبة، خاصة و أن أسلوبه عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث سمو البلاغة و روعة التركيب ، لهذا كانت طريقة التعبير عند الإمام قريبة من الحديث النبوي فلا تكلف فيها و لا تصنع إنما هي السليقة و الموهبة الرفيعة التي وهبها الله له، إضافة إلى ما أوتي من ملكة صوغ الصور البليغة والعبارات البديعة. و من المميزات العامة لأسلوبه عَلَيْهِ السَّلَامُ اعتماده على التقرير ف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث رسولا و مبلغا، و من أنجع الوسائل في التبليغ هو التقرير، إضافة إلى الوسائل التعبيرية الأخرى.

لا تختلف أساليب اقتباس الحديث الشريف عن الاقتباس من القرآن الكريم في تناصات الإمام علي، إذ جاء بثلاث طرائق أيضا ، ففي الطريقة الأولى يصرح (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) باسم منشى الاقتباس الذي هو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إذ يقول الإمام: " وَلِيُخْتَرَنَ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، وَاللَّهِ مَا أَرَى عَبْدًا يَبْقَى نَفْسِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَرَنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ: لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدْبِرُهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ، وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: [لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ]؛ فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ نَفْسِي الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمِ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ (1) . لا شك من أن لهذا الثبات والتصميم في إزالة كل العوائق التي تحول دون بلوغ التغيير الاجتماعي الهادف، دوراً هاماً في تحقيق النصر النهائي بهدم صروح الحضارة البالية والتشييد لبناء حضارة خالدة تسير وفق منهج رباني ، فهو خلق البشر و هو أدري بما ينفعهم في الدنيا و الآخرة من غير تشدد ولا تفريط ، بالأخذ بأوسط الأمور .

ورد في قوله ﷺ للخليفة عثمان بن عفان: "فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدًى وَهَدًى، فَأَقَامَ سُنَّةَ مَعْلُومَةٍ، وَأَمَاتَ بِدْعَةَ مَجْهُولَةٍ، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيْرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةَ مَأْخُودَةٍ، وَأَحْيَا بِدْعَةَ مَثْرُوكَةٍ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَازِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ،

1_ الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون ، خ176، ص:393

— الآليات الحاحية —

فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا، وَإِنِّي أُنشِدُكَ اللَّهُ أَلَا تَكُونُ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ⁽¹⁾ .

لقد حاول الإمام (عليه السلام) أن ينقل الحديث الشريف من الدلالة العامة، إلى دلالة قصدية خاصة موجهة لمخاطب مائل أمامه و هو الخليفة عثمان (عليه السلام) بصيغة ضمير الغيبة: [إشْرَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامَ جَائِرٍ ضَلَّ وَ ضَلَّ بِهِ ...] أوحى له بفعل الحديث الشريف النتائج المترتبة على هذا الخلل، لهدف جعل السامع يراجع كل أفعاله وأقواله التي يكون قد غفل عنها ، تذكرها و تنبيهها ، بأسلوب غير مباشر محافظا على مبدأ التعاون الذي أشار إليه (غرايس). وكذلك يفعل الحديث الشريف في كلام له (عليه السلام) مميزاً فيه المؤمن من المنافق اعتماداً على علاقته بالمتكلم، قال (عليه السلام): "لَوْ صَرَبْتُ حَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هَذَا عَلَى أَنْ يَبْغَضَنِي مَا أَبْغَضَنِي، وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: "يَا عَلِيُّ لَا يَبْغُضُكَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ"⁽²⁾ و بهذا يفعل الإمام (عليه السلام) الحديث الذي يسبغ صفة الإيمان على من يحب علياً ويسبغ صفة النفاق على من يبغضه ، ليقوي علاقة أصحابه به و ينفرهم من عدوه و إن كانت فيها اغراءات و لذة.

أما الطريقة الثانية فقد وردت اقتباسات كثيرة لم يصرح بها الإمام (عليه السلام) باسم قائلها منها قوله (عليه السلام): "يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغْلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ"⁽³⁾ اقتبس الإمام (عليه السلام) حديثين شريفيين لم يصرح باسم قائلهما وهما قوله (عليه السلام): [طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ] و [بَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ] و توظيف هذا النوع من التناص يعبر عن موقف جديد له معان جديدة مستخلصة من نص سابق ، فالاشتغال بالعيب الذي أكده الحديث الشريف الأول يحتاج إلى تنمة من وجهة نظر الإمام (عليه السلام) بالتراجع عن العيب و التأسف لارتكابه.

أما الأسلوب الثالث الذي وظفه الإمام (عليه السلام) في اقتباس الحديث الشريف فهو التصرف في الصياغة النصية الأصلية بزيادة أو حذف بحسب ما يقتضيه الموقف والمعاني المستفادة، وهذا ما يعرف بـ [التناص الضمني] و هو موجود بكثرة في أسلوب الإمام علي .

1_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ابن أبي الحديد :ج9 ، ص: 262261

2_ المصدر نفسه :ج18 ، ص: 173

3_ المصدر نفسه :ج9 ، ص: 180

ب. التناص التراثي :

إطلع الإمام علي على كثير من تاريخ الأمم السابقة و قصص الأولين من خلال حضوره و ملازمته الرسول صلى الله عليه و سلم و من خلال حفظه للقرآن الكريم و الأحاديث الشريفة ، كما عرف عن الإمام علي أنه كان أيضا يستشهد بالشعر لأنه كان شاعراً بطبيعته. وفي ذلك جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي " : كان أبو بكر يقول الشعر، و كان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر و كان علي أشعر الثلاثة." (1) و إن تأملنا نهج البلاغة نجده قليل التناصات الشعرية فمن تجلياته

— أولاً : تناص التراث الشعري

لم تتجاوز التناصات الشعرية عند الإمام علي ثلاثة عشر مقطوعة، توزعت ما بين البيت و البيتين و الثلاثة فيما كان مجمل الأبيات ثمانية عشر بيتا ، في نهج البلاغة ، و من أمثلة استشهاده بالشعر ما جاء في قوله بعد خديعة التحكيم: فقال (ﷺ) يستكر عصيان أصحابه في أمر التحكيم : " وقد كنتُ أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونخلتُ لكم مخزون رأبي، لو كان يُطاع لقصير أمر، فأبيتُم عليّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العُصاة، حتّى ارتاب الناصح بنُصحهِ، وضنَّ الزُّنْدُ بقُدْحهِ، فكنتُ أنا وإياكم كما قال أخو هوازن(2):

أمرتكمُ أمري بُمنعرج اللّوى ××× فلم تستبينوا النصحَ إلّا ضحى الغدِ (3)

وهنا ضمن الإمام بيت دريد بن الصمة ليستحضر به قصة هذا البيت الذي ورد في قصيدة رثى فيها دريد أخاه (عبد الله)، وكان سبب مقتل أخيه، وهزيمة قومه هو فوات فرصة النصح لعصيانهم قائدهم وعدم الإفادة من خبرته في الحياة الاجتماعية والعسكرية، وبعد فوات النصر فاستبان لهم خطأهم، ولات ساعة من دم، فهذه المعاني كلها استحضرها البيت الشعري ؛ لذلك جاء التضمين مفيدا للإيجاز وسريعا للفهم، اعتمادا على ما يحفظه المتلقي وجاء في خطبته.. و في معرض حديثه (ﷺ) عن الكوفة و فتحها ، و قد بلغه استيلاء أصحاب معاوية على البلاد استشهاده وتمثله بقول الشاعر :

لَعَمْرُ أبيك الخيرِ يا عمْرُو إنني ××× على وَضْرٍ من ذا الإناء قليل(4)

1_ السيوطي ، تاريخ الخلفاء: ص:133

2_ أخو هوازن هو دريد بن الصمة ينظر: شرح : ابن أبي الحديد ، ج9 ، ص:180

3_ المصدر نفسه : مج1، ج2، خ 35 ، ص:204

4_ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح و تحقيق : فارس الحسون، خ 25 ، ص: 74

— الآليات الحجاجية —

وختم خطبته عند مسيره للقتال في البصرة بقوله عليه السلام: "والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا، فكانوا كما قال الأول: (1)

أدمتْ لعمرى شربك المحض صابحاً ××× وأكلك بالزبد المقشرة البجر

ومن هنا نستطيع القول أن الإمام علي يدخل أحيانا في اتصال مع الذاكرة الأدبية و الشعرية فيستمد منها الشواهد المناسبة لموضوعه، بل أحيانا يستخدم الإمام التناص الإشاري، كما نراها في بعض حكمه، خاصة و أن الحكمة كما سبق للإشارة إليه تعتمد على ثقافة واسعة و راحة عقل، وسعة اطلاع، و بعد النظر، و الإستلهام من التجارب السابقة و قال عليه السلام (2) عند وقوفه على قبر عليه السلام ساعة دفن الرسول عليه السلام: "إن الصبر لجميل إلا عنك، و إن الجزع لقبح إلا عليك ، و إن المصاب بك لجميل، و إنه بعدك لقليل" (3) تقول في ذلك الخنساء في قصيدة لها تحت عنوان البكاء الحسن: (3)

دفعت بك الجليل و أنت حيي ××× فمن ذا ينفع الخطب الجليلا

إذا قبح البكاء على قتيل ××× رأيت بكاءك الحسن الجميلا

يمكن لدارس نصوص الإمام أن يعاين هذا الحضور للنص الشعري القديم في نصه الجديد، سواء أكان هذا الحضور قائما على التداخل الدلالي بتوليد معاني الشعراء السابقين، أو من خلال التناص الصريح ليلقي بظلاله على أساليب الإمام و حكمه و مواعظه، وإن كانت الميزة التناصية عند الإمام في التراث الشعري قليلة في نصوصه غالبا ما اعتمد عليها في الإستشهاد. فيتداخل معها الإمام و ينحرف بها إلى دلالات جديدة تدعم توجه الإمام الديني. لا يختلف التضمين عن الاقتباس من حيث الوظيفة الدلالية والجمالية، بيد أن فريقاً من البلاغيين قصره على الأدب شعرا ونثرا (4)، ولاسيما الذي يتضمن كلمة، أو مثلا سائرا أو معنى عميقا يتوافق والكلام المدرج فيه؛ ومثل ذلك ما ورد بكتاب للإمام عليه السلام (5) إلى أخيه عقيل بن أبي طالب يقول فيه: " ... لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة، ولا تحسبن ابن أبيك ولو أسلمه الناس متضرعا متخشعا، ولا مقررا للضيم واهنا، ولا سلس الزمان للقائد، ولا وطيء الظهر للراكب المتقعد، ولكنه كما قال أخو بني سليم: فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبورٌ على ريب الزمان صليبٌ يعزُّ عليَّ أن ترضي بي

1_ المصدر نفسه: خ 33 ، ص: 96

2_ المصدر نفسه: ح 298 ، ص: 195

3_ الخنساء. ديوان شعري ، دار بيروت للطباعة و النشر. 1983م ، دط ، ص: 119

4_ ينظر :كتاب الصناعتين :ص: 36

– الآليات الحجاجية –

كَأَنَّهُ فَبَشَّرَتْ عَادَ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبٍ) (1) فيصبح النص المتضمن جزءاً لا يتجزأ من الصورة البيانية التشبيهية في النص الحاضر كتشبيه تمثيلي ؛ ذلك أن وجه الشبه منتزع من صورة حركية متعددة الوجوه، وهو استعمال يقوي علاقة النص المضمن بسياقه الجديد فضلاً عن علاقة سياق الحال الذي تطلبه الاختيار.

أما التقنية الأخرى في [تضمين الشعر] فلا يصرح الإمام (عليه السلام) فيها بنسبة المضمن إلى قائله ومن ذلك قوله (عليه السلام) في خطبته المشهورة بالشفقة، إذ يقول: (...فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجِي، فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا، أَرَى ثَرَايِي نَهَبَا، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدَلَى بِهَا إِلَى ابْنِ الْخَطَابِ بَعْدَهُ: شَتَانٌ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمٌ حَيَانٌ أَوْ خِي جَابِرٍ) (2) ضمن الإمام (عليه السلام) بيت الأعشى الكبير، أعشى قيس، وحيان وجابر أخوان، وكان حيان صاحب شراب ومعاقرة خمر فقابل الأعشى بين السفر على كور ناقتة في الهاجرة والاستقرار إلى جوار حيان ، وهو في سكر الشرب وناعم البال" (3) في هذا الخطاب اقتضى الموقف حذف القائل والعبارات التشبيهية ليلتحم النص الغائب مع نص الحاضر فيكون له معنى مستقلاً خاصاً. قد ذكر ابن أبي الحديد تفسيراً لهذا التضمين الذي أراد الإمام علي (عليه السلام) الكشف عنه بقوله: "يقول أمير المؤمنين (عليه السلام)، شتان بين يومي في الخلافة على من انتفض علي من الأمر ، ومنيت به من انتشار الحبل واضطراً بأركان الخلافة ، وبين يوم عمر حين وليها على قاعدة ممهدة وأركان ثابتة ، وسكون شامل فانتظم أمره واطرد حاله وسكنت" (4) .

– ثانياً : تناص التراث النثري

نجد تجلياته تستشف أن التداخل النصي ظاهرة فنية جليلة ،يعمل على الأخذ من النص السالف الغائب فيضفي عليه اشراقاً و توهج خاصة و أن حكيماً كالإمام علي مطالب بأن يحيا عصره،و يطلع على عصر غيره، فيطعم عالم الحكم و المواعظ بشتى الروافد الثقافية ، وقد جاء توظيفه بطريقتين مباشر و غير مباشر فمن [طريقة التوظيف المباشر] يقول (عليه السلام) ذاماً أصحابه وموبخهم: "أَحْتَكُمُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي، حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا" (5) فقد تضمن نص الإمام مثلاً عربياً هو: [أيادي سبا] وهو مثل يضرب في شدة التفرق وبذلك جعل الإمام (عليه السلام)

1_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ، ابن أبي الحديد : ج 16 ، ص: 148

2_ المصدر نفسه : ج 1 ، ص: 162

3_ المصدر نفسه : ج 1 ، ص: 168

4_ المصدر نفسه : ج 1 ، ص: 68

5_ المصدر السابق: ج 7 ، ص: 70

- الآليات الحجاجية -

(أمام أصحابه صورة حركية ماثلة للتشتت و الضعف وما يؤول إليه من نتائج ؛ لأن المخاطب قد رسخ في ذهنه وضمن ثقافته هذا المثل وما يرتبط به من عبرٍ وحكمٍ وقصة ماثلة بكل جزئياتها فتشابه الموقفين يؤلّد صورة تجعل المتلقي يراجع نفسه قبل فوات الأوان. ومن ذلك قوله (1): "وَاللّٰهُ لَقَدْ رَفَعْتُ مَدْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مَنْ رَاقِعَهَا، وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَتَبَذَّرُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اعزب عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ النَّوْمُ السُّرِّيَّ" فقد ضمن الإمام مثلاً عربياً : [عند الصباح يحمد النوم السري]، وهو مثل يضرب لمدح محتمل المشقة بأنه سينال الراحة ،كما هو مفصل في مايلي:

معنى النص الغائب (الشاعر)	معنى النص الحاضر (الإمام)	المعنى المستفاد
_الليل: تعبير حقيقي (الشدة و المصاعب)	_ الليل: تعبير مجازي (الدنيا)	_ هوالعمّة وصعوبة السير
_الصباح: تعبير حقيقي (الفرج و الراحة)	_ الصباح: تعبير مجازي (الآخرة)	الوضوح والرؤية الحقيقية

أما طريقة التوظيف [المثل غير المباشرة] فنجده عند الإمام في قوله ﷺ: "من أبطأ به عمله، لم يسرع به نسبه." (2) كان يقال: "أجهل الناس من افتخر بالعظام البالية ، و تبجح بالقرون الماضية و اتكل على الأيام الخالية" (3) فالتناص هنا ورد في تلاحق و تفاعل تجارب السابقين مع تجارب الإمام علي، فيتمدد النص المائل في إشارات و دلالات النص القديم و يضيف إليه المرسل لمسة خاصة؛ ليمنحه حياة جديدة تتماشى مع البيئة الجديدة.

- الخلاصة:

إن الاقتباس والتضمين لا يؤديان أثرهما الجمالي والدلالي إلا عندما يصبحان مكونين من مكونات النص الجديد. لأن تضمين الآيات القرآنية والأحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها (4) و هي ضوابط حجاجية يلتزم بها المرسل ضمن إطار الثوابت الدينية والثوابت العرفية ، و أن تكون دلالة الألفاظ والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محددين، و توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب ، لكونها تجربة جمالية و حجاجية تتجه صوب المتلقي فيلتقطها مشرعا أبواب خياله للتفاعل معها فتتأثر بها نفسه وتشرح لها جوارحه .

3. الأسلوب المباشر للتصوير :

1_ المصدر نفسه :ج9 ، ص:233

2_ المصدر نفسه : ح 392

3. المصدر نفسه :ص: 331

4. عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب ،ص ص: 466.465

هذا الأسلوب يعد لونا هاما من التصوير، وأسلوبا آخر من أساليب تقديم المعنى، وإن بدا أقل جاذبية وأخف بريقاً، وهذا مما دفع بعض النقاد لتسميته [التقرير] لكونه من خصائص الأسلوب النثري، اعتمده بالقدر الذي يساهم في عملية الإقناع. لقد اهتم الإمام بهذا النوع من التصوير، وأجاد فيه إلى درجة أن أصبحت أنموذجا لكثير من الخطباء قديما و حديثا . ومن أمثلة ذلك: " من خطبة له عليه السلام (1) : "... يا أشباه الرجال ولا رجال ، حلوم الاطفال ، وعقول ربات الحجال لوددت أنى لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندما وأعقت سدا . قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا ، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا ، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش : إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب . لله أبوهم ! وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما ، مني ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها أنا ذا قد ذرفت على الستين ! ولكن لا رأي لمن لا يطاع ! " فالإمام اعتمد في كثير من الأحيان على عملية الاستحضار الحسي لمجموعة من العناصر التي تكوّن الصورة، في سبيل التعبير عن أفكاره وإيصالها إلى جمهور المتلقين، لهدف التأثير في هذا الجمهور، فهي تهيء النفوس للفهم والاقتران خاصة بما تحويه من حقول دلالية متنوعة منها حقول الحسرة و الأسى [يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الاطفال ، وعقول ربات الحجال جرت ندما وأعقت سدا، قاتلكم الله ملأتم قلبي قيحا وشحنتم صدري غيظا ، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا ، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان....] و من حقول الإعتزاز [أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما ، مني.....] و هي موازنة قوية الحجة شديدة التأثير النفسي على السامع ، ليراجع سلوكياته و يصوب تفكيره.

4. الإيجاز في نهج البلاغة:

يرتبط (الإيجاز) ب(الحذف) و برابطة دلالية ، فقد " جُبلت (اللغة العربية) على الحذف بسبب ميلها إلى الإيجاز والحذف " (2) و قد وصفه عبد القاهر الجرجاني باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة

1_ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ج2، ص: 74-75. هذه الخطبة من مشاهير خطبه عليه السلام ، قد ذكرها كثير من الناس ، ورواها أبو العباس المبرد في أول " الكامل " ، وأسقط من هذه الرواية ألفاظا وزاد فيها الفاظا ، وقال في أولها : " إنه انتهى إلى علي عليه السلام أن خيلا وردت الانبار لمعاويه فقتلوا عاملا له. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ج2، ص: 74

2_ ظاهر سليمان حمودة . ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع مصر 1982 ص: 9

— الآليات الحجاجية —

أزيد للإفادة ..⁽¹⁾ وقد استرعى إيجاز عبارات الإمام علي (عليه السلام) انتباه كثير من علماء البيان وكبار الأدباء قديما و حديثا و خاصة حكمه فقد حُفظت عنه حكمٌ عظيمة، وعباراتٌ بليغة، ومن أحسن وأنفع حكمه، وأبهى وأزكى دُرره، وبلاغة الإمام (عليه السلام) في نهجه لا تقتصر على النصوص الواسعة وإنما تدخل حتى في السطر الواحد ، ففي قوله (عليه السلام) : (قِيَمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَحْسِنُ)⁽²⁾ حكمةٌ علقَ عليها الجاحظُ في كتابه البيان والتبيين، الذي جمع فيه الحكمَ والبلاغةَ والفصاحةَ، من العصر الجاهليّ، إلى العصر الإسلاميّ، ومع ذلك قال عنها: " لو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية ، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، وغير مقصرة عن الغاية و أحسن الكلام كان قليله يغنيك عن كثيره ، وكان عز وجل قد البسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله"⁽³⁾ فالحكمة نعمةٌ لا يستحقها ولا ينالها، إلا من أراد الله به خيرا، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾⁽⁴⁾. فالحكيم يَنْتَفِعُ به الكثيرُ من البشر، وينذُرُ منه الخطأ والضّرر، وتصدُرُ منه الحكْمُ والدُرر. و لها تأثير كبير على المتلقي و من الوسائل المدعمة للإيجاز نجد الحذف ،يقول فيه عبد القاهر الجرجاني هو: "باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، تجدك أنطق ما تكون إذا لم تتطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين " ⁽⁵⁾. ومن كلام له (عليه السلام) في ذكر عمرو بن العاص⁽⁶⁾ "عجبا لابن النابغة! يزعم لأهل الشام أن في دعابة، وأنى امرؤ تلعبا⁽⁷⁾، أعافس وأمارس! لقد قال باطلا، ونطق آثما. أما - وشر القول الكذب - أنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيبخل، وسأل فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الإل، فإذا كان عند الحرب فأبي زاجر وأمر هو! ما لم تأخذ السيوف مأخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم سبته . أما والله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة. وإنه لم يبايع

1_ عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز ، ص: 146

2_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ابن ابي الحديد، ج20، ص94

3_ الجاحظ . البيان والتبيين ، ج1 ، ص: 83

4. سورة البقرة ، الآية: 269

5_ عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز، ص: 42

6_ هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكنى أبا عبد الله، ويقال: أبو محمد. أبوه العاص بن وائل . سيرته هو و ابوه و أمه غير مشرفة فيما ذكر في الشرح .

ينظر: شرح ابن ابي الحديد.المصدر نفسه:ص95

7_ التلعاب:مصدر من الفعل لعب والمعافسة: المعالجة والمصارعة، والإل: العهد

_ الآليات الحجاجية _

معاوية حتى شرط له أن يؤتية أتيّة، ويرضخ له على ترك الدين رضىخة. " يمكن لنا توضيح ذلك في الجدول التالي:

الغرض	الحجاج	الإيجاز	الأمثلة
التحقير	<p>_قوة و شدة المصدر النائب عن الفعل _وضوح الفاعل لدى المتلقي و عدم تكراره يقلل من شأن الفاعل قوة اسلوب الشرط في التأثير</p>	<p>_الإستغناء عن الفعل بذكر المصدر النائب عنه _ حذف الموصوف ابن.... _ حذف الفاعل</p>	<p>_ عجباً، دعابة _ أنه ليقول فيكذب، ويعد فيلحف، ويسأل فيبخل ، وسأل فيلحف،</p>

_ مجمل القول:

إن خطاب الإمام علي الإقناعي استعان بالتشبيه والاستعارة والكناية بمختلف ألوانها وأشكالها في بناء صورته و التعبير عن أفكاره ، كما أنها جاءت واقعية مصوغة بطريقة فنية، تميزت بجزالة التعبير وصدق الأداء ؛ لذلك جاءت بعيدة عن التكلف والصنعة ، كما نستنتج أن الحجاج لا مفر له من البلاغة، ولا سبيل إلى الإقناع دون الإثارة، فكل هذه الآليات ساعدت في تأسيس الحجاج و أدت إلى الإقناع في خطاب الإمام علي ، الذي لم يخل الحجاج عنده من وظائف قصدية ساقها الموقف والظرف المضطرب آنذاك، فقد صحح (رضي الله عنه) ببنية صورته الحجاجية وخطابه الإقناعي كثيرا من المسارات الخاطئة ، في التفكير ، أو البناء الثقافي بشكل عام.

5. أساليب البديع التداولي (*):

يعرف علم البديع كونه يعمل على: "تحسين الكلام مع رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، و رعاية و ضوح الدلالة بخلوها عن التعقيد المعنوي ..و هي ضربان ضرب لفظي و ضرب معنوي.. " (1) وأساليب البديع كثيرة في خطاب نهج البلاغة ، إلا أنه مايجب الإشارة إليه ان تناوله سيكون من جانبه التداولي و أثره في الإقناع، و من بين هذه الأساليب نجد:

*- نعني بالبديع التداولي اشراك المتلقي في الخطاب ، و ذلك بتنشيط خياله و شحذ ذهنه ، و تحريك مشاعره ليكون طرفا

فاعلا في الخطاب ...و فق مبدأ التعاون و التأزر...ينظر:التداولية من أستن إلى غوفمان ،ص ص:84-53

¹- عبد العزيز ، عتيق.علم البديع،دار النهضة العربية،بيروت . لبنان . دت ، ص: 76

أ. البديع اللفظي:

يحتوي البديع اللفظي على عدة عناصر منها **[البديع الإيقاعي]** فلم تتل ظاهرة من الظواهر الأدبية الحديثة من الإهتمام مثلما نالت ظاهرة الإيقاع ، فهي تعدّ اساساً من أسس تأليف النص و بنائه ، و بدونه يتعدّر العمل الإبداعي ، لأن الإيقاع يحدث من جرس الألفاظ و تناغم العبارات فيؤثر في المستمع ، و لا يتسنى ذلك إلا باختيار الكلمات التي تعبر عن قيمة التأثير بتلاحم وظيفة الكلمة في مدلولها الإيقاعي. فوظيفته الإقناعية إذن هي في إخراج المحسن البديعي من دائرة الزخرفة إلى دائرة أوسع وهي الإقناع، و يقول في ذلك صابر الحباشة: "وإن محسناً بديعياً لهو حاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتاداً في علاقته الجديدة المقترحة. وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالاته المخاطب، فإن المحسن البديعي يتم إدراكه باعتباره زخرفة أي باعتباره محسن أسلوب، و يعود ذلك إلى تقصيره من أداء دور الإقناع"⁽¹⁾ وهذا يعني أن **[علم البديع]** يراعي مقتضى حال المخاطب من وجهة نظر التكوين النفسي للمخاطب وإحساسه الجمالي، فالإنسان يتفاعل مع الإيقاع، لأنه جوهر الفنون؛ لذلك ينظم المتكلم على ما يوافق تفاعله واستجابته مع الإيقاع والموسيقى اللذين توفرهما إمكانات اللغة ، ولذلك فُصلت عن جنسين بديعيين كبيرين هما: **[البديع التكراري]**، و**[البديع التقابلي]**، ولكنها ظلت منفردة العقد لم يستطع الدرس البلاغي القديم أن يجمعها تحت مصطلح معين، لغموض العلوم التي يمكن أن تجمعها وهي علم النفس في أحدث مراحلها وعلم الجمال في آخر اجتهاداته.

فالإيقاع في نهج البلاغة يشتمل على إيقاعاتٍ موسيقيةٍ متعددة الأنواع جمع بين مزايا الشعر و النثر تجانساً و تناغماً و انسجاماً كما نشأت أيضاً من تخير الإمام علي للكلمات و ترتيب الحروف و الجمل حسب أصواتها و مخارجها و ما بينها من تناسبٍ في الجهر و الهمس و الشدة و الرخوة.

و قد شاع في الدراسات الحديثة مصطلحان مترجمان: **[الإيقاع الخارجي]** الموسيقى الخارجية و يشمل الوزن و القافية ، و**[الإيقاع الداخلي]** أو ما يعرف بالموسيقى الداخلية كالجناس، و الموازنة و التقسيم و غيرها مما يعرف بالمحسنات اللفظية إذ أجمع علماء البيان العربي " على أن الكلام إذا جمع العذوبة، و الجزالة و السهولة و الرصانة مع السلاسة و النصاعة ، و اشتمل على الرونق و الطلاوة و سلم من الحيف و التآليف، وورد على الفهم الثاقب قبله و لم يرده، و على السمع المصيب استوعبه ولم يمجبه"⁽²⁾ ، وأجمعوا على أن الجزل القوي من الكلمات يستعمل في وصف الحروب، وفي قوارع التهديد

1 - صابر الحباشة. التداولية والحجاج مدخل ونصوص، ص 51

2 - أحمد مطلوب و حسن البصير. البلاغة و التطبيق ، المكتبة الوطنية، بغداد 1982 . ص: 46

و التخويف، وفي التنفيس عن الغضب والضيق وما شابه ذلك و هذا ما يسمى [مسايرة الإيقاع للمضمون] لكون شروط البلاغة، هي موافقة الكلام لمقتضى الحال لو التي لم تجتمع لأديب عربي كما اجتمعت لعلي بن أبي طالب. فإنشأوه مثل أعلى لهذه البلاغة، بعد القرآن و الحديث النبوي الشريف، ومن كلام له (ﷺ) في ذم البصرة وأهلها ،بعد وقعة الجمل: " كُنْتُمْ جُنْدَ الْأَمْرَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ (1)، رَغَاً (2) فَأَجْبْتُمْ، وَعَقَرَ فَهْرَبْتُمْ. أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ (3)، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ. الْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهِنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاحِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارِكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ. كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجَوْجُو سَفِينَةٍ (4)، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَعَرِقَ مَنْ فِي ضَمْنِهَا (5). . نجد هذا الخطاب قد إحتشد بايقاعات هائلة في مفرداته و تركيباته ، حتى أنك لا تتصور خطبة خالية من الإيقاع مثلما يرى الدكتور غنيمي هلال "... ولكن ينبغي ألا تكون الخطبة خالية من الإيقاع (rythme) لأنه يساعد على الإقناع" (6) في هذا الخطاب كما هو في كثير من خطب نهج البلاغة تجمعات صوتية بالجمل فتشكّل ايقاعاً يمكن أن نسميه [بالمعادلات اللفظية] أو التوازن اللفظي؛ إذ تعني الجمل المتقاربة في أطوالها و أنغامها الداخلية و فواصلها الموسيقية، فعندما تتلاحق الجمل بأفعالها أو أسمائها تتكوّن التجمعات الصوتية و بذلك يتشكل الإيقاع الصوتي و الذي يراد به التركيز على صوت معين ، بمعاودته وتمكينه في بنية النص على وفق استعمال مخصوص، رغبة في إحداث وظيفة تأثيرية(جمالية ودلالية) تترك وقعا في نفس السامع ليتفاعل معها؛ لان تكرار الصوت يحمل معاني إيحائية نفسية غامضة لا تتكشف إلا بعد التأمل وطول النظر.

يختلف تكرار الصوت بوصفه أسلوباً خاصاً ، عن تكراره في أسلوب السجع أو الجناس ؛ إذ نتحسس هيمنة هذا الصوت على باقي الأصوات فتكراره وتريده يعني التركيز على الدلالات التي يحملها وكشفها وجعلها ماثلة في بنية النص، فيولد أثرا يترك للمتلقي تأويله وتأويلا جماليا بالاستناد إلى السياق الثقافي والحضاري الذي يحيط به. ومن تكرار الصوت الذي ورد في خطب نهج البلاغة قوله: (ﷺ) " فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَازَةُ الْقَيْظِ أَمْهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ:

1- أتباع البهيمة:يريد بالبهيمة الجمل، وقصته مشهورة

2- رَغَاً الجمل: أطلق رُغَاءه، وهو صوته المعروف

3- أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ: دنيئة

4- كَجَوْجُو سَفِينَةٍ: صدرها

5 - الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون ، خ13، ص:57

6- محمد غنيمي هلال. النقد الأدبي الحديث. دار النهضة العربية. القاهرة. دت.ص118

- الآليات الحاحية -

هَذِهِ صَبَارَةٌ الْقُرِّ، أَمِهَلْنَا يُنْسَلِخُ عَنَّا الْبُرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَقْرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ" (1) نجد أن الإيقاع الصوتي نشأ من أصوات الحروف والحركات في الكلمة، ومواقعهما ومن طول الكلمات أو قصرها، كلها كانت روافد رئيسية يستجمع منها الإيقاع الصوتي كما هو مبين في الجدول التالي:

الألفاظ	الصوت المهيمن	خصائصه الدلالية التأويل السيميائي
<p>أَمْرُنْكُمْ الْحَرِّ - حَمَارَةٌ - الْحَرُّ. أَمْرُنْكُمْ - الْقُرِّ - الْبُرْدُ - الصيف فِرَارًا - الْحَرِّ - الْقُرِّ - الْحَرِّ - الْقُرِّ تَقْرُونَ - أَقْرُ</p>	<p>- الراء = 14 مرة</p>	<p>- للراء دلالة إيحائية على التكرار و التردد و الخوف و التخاذل المتواجد في نفسية مقاتليه</p>
<p>- السَّيْرُ - يُسَبِّخُ - السَّيْرُ - صَبَارَةٌ - يُنْسَلِخُ - السَّيْفِ</p>	<p>- السين = 6 مرات</p>	<p>- فالصغير يعني ترجمة الصوت إلى الوضوح السمعي</p>

إن الإمام علي (عليه السلام) استثمر الأصوات المجردة من المعنى لتوليد دلالة رمزية إيحائية لتصبح دالة ومؤثرة تأتي دلالتها الاستعمالية من التأويل السيميائي، وهي النقطة التي يتحول بها النص إلى أعلى درجات التأثير؛ ليصوّر بدقة وبراعة، كيف يفر أصحابه من الحق الذي يدعوهم إليه فيقول: "أظأركم على الحق" (2) وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من ووعوة الأسد" (3). فقد كانت مساهمة الألفاظ في بناء هذه الصورة ولاسيما قوله [أظأركم] و [ووعوة] إذ نلاحظ انسجام إيقاع اللفظة الأولى الثقيل، بسبب وقوع الظاء بين همزتين، مع فعل العطف المصحوب بالمقاومة والرفض. و انسجام إيقاع اللفظة الأخرى، التي يتكرر فيها حرفا [الواو] و [العين]، مع امتداد حركة الصوت وتكراره.. يقول الامام (عليه السلام) في ذم أهل البصره بعد وقعة الجمل: "أخلاقكم دقاقٌ و عهدكم شقاقٌ و دينكم نفاقٌ و مأؤكم زعاقٌ" (4). و حرف القاف من الحروف المجهوره التي يستعمل في الحدث الشديد و تقيد الشدة و الاصطدام. ففرسان البلاغة العربية جعلوا الصوت الأقوى للمعنى الأقوى و الصوت الأضعف للمعنى الأضعف .

هذا ما نلاحظه في كثير من خطب الإمام فبعض الكلمات يبدو خافتاً و بعضها خفيفا سلسيلا يجري كالماء، و بعضها له نقراتٌ أشبه بمطرقة الحداد، لهذا نجد في خطاب الإمام علي من تنوع في مشاهده

1- الإمام علي. نهج البلاغه، شرح ابن أبي الحديد، ج 2، ص: 75

2 - أظأركم: أعطفكم، ظأرت الناقة ظأراً، فهي مظلورة، إذا أعطفتها على غير ولدها

3 - الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج8، ص: 263.

4- الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق و شرح فارس الحسون، خ13، ص: 38

و مواضعه وحججه و أسلوبه ، وشدته و ليونته ، يقول في هذا الشأن الشيخ محمد عبده: ".كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد، و تحول المعاهد؛ فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية، في حلل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزكية، و تدنو من القلوب الصافية، توحي إليها رشادها، و تقوم منها مرادها، و تنفر بها عن مداحض المزال، إلى جواد الفضل و الكمال. و طورا كانت تنكشف لي الجمل عن وجوه باسرة، و أنياب كاشرة، و أرواح في أشباه النمر و مخالب النسور... و أحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا، لا يشبه خلقا جسديا، فصل عن الموكب الإلهي و اتصل بالروح الإنساني. فخلعه عن غاشيات الطبيعة و سما به إلى الملكوت الأعلى و نما به إلى مشهد النور الأجلى ، و سكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس..."⁽¹⁾ هذا ما نشاهده و نشعر به في مساحة خطاب الإمام علي و فضائه.

هذا التنوع في المشاهد الخطابية ناتجة عن تنوع المتلقي في نهج البلاغة و تنوع ظروف الإلقاء، عندما نقرأ الخطاب التالي من إحدى خطبه⁽²⁾ تتضح المسألة بوضوح ، حيث يقول في مذمة الدنيا مستخدماً أكثر حروفها من الحروف المجهورة ذات وقعٍ شديدٍ على الأذن: "إن برقها خالبٌ، و نطقها كاذبٌ، و أموالها محروبةٌ، و أعلقها مسلوبةٌ، ألا و هي المتصديةُ العنُونُ، و الجامحةُ الحرونُ، و المائنةُ الخوُونُ، و الجحودُ الكنودُ، و العنودُ الصدودُ، و الحيودُ الميودُ، حالها انتقالٌ، و وطأتها زلزالٌ، و عزها ذلٌ و جدها هزلٌ، و علوها سفلٌ، دار حربٍ و سلبٍ، و نهبٍ و عطبٍ، أهلها على ساقٍ و سياقٍ، و لحاقٍ و فراقٍ. قد تحيرت مذاهبها، و أعجزت مهاربها، و خابت مطالبها، فأسلمتهم المعاقلٌ و لفظتهم المنازلُ و أعيتهم المحاولُ، فمن ناجٍ معقورٍ، و لحمٍ مجزورٍ، و شلوٍ مذبوحٍ، و دمٍ مسفوحٍ، و عاضٍ على يديه و صافقٍ بكفيه و مرتفقٍ بخديه، و زار على رايه، و راجعٍ عن عزمه، و قد أدبرت الحيلةُ، و أقبلت الغيلةُ، و لات حين مناصٍ، هيهات هيهات، قد فات ما فات، و ذهب ما ذهب، و مضت الدنيا لحالٍ بالها".

نلاحظ في الخطاب عناصر مختلفة من الايقاعات المتسقة منها: ايقاع التجمعات الصوتية كحرف الباء في كلمات [خالب، حالب]، [محروب، مسلوب] [حرب، سلب، نهب، عطب، ذهب] و منها النون في كلمات [العنون، الحرون، الخوون] و منها الدال في كلمات [الجحود، الكنود، العنود، الصدود، الحيود، الميود] و منها اللام [انتقال، زلزال، ذل، هزل، سفل] و منه القاف [ساق، سياق، لحاق، فراق، صافق، مرتفق] و منها اللام [المعاقل، المنازل، المحاول] و منها الراء [معقور مجزورل] و الحاء [مذبوح، مسفوح]. هذه

1 - الإمام علي . نهج البلاغة، شرح محمد عبده (مقدمة الشارح) ، ص ص: 5، 6

2 - الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون ، خ 191، ص ص: 374.373

– الآليات الحاحية –

الكلمات تختتم بالحروف المجهورة الشديدة و الرخوة منها الساكنة الهادئة و منها الثائرة الهائجة. و منها التقابل بين كلمات [عز و ذل – جد و هزل – علو و سفلى – أدبرت و أقبلت] و لا شك أن التضاد بين الكلمات من العناصر البتاءة للإيقاع في الخطبة. و منها السجع بين عدّة جملٍ و هو مشهود في المقطع المذكور. و منها الجناس بين كلماتٍ مختلفةٍ و هو أيضا واضح فيما ذكر.

يقول الإمام في أول خطبة له في كتابه (عليه السلام) "الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون و لا يحصي نعماءه العادون و لا يؤدي حقه المجتهدون .. الذي ليس لصفته حدٌ محدودٌ و لا نعتٌ موجودٌ و لا وقتٌ معدودٌ".⁽¹⁾ فتشابه بعض الكلمات في الوزن أو في الموقع، و تعاقب كلمتين متشابهتين في الوزن و الرنين، أو في التساوي بين فقرتين أو جملتين في عدد الكلمات أو في وزن كلٍ منها، أو في تماثل الكلمتين الأخيرتين. و حروف المدّ في نهاية الكلمات قبل الحروف المجهورة زاد ايقاعية المقطع و أحدث رنيناً و تصويماً علياً في الأذن، يتلاءم مع سياق الخطبة.

و من الإيقاع الصوتي الناتج عن تكرار الكلمات و مما نجده من الشواهد المختلفة نسرد قوله (عليه السلام) "العمل العمل ثم النهاية النهاية، و الإستقامة الإستقامة، ثم الصبر الصبر، و الورع الورع"⁽²⁾. فتكرار المفردة مرتين متتابعين له دلالة تداولية و دلالة جمالية في تكاملهما ينشأ التأثير و الإقناع. و من تكرار المفردة أيضا ما نجده في رسائل نهج البلاغة قوله (عليه السلام) من عهد له إلى محمد بن أبي بكر (رضي الله عنه) : "واعلموا عباد الله أنّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا و آجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركوا أهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، و أخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ، و المتجر الرياح أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم، و تيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم، لا ترُدّ لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة"⁽³⁾ و هنا كرر الإمام لفظتي [الدنيا، و الآخرة] بعقد موازنة بعلاقة تقابلية بين حياة المتقين و حياة المتجبرين و المتكبرين فمنح هذا التكرار طاقة وظيفية دلالية .

من الإيقاع الناتج عن [تكرار الجمل] يقول الإمام (عليه السلام) : "الحمد لله كلما وقب ليلٌ و غسق، و الحمد لله كلما لاح نجمٌ و خفق، و الحمد لله غير مفقود الأنعام و لا مكافأ الأفضال"⁽⁴⁾. و يشمل التكرار هنا

1 - المصدر السابق: خ 1، ص: 13

2 - المصدر نفسه: خ 176، ص: 336

3 - الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد: ج 15، ص: 183

4 - الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق و شرح فارس الحسون، خ 48، ص: 85

— الآليات الحاحية —

الأجزاء الصغرى [الحروف و الكلمات] و الأجزاء الكبرى [الكلمات و التركيب] . و بما أن التكرار يشمل الحروف و الكلمات و الجمل فهو بذلك يشكل ايقاعاً صوتياً مميزاً.

— الايقاع الناتج من التوازن بين الجمل:

يتأسس أصلاً على الجمل و الفواصل المقفاة فإننا نجده استخدم بكثرة في خطابات نهج البلاغة وهو ضرب آخر من موسيقى التعبير تميز به الإمام علي، فينعكس عنه اتساقاً في الجرس و ايقاعاً في النغم ، و مثال ذلك. يقول الإمام "الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، و شغف الأستار، نطفة دهاقاً، علقه محاقاً، و جنيماً و راضعاً، و وليداً و يافعاً، ثم منحه قلباً حافظاً، و لساناً لافظاً، و بصراً لاحظاً".⁽¹⁾

فاتصف هذا الايقاع بالتنوع و التوازن و التنسيق الموسيقي و بألفاظ العذوبة و الجزالة و الرقة فيكون له الأثر الإيجاب على المتلقي. و في مثال آخر "أين الذين عمروا فنعموا، و علموا ففهموا،.. و سلموا فنسوا، و حذروا أليماً".⁽²⁾ فيبرز نظام التناسق لأبنية المفردات في جزئياتها و في العبارة و الفقرة في كلها . في حين نجد الايقاع الناتج عن السجع في قوله (ﷺ) في التفسير عن الدنيا: "فإن الدنيا رنقٌ مشربها، رديعٌ مشرعها، يونقٌ منظرها، و يوبقٌ مخبرها. غرورٌ حائلٌ، و ضوءٌ آفلٌ، و ظلٌّ زائلٌ، و سنادٌ مائلٌ، حتى إذا أنس نافرها، و إطمأن ناکرها، قمصت بأرجلها، و قنصت بأحبلها، و أقصدت بأسهمها، و أعلقت المرء أوهاق المنية قائدة له إلى ضنك المضجع، و وحشة المرجع، و معاينة المحل و ثواب العمل، و كذلك الخلف يعقب السلف ، لا تطلع المنية اختراماً، و لا يرعوي الباقيون اجتراماً، يحتذون مثلاً، و يمضون ارسالاً، إلى غاية الإنتهاء، و صيور الفناء"⁽³⁾. لقد توشح هذا الخطاب بالأسجاع الكاملة و المجزوءة، جعل الخطبة محكمةً احكاماً دقيقاً. مستندا إلى السجع تارة ، و إلى الازدواج و المزج بينهما تارة أخرى ، و قد نجد شيئاً مغايراً لا ينتمي إلى السجع أو الإزدواج من خلاف توظيف دقيق للايحاء الصوتي للمفردات أو تنسيق الجمل في لون من الانسجام الموسيقي بين مقاطع صوتية قد تتعادل و قد تتجانس، فالإمام علي (ﷺ) لا يعتمد الأسجاع إلا في مواضعها.

— الايقاع الناتج عن الجناس: و يعدّ هذا النوع من أكثر الألوان البديعية موسيقية إذ تتبع من ترديد الأصوات المتماثلة مما يقوي رنين اللفظ و الجرس الموسيقي. خاصة إذا تحقق الإنسجام و التوافق بين مدلول اللفظ و صوته. و قد إعتد الإمام علي (ﷺ) على الجناس تاماً و ناقصاً و إن كان الجناس

1_ المصدر نفسه: خ 83، ص: 129

2_ المصدر نفسه: خ 83، ص: 132

3_ المصدر السابق: خ 83، ص: 118

– الآليات الحاحية –

الناقص أكثر شيوعاً. فمن صور جناسه نذكر ما يلي: "فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داجٍ، و لا ليلٍ ساجٍ، في بقاع الارضين المتطاطئات، و لا في يفاع السفح المتجاورات.. لا يدرك بوهمٍ، و لا يقدر بفهمٍ، و لا يشغله سائلٌ، و لا ينقصه نائلٌ، و لا ينظر بعينٍ، و لا يحد بأينٍ" (1). جناس الامام بين الالفاظ [داج - ساج] و [بقاع - يفاع] و [بوهم - بفهم] و [سائل - نائل] و [بعين - بأين] مفردات اللغة بسيطة سهلة واضحة رقيقة و تراكيبها تتصف بقصر و ايجاز العبارة ، وقد استعمل عليه السلام الجناس هنا لما له من وقع على الحس، وتأثير في النفس ، و كذلك نجد [الايقاع الناتج عن التقابل] و الذي يمثل قانونا آخر من قوانين تشكل الايقاع في خطب نهج البلاغة ، غير أن هذا القانون كالجناس لا نعثر عليه إلا لماماً. يقول الإمام في خطبة له: "ما لي أراكم أشباحاً بلا ارواحٍ و ارواحاً بلا أشباحٍ، و نساكاً بلا صلاحٍ، و تجاراً بلا أرباحٍ، و أيقاظاً نوماً، و شهوداً غيباً، و ناظراً عمياء و سامعاً صمّاء، و ناطقةً بكماء" (2). إن تتابع وقوع النبر على المقاطع الأولى من كلمات هذه المقطوعة منحها ايقاعاً حاداً حاسماً يمكن أن نتلمسه بوضوح من خلال النقرات المتتالية، و هذه الحدة في الايقاع و القوة في النبر طبعت أكثر الخطب متسقة مع المعنى العام للخطب.

و في موضع آخر يقول الإمام (عليه السلام) حول صفات الله تعالى: "لا يشغله غضب عن رحمةٍ و لا توله رحمةٌ عن عقابٍ، و لا يجنه البطون عن الظهور، و لا يقطع الظهور عن البطون، قرب فناءى، و علا فدنا، و ظهر فبطن، بطن فعلم، و دان و لم يدن" (3). في صعيد الايقاع نجد أن العبارات تمضي مقفاة من حيث القرار و متوازنة من حيث الجمل و متجانسة من حيث الأصوات. كما أنها تخضع من حيث تكثيف الايقاع أو تقليله أو عدمه إلى طبيعه السياق الذي يفرض هذا التكثيف أو التقليل أو العدم. و هكذا تجد أن المفردة تختار بالتوازي مع المفردة التي تقابلها في موقعها من العبارة الأخرى، فهناك نظام متناسق لأبنية المفردات ضمن العبارة و الفقرة، ثم تصب العبارة في ازدواج أو توازن تتعادل خلاله العبارة مع العبارة موسيقياً لتخاطب التكوين النفسي للمتلقى فتؤثر فيه أيما تأثير.

– خلاصة:

نستخلص مما سبق أن خطب نهج البلاغة تحتوي على أبنية ايقاعية و تقنيات فنية ذات ميزة جمالية من حيث الأشكال الظاهرية ؛ لكونها تتألف من عناصر صوتية و ايقاعية متداخلة تتصل اتصالاً

1_ المصدر نفسه: خ 182، ص: 349

2_ المصدر نفسه: خ 108، ص: 201

3_ المصدر السابق: خ 195، ص: 418

– الآليات الحاحية –

وثيقاً بالمعاني، فحسن تجانس المعاني مع طريقة التعبير بالفخامة في مقام الشدة، و بالعذوبة في مقام اللين ، و لكون هذه الآلية ليس لها مصطلح بديعي في البلاغة العربية: فإني اصطلحت على تسميتها بـ [الإيقاع الإيحائي] لما للإيقاع من دور في إحياء المعنى و توضيح الفكرة العامة للمتلقى. و هي أداة تأثير بلغة الجمال الفنية لما لها من اثر في حاسة الوجدان و تشمل تلك العناصر ، الأصوات و الحركات و المقاطع الصوتية، و تعادل الفقرات كما تشمل الكلمات و أبنيتها و تناسب الفواصل. هذه الغنيان أدت إلى تأليف إيقاع ذي سلاسل موسيقية جميلة تستلذها الأسماع و ترتاح لها النفوس و تؤثر في المتلقي. و بالتالي فالعناصر الإيقاعية في خطب نهج البلاغة هي أداة تبليغ و توضيح و تأثير .

ب. أساليب البديع المعنوي:

بعد دراسة الإيقاع و الموسيقى من جانبها اللفظي يجدر بنا معرفة البديع من جانب المعنى في خطاب نهج البلاغة ، و الذي يشمل [الطباق و المقابلة و التوازي و التقسيم].

- أولاً : أساليب التقابل:

يلاحظ في أسلوب الإمام استخدامه للتقابل بين الكلمات و التراكيب في قالب تقابلي تكاملي؛ متأثراً بأسلوب القرآن الكريم و من أعظم ما ورد من التقابل في أروع أشكاله و أعظم بيانه ، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَ اتَّقَىٰ ، وَ صَدَقَ بِالْحَسَنِ ، فَسَنِيسِرْهُ لِلْإِسْرَىٰ ، وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَىٰ ، وَ كَذَبَ بِالْحَسَنَىٰ ، فَسَنِيسِرْهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾⁽¹⁾ فالتقابل واضح في الآية و هو في أجمل حلته، فقد ورد في خمسة مفردات على الترتيب، أما نماذج الإمام علي في هذا الأسلوب فقد وردت بكثرة في نهج البلاغة لما فيها من قوة التأثير الجمالي و التداولي و قوة الإقناع و الإقتناع منها في العبارات القصيرة نجد قول أمير المؤمنين (عليه السلام): "مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ ، مِنْ الْجَمِيلِ . وَهُوَ رَاضٍ عَنْكَ . ذَمَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ ، مِنْ الْقَبِيحِ . وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْكَ"⁽²⁾ . يكثر هذا الأسلوب خاصة في الحكم عند الإمام علي لقصر عباراتها و سهولة حفظها و قوة تأثيرها. و سنعتمد في تحليلنا لهذا الأسلوب التقابلي على أنموذج من [رسالة] كتاب له (عليه السلام)⁽³⁾ جواباً عن كتاب معاوية: " وَأَمَّا طَلْبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِإِعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعَكَ أَمْسٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ : إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ ، فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى [الْجَنَّةِ] ، مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى [النَّارِ] . وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ ، فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ ،

1_ سورة الليل، الآية: 105

2_ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد : ج20 ، ح 127 ، ص: 274

3_ الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون كتاب رقم 17 ص ص: 494-495

وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَزْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ (1) كَالطَّلِيْقِ (2)، وَلَا الصَّرِيْحُ (3) كَاللَّصِيْقِ (4)، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ (5)، وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ. وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبُوَّةِ الَّتِي أَدَّلْنَا بِهَا الْعَزِيْزَ، وَنَعَشْنَا (6) بِهَا الدَّلِيْلَ. وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِيْنِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّيْنِ: إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيْبًا، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيْلًا، وَالسَّلَامُ."

هذه الرسالة فيها من كثافة أسلوب التقابل ما جعلها أشبه بالمناظرة التي حفل بها التراث العربي الإسلامي، خاصة في صدر الإسلام "خاصة و أن الدين الإسلامي قد فعل بشكل حاسم في تكوينها و تبلورها" (7) و فضلا عن هذا العامل الديني الأساسي في وجود المناظرات " سيزداد تحكما في المناظرة مع نشوء علم الكلام و تطوره بالإضافة إلى الصراعات السياسية المشتعلة داخل الدولة الإسلامي إلى إزدياد الحاجة إلى المناظرات و إلى إنتشارها الواسع " (8) و هذه الرسالة هي احدى نماذج هذا العصر التي تجسد بوضوح تطور هذا الفن الثري بالعناصر الجمالية و التداولية و قوة التأثير.

استخدم (عليه السلام) المقابلة و التوازي في هذه الرسالة المكتملة العناصر و التي يمكننا إدراجها ضمن حوار الأنداد من خلال موضوع رسالة معاوية إلى علي المتمثلة في طلب التنازل عن الشام و كان موضوع الرد دحض قضية حاول معاوية أن يستدرج فيها الإمام علي للتنازل عن ماديئ و مقاصد الإمام في تطبيق الشرع و العدل فبرهن على فساد المعادلة التي عرضها معاوية على الإمام علي، إذ وضع مطالب معاوية في ميزان التاريخ و الشرع و الأخلاق حتى يكون التوازي أكثر برهانا و حجة

1_ المُهَاجِرُ: من آمن في المخافة وهاجر تخلصاً منها

2_ الطَّلِيْقُ: الذي أسر فاطق بالمرن عليه أو الفدية، وأبوسفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح

3_ الصَّرِيْحُ: صحيح النسب في ذوي الحساب

4_ اللَّصِيْقُ: من ينتمي إليهم وهو أجنبي عنهم

5_ المُدْغِلُ: المفسد

6_ نَعَشْنَا: رَفَعْنَا.

7_ عبد اللطيف عادل . بلاغة الإقناع في المناظرة . منشورات ضفا ف . دار الأمان الرباط ، ط1، 2013، ص:141

8_ المرجع نفسه :عبد اللطيف عادل . بلاغة الإقناع في المناظرة ، ص:141

– الآليات الحجاجية –

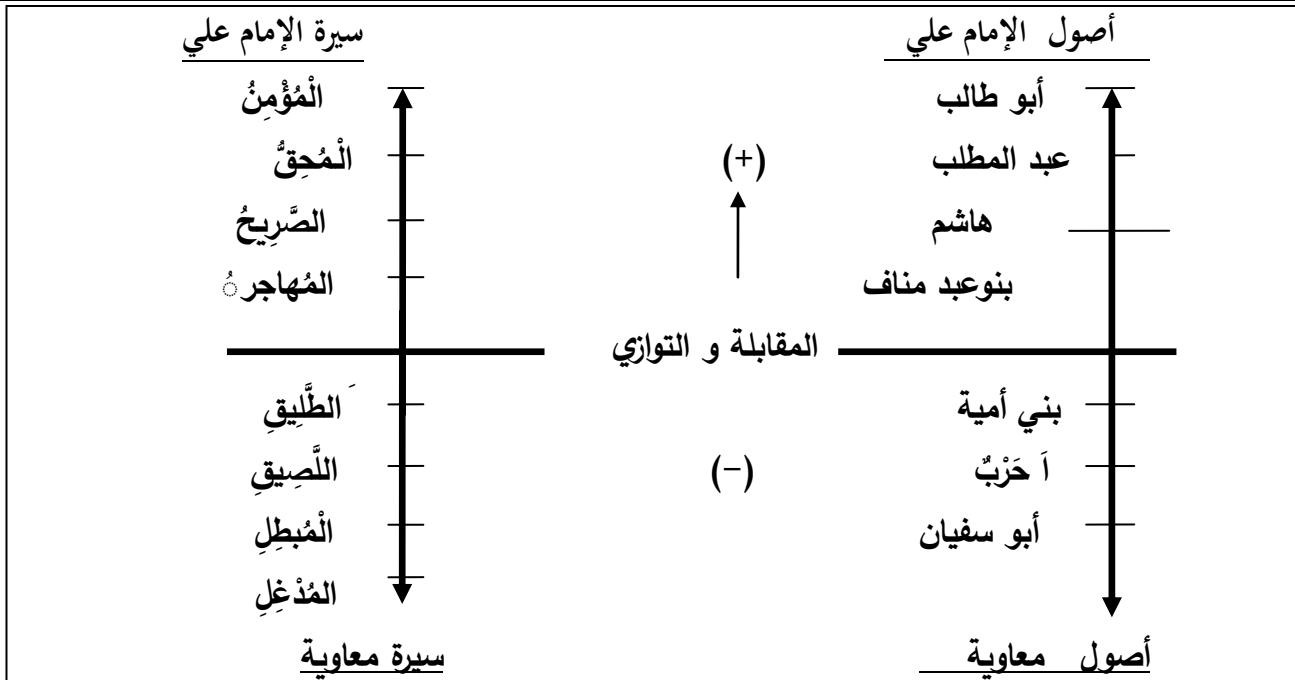
– المناظرة من خلال الأسلوب التقابلي –

الإمام يرد على الطلب و ينقض الحجة بحجة الدين		معاوية يطالب بالشام و يحاجج بظروف الحرب	
معادلة القضية	الرد / الحجة	معادلة القضية	المطلب / الحجة
باطل منع بالأمس <u>يساوي</u> باطل مرفوض اليوم	لَمْ أَكُنْ لِأَعْطَيْكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ.	الشام = المبايعة (الإستقرار)	طلب الشام
الموت على حق في الجنة <u>لا يساوي</u> الموت على باطل في النار	فَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَأَلَى [الْجَنَّةِ، مَنْ أَكَلَهُ لِبَاطِلٍ فَأَلَى] النَّارِ .	استمرار الحرب = فناء الطرفين	الْحَرْبُ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ
شك معاوية <u>لا يساوي</u> يقين علي	فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَيَّ الشُّكِّ مِنِّي عَلَائِقِيْنَ	قوة معاوية = قوة الإمام	وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ
جيش علي يحرس على الآخرة <u>لا يساوي</u> جيش معاوية يحرس على الدنيا	وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ.	جيش معاوية = جيش الإمام	وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الرِّجَالِ

- الآليات الحاحية -

- حجاج المقابلة و التوازي باستغلال ظروف القرابة القبلية

الإمام علي ينقض الحجة بتوظيف التاريخ و الأخلاق			معاوية يحاجي بظروف القرابة القبلية	
الرد على الحجة ونقض القضية			معادلة القضية	الحجة
رد الإمام بتوظيف التوازي و التقابل في الأباء و الأجداد			أصل معاوية(=) أصل الإمام	- إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفَافٍ
الإمام علي	معاوية	المعادلة		
	بنو عبد مناف	- نعم		
كهاشم	بني أمية	- ليس		
كعبد المطلب	أحزاب	- ليس		
كأبي طالب	أبوسفيان	- ليس		
توظيف التوازي و التقابل في التاريخ و الأخلاق				
معاوية	الإمام علي	المعادلة		
- كالتطبيق	- المهاجر	- لا يساوي		
- كالصيق	- الصريح	= لا		
- كالمبطل	- المحق	= لا		
- كالمذغل	- المؤمن	= لا		
- وَلَيْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.			- النَّبُوءَةُ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَرَبَ، وَنَعَشْنَا، بِهَا الدَّلِيلَ.	



- الآليات الحجاجية -

فقد مارس الإمام علي (رضي الله عنه) التعدد في إيضاح العناصر الإيجابية في الطرف الأول مع زيادة في إظهار سوء مطالب الطرف الثاني ، وفي ذلك دلالة على محاولة استنراغ الانفعال ، للتأثير في المتلقي بإثارة عناصر الضعف رغبة في إفشال طموح معاوية ، فيتفوق احد طرفي المقابلة على الآخر في علاقة توازن إقناعي و حجاجي ، فأن ذلك من شأنه كسر المألوف وإحداث خلخلة فيما قد يتوقعه المتلقي من بناء تراتبي في النص وتعزيز أداء الوظيفة الإقناعية ، وأبرز تمظهرات هذا التوازي تتمثل في قسمين، الأول قائم على التضاد والاختلاف في المعنى والمبنى على وفق التقابل الآتي: قال (رضي الله عنه) (1):

(1): (إِذَا أَقْبَلْتَ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدِ أَعَارِثِهِ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ، وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَنْهُ سَلْبَتُهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ.)

الشطر الأول من المقابلة	الشطر الثاني من المقابلة
إِذَا أَقْبَلْتَ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدِ أَعَارِثِهِ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ	وَإِذَا أَدْبَرْتَ عَنْهُ سَلْبَتُهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ
أَقْبَلْتَ.....على	أَدْبَرْتَ.....عن
أَعَارِثُهُ	سَلْبَتُهُ
غَيْرِهِ	نَفْسِهِ

من خلال (الطباق) يمكن إيجاد المصطلح البلاغي المسمى [العكس]، "وهو أن يعكس الكلام، فيجعل في الجزء الأخير منه ما جعل في الجزء الأول ، كأنه يدل فيه الأول بالآخر، والآخر بالأول" (2) و من خلال التعريف يفهم أن العكس ذو طبيعة تكرارية تقابلية ، ولكنه استطاع أن يفرض وجوده ضمن البديع التداولي الذي يخاطب فطنة المتلقي وذكائه ، حتى يتمكن من تأويله دلاليًا وجماليًا ، ومن أمثلة ذلك في نهج البلاغة قوله (رضي الله عنه): "الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله" (3) ففي هذا القول تشابك تكراري تقابلي بين لفظتي [الغدر و الوفاء] في نسق و انسجام تامين، وهذا الأمر يتطلب من المتلقي تعاوناً وتأزراً في تبيان المعنى العميق للوصول إلى قصد المتكلم ، و الكشف عن الدلالة المتضمنة في النص.

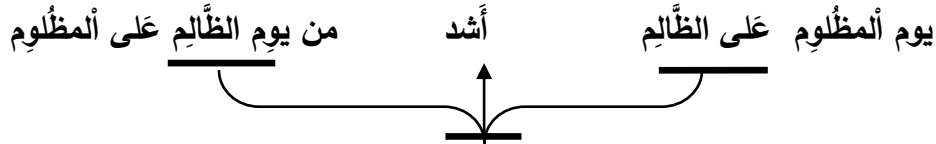
¹ _ الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون:قصار الكلام : 05 ص:627

² _ ينظر: العسكري. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، ص385

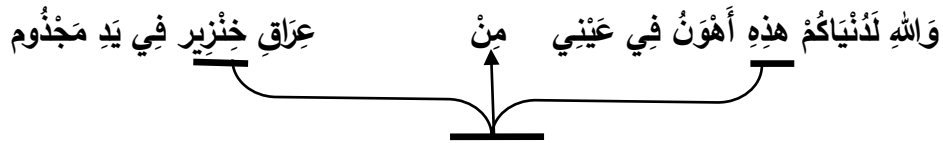
³ _ الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون ، ح 250، ص:671

— ثانياً: أساليب الموازنة:

نجد أن الدارسين قد أجمعوا على أن الموازنة مفهوم جديد إذا ما قورن بالمفاهيم المتواضع عليها في البلاغة الغربية، ذلك أن التوازي بديل لساني حل محل المفاهيم التي تختزل كل أشكال التوازن والتناظر البلاغية⁽¹⁾ ولأن التوازي في رأي (ج.مولينو J.Molino و ج.تامين J.Tamine) قد ظهر تاريخياً ليعيد الاعتبار لظواهر تتعلق بالمستوى الصرفي - النحوي، وبدرجة أقل المستوى المعجمي الدلالي، فهما يعرفانه بأنه "بمثابة متواليتين متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي- النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية- دلالية"⁽²⁾ فالتوازي إذن هو علاقة تماثل على مستويات لسانية، تتم بين طرفين أو أكثر. كما في قوله (ﷺ)⁽³⁾ **يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم**. فجاءت الموازنة كآلاتي:



و إن تأملنا كتاب نهج البلاغة نجد الموازنة أسلوباً كثيراً الورد فيه، وقد جمع بين الإمتاع والإقناع فالإمتاع لأن السامع و القارئ يكونان أمام صورة تربط بين شيء معروف وأمر جديد هم بصدد التعرف عليه ، وأما الإقناع فلأن " الموازنة تجعل الإنسان يأخذ بالرأي يدل عليه الدليل "⁽⁴⁾ مثل قوله (ﷺ)⁽⁵⁾ : **"وَاللّٰهُ لَدُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عِرَاقٍ⁽⁶⁾ خَنْزِيرٍ فِي يَدِ مَجْدُومٍ.."**⁽⁷⁾ ففي هذا الكلام وزن (ﷺ) بين الجنة والدنيا، وأراد أن يقنع المرسل إليه أن يعمل في سبيل الله، للفوز بالجنة خير له من الدنيا وما فيها.



¹ Larousse ,langue et langage ,Linguistique et poétique ,J.Fill , D.Delas Paris 1973, p.73

² Jean Molino-Joëlle, Tamine, Introduction à l'analyse de la poésie, presses universitaires de France.

Paris 1982, p. 209.

³ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون ،حكمة 232ص:678

⁴ محمد الصباغ. التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط1، 1988، ص514

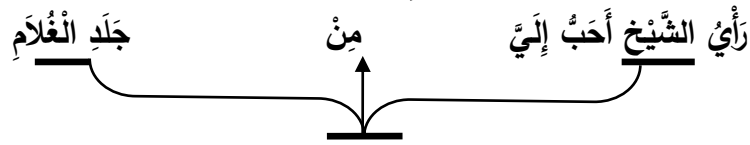
⁵ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون ، ح 227 ص: 677

⁶ العِرَاق . بكسر العين .: هو من الحَشَا ما فوق السُرَّة مُعْتَرِضاً البَطْن.

⁷ المَجْدُوم: المُصاب بمرض الجُدَام

- الآليات الحجاجية -

أو قوله ﷺ (1): "رَأَى الشَّيْخَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جَدِّ الْغُلَامِ" (2).



وقد استخدم (ﷺ) المقابلة من اجل الترغيب والترهيب، في قوله (ﷺ) (3): " فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ: هَذِهِ حَمَاةُ الْقَيْظِ أَمَهَلْنَا يُسَبِّحُ عَنَّا الْحَرُّ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ: هَذِهِ صَبَاةُ الْقَرِّ، أَمَهَلْنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبُرْدُ، كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ، فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقَرِّ تَفْرُونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَفْرٌ " فعقد مقابلة بين صورتين في مقدمة خطبته نوضحها كما يأتي:

ص1 : صورة الجهاد والمجاهد المتفاني الذين يدخلون باب الجنة.

ص2: هي صورة تارك الجهاد صاحبها مدحور مهان .

فتم إيضاح الإيجاب في الصورة الأول وإيضاح السلب في الصورة الثانية، وفي ذلك دلالة على محاولة استفراغ الانفعال للتأثير في النفس بإثارة الرغبة والحث على الجهاد، وأبرزت مظهرات هذا التوازي و التضاد تتمثل وفق التقابل الآتي:

الطرف الأول	الطرف الثاني
_ [أيام الحر] حمارة القيظ _ يسبخ عنا الحر	_ [أيام الشتاء] صبارة القر . ينسلخ عنا البرد

وقد حفل هذا القسم من الخطاب بالطباق والتضاد والإتيان بما يكسر رتابة المتوقع ، أما القسم الثاني من الخطاب فهيمنت عليه حجاجية التوازي الحافل بالتقابلات كما يأتي:

الطرف الأول	الطرف الثاني
_ [أيام الحر]: أمرتكم بالسير. قلتم أمهلنا ..	_ [أيام الشتاء] . أمرتكم بالسير . قلتم أمهلنا...

وقد تداخلت هذه التقسيمات مكونة خطأ عاما للتوازي الذي امتزج بمعطيات [الفضاء الدلالي و المجازي والحقيقي] على هذين الخططين المتوازيين .

1 _ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون ، قصار الكلم ، رقم 81

2 _ جَدَّ الغلام: صبره على القتال.

3 _ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ابن أبي الحديد، ج2 ، ص75

— ثالثاً : أساليب التقسيم:

يعرف التقسيم على أنه " فن من فنون البديع المعنوي و هو في اللغة قسمت الشيء إذا جزأته، أما في الإصطلاح فاختلفت فيه العبارات و الكل راجع إلى مقصود واحد" (1) هو نوع من أنواع البديع التداولي يخضع لآليات تشخذ الذهن لإيجاد علاقات بين أجزاء الكلام على وفق قواعد منطقية، كعلاقة الكل بالجزء، و يعرفه عبد الهادي بن ظافر الشهري: " تقسيم الكل إلى أجزائه وهو أن يذكر المرسل حجته كلياً في أول الأمر ، ثم يعود إلى تنفيذها وتعداد أجزائها أن كانت ذات أجزاء وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه (2) و هو أسلوب بلاغي غير متاح لكل الخطباء إلا لأصحاب الخبرة و ذوي النظرة العميقة في الحياة ، و لهم من الملكات اللغوية والتنظيم الفكري الممنهج ما يسمح لهم من توظيف مثل هذا التقسيم، و بعودتنا إلى خطابات نهج البلاغة نجد أن التقسيم هو ظاهرة فنية متواجدة بكثرة عند الإمام علي، تأثراً بأسلوب القرآن الكريم (3) و الحديث الشريف كما سبق ذكره في الفصل التطبيقي الأول، بالإضافة إلى اطلاعه الواسع على شتى المعارف ، و القدرة على تنظيم الفكرة تقسيماً أو إجمالاً ، كل ذلك سنعلم للإمام علي التحكم في هذا الأسلوب الصعب المنال . فمن كلام له (عليه السلام) (4) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا [وفيه يذم أهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن] " تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرُدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةَ بَعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَوْلِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ إِمَامِهِمُ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ(5)، فَيَصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَالْهَهُمْ وَاحِدٌ! وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ! وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ!". و استخدام مثل هذا الأسلوب الفني له وقعه على تفكير السامع لما فيه من منهجية التعليم والتبليغ من خلال حصر الفكرة بفقرات جد منتظمة. وقد ذكر البلاغيون القدماء ضرباً من هذه الأنواع، فسمي كل نوع بحسب نوع العلاقة بين أجزاء الكلام، وأطلقوا على كل نوع اسماً خاصاً به يختلف عن الآخر، باختلاف العلاقات من حيث البساطة والتعقيد، ومن ذلك ما يسمى ب: [التقسيم واللف و النشر]. و مثل ذلك في التقسيم قوله (عليه السلام) (6)

1- عبد العزيز عتيق. علم البديع، ص: 134

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري . استراتيجيات الخطاب ، ص: 494

3- ينظر على سبيل المثال سورة :براءة ،سورة :هود،سورة : ق ، وغيرها من الآيات الكريمة

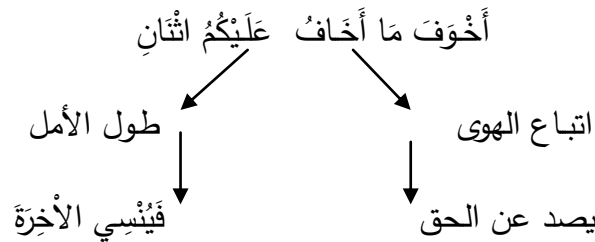
4- الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسنون . خ 18 ، ص: 65

5- الامام الذي استقضاهم: الذي ولّاهم القضاء .

6- الإمام علي ، نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد، ج1، خ32، ص: 5 إلى 8

- الآليات الحجاجية -

في أصناف المسيئين(*)^(*) والناس على أربعة أصنافٍ منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلا مهانته نفسه وكلالته حدّه ونضيبُ وفره ومنهم المصلت لسيفه والمغلن بشره والمجلب بخيله ورجله قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرغه ولبس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمناً ومما لك عند الله عوضاً ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمّر من ثوبه وزخرف من نفسه للأمانة واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ومنهم من أبعده عن طلب الملك ضئولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلّى باسم الفعالة وتزيّن بلباس أهل الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا معدى .⁽¹⁾ و هذا الخطاب يعتبر تقسيماً رباعياً ، استوفى جميع الشروط البلاغية و الفنية بأن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه و لا يخرج منها جنس من أجناسه⁽¹⁾ يمكن أن يستعيبها الإنسان ببسر من خلال تتبع التنظيم و الترتيب . إلا أن هناك تقسيم آخر مع النشر و مثال ذلك هذا التقسيم الثنائي ، قوله من خطبة له (ﷺ)⁽²⁾ وفيها يحذر من اتباع الهوى وطول الأمل في الدنيا : (أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْأَخِرَةَ. " فقد طرح الإمام (ﷺ) في هذا الخطاب قضية [اتباع الهوى و طول الأمل] في قوله (ﷺ) ([أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ] ثم قسمها إلى قسمين اثنين ثم فصل كل قسم من هذين الجزئين الذي هو بمثابة حجة يدعم بها قضيته [فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْأَخِرَةَ]. ويمكن تفصيل هذه القضية كما يلي:



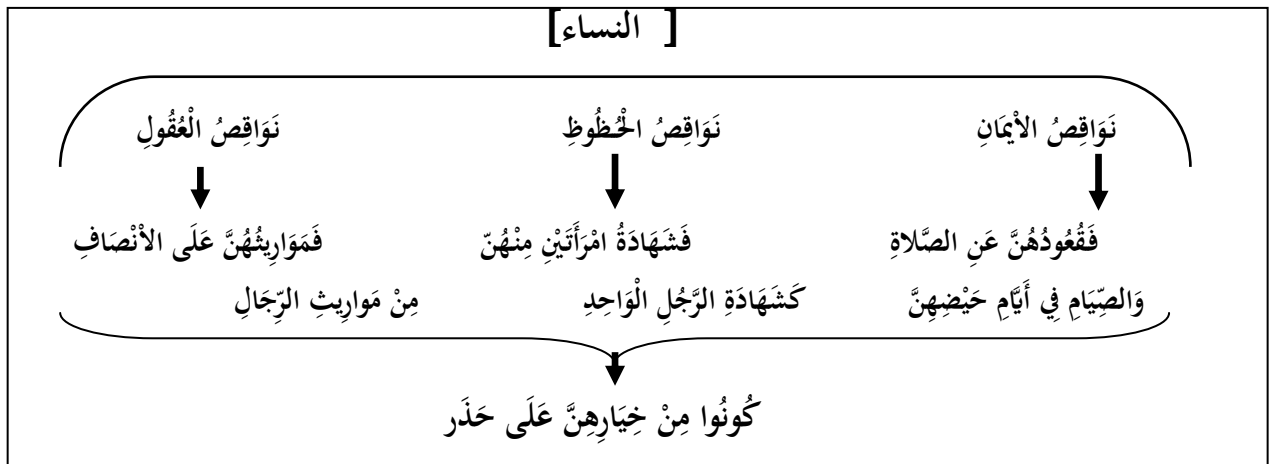
*_ قال الشريف : الشريف رضي الله عنه : أقول و هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية و هي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام (الذي لا يشك فيه ، و أين الذهب من الرغام ، و أين العذب من الأجاج ، و قد دل على ذلك الدليل الخريت ، و نقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ ، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان و التبیین ، و ذكر من نسبها إلى معاوية ، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته أنه قال ، و هذا الكلام بكلام علي) عليه السلام (أشبهه ، و بمذهبه في تصنيف الناس و في الإخبار عما هم عليه من القهر و الإذلال و من التقية و الخوف أليق ، قال : و متى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد و مذاهب العباد . ينظر : شرح الشريف رضي خ2و ينظر شرح ابن ابي الحديد.خ32،ص10

¹ عبد العزيز عتيق. علم البديع،ص:134

² _ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون ، خ 42 ، ص:90

- الآليات الحجاجية -

و هذا التقسيم الثنائي المفصل وجد في نهج البلاغة ما تجاوز منه عن خمسة و عشرين حالة، كلها وجدت لدعم الفكرة و ترسيخها في ذهن المتلقي بتنظيم و ترتيب محكم تمكّن المتلقي من استيعابها و حفظها. و من أمثلة التقسيمات الرباعية نجد من خطبة له (عليه السلام) ⁽¹⁾ بعد فراغه من حرب الجمل، في ذم النساء: (مَعَاشِرَ النَّاسِ، إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الأَيْمَانِ، نَوَاقِصُ الحُطُوطِ، نَوَاقِصُ العُقُولِ: فَأَمَّا نُفُصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَفُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ، وَأَمَّا نُفُصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ مِنْهُنَّ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ، وَأَمَّا نُفُصَانُ حُطُوطِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرَّجَالِ؛ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ، وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي المَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي المُنْكَرِ) و في هذا الخطاب نجد الإمام علي في أسلوبه وظف التقسيم ثم الإجمال و في هذا التقسيم الرباعي - و هو كثير في خطابه - تظهر براعة الإمام في القدرة على الإجمال والتفصيل، و تظهر معه قوة التأثير و الإقناع على المتلقي من خلال دقة التنظيم و الترتيب. كما يلي:



و من أمثلة أخرى لحالة التقسيم الرباعي المفصل و الأكثر تعقيدا ، نجد قوله (عليه السلام) من خطبة حصر فيها الإيمان بالتصنيف المفصل في قوله: وَسَيَلُ (عليه السلام) ⁽²⁾ عَنِ الأَيْمَانِ، فَقَالَ: الأَيْمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى الصَّبْرِ، وَاليَقِينِ، وَالعَدْلِ، وَالجَهَادِ: فَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الشُّوقِ وَالشَّقَقِ، وَالرُّهْدِ، وَالتَّرَقُّبِ: فَمَنْ اشْتَأَقَ إِلَى الجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَّبَ المَحْرَمَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالمُصِيبَاتِ، وَمَنْ ارْتَقَبَ المَوْتَ سَارَعَ فِي الخَيْرَاتِ.

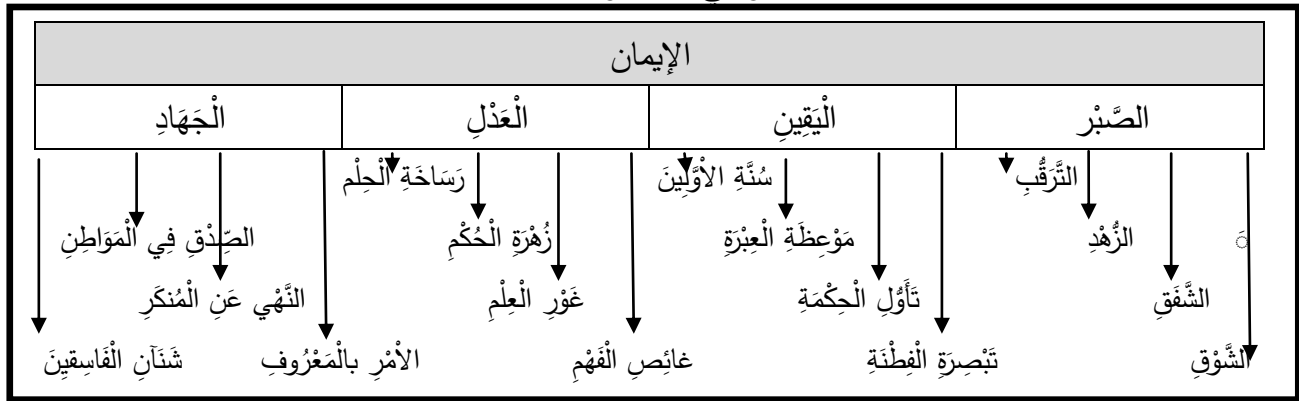
1_ الإمام علي . نهج البلاغة، تحقيق فارس الحسون. خ 216

2_ المصدر نفسه: قصار الكلام 27 ، ص ص: 630. 631. 632.

- الآليات الحاحية -

وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبَصُّرِ الْفِطْنَةِ، وَتَأْوِيلِ الْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ الْأَوْلِيَيْنِ: فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ فَكَانَ مَا كَانَ فِي الْأَوْلِيَيْنِ. وَالْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى غَايِصِ الْفُهْمِ، وَعَوْرِ الْعِلْمِ، وَزُهْرَةِ الْحُكْمِ، وَرَسَاخَةِ الْحِلْمِ: فَمَنْ فَهَمَ عِلْمَ عَوْرِ الْعِلْمِ، وَمَنْ عِلْمَ عَوْرِ الْعِلْمِ صَدَرَ عَنِ شَرَائِعِ الْحُكْمِ، وَمَنْ حَلَمَ لَمْ يُفْرِطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي النَّاسِ حَمِيدًا. وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصِّدْقِ فِي الْمَوَاطِنِ، وَشَتَانِ الْفَاسِقِينَ: فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُتُوفَ الْمُؤْمِنِينَ، مَنْ صَدَّقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَتَى الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ اللَّهُ غَضِبَ اللَّهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

نبيّن ذلك كما هو في المخطوطة التالية:



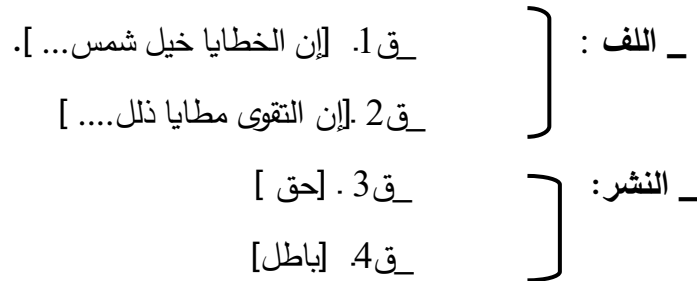
- رابعا : أساليب اللف و النشر

تسمى أساليب اللف و النشر أيضا [الجمع مع التفريق] و" هو أن تُضمّ متعدّد ثم تتبعه ما لكل منه من غير تعيين فيجمع بين الأشياء المتباعدة في معنى معين، ومن ثم التفريق بينهما (1) ، مما يمنح للنص الغموض الفني، لذلك فهو بحاجة إلى تعاون أكبر من المتلقي للفهم الدلالي عن طريق التفكير والتأويل. لما فيها من تنوع و تعدد افكارها و كلما زاد عدد التقسيمات إلا و ازدادت حاجة المتلقي إلى التركيز و التمعن و إثارة الإنتباه لدى السامع أكثر " ، ومن صورته قوله (ﷺ) [لما بويح في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم]: "وَلَقَدْ نَبِّئْتُ بِهَذَا الْمَقَامِ وَهَذَا الْيَوْمِ، أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا

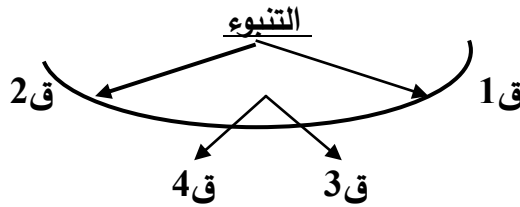
1_ ينظر : السكاكي . مفتاح العلوم ، ص425

- الآليات الحاحية -

خَيْلٌ شُمْسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَخُلِعَتْ لُجْمُهَا، فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا دُئُلٌ، حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأَعْطُوا أَرْمَتَهَا، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ، حَقٌّ وَبَاطِلٌ وَلِكُلِّ أَهْلٍ . (1) . و يمكن تمثيل ذلك في الشكل التالي:



وبذلك اختلف عن الأسلوب السابق الذي يفيد بأن يضاف لكل واحد من أجزائه ما هو له على التعيين



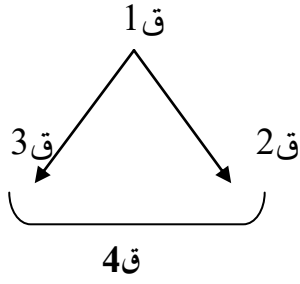
وعلى المتلقي الذكي أن يبدي براعته في ترتيب و ربط الأجزاء الملفوفة بما يلائمها . كما يوجد في خطاب الإمام أسلوباً آخر يطلق عليه [أسلوب التقسيم بالجمع] ، وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر تحت حكم واحد. (2) و من أمثلة ذلك قوله (ﷺ) في تهذيب الفقراء : "وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ مِنْ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ : إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ، فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلِ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ . وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ" (3)

1_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح، ابن أبي الحديد : ج1، ص: 272

2_ ينظر : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص: 425

3_ الإمام علي . نهج البلاغه، شرح ابن أبي الحديد ، ج1، ص: 312

- الآليات الحاحية -

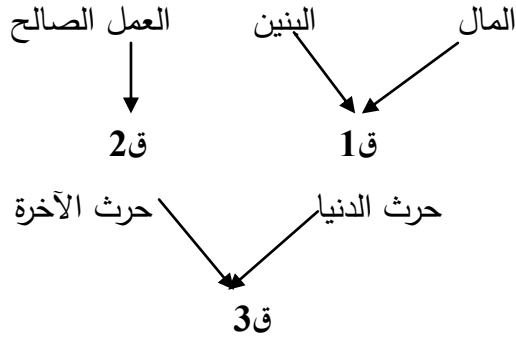


ق1: الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيُّ ءُ مِنْ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ

ق2: إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ،

ق3: إِمَّا رِزْقَ اللَّهِ،

ق4: فَإِذَا هُوَ دُوْ أَهْلِ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسْبُهُ



ق1: الْمَالُ + الْبَنِينَ = حِثُّ الدُّنْيَا

ق2: وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ = حِثُّ الْآخِرَةِ

ق3: وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ

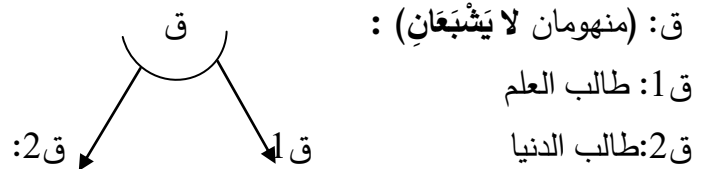
فقد استطاع الإمام علي من الجمع بين هذه الأشياء التي تنتمي إلى حقول دلالية مختلفة فمنها حقول تنتمي إلى الحياة الإجتماعية و الإقتصادية (متاع الدنيا) و منها ما ينتمي إلى حقل الأخلاق و العمل الصالح (العمل الأخروي) على الشكل الآتي:

حقل دنيوي	حقل أخروي	حقل دنيوي و أخروي
المال، البنون	العمل الصالح	المال ، البنون + العمل الصالح

فهذه الحقول مع تميزها بتماسك شديد من خلال هذه العلاقات ، تسهم كلها في تنشيط ذاكرة المتلقي و تتعزز من قدراته في تنظيم هذه الحقول للوصول إلى نتيجة هي في الأخير مفتاح الفوز بالدارين الدنيا و الآخرة. هذه النتيجة سيكون لها وقعها الكبير على نفسية المتلقي للعمل من أجل تحقيقها.

ومن ذلك قول الإمام علي (عليه السلام) في حكمة له : (مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ : طَالِبُ عِلْمٍ ، وَطَالِبُ دُنْيَا) (1) فقد

جمع الإمام (عليه السلام) بين (ق) ثم فصل بينهما [ق1. ق2]



فعندما يأتي الكلام (ق): (منهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ)، يثير هذا لدى المتلقي عنصر التشويق و الفضول لمعرفة (جواب 1) و (جواب 2) المتمم لـ(ق) فيأتي : ق1+ق2 = [طالب علم] و [طالب دنيا]. ليكون تأثيره اكبر

1_ المصدر السابق: ج20 ، ص:174

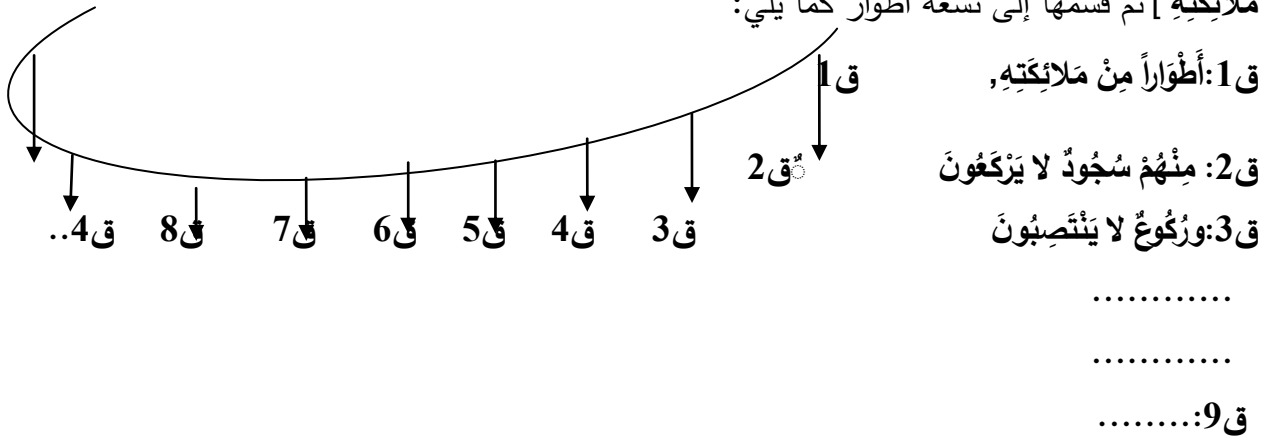
- الآليات الحجاجية -

و رسوخه في الذهن اكبر.

و من أمثلة أخرى نجد قوله عليه السلام في خطبة له في ذكر خلق الملائكة : (ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ الْعُلَا، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُنَّ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَزَالُونَ، وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيْونِ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسِيَانِ. وَمِنْهُنَّ أُمَّاءٌ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُنَّ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جَنَانِهِ، وَمِنْهُنَّ الثَّابِتَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُنَّ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُنَّ، (...)⁽¹⁾)

فهذا الخطاب من نوع الجمع مع التقسيم و الذي يعرف على أنه: " جمع بين متعدد تحت حكم، ثم تقسيمه أو العكس " ⁽²⁾. إذ جمع الإمام أطوار صفات الملائكة، تحت حكم واحد، [فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ

مَلَائِكَتِهِ] ثم قسمها إلى تسعة أطوار كما يلي:



و المتلقي في هذه الحالة ملزم أن يبذل جهداً ليجمع أجزاءها ويؤول دلالاتها الضمنية دلاليًا وجماليًا كما قصدها الإمام.

- الإستنتاج:-

البديع المعنوي له أهمية كبيرة من جانبها الوظيفي الدلالي و الجمالي؛ فهو يعمل على تشويق المتلقي وتنشيط ذاكرته من خلال التأمل العميق و التأويل الدقيق؛ لمتابعة ربط كل قسم بفروعه توضيحاً و تفصيلاً.

¹ _ المصدر السابق: ج 1 ، ص: 91

² _ القزويني ، الامام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الشافعي ،التلخيص في علوم البلاغة ،(تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي)، حققه و اعده و شرح فهارسه عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط2 ، بيروت، 2009، ص: 92

• _المبحث الثالث: الآليات الحجاجية المنطقية و الشبه المنطقية

لم يخرج العرب من بدائية التفكير و النزعة المغلقة في تطلعاتهم إلا بعد أن جاء الإسلام إذ كانت المنطلقات الأولى في الخطاب القرآني هي تصحيح المسار الفكري لمبدأ الحوار أو الجدل و توجيهه بما يحقق للإنسان إنسانيته ؛ فعلى هذا الهدي كانت رسالة الأنبياء و المصلحين ففتح العرب بعدها رحلة البحث عن المعرفة بواسطة السؤال أو الجدل أو الحجاج، الذي يستدل به عن المجهول و لعل علي بن أبي طالب مثال واضح من المصلحين و الفاعلين في عملية التنظير و التطبيق على ممارسة وظيفة الحجاج في تعاطيه مع قضايا عصره ، و ذلك لما تكتسب هذه العملية التخاطبية من إستراتيجية إقناعية ، إنطلاقاً من تعريف (ديكرو) للحجاج: "إن المتكلم إذ يحاج إنما يقدم قولاً أو مجموعة من الأقوال [ق1] منها يقع الانطلاق في الحدث الحجاجي أو ما يسمى بقضايا الانطلاق، تقود بدورها إلى [ق2] التي تقود إلى الإذعان والتسليم بهذا القول، الذي يمثل النتيجة أو الحقيقة؛ أي أن المتكلم يقدم عنصراً دلالياً لصالح عنصر آخر أمام وضعيتين خطابيتين مختلفتين: [وضعية مصرح بها] وأخرى [وضعية ضمنية] و على الموجهات التعبيرية أن تؤدي دورها في تحقيق توجيه المعطى نحو النتيجة مباشرة، بدءاً من العناصر اللغوية الدنيا إلى التركيب، وصولاً إلى فهم مقاصد الباث.

إن الحجاج في نهج البلاغة يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع؛ باستخدام الدلائل العقلية و اللغوية وغيرها، بما له من مسارات ومؤشرات، نرى في التداولية الأقدر على ذلك، فوضعيات التلفظ في العملية الخطابية تساعد على إدراك كنه الملفوظ الحجاجي باعتباره رداً.

فخطاب نهج البلاغة ، يعتمد على إستراتيجية في صوغ الحجة بالانتقال من (ق 1) إلى (ق 2) " فالمتكلم يعرض فيها سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً ، لقصد إقناع الآخر بصدق دعواه و التأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية ⁽¹⁾، لكون اللغة لها وظيفة حجاجية ، وأن التسلسلات الخطابية محددة بواسطة بنية الأقوال اللغوية و بواسطة العناصر والمواد التي تم تشغيلها .

1. الروابط و العوامل الحجاجية :

اشتملت اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج. فاللغة العربية مثلاً ، تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية . نذكر من هذه الأدوات: [لكن ، بل ، إذن ، حتى ، لاسيما ، إذ ، لأن ، بما أن ، مع ذلك ، تقريباً ،

¹ _ ينظر: محمد العبد. النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، ص:44

– الآليات الحجاجية –

ما....إلا....] ، كقوله (ﷺ) (1) "وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَنْتَبِتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحْاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ."

– المقدمة: وجود شريك لله

– الحجة: وجود رُسُلُهُ وَرَوِيَةِ آثَارِ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَالتَّعَرَّفَ عَلَى أَعْمَالِهِ وَصِفَاتِهِ،

– النتيجة: لا يوجد شئ من هذا

– الإستلزام المنطقي: النتيجة تقتضي أنه: إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوْلِيَّةٍ، وَآخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَنْتَبِتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحْاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ."

يتضح من هنا وجه العلاقة بين الإقتضاء و الإستلزام الذي يخص بناء النتائج التي يوجهها الحجاج

حجة (جملة جواب الشرط) ← نتيجة (جواب الشرط)

فالفضاء الموجود بين القول و المقتضى يستلزم توجيه سلوك و تقويمه وهذا يمكن إدراجه ضمن الأفعال الإنجازية الذي سنتطرق إليها بشيء من التفصيل في الأفعال الكلامية الأسلوب غير المباشر فالآلية التي تعمل بها هذه البنية تجعلها تقتضي النتيجة و النتيجة تقتضي الحجة لهذا عدت هذه الآلية " هي بنية ذات طاقة حجاجية عالية" (2). وينبغي أن نميز بين اصناف من المؤشرات والأدوات الحجاجية : [العوامل الحجاجية Les opérateurs argumentatifs] المتمثلة في (ما ، إلا ، إنما ، ..) لتتشاكل معها بروابط وأنماط دلالية أو منطقية عديدة منها الروابط المدرجة للحجج [حتى ، بل ، لكن ، مع ذلك ، لأن.....] الروابط المدرجة للنتائج [إذن ، لهذا ، بالتالي] الروابط التي تدرج حججا قوية [حتى ، بل لكن] و روابط التعارض الحجاجي [بل، لكن، مع ذلك] وروابط التساوق الحجاجي [حتى، لاسيما] (3) ومن كلام له (ﷺ) لابي ذر (رحمه الله) لما أخرج إلى الربيعة(1):

1_ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون ، خ 31 ، ص:636

2_ سامية دريدي ، .الحجاج في الشعر العربي بنيتة و أساليبه ، ص: 335

3- أبو بكر العزاوي . الحجاج في اللغة، ص:27

- الآيات الحجاجية -

"يَا بَا دَرِّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ ، فَأَرْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخَفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَأَثَرُكَ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرَبَ مِنْهُمْ بِمَا خَفْتَهُمْ عَلَيْهِ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَيَّ مَا مَنَعْتَهُمْ، وَأَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِحِ عَدَاً، وَالْأَكْثَرَ حُسْداً. وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً! لَا يُؤَسِّنُكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبَابِكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا⁽²⁾ لَأَمَّنُوكَ." يمكن لنا معرفة هذه الروابط الحجاجية كما هو مبين في الجدول التالي:

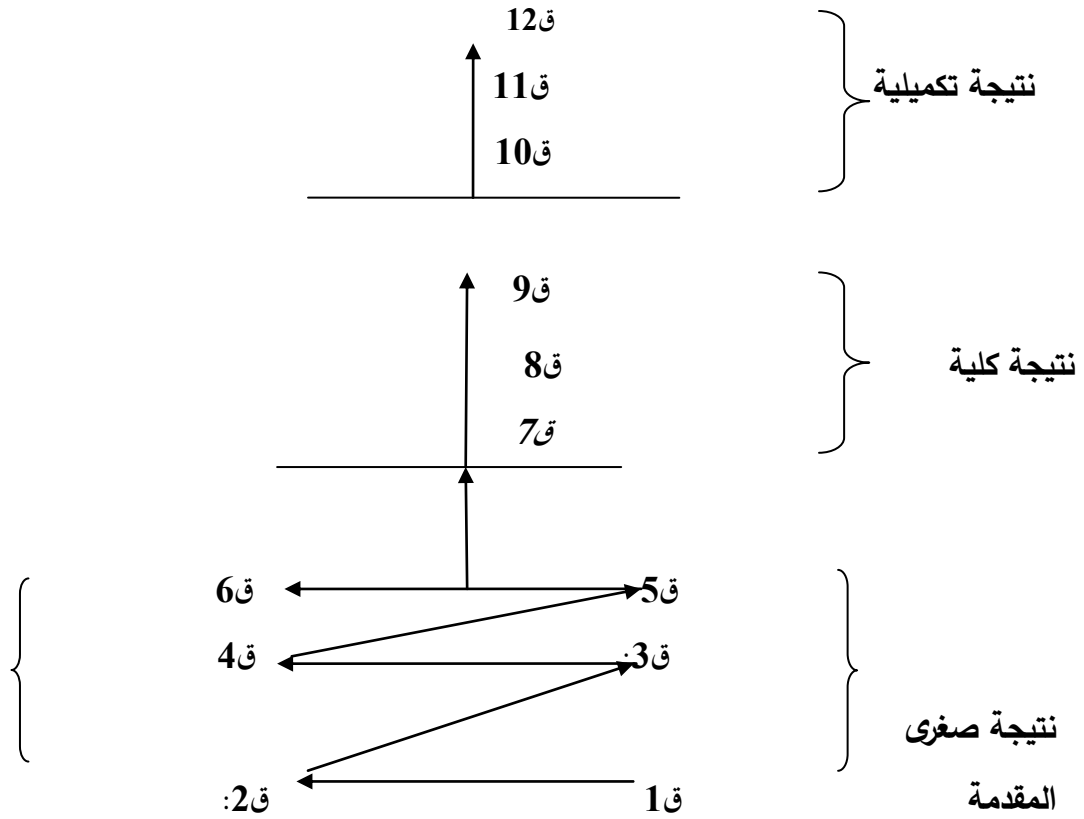
نوع النتيجة	_ النتيجة: حجاج الوعظ و التوجيه	المقدمة			
		الروابط الحجاجية	لأجل	العلة	_ القول التقريري
صغرى	_ ق2: فَأَرْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ	ف	لله	ل	_ ق1: إِنَّكَ غَضِبْتَ
صغرى	_ ق4: فَأَثَرُكَ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ	ف	دُنْيَاهُمْ	عَلَى	_ ق3: إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ
صغرى	_ ق6: وَاهْرَبَ مِنْهُمْ بِمَا خَفْتَهُمْ عَلَيْهِ	و	دِينِكَ	عَلَى	_ ق5: وَخَفْتَهُمْ
_ كبرى	_ ق7: فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَيَّ مَا مَنَعْتَهُمْ _ ق8: وَأَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! _ ق9: وَسَتَعْلَمُ مِنَ الرَّابِحِ عَدَاً _ ق10: وَالْأَكْثَرَ حُسْداً	ف و			
_ مكملة	_ ق11: وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ، لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً! لَا يُؤَسِّنُكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لِأَحْبَابِكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ.	و ثم لا، إلا لا، إلا ل، لو ل			

1_ الرَبْذَة . موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذَرِّ الغفاري (رضي الله عنه) والذي أخرج به عثمان بن عفان.

2_ قرضت منها: قطعت منها جزءاً واختصت به نفسك.

- الآليات الحجاجية -

إن عملية الربط بين الحجج و النتائج داخل الخطاب الحجاجي يجب أن يتوفر فيه على ضامن للإنتقال و هذا الضامن يسمى (المبادئ الحجاجية) أو العلاقات الحجاجية و تعرف بأنها "مجموعة من المسلمات و الأفكار و المعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة واحدة"⁽¹⁾، إذ تكمن قيمة هذه الروابط في كونها "تضطلع بمهمتين الربط بين قضيتين و تساهم في بناء هيكله و مكونات الخطاب فضلا عن منهجيته و دعم مساره فهي تؤدي دورا فاعلا في ربط المقدمات بالنتائج داخل الخطاب الواحد، كما أنها تفصل مواضع الحجج و ترتب درجاتها فتقوي الواحدة منها الأخرى.⁽²⁾ كما يتضح في السلم التالي:



2. السلام الحجاجية:

قال الإمام علي في أول خطبته ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم وفيها ذكر الحج وتحتوي على حمد الله وخلق العالم وخلق الملائكة واختيار الأنبياء ومبعث النبي والقرآن والأحكام الشرعية: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ وَلَا

¹ _ أبو بكر العزاوي. اللغة والحجاج، ص: 33

² _ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري. إستراتيجيات الخطاب ، ص: 805

- الآليات الحجاجية -

يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَخْدُودٌ وَلَا نَعْتٌ مُوجُودٌ وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيِّدَانَ أَرْضِهِ " (1). إقترح في هذا الصدد (ديكرو) مصطلح السلم الحجاجي و الذي عرفه: "أنه كل علاقة ترتيبية للحجج معنية تدفع باتجاه نتائج محددة (2) كما نجده في أقوال خطاب الإمام علي: [

ق1: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مَدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ . ق2: وَلَا يُخْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُونَ . ق3: وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ . ق4: الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ . ق5: وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ . ق6: الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَخْدُودٌ . ق7: وَلَا نَعْتٌ مُوجُودٌ . ق8: وَلَا وَقْتُ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ . ق9: وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ بِرَحْمَتِهِ . ق10: وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيِّدَانَ أَرْضِهِ]

ن	النتيجة	السلام الحجاجية
ح	الحجج التي تخدم النتيجة	ن
		ق10: ↑ ح10
		ق9: ح9
		ق8: ح8
		ق7: ح7
		ق6: ح6
		ق5: ح5
		ق4: ح4
		ق3: ح3
		ق2: ح2
		ق1: ح1

3. أنماط الحجج في نهج البلاغة:

الغالب في خطاب الإمام علي الحجاجي و الإقناعي ، أنه لم يكن ذا طابع واحد بل تتنوع من مظهر إلى آخر حسب المقام و سياقاته المتطلبة لذلك الحجج ، سواء أكانت عقائدية أو أخلاقية أو تشريعية أو إنسانية، محاولين إبراز أهم اللامسات الأسلوبية في تلك الأنماط المتنوعة ، خاصة إذا ما كنا أمام نص شفوي يلقي على جمهور من السامعين ، مما يجعل "الحجاج الشفوي حجاج مختزل غير مطول

1_ الإمام علي. نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج1، الخطبة 1، ص: 98

2_ ينظر: ابو بكر العزاوي، اللغة و الحجج، ص: 21

– الآليات الحجاجية –

(...)؛ لأن التطويل أو الإسهاب يفترض من المتلقي قدرة على التركيز و الإنتباه و تتبع كل حلقات الحجاج و رصد كل العلاقات بين مفاصل النص و بين الأدلة و البراهين و النتائج المؤدية إليها، قدرة قد تضعف بل تنعدم أحيانا إذا كان المقام مقاما خطابيا يفترض على المتلقي اتقاط النص بما فيه لحظة نطقه و استيعاب حججه و براهينه لحظة نشأته و تكونه..⁽¹⁾ ، و إذا كان الحجاج في خطب الإمام علي معظمه مختزلا نظرا لمقام إلقائه ، و بعد تحليل بعض خطبه فإننا و جدناه يحوي مجموعة من الحجج منها أن العلاقات الخطابية التي يقوم عليها الخطاب الحجاجي قائمة على علاقة الدعوى أو النتيجة ويشترط أن ترتبط النتيجة بمحتوى المقدمات، وقد قدم (أرسطو) في كتابه [الخطابة] ثمانية و عشرين حالة من البرهنة بالقياس المضمرة و هي الأقيسة الإستدلالية.⁽²⁾ ومن الآليات المنطقية التي تقوم على المقدمة والنتيجة والقياس، ما نجده عند ابن سينا "قول مؤلف من أقوال إذا وضعت لزم عنها لذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها اضطرارا"⁽³⁾. " ذلك أن ترتيب المقدمات ينتج عنه بالضرورة نتيجة خاضعة لمحتوى هذه المقدمات، وهذا يعكس الارتباط الوثيق بين المقدمة والنتيجة. و ينقسم إلى قسمين :

أ. القياس المنطقي الكامل :

القياس المنطقي بنية أساسية في كل خطاب حجاجي، ومن ثم يعيره الباحثون الاهتمام الأكبر، وقد تذكر جميع أركان القياس [المقدمة الكبرى والمقدمة الصغرى والنتيجة]، فيكون بذلك قياسا منطقيا كاملا و"لا يجب القياس إلا عن قول متقدم فيكون القياس نتيجة لذلك ، كما لا يجب القياس عند المناطقة إلا عن مقدمتين إحداهما تعلق بالأخرى"⁽⁴⁾ . و هذا بعني ترتيب وربط بين جملتين و مقدمتين بينهما حلقة وصل اذا ما حذفناهما نحصل على قضية وجملة اخرى جديدة لم تكن حاصلة عندنا لولا هذا الربط و يوضحه طه عبد الرحمن في كونه في الأساس يقوم على الربط بين شيئين^(*) بتوفّر جملة من الخصائص المشتركة بينها⁽⁵⁾، و القياس نوعان قياس منطقي و القياس الشبه منطقي.

1_ سامية الدريدي الحسني . دراسات في "الحجاج" قراءة في نصوص مختارة من الأدب العربي القديم ، ص:121-122

2_ أرسطو . الخطابة ، ص:75

3_ عبد الله صولة . الحجاج في القرآن، ص:462.

4_ محمد العبد . النص والخطاب والاتصال، ص ص: 217 . 218

* مثال هذا الربط ما يجمع بين العلم والطعام :العلم كالطعام ينفع ويضّر، فاطلب منه ما ينفع.

5_ طه عبد الرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص:98

— الآليات الحجاجية —

1_ القياس المنطقي المفصول :

يقوم على الاستنتاج العلمي الصارم ومن أمثله الذي تكوّن من أقوال متعلقة ببعضها تعلقا دلاليا منطقيا، ذلك أن المقدمة الصغرى جاءت منضوية تحت المقدمة الكبرى، وجاءت النتيجة خاضعة لمضمون المقدمتين فوظيفة القياس المنطقي كامل الأركان في الخطاب الحجاجي ؛ و هو الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب؛ أي [المقدمة الكبرى] . إلى ما هو مشكل؛ أي إلى [النتيجة] ، و من القياس المنطقي الكامل في نهج البلاغة نجد القياس المفصول ، و من أمثله قوله (ﷺ) في خطبة⁽¹⁾ يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم عليه الصلاة والسلام : "...أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الأَخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الأَخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ، فَمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَرَّاهُ، وَمَنْ جَرَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، [وَمَنْ جَهَلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، [وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهَ، وَمَنْ حَدَّهَ فَقَدْ عَدَّهَ، وَمَنْ قَالَ: «فِيمَ» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: «عَلَامٌ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.] نجد في هذا الخطاب جملا مرتبة ترتيبا منطقيا شديدة الإحكام عن طريق [القياس المفصول] وقد وجدت في سلسلة حلقات مترابطة تقضي إلى نتيجة هي الغرض الذي تشكلت له على النحو التالي:

أ _ القضية الأولى:

"...أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَكَمَالُ التَّصَدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الأَخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الأَخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ". و لتوضيح الترابط الرياضي والمنطقي والتسلسلي وجب ترتيبها و تنظيمها تنظيميا قياسيا كما يأتي:

— الترتيب:

- ق1_ كمال معرفته التصديق به..
- ق2_ كمال التصديق به توحيد—يده.
- ق3_ كمال توحيد—يده الاخلاص له.
- ق4_ كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه.

1_ الإمام علي. نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ج1، خ 1 ، ص ص : 74. 77.

_ الآليات الحاحية _

_ التـنـظـيم :

_ الخطوة الاولى : وبها قضيتان

_ المقدمة الكبرى : كمال معرفة الله هو التصديق به	↑	ن
_ المقدمة الصغرى : كمال التصديق به توحيدـه		م ص
_ النتيجة : كمال معرفته تـوحيـده		م ك

_ الخطوة الثانية : وضع نتيجة الخطوة الاولى [كمال معرفته توحيدـه] كمقدمة كبرى ؛ ثم نضم لها

مقدمة صغرى جديدة على النحو الآتي:

_ المقدمة الكبرى : كمال معرفته تـوحيـده	↑	ن
_ المقدمة الصغرى : كمال تـوحيـده الاخلاص له		م ص
_ النتيجة : كمال معرفته الاخلاص له.		م ك

_ الخطوة الثالثة : وضع نتيجة الخطوة الثانية " كمال معرفته الاخلاص له " كمقدمة كبرى ؛ و نضم

اليها مقدمة صغرى جديدة على النحو الآتي:

_ المقدمة الكبرى : كمال معرفته الاخلاص له	↑	ن
_ المقدمة الصغرى : كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه		م ص
_ النتيجة : كمال معرفته نفي الصفات عنه		م ك

➤ وهذه هي النتيجة المقصودة من عقد المقدمات الأربعة السابقة

ب_ القضية الثانية: (... فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ

جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ، ...).

_ ترتيب المقدمات الأربعة:

ق1. كل من وصف الله فقد قرنه..

ق2. كل من قرن الله فقد ثناه..

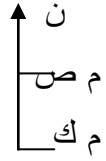
ق3. كل من ثناه فقد جزَّاه..

ق4. كل من جزَّاه فقد جهله..

- الآليات الحاحية -

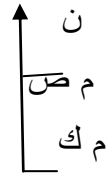
_ التنظيم القياسي: الخطوة الاولى : وبها قضيتان

- المقدمة الكبرى : كل من وصف الله فقد قرنه
- المقدمة الصغرى: كل من قرن الله فقد ثناه
- النتيجة: كل من وصف الله فقد ثناه



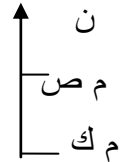
_ وضع نتيجة الخطوة الاولى كمقدمة كبرى ؛ ثم نضم لها مقدمة صغرى جديدة على النحو الآتي:

- المقدمة الكبرى: كل من وصف الله فقد ثناه
- المقدمة الصغرى: كل من ثناه فقد جزأه
- النتيجة: كل من وصف الله فقد جزأه



_ وضع نتيجة الخطوة الثانية كمقدمة كبرى ثم نضم لها مقدمة صغرى جديدة على النحو الآتي :

- المقدمة الكبرى: كل من وصف الله فقد جزأه
- المقدمة الصغرى: كل من جزأه فقد جهله..
- النتيجة: كل من وصف الله فقد جهله..



➤ و هي النتيجة المقصودة من عقد المقدمات الخمسة السابقة

[كمال معرفته نفي الصفات عنه] و [كل من وصف الله فقد جهله..]

ان الله واجب الوجود غني عن خلقه وخلقه فقير اليه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (1) لأن " نفي الجوهر عن الإله يعني نفي الجسمية والصورة، ونفي العرض يعني نفي التغير من حال إلى حال وهذا من خصائص المادة، و الله ليس له بداية ولا نهاية" (2)، وهذا ما يقره القرآن: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (3) . ومنه نستخلص أن التوحيد الواحدي هو نفي الثاني، والنظير والمثيل والشبيه والشريك، ويبين أن الوحدة هي وحدة حقة حقيقية أي وحدة قهرية ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (4) والله ليس مركبا ولا جزءا من مركب لأن

1 _ سورة فاطر: الآية 15

2 _ الغزالي .إحياء علوم الدين، ص:75

3 _ سورة الحديد: الآية 3

4 _ سورة يوسف: الآية 39

- الآليات الحجاجية -

المركب يفتقر إلى أجزائه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽¹⁾، و له أسماء الله الحسنى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾

الشرك بالله	الطريق لمعرفة الله
ن = الشرك بالله	ن = معرفة الله
ق6 : من حده عدّه	ق5 : نفي الصفات عنه
ق5 : من أشار إليه حده	ق4 : الإخلاص له
ق4 : من جهله أشار إليه	ق3 : توحيدده
ق3 : من جزأه جهله	ق2 : التصديق به
ق2 : من ثأه جزأه	ق1 : معرفة الله
ق1 : من قرنه ثأه	

2_ القياس الشبه منطقي :

هو أحد أنواع القياس المنطقي (*) يقوم على الإضمار والاحتمال⁽³⁾، إذ يعدُّ "فعالية استدلالية خطابية" (φ) لذا سُمِّي أداة شبه منطقية [quasi-logiques]، فله شكل منطقي من جهة ارتباطه بالاستدلال، وهو بنية أساسية في كل خطاب حجاجي⁽⁴⁾، إذ يقوم على الرأي، فالقياس المضمّر هو قياس يقوم على الاحتمالات⁽⁵⁾. وقد نضمّر أحد العناصر الثلاث إما المقدمة الكبرى أو الصغرى، فيسمى "القياس مضمراً، فيعرفه ابن سينا بقوله: "الضمير هو قياس طويت مقدمته الكبرى، إما لظهورها والاستغناء عنها، كما جرت

1_ سورة الإخلاص: الآية 1

2_ سورة الأعراف: الآية 180

* يرى الفلاسفة أن القياس العقلي هو استنباط المجهول من المعلوم، كاستخلاص الصانع من الصنعة، وبين أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع وحث عليه، هو أتم أنواع النظر بأتم أنواع القياس، وهو المسمى "برهاناً" ينظر: ابن رشد. كتاب فصل المقال، ط2، دار المشرق، لبنان، دت. ص: 28.

3_ ينظر: محمد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي. ص: 71

φ. خلص علماء المسلمين إلى القول بمشروعية الأخذ بهذا القياس في تحصيل المعرفة وتبليغها، وفي تحليل الخطاب اللغوي لما لهذا الخطاب من خصوصيات ومميزات لا يوفي بها الطريق الاستنباطي. ينظر: طه عبد الرحمن. في أصول علم الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 97. 98.

4_ محمد العبد. النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع. ص: 23

5_ محمد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 71.

- الآليات الحجاجية -

العادة في التعاليم..⁽¹⁾ من خلال هذا التعريف يتضح أن معيار القياس المضمّر هو قياس محذوف المقدمة، وهي عادة المقدمة الكبرى .و على المتلقي أن يسلمّ بها جدلاً لكي يتحقق الهدف من الخطاب الحجاجي، يقول (وليم برانت) "إذا لم يقبل المخاطب المقدمة الكبرى كان الحجاج -إذ ذاك - سدى⁽²⁾ . وهو قياس ناقص الأركان، حيث تحذف إحدى مقدماته، إذ تبنى المقدمّة المحذوفة على القولين الآخرين بشرط وجود قرينة بينهما. ؛ إذ يعدُّ أسلوباً من بين ثلاثة أساليب .استدلالية عرفها المتكلمون المسلمون وبحثوها في مناظراتهم ورسائلهم و هي :**القياس والاستنباط والاستقراء** .⁽³⁾ ويعدُّ القياس، ضمن قاعدة التعميم، من بين القواعد^(*) التي بها يتمُّ بناء الاعتقاد على جملة من البيّنات⁽⁴⁾ والذي ينتقل بالمعتقد مما شاهده من الأشياء إلى إجراء صفاته فيما لم يشاهده، أو لا يمكن له مشاهدتها .ومن أمثلة القياس المضمّر نجد قوله : **بعد أن سُئِلَ (ﷺ) (5) عَنِ الْإِيمَانِ، "...فَمَنْ اشْتَأَقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَّبَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ، وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ....فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أَنْوَفَ الْمُنَافِقِينَ ، مَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَمَنْ شَنِىءَ الْفَاسِقِينَ وَعَظِبَ اللَّهُ عَظِبَ اللَّهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.** " نستخرج من الخطبة السابقة مجموعة من القياسات المضمرة أوالمقتضبة الذي مبناه قائم على الإيجاز والإضمار والحذف .والصورة الكاملة لهذا القياس على الشكل الآتي:

- القياس الأول: [وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَّبَ الْمُحَرَّمَاتِ]

-المقدمة الكبرى المضمرة: المؤمن الحق يشفق من النار	ن
-المقدمة الصغرى المذكورة: وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ اجْتَنَّبَ الْمُحَرَّمَاتِ	م
-النتيجة: المؤمن الحق يجتنب المحرمات	م

1_ طه السباعوي. أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1426، 2001، ص: 226

2_ محمد العبد. النص والخطاب والاتصال، ص: 222

3_ طه عبد الرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص: 97

* من بين القواعد التي يتوسل بها لبناء الاعتقاد قاعدة الخبر التي تجعل المعتقد يصدّق بما أخبره به غيره، لأن هذا الغير

عوده أو لعدم قيام مانع لتصديقه .ينظر طه عبد الرحمن :العمل الديني وتجديد العقل . ص . 74

ونتذكر في هذا المقام قصة تصديق أبي بكر بن الصديق للرسول عليه الصلاة والسلام لما أسري به إلى بيت المقدس وأعرج

به على السموات العلى، فصدّق خبره رغم أنه لم يشاهده، فقال كيف تصدقه في خبر السماء ولا تصدقه في هذا؟!

4_ من بينات الاعتقاد :شهادة الحس، المسلّمات، المنقولات بالتواتر، أو الأشياء المعلّلة بعلة مناسبة . ينظر: طه عبد

الرحمن :العمل الديني وتجديد العقل .ص: 73

5_ الإمام علي . نهج البلاغه، تحقيق فارس الحسون قصار الكلام رقم 27

- الآليات الحاحية -

- القياس الثاني : [فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ]

- المقدمة الكبرى مضمره : المؤمن الحق يأمر بالمعروف	ن
- المقدمة الصغرى مذكورة : فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ	م ص
- النتيجة: المؤمن الحق يشد ظهور المؤمنين	م ك

- القياس الثالث : [وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ .]

- المقدمة الكبرى مضمره : المؤمن الحق يزهد في الدنيا	ن
- المقدمة الصغرى مذكورة: وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا اسْتَهَانَ بِالْمُصِيبَاتِ	م ص
- النتيجة: المؤمن الحق يستهين بالمصيبات	م ك

- القياس الرابع : [وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ .]

- المقدمة الكبرى (مضمره) : المؤمن الحق يرتقب الموت	ن
- المقدمة الصغرى (مذكورة) : وَمَنْ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ فِي الْخَيْرَاتِ .	م ص
- النتيجة: المؤمن الحق يسارع في الخيرات	م ك

إلا أنه لا يكون السبيل إلى معرفة المقدمة الكبرى إلا بالاستنباط والحذف، ففي القياس المنطقي لا بد من قبول المخاطب للمقدمة الكبرى وإلا كان الحجاج عبثاً، وفي القياس المضمر يسلم جدلاً بتلك المقدمة (1) و نفهم من ذلك أن وظيفة القياس الخطابي في الخطاب الحجاجي الطبيعي هي الانتقال مما هو مسلّم به (المقدّمات) عند المخاطب إلى ما هو مشكّل (النتيجة) و من أمثله نجد:

- الحجاج القياسي بالخلف (التعارض و التضاد):

وهو من أنواع القياس ويعرف بأنه: " تتبين فيه المطلوب من جهة تكذيب نقيضه، فيكون هو بالحقيقة مركباً من قياس اقتراني وقياس إنشائي" (2) فالمنهج القياسي البرهاني وليس البرهاني القياسي إستخدمه القرآن الكريم في عدة مواضع منها على سبيل المثال ﴿أَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

1_ محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال ، ص:225

2_ طه السبعوي :أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، ص:223

- الآليات الحجاجية -

دليل التناقض: النتيجة المحصل عليها هو الدليل لأن: "الله سبحانه أمر عباده تَخْييراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُطْعَ مُكْرَهاً ، وَلَمْ يُرْسَلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزَلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، وَلَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً، (ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)

الإستنتاج : الفرضية خاطئة و عكسها هو الصحيح: الإنسان مخير في أفعاله

ب. **الحجاج القياسي(السببي) بالتقريع و التوبيخ:**

يعتبر هذا النوع وظيفة لازمة للحجاج ، لما في ذلك من إنزال للمعاند عن غيه وتسفيه لرأيه فيوظف الإمام حجة سببية (argument de cause). يقول الإمام عليه السلام لمعاوية: (1) : " ومَتَى كُنْتُمْ يَا مَعَاوِيَةُ ؟ سَاسَةَ الرِّعِيَةِ وَ وِلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَدَابِقٍ وَ لَا شَرَفٍ بَاسِقٍ وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لَزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ " . فقد وظف الإمام علي حجاج قياسي برهاني بتذكير المتلقي بتاريخه و تسفيه رأيه و بذلك قدم الإمام حجة سببية لإنزال المعاند عن تكبره.

<p>— المقدمة الكبرى: ساسة الرعية و ولاة أمر الأمة قدم سدابق و شرف باسق</p> <p>— المقدمة الصغرى: معاوية لا قدم سدابق و لا شرف باسق</p> <p>— النتيجة: معاوية ليس بساسة الرعية و لا ولاة أمر الأمة</p>	<p>↑ ن</p> <p>م ص</p> <p>م ك</p>
---	----------------------------------

ج. **الحجاج القياسي المضاد :**

يكون بتفكيك منظومة السؤال ورده بسياق توضيحي يقوم على النقض والرد المؤكد إن عامل المقوم الرياضي الذي يُستدل عليه استدلالاً قويا ، لأنه لا يعبر على نحو مباشر، إلا بالنسبة إلى المتلقي النابه. إن الذهنية الرياضية النشطة، لعلي عليه السلام ، تنعكس تأثيراتها على تعبيراته الأدبية، وبنائه اللغوي والبلاغي للخطاب بصورة الإتقان ، إذ تتلاقى عبقرية اللغة العربية و عبقرية الإمام فيولد الإبداع و الإستدلال الذي لا يمكن أن يكون بعده إلا أن يقتنع المتلقي و يرضى بالحجة الدامغة، قال له عليه السلام (بعض اليهود : "ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ؟ فقال عليه السلام): "إنما اختلفنا عنه لا فيه و لكتكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قاتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . فقال إنكم قوم تجهلون" (2)

(هذا الخطاب هو خطاب موجه إلى متلقي عالم بالتاريخ إلا أنه جاحد و ناكر و خصم لدود للدين

1 _ الإمام علي . نهج البلاغه ، شرح ابن أبي حديد ، من كتاب 10، ص:80

2 _ المصدر نفسه ، ج، 18، ص:21

– الآليات الحجاجية –

الإسلامي مما استدعى من الإمام توظيف الحجاج القياسي التاريخي المضاد ، بالإعتماد على منظومة تفكيك السؤال ثم تقديم الحجة التاريخية و الدينية [قلب البرهان على صاحبه Retorsion] كما يأتي:

➤ القلب الجزئي للبرهان: ← بالتصويب اللغوي

- حجة اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه .
- حجة الإمام علي: إنما اختلفنا عنه لا فيه .

➤ القلب الكلي للبرهان: ← بالتصويب التاريخي

- حجة الإمام علي: توظيف الموروث الديني(*) و التاريخي مع النبي موسى (ﷺ):

[و لَكُنْكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى قَتَمْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ]

النتيجة: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ

إن قوة أفكاره (ﷺ)، و منطقته، و بلاغته و حجاجه التاريخي و الديني و اللغوي و القياسي المتمثل في حجة مقارنة (argument de comparaison) قارن فيها بين سلوك اليهود مع النبي موسى (ﷺ) و سلوك المسلمين مع النبي محمد (ﷺ). و الظاهر أن الإمام علي قد سبق كثيرا من علماء الغرب في اعتماده على الطريقة التفكيكية التعليمية المعروفة في العصر الحديث .

– نتائج الفصل :

- إن للبلاغة دور كبير في أداء الحجاج و لا يمكن الاستغناء عنها، فكل آلياتها ساعدت في تأسيس الحجاج و أدت إلى الإقناع في خطاب الإمام علي.
- إن أسباب تعدد آليات الإقناع والحجاج عند الإمام علي تكمن في تعدد طبيعة المخاطب.
- إن تحكم في وسائل الإقناع عند الإمام علي ناتج عن تعدد في مستوياته اللغوية ؛ بين أسلوب الإمام علي بخصوصياته وأسلوب القرآن بإعجازه. و أسلوب الحديث بإيجازه ووضوحه وأسلوب الشعر بشفافيته، و أسلوب الحكم و المواعظ بنواهيته و رجائه وأوامره.
- إن تكامل الخطاب الحجاجي يكمن في الممارسة الغوية و الإقناعية و الجمالية، فهي تكتنز الدلالة المؤثرة في السامع، على وفق ما يقتضيه المقام و حال المخاطب.

* ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ سورة الأعراف: الآية 128

– الآليات الحجاجية –

- تم بناء الحجج عند الإمام علي على سلمية متدرجة بمراعاة سياق التخاطب ، و المرجعيات الثقافية المشتركة بين المتخاطبين بما لا يتعارض مع القيم والعادات والمعتقدات السائدة .
- تميز الخطاب التداولي في نصوصه (عليه السلام) ، بمخاطبة ذكاء المتلقي وثقافته وخبرته الجمالية فكان له الأثر الكبير في إنتاج المعنى التأويلي و الإقناعي.
- تميز الحجاج في نهج البلاغة بالخروج عن المألوف اللغوي المتمثل بالخصام والمغالبة إلى لغة التوجيه والتنبيه، فقد صحح (عليه السلام) كثيرا من المسارات الخاطئة في التفكير العقائدي إزاء الخالق ، أو ما يتعلق بالمنهج التربوي و التهذيب الأخلاقي للسلوك الإنساني و البناء الثقافي بشكل عام ؛ فكان وجه المنفعة فيه يكمن في اتجاه المرسل إليه ؛ بتوجيههم إلى ما ينفعهم في دنياهم و آخرتهم . كل هذا يندرج ضمن لب التداولية (الإلتزام الحواري و مبدأ التعاون ...).

❖ **الفصل الثالث : تداولية الدرجة الثالثة
(الأفعال الكلامية في نهج البلاغة)**

● **المبحث الأول: الأفعال الكلامية**

- 1 _ الأفعال الإنجازية وفق منهج (أوستين)
- 2 _ الأفعال الإنجازية وفق منهج (سيرل)
- 3 _ القوة الإنجازية

أ. الأفعال المباشرة

ب. الأفعال غيرالمباشرة

● **المبحث الثاني : نماذج تحليل**

- 1 _ تحليل شامل للخطاب التواصلي
- 2 _ تحليل شامل للخطاب الأدبي

1.1 _ الأفعال الكلامية:

أصبحت نظرية الأفعال الكلامية بدءاً من العقد السابع من القرن العشرين من بين أبرز وأهم النظريات التداولية في مجال الدراسات اللسانية واللغوية المعاصرة ، بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة بجامعة (أوكسفورد) وهم : [جون أوستين (j. Austin) ، (جون سيرل (J.Searle) و(غرايس (Grice, h.p) ، انصب اهتمام هؤلاء الباحثين حول دراسة استعمال اللغة في الخطاب بدلاً من دراسة اللغة من خلال التركيز على التداولية، بما في ذلك القصدية وأهداف إلقاء الخطاب، و قواعد التخاطب ومبادئ التعاون الحوارية ، ومنطق التأديب؛ كل ذلك من أجل الفعالية الإجرائية و تيسيراً للعملية التواصلية . فأصبحت هذه النظرية "من أبرز ما تهدف إليه التداولية و أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية"⁽¹⁾ ، محاولاً في هذا البحث الإجابة عن التساؤل التالي: كيف تُسهّم هذه الإجراءات في فهم خطابات كتاب نهج البلاغة الإقناعي؟.

في هذه الدرجة التداولية سأعمل على مقارنة خطابات الإمام علي الإقناعية على المستوى بنية الخطاب الداخلية والخارجية ، انطلاقاً من رصد الأفعال الإنجازية بها ، من خلال مشروع (أوستين) و (سيرل) ، و لكون هذا التصنيف لا يمكن تعميمه كله على كل اللغات ؛ لأنه يتطلب بعض التعديل كلما انتقل من لغة إلى أخرى ، لذلك فإننا نضطر هنا إلى إدخال بعض التغييرات حتى تتماشى و خصوصية اللغة العربية ، معتمدنا في ذلك على دراسات بعض الباحثين التداوليين العرب، وكذا ما جادت به مباحث البلاغة العربية في هذا الميدان. و من خلال ذلك سيكون تحليلي للأفعال الكلامية مُركّزاً على ما في هذه الأفعال من العناصر المشكلة لها : [الفعل الإسنادي و الفعل الإحالي و الفعل الدلالي و الفعل الإنجازي] ، و سيكون العنصر الأخير [الفعل الإنجازي] النصيب الأوفر في هذا التحليل. و لما كانت نظرية أفعال الكلام هي جوهر اللسانيات التداولية أو لنقل : "هي النظرية بأكملها" ⁽²⁾ على اعتبار أنها تهدف أساساً إلى دراسة الفعل بوصفه [حركة] و [فعل] و [إنجاز] ، فقد عمد (أوستن) في كثير من الأحيان إلى تسمية نظريته بنظرية "الفعل الإنجازي" أو [النظرية الإنجازية] ⁽³⁾ ، هذه النظرية التي تُعدّ أهم مبدأ في فكره التداولي ، إذ إرتبط عنده ارتباطاً وثيقاً بمقصد المتكلم؛ مبيناً من خلاله نوعية الفعل الكلامي الصريح منه و الضمني ، مع محاولة تأصيلية لتجلياته في مباحث البلاغة العربية.

1 _مانغونو، دومنيك. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب،ص:7.

2 _مسعود صحراوي. التداولية عند علماء العرب ، ص:4

3 _ينظر: أوستين. نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) ،ص: 116 إلى 130

1_1_2_1 – الأفعال الإنجازية Acte illocutoire:

لقد اهتم (أوستن^(*)) بالفعل الإنجازي^(*) أكثر من الفعل اللفظي الذي لا ينعقد الكلام إلا به وأكثر من الفعل التأثيري الذي لا يلزم الأفعال جميعها، ومنها ما لا تأثير له في السامع أو المخاطب. ولكون [القصد] له دور مركزي في نظرية الفعل الكلامي، فعلى السامع في هذه الحالة أن يبذل الجهد الكافي للوصول إليه؛ لما للفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال، و من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي ك: (الوعد، والتحذير، والأمر...⁽¹⁾)، وكمثال لذلك نأخذ قوله ﷺ في أول خلافته: "اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ."⁽²⁾، إن أول ما يجب معرفته أن كل خطابات الإمام علي تندرج ضمن الأفعال الإنجازية و التأثيرية، لما في مضمونه من نصائح وتوجيهات وإرشادات؛ لغرض التقويم وتهذيب السلوكيات. و لكون (أوستن) قد صنّف النصح و الوصية ضمن الأفعال الإنجازية و قسمه إلى ثلاثة أقسام: [فعل القول – الفعل الانشائي – الفعل التأثيري] . و مع كون الفعل الإنجازي يشتمل على أمر زائد هو فعل [القوة Force] التي للقول؛ فيقال للعبارة السابقة في موضع أنّ لها قوة الخبر: [فإنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّىٰ عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ]، و قوة الأمر في قوله: [اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ..]، و في أخرى قوة الأمر و قوة التحذير: [أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ].... لذا اقترح^(*) (أوستن) تسمية النظرية القائلة بتنوع وظائف اللغة بـ: [نظرية القوى المتضمنة في القول] (Illocutionary Force)، و مع القيام بالفعل (أ) والفعل (ب)، ينشأ فعل (ج)، هو التسبب في نشوء آثار في مشاعر أو أفكار أو أفعال المخاطب، على نحو كان الفاعل؛ أي المتكلم قد عمد إلى إيجاده و يسمّى هذا الفعل: [الفعل الناتج عن القول]. مع العلم أن هذه التصنيفات ليست أفعالاً ثلاثة يستطيع

* _ أوستن، جون لانجشو. أستاذ بجامعة أكسفورد [ت1960] أشتهر بالفلسفة التحليلية أشهرها. Quant dire, C'est Faire.

• _ الفعل الإنجازي: هو الحدث الذي أوجده النطق سواء أكان هذا النطق اسماً أم فعلاً أم حرفاً، فعند ما أقول: جميل أو رائع فأنا أنجز فعلاً هو [المدح]، فالإنجازية هي ما يقصده المتكلم بقوله، وذلك بحسب السياق

1 _ مانغونو، دومنيك. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ط1. ترجمة محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، 2008 ص:7

2 _ الإمام علي. نهج البلاغة، تحقيق: فارس الحسون، خ 167

* _ اكتشف (أوستن) فيما بعد أن هناك جمل إنشائية لا تستند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، و لا تتضمن أي فعل إنشائي مثل (رُفعت الجلسة)، فوضع مفهومًا جديدًا مفاده: أن كل جملة تامة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل و هو مفهوم الأعمال اللغوية التي ميز فيها أوستن ثلاثة أنواع: العمل القولّي والعمل المتضمن في القول، وعمل التأثير بالقول. ينظر: أن رويول و جاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، ص:31

المتكلم أن يؤديها واحدة تلو الأخرى ، بل هي جوانب لفعل واحد " (1) . والنوع الثاني؛ أي [الفعل المتضمن في القول]؛ هو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنه "عمل ينجز بقول ما، وهذا القسم هو المقصود من نظرية الأفعال الكلامية برمتها" (2) ، ولما كانت جهود (أوستين) في المجال التداولي فعالة ومهمة من خلال تمييزه بين ثلاثة من الأفعال الكلامية السابقة الذكر [فعل القول ، الفعل الإنشائي ، الفعل التأثيري] ، فإننا سنركز على توضيحه من خلال الخطاب الوعظي في نهج البلاغة كما يأتي: "حكى عنه أبو جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) أنه قال (3) (عليه السلام): "كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمْ الْأَخْرَ فْتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالْأَسْتِغْفَارُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾" ، نجد في هذا الخطاب أفعالاً متواضعا عليها ، و متداولاً معانيها الأصلية؛ أي يطابق لفظها معناها مباشرة ، وهي تُحيل إلى أربعة أفعال في الوقت نفسه:

1_2_1- فعل القول (Acte d'énonciation) :

هو فعل التلفظ بالكلمات والجمل ويكون الوصف والإخبار هو الذي يميزه عن غيره من الأفعال - فالقول هنا - يعني مجرد التلفظ بالفعل أو بالمقول عامة: [كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمْ الْأَخْرَ فْتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)] ، وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالْأَسْتِغْفَارُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾] ، من خلال ما سبق نخلص إلى أن الأفعال [كَانَ - رُفِعَ] هي أفعال قول تلفظ بها المتكلم لإيصال أو وصف ، أو إخبار شيء ما لجمهور المتلقين ، وهي أفعال تحقق مع قولها أمران إثنان ؛ أما الأول : فهو [القول ذاته] ، وأما الثاني : فهو محمول القول [فعل الإسناد Acte propositionnel] ، إذ يربط الصلة بين المرسل والمرسل إليه؛ أي إسناد معنى القول إلى الطرف الآخر: [كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمْ الْأَخْرَ فْتَمَسَّكُوا بِهِ أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ)]. وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالْأَسْتِغْفَارُ ..]

1 _ ينظر : محمود نحلة . آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص: 67

2 _ ينظر : مسعود صحراوي . التداولية عند العلماء العرب، ص: 56

3 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ، شرح ابن أبي الحديد ، ج19، ح:4

_ الأفعال الكلامية _

الطرف الآخر (المسند إليه)	معنى القول (المسند)
_ الضمير (هو) يعود إلى الله ﷻ	_ قد رفع.....
_ الضمير أحد (هما): أحد الأمانين	_ أحدهما.....
_ الضمير (كم): المرسل إليه المسلمون	_ دونكم الآخر.....
_ الرسول (ﷺ)	_ الأمان الذي رفع.....
_ الاستغفار	_ الأمان الباقي.....

مما سبق الإشارة إليه، يتبين أن الفعل [كَانَّ _ رُفِعَ] هو فعل قول؛ تلفظ به الإمام علي تعبيرا ووصفا لمدى رحمة الله بعباده ممن يقنط بوفاة الرسول (ﷺ)، الذي أنزله الله رحمة للعالمين ونسي رحمة أخرى هي رحمة الاستغفار، و عليه قد تحقق فعل القول؛ أي ظهر القول لجمهور المتلقين يسمعون أو يقرؤونه هذان الفعلان هما اللذان يحملان معنى الإخبار والتقرير والوصف.

1_2_2_1 - فعل الإنشاء (Acte performatif) :

يتحقق الفعل الإنشائي في القصد المتضمن في القول، إن كان (نصحا أو عرضا أو تقييما أو حكما...) و هو يعني الحدث الناجم عن التلفظ، والقصد المتحقق في هذا القول هو [ماقدمه الإمام علي من نصائح لرعيته بصفة خاصة و المسلمين بصفة عامة؛ بأن الأمان من غضب الله مرهون بالاستغفار]، و المتمثل في الفعل [فَدُونَكُمْ] [فَتَمَسَّكُوا بِهِ]؛ إن هذين الفعلين هما أفعال اتحد فيهما القول مع العمل والإنجاز في لحظة التلفظ بها؛ بأن الإمام في خطابه هذا [يعظ و يأمر و ينصح]؛ أي أنه خطاب توجيهي، قد يستجيب لها المتلقي لوجود أفعال التعاقد أو التشارك الذي يصحب هذا الإنجاز.

1_3_2_1 - فعل التأثير (Acte perlocutif) :

يتوقف فعل التأثير على المعنى الذي يعطى للقول، وله تأثير في نفوس المتلقين وتقويم سلوكهم بغية إحداث استجابة حسنة لديهم عن طريق الإقناع؛ لأن النفس البشرية تنفر من الأوامر الفوقية غير المبررة، فوجدت حجة ملحقة تزيد في الإيضاح، وتبلغ من التأثير حد الإقناع على الشكل التالي:

الطرح	الحجة
<p>كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا، فَدُونَكُمْ الْأَخْرَ فَنَتَمَسَّكُوا بِهِ: أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ). وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَالْأَسْتِغْفَارُ .</p>	<p>قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)</p>

فهذا الفعل [فَدُونَكُمْ الْأَخْرَ فَنَتَمَسَّكُوا بِهِ] ورد في قالبٍ متلطفٍ يؤثر في الوجدان والعقل؛ فرحمة الله واسعة تمسكوا بالاستغفار ، مع تدعيم هذا الطرح بشواهد دينية تمثلت في الآية القرآنية. من خلال هذه الخطوات أبرزنا أهمية هذه الأفعال الإنجازية المدعمة بشروط الملائمة .

1_4_2_1- شروط الملائمة : هي شروط تحقق الأفعال الإنجازية ؛ إذ يؤكد أوستين: " لكي يكون

المنطوق منطوقاً أدائياً ناجحاً لا بد أن يتم النطق به في ظروف ملائمة ."⁽¹⁾ ، وتسمى هذه الشروط

شروط الملائمة (Felicity Conditions) ، وحصرها في ثلاثة أنماط أساسية، كل نمط يحتوي على شرطين فهي إذن ستة شروط على النحو الآتي:

1_4_2_2- المستوى الأول : هي الشروط الأولية التي تحدد وضعية المتكلم التي تسمح له بفعل خطابي ما، وهذا التحديد جعله أهلاً لإصدار ملفوظه ، و أن يكون منجزه في وضع اجتماعي يخول له سلطة القول.

1_4_2_3- المستوى الثاني : [شروط الجدية للفعل الكلامي] ؛ بمعنى إلزام الصدق و الإخلاص وهي من الشروط التي تدخل في تمام البلاغة والإرسال ، والتي تتوفر على نية و قصد المتكلم حتى يتمكن من إيصال الفكرة والتأثير في نفوس المتلقين وسلوكاتهم ، وقد أضاف (أوستين) إلى هذه الشروط شرطاً آخر وهو شرط الصدق (Sincerity)؛ أي أن تتوفر لمشاركين المشاعر والأفكار والنوايا الأساسية⁽²⁾؛ ويتجلى ذلك في قول الإمام الموجه إلى من يحرس على فلاحهم: " الحَذَرُ، الحَذَرُ ، فَوَ اللَّهِ لَقَدْ سَتَّرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَّرَ"⁽³⁾ ، فالإمام هنا يسدي لهم من النصح و التوجيه بكل إخلاص ، فينبههم من غضب

¹ _ أن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، ص:33

² _ محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:4

³ _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ج 19 ، الحكمة :47

- الأفعال الكلامية -

المولى عزّ وجلّ من عذابه، موظفا عناصر التوكيد؛ كالتكرار في لفظة [الحذر الحذر] الذي يساعد على نعت الانتباه و ترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي .
فالإمام قدم لهم ثمرة تجربته في علاقته مع الله عز وجل، فلا يعيش معية الله إلا من أدرك رحمته وستره. فتظهر بوضوح الظروف الملائمة بشرطها كالأتي:

الشرط الأول (وضعية المتكلم)	الشرط الثاني (شرط الصدق ((Sincerity))
<p>_ الإمام علي له من السلطة المعنوية والاجتماعية و الدينية ما يكفيه وما يخول له سلطة القول لإصدار ملفوظه ، فهو إمام المسلمين و خليفتهم و هذا التحديد جعله أهلا لإصدار الأوامر الحذر الحذر (احذر احذر).</p>	<p>_الإمام مضرب الصدق و الإخلاص و هذه ميزة من من ميزات خطاب الإمام علي فهو الصادق الصدوق بالإضافة إلى دعم ملفوظه بأدوات التوكيد(القسم [فَوَ اللَّهِ] [لَقَدْ].</p>

1_5_2_1 - القوة الإنجازية:

ركز (أوستين) بتصنيف الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية إلى خمسة أصناف :

_ أفعال الحكم Verdictifs

_ أفعال الوعد Promissifs

_ أفعال الممارسة Exercitifs

_ أفعال السلوك Comporatifs

_ أفعال العرض Expositifs

و من أمثلة ذلك عن **أفعال الممارسة** في نهج البلاغة رُوِيَ أَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رَفَعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللَّهِ أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَالْآخَرُ مِنْ عُرُوضِ النَّاسِ. فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): **أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ وَلَا حَدَّ عَلَيْهِ مَالُ اللَّهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ فَقَطَعَ يَدَهُ.**"⁽¹⁾، وهي توضح علاقة أقوالنا بالمحادثة أو المحاجة الراهنة، ومن أمثلتها: [أثبت، أنكر، أجب، اعترض، تأكد، استنبط، شرح، وصف، صنف ..]⁽²⁾ [لا حدّ عليه] برأ أحدهما باعتباره عبدًا لبيت الله ؛ أي مال الله أكل بعضه بعضا، وقد نفذ الحكم في الآخر؛ كونه إنسانا حراً أخذ من بيت الله بإنجاز الأمر [**بقطع يديه**]، ويتضح ذلك على الشكل التالي:

1 _ الإمام علي نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد، الحكمة 271

2 _ ينظر:طالب سيد هاشم الطبطبائي. نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، الفكر العربي

المعاصر، مركز الإنماء القومي، لبنان 1998 . 1999، ص:10. 11.

الحجة	مضمونه	الفعل الإنجازي
ممارسة سلطة الخليفة	العفو عن العبد الأول	لا حد عليه
بالإنصياح لأوامر الله، و تطبيق الشريعة،	إدانة العبد الثاني والأمر بقطع يده	الأخزُ فَعَلَيْهِ الحُدُّ الشَّدِيدُ فَقَطَعَ يَدَهُ

جاء (سيرل^(*): *J.Searle*) سنة 1972 ليكمل ما بدأه أستاذه (أوستين) ، فأعاد النظر^(١) في تصنيف (أوستين) للأفعال الإنجازية ، فبين ما فيها من ضعف، وقدم تصنيفا بديلا حصرها" عبر تصنيفها لها في خمسة أصناف تبعا لمفهوم قوتها الإنجازية⁽¹⁾ ، وهو التصنيف الذي أعتمده في التحليل باعتباره الأكثر تطورا و نجاعة ، و قد عدّه الدرس اللساني أفضل ما توصل إليه البحث التداولي في جانبه الإجرائي ؛ ولذلك _ أرى _ إعتقاد هذه الخماسية المتطورة في بداية التحليل: [التقريريات(الإخباريات)] [التوجيهيات (الأمريات)] [الالتزاميات (الوعديات)] [التعبيريات(البوحيات)] [الإعلانات (الإيقاعات)] . و لكون التحليل يعمل على الخطاب الإقناعي؛ فإني سأحاول دمج قوة الحجاج و الإقناع مع هذه التصانيف بحسب قوة إنجازها و تأثيرها، و لكون الخطاب في نهج البلاغة خطاب ديني في معظمه فهو حمّال أوجه، إذ يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أصناف بحسب درجة المتلقي، وحسب الرسالة الموجهة إليه كما وضحه محمد العمري: " فإما أن يكون المتلقي خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه، وهذه الحالة تقتضي خطابا تعليميا، وإما أن يكون غافلا عما ينتظره متناسيا لما تعلمه ويكون الخطاب خطابا وعظيا وإما أن يكون مخالفا جاحدا لوجهة نظر المرسل والحالة هنا تقتضي خطابا حجاجيا⁽²⁾ ؛ كما هو واضح في ما يلي:

* سيرل: *J.Searle (1932)* فيلسوف أمريكي و هو أستاذ بجامعة (هارفاد) يعتبر من مؤسسي تداولية أفعال الكلام

وهو تلميذ (أوستين) من أعماله: *Les actes des paroles indirects, Sens et expression...*

١ _ يرى (سيرل) أن اختلاف الهدف هو من الفعل اللغوي فقد يختلف الهدف من الأمر على أنه جعل المستمع يفعل شيئا ، والهدف من الوعد هو تعهد المتكلم بإلزام نفسه أن يفعل شيئا وهكذا، فالهدف الإنجازي من [الأمر] هو ذاته الهدف الإنجازي للطلب، كلاهما يجعلان المستمع يقوم بفعل شيء ما. ينظر: محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص45

1 _ ينظر: عبد الحق ، صلاح إسماعيل . التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر . بيروت . لبنان . ط1 ، 1993. ص: 224.

2 _ محمد العمري. في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص: 36.

خطاب تعليمي	خطاب وعظي	خطاب حجاجي
_ المتلقي خالي الذهن	_ المتلقي غافل متجاهل	_ المتلقي مخالف جاحد

1_2_5_1- التقريريات (الإخباريات) Assertives:

الهدف منها تقرير حقيقة أو جملة من الحقائق، و يتعهد المرسل بدرجات متنوعة بأن شيئاً ما هو واقعة حقيقية و بصدق القضية ، ولنجاح هذه التقريريات يشترط حيازة المتكلم على شواهد ترجح صدق محتوى القضية التي يقررها ، وفي هذا نجد قوله (ﷺ) في رسالة وجهها إلى معاوية (1) ردا على مكتوب: "أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ أَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقَتْهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، فَدَعَاهُ الْهُوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لِأَغْطَا ، وَضَلَّ خَابِطاً ." إن الخطاب في هذه الرسالة يتجه بالخصوص نحو المتلقي (معاوية بن أبي سفيان) ، المتمرد على الدولة الإسلامية وعلى خلافة الإمام علي، و الخطاب في هذه الحالة خطاب حجاجي؛ لأنه موجه إلى شخص مخالف جاحد . إذ دعم الإمام خطابه بمختلف الحجج و الإقناع ، فبعد تبصر و تمعن من الإمام في الرسالة و في سلوك المرسل إليه معاوية؛ فإنه أرسل (تقريراً Assertives) ؛ ليحكم من خلاله بأحكام تتعلق بشخصية المرسل (معاوية) تعليقا على الرسالة و وصفا لمضمونها ، انطلاقاً من المعلومات المشتركة بين المتكلم و المستمع. و هي [الشروط الأساسية] التي تتكون من [الأفكار و المقاصد]، ف " من يقرر فهو يعبر عن اعتقاد و من يعد فهو يعبر عن نية و من يصدر أمراً فهو يعبر عن رغبة أو إرادة " (2) ، وهدف هذه التقريريات (الإخباريات Assertives) هنا هو تقرير جملة من الحقائق ، يخبر فيها الإمام عن ضعف شخصية معاوية الثقافية و المعرفية من خلال وصف مضمون الرسالة ، فهذه التقريريات تجعل المتلقي في جو من المقارنة بين عبقرية الإمام علي ، و بين شخصية معاوية ؛ فتضعف هذا الأخير و تقلل من شأنه. و رغم عدم إطلاعنا على فحوى رسالة معاوية، إلا أنه يمكن إستخلاص مضمونها من خلال دقة هذا التقرير الوصفي ، كما شرحها ابن ابي الحديد" موعظة موصلة، أي مجموعة الألفاظ من هاهنا وهاهنا، وذلك عيب في الكتابة والخطابة، وإنما الكاتب من يرتجل فيقول قولاً فصلاً، أو يروى فيأتي بالبديع المستحسن، وهو في الحالين كليهما ينفق من كيسه، ولا يستعير كلام غيره .والرسالة المحبرة المزينة الألفاظ، كأنه بذلك (رضي الله

1_ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد، ج14، خ7، ص:41

2_ طالب هاشم طبطباي. نظرية الأفعال الكلامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: 98. 99 سنة. 1992، ص:70

هذه) يشير إلى أنه كان يظهر عليها أثر التكلف والتصنع و التتميق التزيين أيضا . وهجر الرجل، أي هذى،..."(1) و من خلال المعرفة المشتركة بين قطبي الرسالة [معاوية والإمام] و بين [الإمام والقارئ] مع وجود [السياق والبراهين الموظفة] ، كل ذلك سيكون له قوة تاثيرية على المتلقي الخاص و المتلقي العام بالإيجاب على الإمام و بالسلب على معاوية.

1_2_2_5- التوجيهات (الأمرات) Directives :

يتمثل هدفها في توجيه المرسل إليه إلى فعل شيئا ما، و يحاول المرسل تحقيق هذا الهدف بدرجات مختلفة تتراوح بين [اللين والإغراء والاقتراح أو النصح] و بين [العنف والشدّة] وذلك بالإصرار على فعل الشيء ، ويشترط فيها بأن يكون مقتضى الأمر مستقبلا، وأن يكون المطلوب منه قادرا على الانجاز . ومن ذلك نجد وصيته (ﷺ) (2) لعسكره قبل لقاء العدو بصفتين: "لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ، فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِأَيْدِي اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعَوَّرًا (3)، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح (4)، لَا تَهْجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى، وَإِنْ شِئْتُمْ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَبِّبْنَ أَمْرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ". هذا الخطاب هو خطاب تعليمي وعطي ؛ وهو الذي يكون فيه المرسل والمتلقي في حالة عطاء وتقبل ، فإن تحقق ذلك كان الخطاب ابتدائيا ، وهو أظهر في الرسائل منه في الخطب، وهو خطاب إنشائي بالدرجة الأولى، مع مراعاة الجانب الجمالي، ويكون اهتمام المرسل فيه منصبا على إحصاء الأوامر والنواهي، لا الجدل؛ بحكم تعامل أمير المؤمنين مع رعيته ، إلا أن روحها مفعم بالخير و الرحمة و النصح ؛ لما تحمله من قيم دينية و إنسانية سامية التي يمكن إدراجها ضمن أفعال السلوك المتعلقة بالتصرفات و السلوك الاجتماعي ؛ لأن رسالة أمير المؤمنين رغم قصرها إلا أنها تتضمن توجيهات قيمة مستمدة من المرجعيات الإسلامية [لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ] و هو قول إنجازي مفاده [النهي المشروط للمبادرة في القتال] ، وهي تبعث بفعل

1 _ شرح ابن أبي الحديد، ج14، خ7، ص:41

2 _ نهى أصحابه عن البغي والابتداء بالحرب ، وقد روي عنه أنه قال : ما نصرت على الأقران الذين قتلتهم إلا لأني ما ابتدأت بالمبارزة ونهى - إذا وقعت الهزيمة - عن قتل المدبر ، و الإجهاز على الجريح ، وهو إتمام قتله . قوله ﷺ: " وَلَا تُصِيبُوا مُعَوَّرًا " هو من يعتصم منك في الحرب بإظهار عورته لتكف عنه ، ويجوز أن يكون المعور هاهنا المريب الذي يظن أنه من القوم وأنه حضر للحرب وليس منهم ، لأنه حضر لأمر آخر . قوله عليه السلام : " وَلَا تَهْجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى " ، أي لا تحركوهن . ينظر : شرح ابن أبي حديد، ج 15 ، ص:104

3 _ المُعَوَّر . كمجرم .: الذي أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها، وأصله أَعْوَرَ : أبدى عورته.

4 _ أَجْهَرَ عَلَى الْجَرِيح: تم أسباب موته.

- الأفعال الكلامية -

الإلزامي صريح ، و لكون شخصية الإمام علي (كرم الله وجهه) ذات سلطة رسمية (أمير المؤمنين ، و رابع الخلفاء الراشدين) وسلطة معنوية: (من العشرة المبشرين بالجنة ، وعايش الرسول وتربى في كنفه) ، فهو بذلك له كل الصلاحيات التي تخوله لإصدار هذه الأحكام حكما نهائيا أو تقديريا .

الأمرات Directives	زمن الأمر	قدرة المطلوب على الإنجاز
<p>لَا تَقَاتِلُوهُمْ وَلَا تُصِيبُوا وَلَا تُجْهِزُوا لَا تَهَيِّجُوا</p>	<p>بدءا من لحظة التلفظ إلى المستقبل</p>	<p>للمطلوب القدرة على الدفاع عن النفس ، و محاربة الفئة التي تبغي و لأنه أمرهم بأوامر و نواهي الله الذين يبدأون بالقتال هي الفئة الباغية ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.</p>

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله (عليه السلام) لكميل بن زياد النخعي: "مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ ، وَيَدْلِجُوا فِي حَاجَةٍ مِنْ هُوَ نَائِمٌ"⁽¹⁾ ، هذا النص من الخطاب التعليمي الذي يقل فيه الحجاج ، فنجد الفعل الكلامي : [مُر]، قد تكوّن من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [مُر] وموضوعه الفاعل المستتر [أنت] إحالة إلى [لكميل بن زياد النخعي] بالإشارة إليه بالضمير المستتر [أنت]، والأمر الذي يحيل إلى الإمام علي . أما الفعل الدلالي فهو يتشكل من قضية غفل الناس عن أدائها و خاصة الأغنياء منهم ، و هذا يتطلب الاستلزام المنطقي أن يتدخل الإمام علي ، فيأمر (كميلا) ليوصي أهله بمواصلة أعمال الخير. أما الفعل الإنجازي فهو يتشكل من قوة إنجازية حرفية تمثلت في الأمر. [مُر] و هو فعل أمر صريح ؛ صدر من أعلى رتبة إلى أدنى رتبة ، في حين نجد أن القدرة على الإنجاز تدرج ضمن سلوكيات المسلمين ، و واجباتهم الإنسانية و الدينية.

1_2_5_3- الالتزاميات (الوعديات): Commissives.

الهدف من الالتزاميات هو التزام المرسل بدرجات متنوعة بفعل شيء ما في المستقبل مبنية على شرط الإخلاص و تعهد المتكلم، و أن يكون قادرا على الوفاء بفعله الإنجازي . كقوله (عليه السلام) "وَسَأْمِسُكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً فَأَخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ"⁽²⁾. فالعبارة تدرج ضمن الخطاب الوعظي ؛ لأن المتلقي غافل متجاهل ، مما اضطر بالإمام علي . في نهاية خطابه - أن يلتزم و يتعهد للمرسل إليه باتخاذ الإجراء اللازم إذا ما تجاوز الأمر حده ، و لم تلتزم الأطراف المتصارعة حدود الشرع ، و الحفاظ على أمن المسلمين.

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج19، ح254، صص: 99 - 100

2 _ (وأخر الداء الكي) وفي بعض النسخ الكي: كناية عن القتل.

فالفعل الكلامي :[سَأْمَسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَأَخِرُ الدَّوَاءَ الْكَيُّ] ؛ يتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [سَأْمَسِكُ الْأَمْرَ] المشروط بفعل إسنادي آخر [مَا اسْتَمْسَكَ]، وموضوع الفعل الأول مفعوله الظاهر [الامر]، و فعل إحالي يحيل إلى [الامر] بالإشارة إليه بالاسم والضمير المتصل [الكاف] ، الذي يعود على المتكلم [الإمام علي] ، أما الفعل الدلالي فهو يتشكل من موضوع تسببت فيه الإضطرابات السياسية التي مست المجتمع الإسلامي مع وفاة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) و هذا يتطلب الاستلزام المنطقي المتمثل في تدخل الإمام علي كخليفة و أمير المؤمنين بتوجيهات وتعهدات ، موظفا الحجة و الدليل المؤسس على التقرير المقدم في بداية الخطاب.

لقد عمل (سيرل) على تطوير شروط الملاءمة عند (أوستين) ، إذ يرى أن [شروط المحتوى القضوي] يتحقق في فعل الوعد فمثلا ، إذا كان دالا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه. في حين أن [الشرط التمهيدي] يتحقق إذا كان المتكلم قادرا على انجاز الفعل، و أما [شرط الإخلاص] يتحقق حين يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل ، فلا يقول غير ما يعتقد ، ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع فعله . أما [الشرط الأساسي] فيتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل" (1) و يمكن إبراز ذلك في مايلي:

فعل الوعد	زمن تقدير التنفيذ	القدرة على الوفاء
_ سَأْمَسِكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ	_ المستقبل القريب	المتكلم: هو أمير المؤمنين له سلطة التنفيذ _ اشتراط مسك الأمر باستمساكه

1_2_5_4- التعبيرات(البوحيات) Expressives :

هدف التعبيرات أو البوحيات هو التعبير عن حالة نفسية محدّدة بشرط عقد النية والصدق في محتوى الخطاب عن تلك الأمور المحددة ، و من كلام له ﷺ في ذم أهل العراق قوله : "... أَمَا وَ اللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمْ إِخْتِيَارًا وَ لَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ [أَتَيْتُكُمْ] سَوْقًا وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ فَأَتَلَكُمُ اللَّهَ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذَبَ أَعَلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوْلُ مَنْ صَدَّقَ بِهِ كَلًّا وَ اللَّهِ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيَلْمُهُ كَيْلًا بغيرِ ثَمَنِ لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ" (2) هذا هو خطاب حجاجي موجه إلى متلقي جاحد ، لذلك دعم الإمام خطابه بما يفى من

1 _ محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص:45

2 _ الإمام علي. نهج البلاغة، شرح ابن أبي حديد ، خ 70 ، ص:128

- الأفعال الكلامية -

الحجج و البراهين ، [فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ بِهِ كَلًّا وَ اللَّهُ لَكِنَّهَا لَهْجَةً غَبِثُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيَلْمُهُ كَيْلًا بَغِيرِ ثَمَنِ لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ] معتمدا على السند التاريخي و السلالم الحجاجية و من ذلك ما يلي:

_ الإمام علي صادق لا يكذب	ن	
_ نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ بِهِ	↑	2 ق
_ أَلَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ		1 ق

و هو تدرج منطقي ، بدأها بالإيمان بالله ثم برسوله ، مدعما ذلك بالسند التاريخي الذي يثبت صدقه كما عبر الإمام عن عقد النية و الصدق كـ: [افتراضات مسبقة] ، ويرى التداوليون " أن الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والإبلاغ ، ففي التعليميات (didactique) تم الاعتراف بدور الافتراضات المسبقة كقاعدة تداولية للتعليم بالكفاءات ، إذ ينظم عادة من المكتسبات السابقة .."⁽¹⁾ كذلك في قوله ﷺ "...وإن أخوف ما أخاف عليكم :اتباع الهوى، وطول الأمل، تزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحوزون به أنفسكم غداً."⁽²⁾ فالإمام علي حريص على رعيته محبا لها الخير و الفلاح؛ فصرح بذلك بصدق و إخلاص.

1_2_5-5 الإعلانات (الإيقاعيات) Declaratives :

الهدف من الإعلانات جعل العالم يطابق الخطاب و الخطاب يطابق العالم، و هذه هي "سمتها المميزة في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي ، وكما أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم"⁽³⁾ فالبوح إذا هو " تعبير عن خلجات النفس وأشواقها وتحويل لمكونات القلب ، في صورة كلامية فهو ليس إلا توصيفا لموقف نفسي ، ولذلك أدخلوا في ذلك باب التهنة والتعزية، و الترحيب التذمر ، واللوم والاعتذار ، وما يجري هذا المجرى ، مما تحبه النفس أو تنفر منه ، أو تقابله بإحسان ما⁽⁴⁾ ، و من أمثلة ذلك : قول الإمام في كتاب له (ﷺ) إلى معاوية⁽⁵⁾ : " إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ

1 _ نعمان بوقرة. اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث ، عمان، 2009.ص:374

2 _ الإمام علي. نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد ،مج1، خ28 ، ص:218

3 _ محمود أحمد نحلة . آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص:5

4 _ ينظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي . نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، منشورات

جامعة الكويت ، د.ط ، 1994 ، ص:73

5 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد:ج14،خ6، ص:36

وَالْأَنْصَارِ، فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضَى، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْنٌ أَوْ بَدْعَةٌ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاةُ اللَّهِ مَا تَوَلَّى...." فالفعل الكلامي: [إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ] . ادرج هذا الفعل الكلامي ضمن الخطاب حجاجي، فهو موجه إلى متلق عنيد وخصم للإمام ؛ بحاجة إلى كثير من البراهين، لذلك نجد الإمام علي قد وظّف الشاهد التاريخي [إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمَ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ] و السند الشرعي، [إِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضَى، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْنٌ أَوْ بَدْعَةٌ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَاةُ اللَّهِ مَا تَوَلَّى....] ، بالإضافة إلى الروابط الحجاجية و خاصة أدوات التوكيد فقد وُظفت [إِنَّ] ما لا يقل عن سبعة مرات ، هذا التوكيد أعطى قيمة حجاجية عالية في الإثبات و التقرير. فالقوة الإنجازية تتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [بَايَعَنِي] وموضوعه الفاعل المستتر [هم] و الضمير المتصل [الياء] ، و الفعل الإحالي فيه [القوم] بالإشارة إليه بالضمير المستتر [هم] والضمير المتصل [ي] الذي يحيل إلى الإمام علي ، أما الفعل الدلالي فهو يتشكل من قضية تمرد معاوية، و هذا يتطلب الاستلزام المنطقي بالبرهنة على شرعية خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، موظفا الحجة و الدليل: [الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ،....]. فالبوحيات عند الإمام علي (رضي الله عنه) لها نصيب من تلك الخلجات. كما يبوح بصدق متعلق بنفسه و إخلاص منه بأسفه لهذا الصراع و من هذا التفرق الذي حاول خصوم الإمام فرضه ، و من هنا ، فإن هذا البوح ناجح في تداول القلبيات، وهذا ما حرصت على تحقيقه في الخطاب الإقناعي عند الإمام علي ، ففي الجمل الآتية نجد أن هناك ربطا وثيقا سواء أكان معنويا أم لفظيا بين المتكلم و مستمعيه. يقول (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (1) لابنه الحسن : " لا تدعون إلى مبارزة فإن دعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ ، و الباغى مصروع ". (*) و للتطبيق التفصيلي في ما أشار إليه (سيرل) نجد أن الفعل الكلامي [لا تدعون]

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد،: ج 19 ، الحكمة 230 ، ص: 60

* _ ما سمعنا انه عليه السلام دعا إلى مبارزة قط ، وإنما كان يدعى هو بعينه ، أو يدعو من يبارز ، فيخرج إليه فيقتله ، دعا بنو ربيعة بن عبد بن شمس بنى هاشم إلى البراز يوم بدر ، فخرج عليه السلام فقتل الوليد واشترك هو وحمزة عليه السلام في قتل عتبة ، ودعا طلحة بن أبي طلحة إلى البراز يوم أحد ، فخرج إليه فقتله ، ودعا مرحب إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله . فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق الى عمرو بن عبد ود فإنها أجل من أن يقال جليلة .

شرح ابن أبي الحديد. ج 19 ، الحكمة 230 ، ص: 60

- الأفعال الكلامية -

ويتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [تدعون]، وموضوعه الفاعل المستتر، و فعل إحالي إلى [إبنة الحسن] بالإشارة إليه بالضمير المضممر [أنت]، والضمير المتصل [التاء] في الفعل الإسنادي الثاني [دعيت]، و الضمير المستتر في الفعل [أجب]، بالإضافة إلى الإحالة إلى [المبارزة] بالإسم الظاهر وبالضمير المتصل [ها] في الإسم المجرور [إليها].

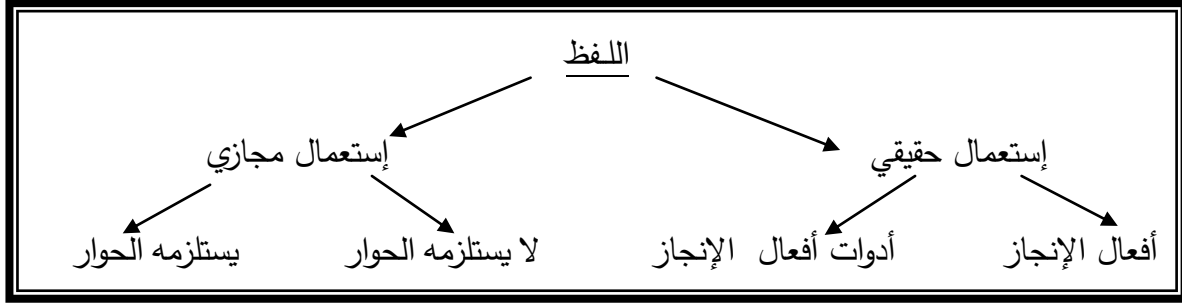
في حين أن الفعل الدلالي فقد تشكل من القضية التي تتمثل في اجتناب التفاخر و التباهي في المبارزة إلا إذا دعي لها ، و هي بذلك تتشكل من الاستلزام المنطقي، و هو النصح و التوجيه للإمام الحسين و معه كل المسلمين [على عدم التفاخر بالمبارزة إلا من دعي لها . أما الحجة و الدليل فتمثل في الفعل الإنجازي المؤكد [لا تدعون]، و جملة الشرط [فإن دعيت إليها] ، و الحجة [فأجب] فالنتيجة: (فإن داعي إليها باغ ، والباغى مصروع)، و عليه فالفعل الإنجازي يتشكل من قوة إنجازية حرفية وهي النهي: [أداة نهى + فعل مضارع]، و قوة إنجازية مستلزمة تتراوح بين النصح و التوجيه و الوعظ. كما هي موضحة على الشكل التالي:

الطرح:	الحجة:
_ لا تدعون إلى مبارزة ، فإن دعيت إليها فأجب	_ فإن داعي إليها باغ ، و الباغى مصروع

1_2_6_1 - الأفعال الإنجازية في بنية الخطاب:

يرتكز عملنا في بنية خطاب الإمام علي بمقاربة تتم على مستوى بنية الخطاب الداخلية (العلاقات الداخلية) ، انطلاقاً من رصد الأفعال الإنجازية ومعاني العبارات اللغوية: المباشرة و غير المباشرة، و مستوى بنية الخطاب الخارجية ؛ أي التفاعلات النصية التي تكون على مستوى تفاعل ذوات الخطاب مع المحيط الخطابي، أو القيمة الخارجية. يمكن تلخيص الأسلوب المباشر في كونه: " .. القول ينصب وجوده متى كان تطابق بين معنى الجملة والمعنى الذي يقصد المتكلم و ما يفهمه المستمع، أما الاستعارة فهي عكس ذلك" ⁽¹⁾ ومن انجازات (سيرل) في هذا المجال تقسيمه للأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة التي تطابق قوتها الإنجازية مقصود المتكلم ، وغير مباشرة، التي تستدعي ضرباً من ضروب المجاز والتلميح والتأويل . نوضحه في ما يلي:

¹ _ الجليلي دلاش.مدخل إلى اللسانيات التداولية،تر:محمد يحياتن،د. م . ج ،الجزائر،د.ط 1992 ، ص ص: 25 . 26



1_2_6_2- الأفعال الإنجازية المباشرة:

تنقسم الأفعال الإنجازية في الخطاب إلى أفعال مباشرة و أفعال غير مباشرة. إذ لاحظ الباحثون أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة . على العموم فالأفعال الإنجازية هي أفعال قليلة الاستخدام ، و تقتصر في الغالب على الأفعال المؤسساتية أو التشريعية ، ك: [التوكيل و التفويض والوصية و التوريث ...]؛ لأن الأفعال الكلامية إذا استخدمت غير مباشرة في هذه المواضيع سوف تؤدي إلى اللبس وضياح الحقوق. إذ يكون الفعل مباشرا إذا تطابق القول [الفعل Verbe] و[حكمة Mode نوع الجملة] مع [الإنشاء illocution] وعلى العموم هو الفعل الذي يغلب عليه جانب الواقع والحقيقة على جانب التأويل و المجاز وقد أعطى عبد القاهر الجرجاني مفهوما واضحا للإستعمال الحقيقي في قوله : "ضرب أن تتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده .." (1) وتتضمن أربعة عناصر لا يخلو منه الفعل المباشر لدى (سيرل) و هي [فعل القول Act D'enonciation : [هو مجموعة من الكلمات والجمل مرفق أي التلفظ بكلمات (بنى صرفية ، كلمات ، جمل) أما فعل الإسناد (Act Propositionnel) فهو ما يلقيه المتكلم للمخاطب أو مجموع المخاطبين، وذلك لربط الصلة بين المرسل والمرسل إليه، وهو إحالة مع الإسناد: فعل الإنشاء (Act Performatif) يمثل القصد المعبر عنه في القول قد يكون: نصيحة ، إشعارا ، تحذيرا ، تهديداً ، وعداً ، أمرا. (2) بغية تحقيق المقصود المعبر عنه و فعل التأثير (Act perlocutif) يتوقف على التأويل الذي يعطى لقول المتكلم التأثير في نفوس المتلقين وسلوكهم ؛ هذا مما لا يخلو منه الفعل المباشر لدى (سيرل) ، وهذا ما حرصت على تحقيقه في خطاب الإمام علي، ففي هذه الجمل الآتية نجد أن هناك ربطا وثيقا سواء أكان معنويا أم لفظيا بين المتكلم ومستمعيه.

1 _ ينظر :عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص:202

2 _ الجليلي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص ص:2625

_ الأفعال الكلامية _

يقول (ﷺ) : " ... أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر ، وارغبوا فيما وعد المتقين فإن وعده أصدق الوعد ، واقتدوا بهدى نبيكم فإنه أفضل الهدى ، واستنوا بسنته فإنها أهدى السنن ، وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث ، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب ، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور ، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص وإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله ، بل الحجة عليه أعظم والحسرة له أنرم ، وهو عند الله أوم ."⁽¹⁾ النص خطاب و عطي لأن المتلق غافل؛ فدعمت المطالب بالنتائج التي يمكن أن نلخص ذلك خلال الجدول التالي:

العناصر	ما يقابله في الخطاب
_ فعل القول	أفيضوا _ ارغبوا _ اقتدوا _ استنوا _ تعلموا _ تفقهوا _ استشفوا _ أحسنوا
_ الإسناد	_ محمول الفعل [فعل القول] الفاعل المستتر (أنا) الإمام علي فعل إحالي الشاهد من المسلمين بالإشارة إليهم بالضمير المتصل (الواو)
_ الإنشاء	_ الحث على الالتزام بتطبيق النوافل
_ التأثير	_ ربط القيام بالنوافل بسعادة في الدنيا وجائزة في الآخرة

يمكن في اللغة العربية إنجاز الفعل اللغوي بواسطة الأدوات ، لكن يجب أن تتوفر على شروط منها: حددها البلاغيون في ما يلي: أن تكون الأداة مختصة دلاليا، و أن تستوفي شروطها النحوية، و أن تتضمن البنية التحتية للخطاب [أنا] الدال على المتلفظ، وإنجاز الفعل في الآن ذاته، و أن تكون صيغة الفعل هي الصيغة المضارعة، و أن تكون مبنية للمعلوم.

هذه الأدوات تميز بين الصيغ الإنجازية و الخبرية ، ومن بينها : لا الناهية تعادل الفعل [نهى] و [لعل] للترجي ، [ليت] التمني، [كأن] للتشبيه، و [لام] الطلب، و [لا] و [لم] النافيتين ، و [السين] و [سوف] و [أدوات الاستفهام] وغيرها الكثير وكل منها ينطوي على قصد معين .

أما حروف المعاني في اللغة العربية فهي غنية بهذه [الأدوات المعبرة عن المعاني] أو ما أصطلح عليه المعاصرون بـ [القوة الإنجازية]، ولها أدوار تؤديها في مقامات تواصلية متباينة حسب ما يقتضيه قصد المتكلم ومن هذه الأدوات نجد: "[رُبّ] و تفيد التقليل، [كم] و تفيد الكثرة، [ليت] و تفيد التمني، [لعل] و تفيد الترجي، [نعم] و تفيد المدح، [بئس] و تفيد الذم [الواو ، الباء] تفيدان القسم [ألا] تفيد العرض

¹ _ الإمام علي. نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد، ج7 ، خ 109، ص: 220

،[هلاً] تفيد التحضيض [إن ، أن] تفيد التوكيد⁽¹⁾ و سنعمل على إبراز أهم هذه القوى الإنجازية المتضمنة بها باختصار.

1_2_6_3- العرض و التحضيض :

هو الطلب برفق ولين وأدب و يعرف عند النحاة على أنه الحثُّ والتحريض على عمل شيء باستعمال حرف من حروف التحضيض. ويشتمل أسلوب التحضيض على ثلاثة معان هي : التحريض على فعل شيء والترغيب فيه ، و الحثُّ عليه حثاً قوياً، و اللوم والتوبيخ على ترك الشيء المحضض عليه المرغَّب في فعله ، أو على فعل الشيء المذموم المرغَّب في تركه ومع اللوم والتوبيخ يكون التنديم⁽²⁾. ولهذا الأسلوب أدوات معينة تفيد معانيه السابقة ، وهي خمسة حروف : [هلاً] : بتشديد اللام . [لولا] مركبة من حرفين . [لوما] مركبة من حرفين . [ألاً] بتشديد اللام . [ألاً] : بتخفيف اللام غير مشددة وهذه الحروف عند استعمالها في هذا الأسلوب تختص بالفعل ، ولا تدخل على غيره ظاهراً أو مُقدَّراً ، وهي عندما تكون للتحضيض أو العرض يجب أن تدخل على الفعل المضارع الدال على الاستقبال لفظاً ومعنى وقد تدخل على الفعل الماضي إذا كان معناه مستقبلاً لمعنى المضارع. و من أدوات التحضيض الواردة في كتاب نهج البلاغة [هلاً] وهي أداة تحضيض تختص بالدخول على الفعل ، وتفيد مع المضارع [الحث على العمل]، ومع الماضي [التوبيخ] غالباً ، وإذا وقع بعدها اسم فهو معمول لفعل مُضمر يُقدَّر حسب المعنى. وقد وردت [هلاً] في خطاب الإمام علي (عليه السلام) : كقوله : "فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنْ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) وَصَّى بِأَنْ يُحْسِنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ ، ويتجاوزَ عن مُسِيئِهِمْ"⁽³⁾ دخلت [هلاً] في أقواله (عليه السلام) على الفعل الماضي لفظاً وتقديراً في قوله : [هَلَّا احْتَجَجْتُمْ] ، وهي بذلك تدل على التوبيخ و التنديم.

أما في قوله (عليه السلام) : "أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْتَرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبِقَاءِ الْمَلِكِ ؛ وهما بما تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذَّلِّ ، فَهَلَّا أَلْقَى عَلَيْهِمَا أَسَاوِرُهُ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعَهُ وَاحْتِقَاراً لِلصَّوْفِ

1 _ ينظر :مسعود صحراوي . التداولية عند العلماء العرب ، ص :216

2 _ إبراهيم عبد الله رفيده . وعلي الطاهر الفاسي،علي محمد المعل . التدريبات اللغوية ، ط1 ، دار الملتقى للنشر 1991 ، ص:214

3 _ الإمام علي .نهج البلاغة ،شرح ابن أبي الحديد ، ج2،ص:261 . من كلام له لما انتهت إليه أنباء السقيفة بعد وفاة الرسول . عليه السلام . حيث قال . (عليه السلام) : ما قالت الأنصار ؟ قالوا : قالت : منا أمير ومنكم أمير فقال (عليه السلام) ذلك .

ولبسه!"⁽¹⁾. فالفعل الكلامي [أَلَا تَعْجَبُونَ] يتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [تَعْجَبُونَ]، وموضوعه الفاعل المتصل [جنود فرعون]. وهو نفسه الفعل إحصالي الذي يحيل بالإشارة إليهم بالضمير [أنتم] في الفعل الإسنادي [تَعْجَبُونَ]، أما الضمير المتصل [هما] في الفعل (يشترطان) فهما يحيلان إلى [النبي موسى و هارون] أما الضمير المتصل [أنا] في الحرف (لي) و الذي يحيل إلى [فرعون] و فعل دلالي يتشكل من القضية التي تتمثل في التكبر و التجبر وهذا يتطلب الاستلزام المنطقي المتمثل في نهى الإمام علي عن التكبر والتجبر بما أورده من قصة فرعون مع موسى وهارون، كحجة و دليل إقناع المتلقي للتأثير فيه .

أما الفعل الإنجازي فهو يتشكل من قوة إنجازية حرفية : [ألا] للتحضيض على العمل التعجبي لكون أداة التحضيض دخلت على الفعل المضارع فوردت القوة الإنجازية مستلزمة تتراوح بين الدعوة إلى التعجب والتحقير و الدهشة و الإستغراب .

وعلى نفس المنوال ورد الفعل الكلامي : "[فَهَلَا] أَلْقَىٰ عَلَيْهِمَا أَسَورَةً من ذهبٍ إعظاماً للذهب وجمعه واحتقاراً للصوف ولبسه". فالفعل الكلامي [فَهَلَا أَلْقَىٰ] يتكون من فعل إسنادي تمثّل في الجملة الفعلية المكوّنة من محمول فعل [أَلْقَىٰ] وموضوعه المفعول به [النبي موسى و معه هارون]. و فعل إحصالي يحيل إليهما بالإشارة إليهما بالضمير المتصل [عليهما] ، أما الضمير المستتر [أنا] في الفعل [ألقى] و الذي يحيل إلى [فرعون] و فعل دلالي يتشكل من القضية التي تتمثل في التحقير، و هذ يستدعي الاستلزام المنطقي ان ينهى الإمام علي عن التكبر و التجبر بما أورده من قصة فرعون مع موسى وهارون ، بفعل انجازي يتشكل من قوة إنجازية حرفية [هلا] للتحضيض على العمل التعجبي؛ لكون أداة التحضيض دخلت على الفعل المضارع و قوة إنجازية مستلزمة تمثلت في النصيح و الوعظ ، وقد جاء هذا الأسلوب بقلّة في نهج البلاغة ؛ لأن كتابه - رضي الله عنه - في جلّه مواعظ ونصائح وعبر وتهديد و وعيد : وقد وافق العربية وقواعدها في استعماله لهذا الأسلوب.

1 _ من قول له في تواضع الأنبياء وذلك حينما دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون . عليهما السلام . على فرعون ، وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي فشرطا له . إن أسلم . بقاء ملكه ، ودوام عزه فقال ذلك . _ ينظر: الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد ، ج13 ، خ 238 ، ص153 .

1_2_6_3- صيغ التعجب:

هو تعبير كلامي يدل على الدهشة والاستغراب ، ينبع عن شعور داخلي للإنسان ، عند انفعاله حين يستعظم أمراً نادراً ، أو صفة في شيء ما قد خفي سببها ، إذ نجده في قوله (ﷺ⁽¹⁾): "سبحانك ما أعظم شأنك! سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك! وما أصغر كل عظمة في جنب قدرتك! وما أهول ما نرى من ملكوتك! وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك! وما أسبغ نعمك في الدنيا، وما أصغرها في نعم الآخرة!". فالفعل الإسنادي (نحوي) هو جملة فعلية مكونة من محمول الفعل في هذا الخطاب ورد بسلسلة من أساليب التعجب بصيغ قياسية [ما أعظم شأنك!] ، [ما أعظم ما نرى من خلقك!] و[ما أصغر كل عظمة في جنب قدرتك!] و[ما أهول ما نرى من ملكوتك!] و [ما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك!] و[ما أسبغ نعمك في الدنيا] و [ما أصغرها في نعم الآخرة!] أو بصيغ سماعية [سبحانك] ، أما موضوع الفعل الإسنادي فهو في إبراز العظمة الإلهية ، بفعل إحالي إلى الله تعالى عن طريق الإشارة إليه بالضمير المتصل [ك] ، و فعل دلالي يتكون من القضية التي تتمثل في عظمة الله عز وجل الذي لا يشرك معه أحد في الحكم، وتتشكل القضية من الاقتضاء بوجود بعض المسلمين الذين قد يخفت إيمانهم فيتأسون قوة و عظمة خالقهم، فكان الإستلزام المنطقي هنا للتذكير و التأكيد على عظمة الله عز وجل الذي لا تخفى عنه خافية، لا في السماء ولا في الأرض. نستنتج أن الفعل إنجازي في الخطاب السابق يتشكل من قوة إنجازية حرفية تتمثل في إنشاء فعل التعجب؛ فالحمولة الدلالية لجملة [ما أعظم شأنك!] [ما أعظم ما نرى من خلقك!] و[ما أصغر كل عظمة في جنب قدرتك!] و[ما أهول ما نرى من ملكوتك!] و [ما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك!] و [ما أسبغ نعمك في الدنيا] و [ما أصغرها في نعم الآخرة!] أو بصيغ سماعية [سبحانك] تمثل لنا فعلاً لغوياً مباشراً تطابق فيه قوته الإنجازية معناه الحرفي ، وهو إنشاء التعجب بصيغة [ما أفعله] ؛ فجاء بما دل على التعجب الذي يحمل دلالة التعظيم و الإجلال للخالق . و في قوله (ﷺ) في تبيان قيمة العمر :

" فيا عجباً! عجباً والله يميت القلب، ويجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفترقكم عن حَقِّكم" (2) ، فالتعجب هنا ورد بالصيغة السماعية [فيا عجباً! عجباً] له دلالة الحسرة و التأسف، و كذلك في قوله (ﷺ) من كتاب له إلى معاوية: (1) " فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي..." فالفعل [عجباً] و الذي يحمل معنى (عجبت) و هو فعل القول

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح و تحقيق ابن أبي الحديد ، ج7 ، خ 108 ، ص:195

2 _ المصدر نفسه: ج 1 ، ص:220

تلفظ به الإمام تعبيراً ووصفاً لمدى تحسره على ما أصبح عليه القوم من باطل و تفرق ، له جانب تأثري كبير في نفسية المتلقي.

1_2_6_4- الترجي:

نجد الترجي في قوله ﷺ : (2) "فاسمعوا قولي، و عوا منطقي، عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود ؛ حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة". الخطاب هو من النوع الوعظي قدم الإمام فيه الأسباب و القصد من الخطاب في جملة من الأفعال الكلامية [فاسمعوا قولي]، ويتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [عسى أن تروا] وموضوعه الفاعل المتصل [الشاهد من المسلمين] بفعل إحالي في الإشارة إليهم بالضمير المتصل [أنتم] أو في الفعل الإسنادي [أن تروا]، أما المتكلم فهو يحيل إلى [الإمام علي] ، في حين كان الفعل الدلالي يتشكل من القضية التي تتمثل في تكاسل بعض المسلمين عن أداء واجباتهم و طاعة إمامهم ، أما الاستلزام المنطقي فيتمثل في ضرورة الالتزام بتوجيهات الإمام علي ، و الفعل الإنجازي يتشكل من قوة إنجازية حرفية :الترجي[عسى] ، وقوة إنجازية مستلزمة الدعوة إلى الالتزام . أما الحجة ففي القول: [عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة وشيعة لأهل الجهالة] .

1_2_6_5- القسم :

القسم هو الحلف أو اليمين ، وأدواته هي: (الباء) و (الواو) و (التاء) و(اللام). فيظهر في قوله ﷺ (3) قاله للاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فقال: "يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض (ﷺ) إليه بصره ثم قال: وما يُدريك ما عليّ ممّا لي؟ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ! حَائِكُ ابْنُ حَائِكِ! مُنَافِقُ ابْنُ كَافِرٍ! وَاللَّهِ لَقَدْ

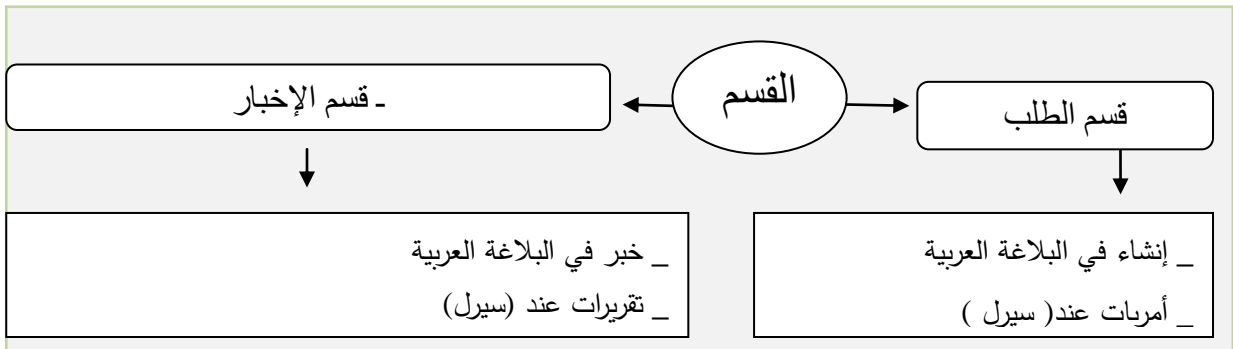
1_ المصدر السابق: ج14 ، كتاب 9، ص:48

2_ المصدر نفسه: ج 1، ص294 .

3_ المصدر نفسه: ج6، ص:166.

- الأفعال الكلامية -

أَسْرَكَ الْكُفْرَ مَرَّةً وَالْإِسْلَامَ أُخْرَى! * فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكٌ وَلَا حَسْبُكَ! وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ، لَحْرِيٌّ أَنْ يَمَقْتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ!'' فالخطاب خطاب حاجي قدم الإمام أدلة و براهين للمتلقي الجاحد و الناصر في جملة من الأفعال الكلامية [وَاللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكُفْرُ]، ويتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [أَسْرَكَ] وموضوعه الفاعل المتصل [كاف الخطاب] الأشعث. و الذي يتكون من فعل إحالي إلى [الأشعث بن قيس] بالإشارة إليه بالضمير المتصل [ك] في الفعل الإسنادي [أَسْرَكَ] ، أما الفعل الدلالي فيتشكل من القضية التي أتهم بها الإمام علي عن جهل ، و عليه سيكون الاستلزام المنطقي بأن يرد الإمام علي تهم الأشعث بن قيس بالفعل الإنجازي وقد تشكل من قوة إنجازية حرفية وهي [التوبيخ] المدعم بالتوكيد القسم (والله) و بقوة إنجازية مستلزمة هي ضرورة التبصر و التحقق قبل الاتهام و الاعتراض. والحجة في ذلك [فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالِكٌ وَلَا حَسْبُكَ! وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ لَحْرِيٌّ أَنْ يَمَقْتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ!] المدعم بأدوات التوكيد [القسم واللام و قد] دلالة على أن المتلقي جاحد و متعنت. و قد يختلف القسم في البلاغة العربية (٩) و عند (سيرل) كما هو مبين في المخطوطة التالية:



نجد في الخطبة الشقشقية (*) قوله (عَلَيْهِ السَّلَامُ): "أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، نُوَلَّا حُضُورَ الْحَاضِرِ وَقِيَامَ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُوا عَلَى كِبَرِ ظَالِمٍ ، وَلَا سَعْبِ

* _ يريد (عَلَيْهِ السَّلَامُ): أنه أسر في الكفر مرة وفي الإسلام مرة. وأما قوله: [دل على قومه السيف]، فأراد به: حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة، غرّ فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد، وكان قومه بعد ذلك يسمونه [عُرْفُ النَّارِ]، وهو اسم للغادر عندهم. _ نهج البلاغة ، شرح فارس حسون ، الخطبة 19، ص:66

* _ إختلف العلماء حول تصنيف القسم، فمنهم منصفه للإشياء الطلبي ومنهم من عدّه من الإنشاء غير الطلبي و تارجح لهذا الأخير على اعتبار أن القسم يستعمل لغرض التأكيد، والقسم نابع من شعور نفسي داخلي ليس له وجود في الطلب الخارجي .

* _ الشَّقْشِقِيَّةُ: لهَا البعير .. وهوشيء كالرَّئِة يخرجها البعير من فيه إذا هاج. ينظر: لسان العرب ،مادة (ش ق ق) ، ج 1

مَظْلُومٍ ، لِأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ، وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِهَا ، وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَنَزٍ" (1) . يظهر هنا القسم في قوله [وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ] و هو قسم إخباري في البلاغة العربية فالمرسل في حالة تأكيد خبر في خطاب وعظي ، و هو من التقريريات (الإخباريات) Assertives التي تهدف إلى تقرير جملة من الحقائق و تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأن شيئاً ما هو واقعة حقيقية، و بصدق القضية ، خاصة و أن شروطها تحققت بفعل ما قدمه الإمام من شواهد و أدوات توكيد بما فيها القسم، وفي هذا نجد قوله : من كتاب له (ﷺ) (2) إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس على البصرة، وعبد الله عامل أمير المؤمنين (ﷺ) يومئذ عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان: " وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا، لئن بَلَغني أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ، ثَقِيلَ الظُّهْرِ ، ضَيْلَ الْأَمْرِ ، وَالسَّلَامِ." الرسالة تنبيه و تحذير بدأ الإمام علي خطابه بالقسم ليس بالأداة و إنما بالفعل الإنجازي الذي يتضمن قوة إنجازية تتمثل في التأكيد في ما يتضمنه بعده من التهديد ، و هو قسم يندرج ضمن قسم الطلب في البلاغة العربية ؛ لكون الإمام في حالة طلب من عامله بعدم الخيانة مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا فهي تندرج ضمن الخطاب التعليمي، وهي عند (سيرل) من التوجيهيات (الأمرات) (Directives) ، التي تهدف في هذا الخطاب إلى توجيه المرسل إليه [عامله] إلى عدم الخيانة مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا ، و قد حاول الإمام تحقيق هذا الهدف من خلال الوعد و الوعيد (العنف والشدة) ، بالإصرار و الحرص على النهي عن فعل الخيانة ، و قد تحقق فيها شرط مقتضى الأمر مستقبلاً ، خاصة و أن المطلوب منه قادراً على انجاز هذا الأمر، وهو نابع من الشرع الإسلامي الذي يعمل الإمام على نشره على أوسع نطاق في البلاد الإسلامية.

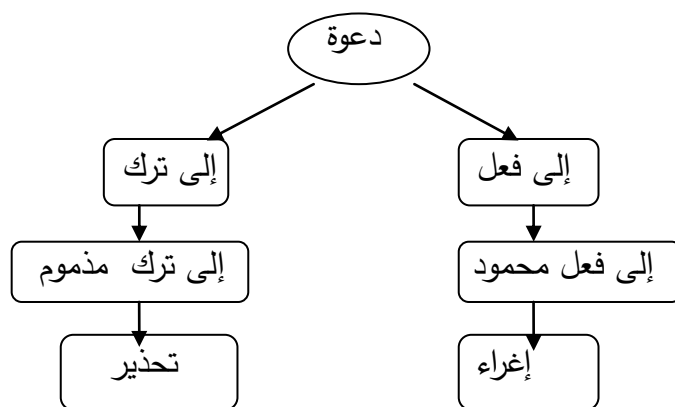
1_2_6- الإغراء و التحذير:

هي من الأفعال الكلامية ؛لأنهما يهدفان إلى التأثير في المخاطب و حمله إلى أداء فعل ما أو اجتناب أمر مكروه ، و برؤية (سيرل) يكون أسلوب الإغراء و التحذير ينتميان إلى مصف الأمرات (3) على اعتبار أن الإغراء دعوة إلى الفعل ، و التحذير دعوة إلى الترك و وجه الشبه بينهما أن كلاهما (دعوة).

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، خ 3، ص:383

2 _ المصدر نفسه: ج3، خ 20، ص:19

3 _ ينظر مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب ، ص:213



ومن وصية له (عليه السلام) (1) للحسن والحسين (عليهما السلام) " .. أوصيكمما، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصالح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما . صلى الله عليه وآله] وسلم . يقول: "صالح ذات البين أفضل من عامة الصلاة الصيام . الله الله في الأيتام، فلا تعبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم . والله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم . والله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم . والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم . والله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن تركتم لم تناظروا . والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله ."

الخطاب يندرج ضمن الوصية التعليمية موجهة إلى متلق طاع ، و مكونة من جملة الأفعال الكلامية ، الفعل الإنشائي فيها يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل محذوف تقديره [الزموا]، وموضوعه الفاعل المتصل [الشاهد من المسلمين] . و فعل إحالي يحيل إلى [الإمام الحسن و الحسين و جميع ولده وأهله ومن بلغه كتابه] بالإشارة إليهم بالضمير المتصل [أنتم] في الفعل الإنشائي [التموا التي تحمل معنى اتقوا]، أما الضمير المتصل [أنا] في الفعل (الزموا) فهو يحيل إلى [الإمام علي]، و فعل دلالي المتشكل من قضية حرص الإمام علي كخليفة و أب رحيم مسؤول على نجاة الأمة الإسلامية ، بالالتزام بالتوجيهات الدينية . وتتشكل من الاستلزام المنطقي (وصية الإمام و الوالد و الخليفة تجاه أبنائه و أهله و جميع المسلمين قبل وفاته) في حين أن الفعل الإنشائي يتشكل من قوة إنجازية حرفية (الإغراء و الحث على القيام بالفعل) و قوة إنجازية مستلزمة (الدعوة إلى الإلتزام بالتقوى) و الحجة (الاقتباس الصريح فإني سمعت جدكما . عليه السلام . يقول: "صالح ذات البين أفضل من عامة الصلاة و الصيام ."

1_ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد، ج17، ص:10

1_2_6_7 – التحذير :

ذم الدنيا في نهج البلاغة ليس هدفا بل تحذيرا و تنفييرا و تنبيها للناس لغرض الحث على التمعن في الدنيا؛ لاخذ العبرة والاتعاظ، ففي قوله من وصية وصى بها (عليه السلام) جيشاً بعثه إلى العدو⁽¹⁾..... «وَأَيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَأَنْزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَأَرْحَلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً»⁽²⁾ الخطاب في هذا النص تعليمي موجه إلى من يحرص على فلاحهم ، فالفعل الإسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل محذوف تقديره احذروا و المعبر عنه بصيغة التحذير [إِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ]، وموضوعه المفعول به المتصل [كُمْ]. و فعل إحالي الذي يحيل إلى [جيش الإمام علي] بالإشارة إليهم بالضمير المتصل [كم] في الفعل الإسنادي [إِيَّاكُمْ]. أما الضمير المتصل [أنا] في الفعل (احذروا) فهو يحيل إلى [الإمام علي] و فعل دلالي يتشكل من قضية تجهيز جيش الإمام لقتال العدو فكان الاستلزام المنطقي المتمثل في حرص الإمام على كقائد و خليفة على سلامة الجيش وتقوية انتصارتهم و بالالتزام بالتوجيهات، أما الفعل الإنجازي فهو يتشكل من قوة إنجازية حرفية (النصح و التوجيه) و قوة إنجازية مستلزمة (التحذير من التفرقة)، أما الحجة فهي حكم و تجربة الإمام علي الطويلة في الغزوات التي شارك فيها .

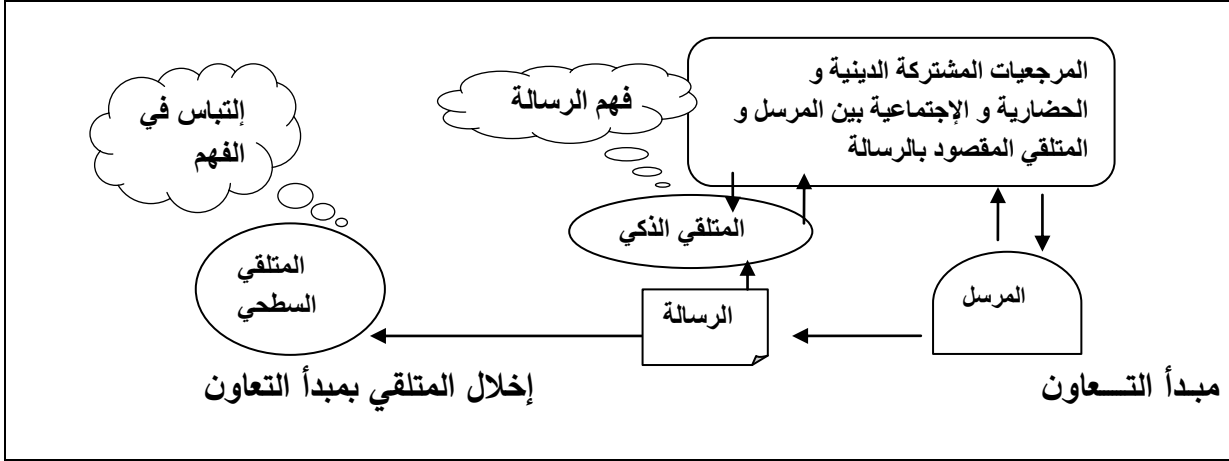
نستنتج أن كل من [التأكيد والقسم والاستغاثة والندبة والوعيد والإغراء والتحذير] من الأفعال الكلامية التي درسها النحاة العرب و التي تدرج ضمن الأفعال الكلامية بتصور المعاصرين في السياقات و المقامات المناسبة. وقد وظف الإمام علي هذه الآلية في كثير من خطباته وما يتحكم في ترتيب مكونات الخطاب هو السياق التداولي.

1_2_7_1- الأفعال الإنجازية غير المباشرة (المعاني الضمنية) :

لأفعال اللغوية غير المباشرة وظيفة اجتماعية؛ فقد لاحظ (سيرل) بعد مناقشته لعدد من الأفعال اللغوية غير المباشرة أن أهم البواعث إلى استخدام الأفعال غير مباشرة هو التأدب في الحديث.⁽²⁾ لقد أولت النظرية التداولية اهتماماً بالدور الذي يقوم به المتخاطبون في العالم الاجتماعي، فهؤلاء المتخاطبون لا يتفاعلون فيما بينهم بواسطة اللغة فحسب؛ بل أنهم يقبلون ذلك التفاعل ويتعاونون عليه؛ لضمان نجاح عملية التواصل.

1 _ المصدر السابق :ج15، الرسالة 11 ، ص:90

2 _ ينظر: أن رويول و جاك موشلار. التداولية اليوم (علم جديد للتواصل)، ص:59



ويضع (مانقونو maingueneau) شروط التعامل مع المضمرات القصدية (sous entendus intentionnels) وهي [الكفاءة اللغوية] (pré-supposés). القائمة على معرفة الافتراضات المسبقة - المعرفة الموسوعية⁽¹⁾. وذلك لارتباط القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة؛ بقصد المتكلم من جهة وبخصوصية المقام الذي ترد فيه ، وهذا الذي كان يشغل (جرايس) هو كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلم شيئاً ويعني به شيئاً آخر؟ ثم كيف ممكناً أيضاً أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر ؟⁽²⁾ ؛ وقد أطلق (غرايس Paul Grice) ^(*) في مقاله الشهير المنطق والحوار (Logic and conversation) مفهوم: [حكم المحادثة] (Maximes Conversationnelles) على المقاصد غير المباشرة للتعامل والتواصل ، وحالاً لهذا الإشكال اقترح (جرايس) مبدأ؛ يعد المبدأ التداولي الأول للمخاطب، وهو ما أسماه [مبدأ التعاون] Cooperative principle⁽³⁾ ، بين المتكلم والمخاطب ، وهو مبدأ حوارى عام. يقول: "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"⁽⁴⁾ ، وإتباع هذه المبادئ وما جاءت به من توصيات؛ كفيل من وجهة نظره؛ بنقل المعنى وتيسير المحادثة نحو الإفهام وتحقيق الهدف المشترك؛ تعويلاً على التعاون بين طرفي الخطاب. ويتم

1 _ ينظر: Dominique maingueneau: pragmatique pour le discours littéraire 80 . voir .

2 _ محمود نحلة. الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، ص:189

* _ بول ج رايس (Paul grice): فيلسوف أمريكي [1913. 1988] صاغ نظريته في الدلالة القصدية من خلال محاضراته الشهيرة محاضرات وليام جايمس (William james lectures) التي ألقاها ب"هارفرد" سنة 1968 (ينظر: محمود أحمد

نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:32

3 _ ينظر في هذا الموضوع: آن روبول، جاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 34 إلى 54

4 _ عبد الهادي، بنظافر الشهري. إستراتيجيات الخطاب، ص: 121.

الانتقال من [المعنى الصريح "explicit meaning"] وما يحمله من [معنى متضمن meaning inexplicit] باللجوء إلى عملية استدلالية تعرف بـ: [الاستلزام implicative] وبذلك؛ تصبح هذه المبادئ والقواعد التخاطبية بمنزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة أن تبلغ الغاية في الموضوع والفائدة؛ أي أن تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم و المخاطب معاني صريحة و حقيقية ، و نفهم من ذلك أن المبدأ التعاوني " يصف ما ينبغي أن يكون بين المرسل والمتلقي ، لا ما هو كائن بالفعل في مجمل الحوارات و التفاعلات الإنسانية " (1) ويرى (جرايس) أن الاستلزام نوعان: [استلزام عرفي] و [استلزام حوارى]. فالاستلزام العرفي قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تتفك عنها مهما اختلف بها السياقات وتغيرت التراكيب ، و تتجلى بضرب المثال التالي لحوار بين الإمام علي (عليه السلام) و رعيته (2):

. أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِغِيرًا؟

. فَقَالُوا: "مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ."

. قَالَ: "فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مِنْ شَهِدَ صِغِيرًا فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أَكَلِمَ كُلًّا مِنْكُمْ

بِكَلَامِهِ" فإذا اعتبرنا أن الإمام علي : [أ] و المتلقي: [ب]

(أ): يسأل: "أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِغِيرًا؟"

(ب): يجيب: "مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ."

(أ): يقرر: "فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ، فَلْيَكُنْ مِنْ شَهِدَ صِغِيرًا فِرْقَةً، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً، حَتَّى أَكَلِمَ كُلًّا مِنْكُمْ

بِكَلَامِهِ." و تطبيقا على القواعد المشتقة من مبدأ التعاون و الموزعة على أربعة أصناف؛ وهي (3): " مبدأ

الكم [Quantity] تتعلق [بكم] الخبر، مبدأ الكيف [Quality] يرتبط بكيف [الخبر] ، مبدأ المناسبة

[Relevance] يرتبط بعلاقة [الغير] بمقتضى الخبر، مبدأ الطريقة [manner] يتعلق [بجهة الخبر] (4)

و بإسقاط هذه النظرية على كلام الإمام علي (عليه السلام) قد تم فيها تحقيق [مبدأ التعاون] في الحوار

السابق ، فقد سأل الإمام علي سؤال مفهوم و صريح [أ] و أجاب المتلقي [ب] إجابة واضحة [الطريقة]،

1 _ بهاء الدين محمد مزيد . تبسيط التداولية . من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي . الطبعة 1 شمس للنشر و

التوزيع القاهرة 2010 ، ص:40

2 _ أحمد المتوكل. اللسانيات الوظيفية :مدخل نظري، منشورات عكاظ. الرباط. دط، دت. ص: 2524

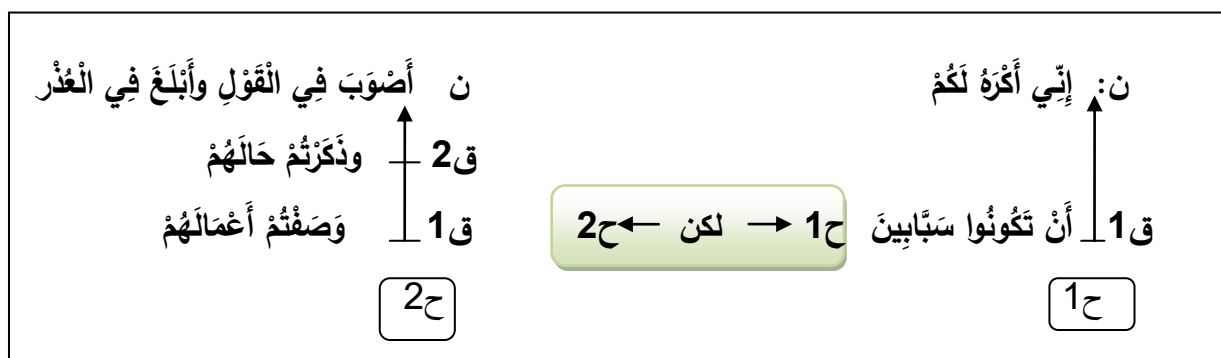
3 _ ينظر في هذا الموضوع : أن روبول، جاك موشلار. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 34 إلى 54

4 _ ينظر: طه عبد الرحمن. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص:103. 104.

وكانت صادقة [الكيف]، واستخدم القدر المطلوب من الكلمات دون زيادة [الكم]، وأجاب إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال الإمام علي (عليه السلام) [المناسبة]، لذلك [لم يتولد عن قوله أي استلزام] لأنه قال [ما يقصد].

في مثال آخر لكلمة الإمام علي (عليه السلام) لما سمع بعض أصحابه يسبون أهل الشام، فقال (عليه السلام) لهم: "إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جِهَلِهِ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْعِيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ" (1).

فالخطاب خطاب تعليمي موجه إلى رعيته التي يسهر على فلاحها و فوزها في الدارين، إذ أن الاستلزام العرفي واضح في كلام الإمام ، فما ذكره الإمام في بداية الخطاب من الأفعال التوجيهية السلوكية تحمل دلالات بعينها بعدم التلفظ بعبارات السب و الشتم ، و هو أسلوب صريح لا يحمل أي تأويل مهما تغير السياق [إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ] ثم أورد الإمام أداة إستدراك [لكن] المعروفة نحويا و لغويا بما يلزم أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه المتلقي، وهي تتدرج ضمن الروابط الحجاجية فيقدم الإمام لهم البديل عن سلوكياتهم الأولى و هي : [وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصَوَّبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ] و ضمير الغائب هنا يعود على فريق الخصم، ورد كل ذلك في سلاّم حجاجية على النحو التالي:



فالإمام علي قدم نتيجتين: نتيجة للقول (ق1) و نتيجة للقول (ق2 و ق3) و الحجة الثانية هي الأقوى باعتبارها توجه الخطاب برمته نحو الهدف و الغاية .

ثم يختم الإمام معاني أفعاله التوجيهية بعبارات مجملة مكملة للمعاني السابقة لا تتناقض بينها ، تعكس شخصية و ثقافة الإمام الدينية ، و التي تساعد المتلقي على فهم معاني الخطاب إن كان صريحا أو

1_ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي حديد، ج2 ، ص: 185

مبطناً ، في حين أن الاستلزام المنطقي هو نصح و توجيه [أتباع الإمام علي] على تجنب السب و تقديم البديل في قوله: [وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ]

و المتمثل في الدعاء [اللَّهُمَّ احْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنَهُمْ وَ أَهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ جَهْلِهِ، وَ يَرْعَوِيَ عَنِ الْعَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ] ، و يظهر هنا أن الفعل الإنجازي في الخطاب يتشكل من قوة إنجازية حرفية و هي النهي المتضمن في صيغة الخبر [إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَابِينَ] و التقدير [لا تكونوا سبابين] والقوة الإنجازية المستلزمة فيه تتراوح بين النصح و التوجيه و الوعظ.

إلا أن ما أريد الإشارة إليه أن هناك مبدأ مهم من مبادئ الخطاب الإسلامي أغفله (جرايس) و يسمى ب[الدعوى بالقُدوة] ، لما له من تأثير على المتلقي و المقصود بها التزام الداعية بما يدعو إليه و أخلاق الداعية التي يتحلى بها في حياته مع نفسه و أهله و أرحامه و جيرانه و سائر المسلمين. و نجد في هذا المضمار أن أخطر نتائج الإقناع العكسية و تأثيرها السلبي على المتلقي مخالفة أفعال و أخلاق الداعية لما يدعو له ؛ لأنّ المدعويين عادة ما يُحملون هذه المخالفات للدعوة التي يحملها، و قد قال سبحانه منكرًا على هذا الصنف من الناس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾⁽¹⁾ ؛ لأن المتلقي يقرأ قراءتين ، قراءة الخطاب و قراءة المخاطب في آن واحد، و أي تعارض يقع بينهما يعمد المتلقي على تأويل الخطاب بما يتماشى و شخصية الباحث و ثقافته و أي تقارب بين القراءتين فهي شحنة إضافية يضيفها المتكلم على خطابه ؛ فالمتلقي يرى في الإمام علي و في خصومه كما يقول طه حسين في قراءته للشخصيتين على و معاوية: " فقد كان علي مؤمناً بالخلافة و يرى من الحق عليه أن يقيم العدل بأوسع معانيه بين الناس ، أما معاوية فإنه لا يجد في ذلك بأساً ولا جناحاً فكان الطامعون يجدون عنده ما يريدون، و كان الزاهدون يجدون عند علي ما يحبون"⁽²⁾، فالمتلقي يختزن من معارف عن الباحث و هذا ما يعرف في التراث الإسلامي و في شروط الخطاب في البلاغة العربية ب [الدعوى بالقُدوة] .

هذا الذي نراه قد أغفل في شروط الاستلزام عند (جرايس) و إن كان قد ذكر [مبدأ الصدق

[principe de sincérité] ، إلا أنه لا يعبر عن [الدعوة بالقُدوة]، لأن الإنسان قد يكون صادقاً في أقواله إلا أن أقواله قد تكون مخالفة لأفعاله فتدخل الريب في قراءة المتلقي، وهذا العنصر _ حسب رأيي

1 _ سورة الصف: الآية 2 - 3

2 _ طه ، حسين. الفتنة الكبرى . علي و بنوه . ط13، دار المعارف ، الإسكندرية ، مصر، دت : ص: 59

– هو من أفضل إستراتيجيات التوجيه و من أهم عناصر الإقناع ، و مبدأ من مبادئ التعاون بين المتلقي و الباث في تحديد المعنى، و هو سلوك سار مع الإمام في كل خطاباته و توجيهاته.

يقول ﷺ واعظا لقومه مذكرا الناس بنفسه: "أيها الناس إني والله ما أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها ولا أنهاكم عن معصية إلا و أتأهي قبلكم عنها"⁽¹⁾ و عليه أقترح أن تكون [الدعوة بالقدوة] مبدأ خامس في مبادئ التعاون و الإقناع .

2_7_2_1 – الإستلزام الحواري:

حاول (جرايس) صياغة إطار للتفسير؛ بل وتبرير عدم مطابقة معنى المتكلم لدلالة الخطاب المنطقية ، فالمتخاطبون في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون؛ فجعل كل جهده ينصب على إيضاح الاختلاف بين ما يقال (What is said) ، وما يقصد (What is meant) ، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات و العبارات بقيمها اللفظية (face value) وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال و وسائل الاستدلال⁽²⁾؛ و أتاح الإمكان لوصف أنواع الدلالات التي يمكن للمتكلم أن يوحيا في حالة عدم التزامه بهذه الضوابط والإستراتيجية التوجيهية التي تتجسد من خلال آليات صريحة؛ تسهم في توجيه المرسل للمرسل إليه، مثل: [أساليب الأمر والنهي الصريحين، والتحذير، والإغراء، وذكر عاقبة الأمور] فمعيار دلالة الشكل اللغوي "يكون واحداً من صنفين، قصداً مباشراً أو قصد غير مباشر"⁽³⁾ .

2_7_2_1 – الفعل الإنجازي غير المباشر و البلاغة العربية :

الأفعال الكلامية غير المباشرة أو ما يعرف في البلاغة العربية ب [الإستعمال المجازي] و الذي يوحى بأن موضوع الإستلزام الحواري قد عُرف و مورس منذ القدم نجده عند: (السكاكي) و(الغزالي) و(الزمخشري) و غيرهم ، و هو متواجد خاصة في علم المعاني و علم البيان ، أو لنقل في البلاغة العربية بصفة عامة؛ لارتباط المعنى بالمخاطب و بالسياق [المقام] ، فكأنه يقول شيئاً ويعني شيئاً آخر كاستخدام المتكلم أو المخاطب لعبارات إستعارية ، و أشكال قول مجازية بدل استخدام المعاني الحقيقية والجهر بما يريد الإدلاء به؛ أي إجبار المتلقي على الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد، ج 2 ، ص:56

2 _ محمود نحلة . الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، ص:187

3 _ عبد الهادي بن ظافر الشهري . إستراتيجيه الخطاب ، ص:67

الذي يسنده المتكلم إلى قوله، وبمعنى آخر هو الفعل الذي ينزاح عن المباشرة إلى المجاز ويحتاج إلى تأويل لإظهار الغرض المراد منه ، حيث يوصل الرسالة بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال التلميح . ومن كلام له (عليه السلام) ⁽¹⁾ لما قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخاطبه العباس و أبو سفيان في أن يبایعا له بالخلافة [وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة، وفيها ينهى عليه السلام عن الفتنة ⁽²⁾] "أَيُّهَا النَّاسُ، شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ تَبْجَانَ الْمُفَاخَرَةَ..." فقد اعتمد الإمام في خطابه الوعظي على سلسلة من الأساليب غير المباشرة: [شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ] و [عَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ]، و [ضَعُوا تَبْجَانَ الْمُفَاخَرَةَ] [أَلْفَحَ مِنْ نَهْضِ بَجْنَاهِ]، أو استسلم فأراح، [ماء آجِن] [وُلُقْمَةً يَعْصُ بِهَا أَكْلُهَا، وَمَجَّتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتٍ إِنْبَاعَهَا كَالزَّرْعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ]. لقد عمل الإمام علي على تقريب الفكرة عن طريق اللغة المجازية ؛ كون المجاز حدثا لغويا يوضح و يفسر لنا ارتقاء اللغة بتطور دلالة ألفاظها على المعاني الجديدة ، يرتفع عن مستوى الأداء المباشر. لقد تحول [النهي عن الفتنة و المفاخرة] الذي هو مبدأ معروف في الإسلام ، له ما يحتم وجوب النهي عنه إلى مظهر مجسد وإن كانت معالمه غير مدركة في الواقع ، فهي أمواج ولكن من أي الأمواج ؟ إنها من أمواج الفتنة ، وإذا انسحبت هذه الاستعارة إلى غير المعقول كان مظهرا من مظاهر الانزياح التي تجعل من النص شعريا و أسلوبا غير صريح. ثم ينتقل الدمج بين ما هو مادي [أمواج] وبين ما هو معنوي [الفتن] ولم يترك التعبير ليكتفى به، وإنما عزز بتعبير آخر وعلى أساس تشبهي أيضا هو [بِسُفْنِ النَّجَاةِ] و [وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ] ؛ فكان الانتقال من قيمة واحدة و هي [النهي عن الفتن و المفاخرة] إلى سلسلة من الاستعارات و التشبيهات كلها تصب في تأكيدات الدلالة المهيمنة على النص، و هي [النهي عن الفتن و المفاخرة] . و في تحليل الأفعال الإنجازية نجده قد توفر على فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [شَقُّوا] و [عَرِّجُوا]، وموضوعه الفاعل الضمير المتصل في فعل الإسناد [العباس و أبو سفيان و الشاهد من المسلمين.] ، و فعل إحالي إحالة إلى [العباس و أبو سفيان و الشاهد من المسلمين] بالإشارة إليهم بالضمير المتصل الواو تقديره [أنتم] في الفعل الإسنادي [شَقُّوا] [ضَعُوا] أما الأمر [المتكلم] في الفعل [شَقُّوا] و [ضَعُوا] فهو يحيل إلى [الإمام علي] .

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرحه و حققه : فارس الحسون ، الخطبة : 5 الصفحة: 50

2 _ المفاخرة : أن يذكر كل واحد من الرجلين مفاخره وفضائله وقديمه ، ثم يتحاكما إلى ثالث . والماء الآجن : المتغير الفاسد. والایناع : إدراك الثمرة . واللثيا : تصغير التي ، كما أن اللذيا تصغير الذی . واندمجت : انطويت . والطوى : البئر المطوية بالحجارة . يقول : تخلصوا عن الفتنة وانجوا منها بالمتاركة والمسالمة والعدول عن المنافرة والمفاخرة . الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي حديد . ج 1، ص: 213

- الأفعال الكلامية -

فالفعل الدلالي إذن هو في [انشغال بعض من المسلمين بالمفاخرة التي تنخر الأمة الإسلامية].
 أما الاستلزام المنطقي فهو [العمل على القضاء على هذه الفتن بتوعية المسلمين و وعظهم]، في حين
 أن الفعل الإنجازي يتشكل من قوة إنجازية ضمنية [شقوا] ، تطلب هذا القوة الإنجازية المستلزمة
 [الدعوة إلى الالتزام بالتقوى]. أما الحجة فقد اعتمدت على [الاقتباس الضمني من معاني القرآن الكريم]
 بالإضافة إلى نتاج من يعمل بنصائح الإمام من السعادة في الدارين [أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ] .
 إن المتلقي في هذا الخطاب يلغي وجوب المعنى الحقيقي و لا يحتفظ إلا بالمعنى المجازي المراد
 و هو تجنب الفتن و المفاخرة ، و الالتزام بما شرع الله للفوز في الدارين. نوضحه كما يأتي:

الغرض التداولي	الفعل غير المباشر	الملفوظ
تشخيص المعنوي (الفتن _ المنافرة _ المفاخرة) في صورة المادي استعارة مكنية فعل أمر غرضه النصح و التوجيه	شقوا _ عرجوا _ ضعوا _	شَقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النَّجَاةِ، عَرَجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ ضَعُوا تِيْجَانَ الْمُفَاخَرَةِ
كناية	أَفْلَحَ _ اسْتَسَلَّمَ أَجِنَ _ يَغْصُ مَجْتَنِي	أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ _ اسْتَسَلَّمَ فَأَرَا حَ _ مَاءِ آجِنٍ وَ لُثْمَةٍ يَغْصُ بِهَا أَكْلَهَا، مَجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَ قَتَّ إِيْنَاعَهَا

1_2_7_3- الإقتضاء :

يصنف (ديكرو) فعل الإقتضاء (Presupposition) ضمن الأفعال الكلامية غير المباشرة (1)
 و هو من المحاور الجوهرية في الإستدلال، تتكون من عناصر بنية الإقتضاء من (القول) و المعبر
 عنها بضمير (أنا) و (المقول) و المعبر عنها بضمير (أنت) و (المقتضى) و المعبر عنها بضمير (نحن)"
 (2)، و لكون المقتضى أكثر ما يكون في التراكيب ، فإنه يتعسر علينا الإحاطة بجميع جوانبه، فإننا سنركز
 على [بنية الشرط] خاصة و انها موظفة بكثرة في الخطاب الإقناعي عند الإمام علي؛ لما لهذه الآلية
 من العمل على إيصال النتيجة المرصودة بالخطاب وأن هذه النتيجة تقتضي الحجة [الحجة + النتيجة]
 كقوله: **بِاللَّيْلِ** في حكمة له (3): "من صارح الحقَّ صرعه". نجد في هذه الحكمة أداة [من] : هي من

1 _ حمو النقاري . التحاجج طبيعته و مجالاته، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الرباط ، ط1 ، المملكة المغربية
 1428هـ/2006، ص: 153

2 _ قدور عمران. البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن ط1/2012، ص: 16

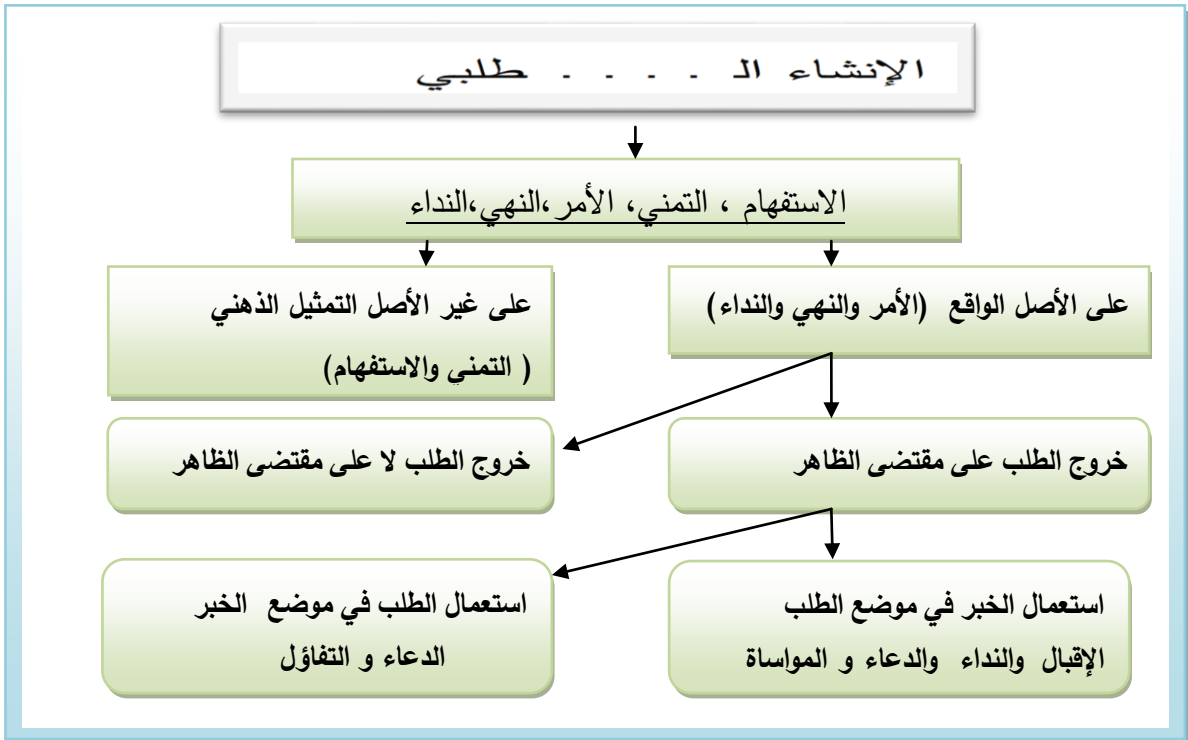
3 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح فارس الحسون. حكمة398 ، ص: 719

أدوات الشرط الجازمة تفيد تعليق الجواب على الشرط في المستقبل و تدل على العاقل ، و عليه فالحكمة مبنية على علاقة الشرط[الإقتضاء] ، حجة تخدم النتيجة من الشرط ، على المنوال التالي:

الحجة : من صارع الحقّ ← النتيجة :صرعه.

1_2_1-الأفعال الإنجازية ذات التمثيل الذهني :

الأفعال المباشرة أو ما يعرف في البلاغة العربية ب[استعمال حقيقي] أو [الإنشاء الطلبي] و الذي يشتمل على فروع خمسة أساسية [التمني،الاستفهام،الأمر،النهي،النداء].، ولكل من هذه الأنواع شروطها المعدة، التي إذا توفرت جرى الأسلوب على الأصل.و إذا اختلف فيها شرط امتنع إجراؤها على الأصل، فتخرج إلى معان فرعية، و إذا انطلقنا من ثنائية(الواقع/التمثيل الذهني) يمكننا أن نميز بين أفعال تكون على شكل تمثيل ذهني للواقع،لا يشترط تحققه على الواقع وهي :[التمني والاستفهام]. وبين أفعال يمكن تحققها في الواقع وهي [الأمر والنهي والنداء]، فأطلقوا عليه مصطلحات [مقتضى الظاهر] ، و[ما خرج عن مقتضى الظاهر]. و يمكن توضيح ذلك كله في المخطوطة التالية:



1_2_8_2- الإستفهام:

يصنّفه أغلب البلاغيين على أنه من الإنشاء الطلبي ، ويميزه السكاكي "بأن تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق ، و فيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج نقش مطابق، (1)؛ أي الاستفهام [تابع] وفي الثاني أي باقي الطلبيات [متبوع] أما الأدوات الإنجازية للاستفهام فهي: [الهمزة ، أم هل ، ما ، من ، أي ، كم ، كيف ، أين ، متى ، أيان] ، هذه الكلمات ثلاثة أنواع: أحدها يختص بطلب حصول التصور ، وثانيها يختص بطلب حصول التصديق ، وثالثها لا يختص. (2) . فالهمزة يطلب بها التصور و التصديق ؛ لأن دلالتها على طلب التصور [طلب تعيين المفرد] ، و من دلالتها على طلب التصديق أي [طلب تعيين النسبة] في قوله تعالى. (3) ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلٌّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ حَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ والراجح أن بين التصور والتصديق فرق ؛ وهو يتمثل في أن التصور يكون المتكلم فيه خالي الذهن من أي فكرة حول المستفهم عنه، أما في التصديق فيجب أن يكون لدى المتكلم فكرة مسبقة عن الموضوع المستفهم عنه، و يندرج ذلك ضمن ما أسماه (سيرل) [معيّار الشروط المعدة] (4) ونرى أن الشروط المعدة للاستفهام تتمثل في أن يكون المستفهم غير عالم بما يسأل عنه طالب العلم به، وهذا ما يؤدي إلى إجراء الاستفهام على أصله، أي يكون استفهاما لغرض الاستخبار و طلب العلم .فيكون فعلا كلاميا مباشرا وهذا في أقل الحالات . أما إذا وجدنا الاستفهام في غير مقام الاستخبار وطلب العلم خرج عن غرضه الأصلي المباشر إلى أغراض تواصلية فرضتها المقامات التي يرد فيها الاستفهام، وامتنع فيها إجراء المعنى الأصلي المباشر إلى معنى فرعي غير مباشر؛ ما نلاحظه أن السكاكي (5) فصل في الأغراض غير المباشرة للاستفهام ، في حال امتناع حدوثه على الأصل الذي يفرض معنى طلب العلم وهذا التفصيل ما هو إلا مراعاة لمختلف المقامات التي يمكن أن يؤدي فيها الكلام، والتي يعد مطابقة الكلام لهذه المقامات من الأولويات عند المتلفظ بالخطاب، إضافة إلى الاهتمام بقصده من ذلك التلغظ؛ لأن مدار إجراء الكلام يكون وفق مقتضى الحال، يخضع للقصد والغاية، والهدف من المتلفظ .على أن تكون هذه

1_ ينظر : السكاكي . مفتاح العلوم، ص 416 و ينظر: فضل حسان عباس . البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني) ، ط4 ، دار الفرقان للنشر و التوزيع إربد ، 1409 هـ . 1985 م . الأردن . ص: 168

2_ ينظر السكاكي . مفتاح العلوم ، ص 418

3_ سورة يونس . الآية . 53

4_ ينظر: مسعود صحراوي. التداولية عند العلماء العرب، ص: 158 . 159

5_ ينظر : السكاكي . مفتاح العلوم، ص: 416 . 417

الأغراض التواصلية الفرعية ليست مفروضة، بل قد يفرض السياق أغراضاً أخرى غير مباشرة ك: [التعجب، المدح، الذم]. ، فمن التعجب نجده في كتاب له (ﷺ) (1) إلى معاوية يقول: "وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفْتُ عَنْكَ جَلَابِيبُ" (2) مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجْتَ بِزِينَتِهَا.. ، وَخَدَعْتَ بِلَدَّتِهَا، دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتِكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرْتِكَ فَأَطَعْتَهَا، وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَأَقِفْ (3) عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مَجْنٌ" الخطاب حجاجي إذ يتعجب الإمام من خصمه بتوظيف الاستفهام التعجبي ، تعجبا من معاوية بتمسكه لذات الدنيا في حين أن الموت هي أقرب له من حبل الوريد . و في قوله (ﷺ) (4): "وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةَ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟ بَغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ، وَلَا شَرَفِ بَاسِقٍ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ، وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مُمَادِيًّا فِي عِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلَفِ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ". فالفعل الإسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل ["وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةَ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوَلَاةَ أَمْرِ الْأُمَّةِ؟"] وموضوعه إسم كان الضمير المتصلو المنادى [مُعَاوِيَةَ] و كذلك في الفعل الإسنادي الثاني المعطوف على الجملة الأولى ، فالفعل الإحالي يتمثل في إحالة إلى [معاوية بن أبي سفيان] بالإشارة إليه بالضمير المتصل و بالإسم الظاهر [يا مُعَاوِيَةَ]، أما المستفهم [المتكلم] في الفعل الإسنادي فهو يحيل إلى [الإمام علي]، و فعل دلالي يتمثل في [خروج معاوية على صف المسلمين واغتراره بنفسه] و هذا يتطلب الاستلزام المنطقي [بإعادة معاوية إلى صف الشرعية بإضعاف حججه الواهية] في حين أن الفعل الإنجازي يتشكل من قوة إنجازية ضمنية يتمثل في غرض الاستفهام [التعجب و الذم و التوبيخ]، و قوة إنجازية مستلزمة هي [الدعوة إلى الالتزام بالتقوى و العودة إلى صف المسلمين.] والحجة هي في اعتماد الإمام على [تذكير معاوية بماضيه و تاريخه].

أما صيغ الذم فقد ورد هذا النوع في قوله (ﷺ): في ذم أهل العراق [وفيهما يوبخهم على ترك القتال، والنصر يكاد يتم، ثم تكذيبهم له] (5) "أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ (6)، وَمَاتَ قَيْمُهَا (7)، وَطَالَ تَأْيِمُهَا (1)، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا. أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْنُكُمْ اخْتِيَارًا، وَلَكِنْ

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، من كتاب رقم 10 ، ج 15 ، ص:79

2 _ الجلابيب . جمع جلباب .: وهو الثوب فوق جميع الثياب كالمُحَفَّة.

3 _ ويقفك واقف : يعني الموت

4 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد :من كتاب 10 ، ج 15، ص:79

5 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد، ج 2، ص:111

6 _ أَمْلَصَتْ : أسقطت، وألقت ولدها ميتاً.

7 _ قَيْمُهَا : زوجها.

جَنُتْ إِيكُمْ سَوْقًا، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: [عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمْ اللهُ! فَعَلَى مَنْ أَكْذَبَ؟ أَعَلَى اللهُ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ إِكْلًا وَاللَّهِ، وَلَكِنَّهَا لَهَجَةٌ غَبْنُومٌ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَيُلِ أَمِّهِ (2)، كَيْلًا بَغَيْرِ ثَمَنٍ! لَوْ كَانَ لَهُ وَعَاءٌ، (وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ). الخطاب هو خطاب حاجي من الدرجة الأولى، شحنه الإمام بمختلف البراهين المنطقية و القياسية و اللغوية فمضمون الخطاب يتجه نحو الإستفهام التعجبي المبطن بشتى التوبيخات و الذم من سلوكيات المستمع [أهل العراق] من خلال توظيف الإستفهام غير الطلبي: قَاتَلَكُمْ اللهُ! فَعَلَى مَنْ أَكْذَبَ؟ أَعَلَى اللهُ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ! أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟. كما نجد الذم أيضا في قول الإمام عليه السلام علي في خطبة له في أصحابه: "أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ... (3) . ورد في هذا الخطاب الحاجي مجموعة من التقريرات استهلها الإمام قبل أن يردفها بسلسلة من الصيغ الإستفهامية: [أي دار بعد داركم تمنعون]، و [أي إمام بعدي تقاتلون] [تتضمن التقرير والتوبيخ لدفع المتلقي إلى حماية ديار الإسلام ، و وجوب الدفاع عنها والتي هي موطنهم ومحل دولتهم ، وكذلك قوله: [ومع أي إمام بعدي تقاتلون] ، وفيه تنبيه لهم على أفضليته عليه السلام وما وثق به من إخلاص نفسه لله ، ولاسيما أن الإمام قد وصفهم وصفاً دقيقاً ب (كيت وكيت)، وهما عبارتان عن الأحاديث المبهمة، ومراده أنكم في المجالس تذكرون أنكم تفعلون الأفاعيل من الجهاد و مواجهة الأعداء، و القيام بثأر الدين ، و تدمير من يريد مخالفته... إلى غير ذلك من الكلمات " (4)، وفي (حدي حياذ*) : (وهي كلمة تستعملها العرب عند اشتداد الأمر والفرار منه.. (5) والتناقض بين القول والفعل يحتاج إلى منبه أسلوبي يستقرهم، ويوضح صورة الخطر الذي أحذق بهم ، والحاجة إلى مراجعة أنفسهم ، فجاء هذا الأسلوب مؤسساً استفهامياً يدعو المتلقي ليلاحق الإجابة، و يقف عندها ليؤول دلالاتها الضمنية والإيحائية ، ومن ذلك ما ورد في قول الإمام عليه السلام في إحدى خطبه (6)

1 _ تأيئها: خلؤها من الأزواج

2 _ ويُلِ أَمِّهِ: كلمة استعظام تقال في مقام المدح وإن كان أصل وضعها لضده، ومثل ذلك معروف في لسانهم، يقولون للرجل

يعظمونه ويقرظونه: [لا أبالك]. في الحديث «فاظفر بذات الدين تربت يداك»

3 _ الامام علي، نهج البلاغة، شرح ابن ابي الحديد، ج 1، خ 29، ص: 43

4 _ الإمام المؤيد بالله أبي الحسين يحي بن حمزة بن علي الحسيني. الديباج الوطي في الكشف عن أسرار الإمام الوصي (شرح نهج البلاغة) تحقيق خالد بن قاسم بن محمد المتوكل ط 1 سنة 2003، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية .

صنعاء . اليمن ، ج 1 ص: 368

* _ الميل و الحياذ: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

5 _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

6 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح و تحقيق ابن أبي الحديد ، ج 10 ، ص: 187

في ذكر المكابيل والموازين ومحذراً الناس من الدنيا: (...اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ، فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيْرًا يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَلَ نِعْمَةِ اللَّهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيْلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بَحْقَ اللَّهِ وَقْرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَن سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا، أَيْنَ أَخْيَارِكُمْ وَصَلْحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ أَحْرَارِكُمْ؟ وَسَمْحَاؤُكُمْ؟ وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَنَعْنَا جَمِيعًا عَن هَذِهِ الدُّنْيَةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنْعَصِ" الخطاب و عطي فالإمام (عليه السلام) بإزاء الانقلاب الذي حدث في الأسس التي أرساها الإسلام وعمل على تطبيقها من العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات ، يُسخر هذا الأسلوب التداولي، ليضع مجموعة من الأسئلة المعروفة سلفاً عند المتكلم اعتماداً على خبرته في الحياة، المستفهم عنها استفهام العارف ليحجز السامع [الجمهور] في البحث عن إجابة ملائمة لهذا السؤال؛ ذلك أن الصفات التي ذكرها الإمام للمسؤول عنهم: [أخياركم، وصلحائكم، وأحراركم، وسماؤكم والمتورعون، والمتزهون] هي مناقضة للصفات التي جاءت في مفتاح النص [الغني، الكافر، البخيل، المتمرد الذي لا يسمع لأحد] وبذلك يكون السؤال عن الناس المتصفين بتلك الصفات هو سؤال عن أشخاص مجهولين غير موجودين ، واستطاع هذا الاستعمال أن يسלט الضوء على مجموعة من الرؤى ، لاستلهاهم تلك المبادئ والعمل على تطبيقها لعلمهم يرجعون إلى لزوم الأعمال الصالحة ، وأراد بالأحرار الكرماء ، والمتورعون في مكاسبهم الملازمون للأعمال الجميلة فيها من التقوى والمسالمة ، وإخراج حقوق الله تعالى، والمتزهون في مذاهبهم الممتنون عن ولوج أبواب المحرمات والشبهات في مسالكهم وحركاتهم" (1) ، كما نجد أن هذه الأسئلة قد تضمنت معانٍ إيجابية، وهي توبيخ المسؤولين وتحقيرهم و التقليل من شأنهم [الغني البخيل، المتمرد] على القيم الأخلاقية والاجتماعية التي أقرها الإسلام ، ويظهر التحقير في تحليل قوله (عليه السلام) في الفعل الإنجازي و المتمثل في الإستفهام: [أين الصلحاء؟] . الجواب: [رحلوا عن الدنيا الدنية] فالفعل المتضمن في الفعل الإنجازي [رحلوا عن الدنيا الدنية] يوحي بانتقال الصالحين إلى رحمة الله ونعيمه ، أما غير الصالحين فهم في النقص الدائم في الدنيا و الآخرة . وكذلك في قوله عليه السلام: "أين العمالقة و أبناء العمالقة؟ أين الفراعنة و أبناء الفراعنة؟ أين أصحاب مدائن الرّس الذين قتلوا النبيين، و أطفوا سنن المرسلين، و أحيوا سنن الجبارين؟ أين الذين ساروا بالجيوش، و هزموا بالألوف و عسكروا العساكر، و مدنوا المدائن؟.. أين أخواني الذين ركبوا الطريق، و مضوا على الحق؟ أين عمار؟ و أين ابنُ التيهان؟ و أين ذو الشهادتين؟ و أين نظرائهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، و أبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟" (2).

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ،البحراني :ج3، ص:134.135

2 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد ، ج 10،خطبة 161، ص:93

يظهر بوضوح توظيف الإمام لسلسلة من الإستفهامات ؛ ليس الغرض منها الاستفهام الطلبي؛ بل التقرير والإخبار فكلا من المرسل و المرسل إليه على علم بالجواب.

فلإمام علي على دراية كبيرة في سبر أغوار المعاني النفسية ، و يظهر ذلك في كثير من خطابه فمن قوله في نهاية خطابه (عليه السلام): (1).....فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ، أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَمَوَاتُ الدُّنْيَا، أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ) . نلاحظ أن مفاتيح التأويل تكمن في نهاية الكلام ، الذي يعيد شحن بدايته بالمعاني المستتجة، معتمدا على المقابلة والتضاد العميق (مَوَاتُ الدُّنْيَا، أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتِ الْآخِرَةِ) و الذي سبق الإشارة إليه في مبحثه (*)، فقد وظف هذا الأسلوب في إيجاد هذه المعاني البلاغية ، اعتماداً على جهد المتلقي وتفسيره بما سيحصل من تعاون بين المتلقي والمتكلم في تحديد الدلالة المتضمنة الذي تطلبها السياق والموقف.

1_2_8_2- التمني :

التمني هو الأسلوب الإنشائي الذي يطلب فيه المتكلم ما هو ممتع الوقوع، و هو حسب السكاكي : "أن تطلب كون غير الواقع في ما مضى، واقعا فيه مع حكم العقل بامتناعه" (2)، لكن البلاغين يفرقون بين نوعين من التمني: الأول منه توقع الأمر المحبوب، الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا؛ فالفرق الجوهرى بين التمني والترجي هو أن التمني لا يطمع في حصوله،ومن ثم لا يعتقد إمكانه، أما المترجي فهو أمر يعتقد حصوله و إمكانه . والفرق الآخر أن التمني يكون في الأمر المحبوب فقط و أن الترجي يكون في المحبوب والمكروه معا .

يخرج التمني عن الغرض الأصلي المباشر إلى أغراض تواصلية أخرى فرعية،يفرضها تعدد المقامات نحو : " إذا قلت لمن يهملك أمره ليتك تحدثني،امتتع إجراء التمني والحال ما ذكر على أصله فتطلب.(3)" الحديث من صاحبك غير مطموع في حصول،وولد بقريئة الحال معنى السؤال الثاني :توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه ممكنا غير مطموع في نيله كقوله تعالى:(4)﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لُدُو حَظِّ عَظِيمٍ﴾ .

1_ المصدر نفسه :ج4 ، ص:6

* ينظر : الفصل الثاني التطبيقي في جانبه البلاغي.

2_ ينظر : السكاكي . مفتاح العلوم، ص ص: 416 . 417

3_ ينظر : المصدر نفسه: ص:416

4_ سورة القصص: الآية 79

نستنتج أن شرط حدوث التمني على أصله هو عدم الطماعية في وقوعه. وهذا ما يسميه (سيرل) بالشروط المعدة لإجراء التمني على أصله. و الكلمة الموضوعية في الأصل للتمني هي [ليت]، يقول السكاكي : " إنك تقول ليت زيدا يأتيني أو ليتك تحدثني ،فتطلب إتيان زيد أو حديث صاحبك في حال لا تتوقعهما و لا لك طماعية فيه، وقد يعدل المتكلم عن دلالة التمني غير المتحقق بليت، إلى ما يوحي بتحقيقه أو الرغبة في تحقيقه فيستعمل أدوات بديلة نحو[هل]،[لو]، [هل] كالتمني بما قاله ﷺ في مقولة فائقة الدلالة و القوة والمضمون: "لو كان الفقر رجلاً لقتلته"⁽¹⁾ فالفعل الإسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [لو كان] و[وموضوعه إسم كان و هو فعل إحالي يحيل إلى [الفقر] بالإشارة إليه بالاسم الظاهر، أما [المتكلم] في الفعل الإسنادي فهو يحيل إلى[الإمام علي] ، و فعل دلالي : (ما يكونه الفقر من تعاسة و بلاء على المجتمع) و هذا يستدعي الاستلزام المنطقي[الدعوة إلى نشر العدالة و التضامن الاجتماعي بين الناس] ، فالفعل الإنجازي يتشكل من [لو + كان] أما القوة الإنجازية الضمنية فتتمثلت في [أمنية الإمام بالقضاء على الفقر بين المسلمين بنشر العدل و المساواة] و أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي[دعوة المسلمين إلى التكافل و التأزر بينهم] ، و قد اردف الإمام ذلك بالحجة المتمثلة في المآسي الكبيرة التي مست المجتمع الإسلامي بسبب الفقر أو بسبب التفجير^(*)

1_9_2_1 - الأساليب الإنشائية الطلبية الإنجازية(ذات التمثيل الواقعي):

تظهر الأساليب الإنشائية الطلبية الإنجازية(ذات التمثيل الواقعي) ،خاصة في الكتابات الديوانية الرسمية ، و الذي يخضع في مجمله لمعيار التوجه المباشر لما تستدعيه ظروف التواصل البلاغي مع الإقرار بوجود أشكال من المضامين الخفية و التلاعبات اللغوية، قد يسهل و قد يصعب اكتشافها تحدد سلطة أفعال الكلام في توجهها المباشر و غير المباشر نحو المتلقي ، من خلال المؤسسة التي تنجز فيها يتحكم فيها كشرط تأسيسية مفروضة مكانة المتكلمين و درجاتهم في السلم الاجتماعي و الثقافي و السياسي، و هي في هذا المقام سلطة أمرية بالنظر إلى الأفعال الكلامية الشاملة . و بالنظر إلى مقام توفر هذه الشروط يتحدد هذا الخضوع لنصوص نهج البلاغة إلى فعل كلامي واحد هو الأمر و ما يقر بالتعالى فهي أفعال صادرة عن خليفة تجاه منهم أقل منه رتبة و درجة،و إن كان

1 _ الإمام علي ،نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد:ج1، خ3 ، ص:110

* _ من الأمثلة التي عايشها الإمام علي [حياة أبي ذر الغفاري و غيرهم كثيرون ...] كان لهم مصير مأساوي بسبب خلافهم مع الحاكم او بسبب سوء العدالة او التضامن الإجتماعي.

المرسل ذاته الإمام علي خاضع بدوره إلى سلطة أمرية قوية سلطة الواجب الديني و الامتثال الرباني وهذه الأفعال تتمثل فيما يلي:

1_2_9_2- النداء :

النداء هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي حسياً أو معنوياً، بأحد الحروف المخصوصة، وهي عند السكاكي: [يا، أيا، هيا، أي، أ، وا] . ومن المعلوم عند الإحساس بطول الفكرة ،يوظف الخطيب [النداء] الذي يساعد على تمتين عرى التواصل بينهما ، من خلال اعتماده على مبدأ المشاركة ، بتوجيه الكلام له بالنداء [”أيها الناس أني قد بثت لكم المواعظ، التي وعظ الأنبياء بها أمهم“].⁽¹⁾ ، و ما نلاحظه في أسلوب النداء في خطاب الإمام علي ،أنه استعمل بعدة وظائف دلالية تتولد من إجراء النداء ، ك [الزجر و التحسر و الاستغاثة] و غيرها مما تحمله في طياتها لمعنى النداء، ولا تبدو منقطعة عنه، فليس هناك فصال تام بين هذه الأغراض البديلة و غرض النداء الأصلي .

و من هذه الأغراض البديلة في نهج البلاغة . قوله (ﷺ): " يا أشباه الرجال ولا رجال لوددت أني لم أركم، ولم أعرفكم " نجد في هذه الخطبة الوعظية ، النداء في القول يا أشباه الرجال:له فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [أدعو] في جملة [يا أشباه الرجال] و موضوعه موجه إلى بعض جنده، بفعل إحالي إلى المنادى [بعض جيوش الإمام] بالإشارة إليهم بما يوحي إليه بالاسم الظاهر. أما [المتكلم] في الفعل الإسنادي فهو يحيل إلى [الإمام علي]، في حين أن الفعل الدلالي يبرز في [تقاعس جيش الإمام عن القتال]، مما استدعى الاستلزام المنطقي المتمثل في [شحن الهمم و زرع روح القتال فيهم عن طريق التوبيخ] . أما الفعل الإنجازي فقد تشكل من قوة إنجازية ضمنية هي [أداة النداء المرفقة بالمنادى غير الصريح و المتضمن التوبيخ و الزجر و التحسر]، و قوة إنجازية مستلزمة هي: [الحث على الجهاد]، أما الحجة فهي في إبراز ما في جيشه من مساوئ و نقائص.[أما تأثيره في المتلقي فيظهر في ما للتوبيخ و الزجر و التحسر من أثر في نفسية الإنسان و تغيير في المواقف بمراجعتها من السلب إلى الإيجاب .

1_2_9_3- الأمر:

من شروط جريان الأمر في البلاغة العربية على أصل معناه، أن يكون الأمر أعلى رتبة من المأمور، و هي قواعد تداولية ترتبط بوضعية المتخاطبين. أن يتوفر شرط الاستعلاء و السلطة: على الأمر

1- الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد، ج10، ص:100.

أن يكون في مرتبة أعلى من مرتبة الأمور .و أن يتوفر شرط القدرة على الأمر أن يكون قادرا على إصدار الأمر .و في الأخير إرادة المتكلم في إصدار الأمر للاقتناع أو القصد⁽¹⁾ وللأمر أربع صيغ، وهي : [فعل الأمر، المضارع المجزوم بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر]⁽²⁾. ففي دراستنا لنهج البلاغة نجد أن الإمام علي (عليه السلام) بعث بعدة رسائله و وصاياه لمحاوريه الغائبين مفعلا بذلك سلطته (عليه السلام) الأمرية بأوامر صريحة و بأدوات مخصصة لهذا الغرض و أوامر أخرى تختفي وراء أساليب الترغيب و التنبية و التمني ، و لاستتباط مفعولها الأمري علينا التركيز على تحديد المقاصد و الغايات كأبعاد تداولية لنظرية أفعال الكلام ، إذ يهدف الخطاب إلى التأثير بواسطة فعل كلامي صريح مباشر هو الأمر و على فعلين تابعين غير مباشرين يختفيان تحت غطاء سلطة الأمر، وهما [خطاب النصح و الإرشاد و خطاب التهديد و الوعيد] من غير استخدام الأوامر الزجرية؛ لما يحمله من قيم سامية و معاني الخير يدخل في ما يسميه (اوستن) أفعال السلوك المتعلقة بالتصرفات و السلوك الاجتماعي⁽²⁾ و تختلف الكتابات الرسائلية و الحوارية حسب المتلقي فحين يتعلق الأمر بالرعية وولديه والولاية .. تكون الكتابات حوارية تختلف عن رسائل خصومه .

ومن وصية وصى بها(عليه السلام) جيشاً بعثه إلى العدو⁽³⁾ «فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوِّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مَعْسَكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَتْنَاءِ الْأَنْهَارِ، كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِذَاءٌ ، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا ، وَلْتَكُنْ مُقَاتِلَتُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهَضَابِ، لِنَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ، وَعُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ....." يندرج النص ضمن الخطاب التعليمي، فحوار الرسائل أو ما يعرف بالكتابات الديوانية (الرسمية) يختلف في خطاب الإمام علي عن بقية الخطابات الأخرى؛ لكونه يعتمد في مجمله على التوجيه المباشر؛ لما يستدعيه السياق و الظروف المحيطة بالحدث و ما يتطلبه التوصيل الإبلاغي مع وجود مضامين خفية في طيات الموضوع يحتاج المتلقي إلى ذكاء لتفسيرها و منها تتحدد سلطة الأفعال، الذي سيرتكز على غالبية في هذا المقام على السلطة الأمرية، و هو الفعل الكلامي (الأمر)

1 _ ينظر :عمر بلخير ،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص:174

* _ عبد العزيز ، عبد المعطي عرفه.من بلاغة النظم العربي دراسة تحليلية لمسائل علم البيان ، ج 2 ، ص:82

2 _ Jhon . dire c'est faire, traduction Gilles Lane, Edition du SEUIL, Paris, 1970 p 161.

.I.(Austin) : quand

3 _ الامام علي. نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد، ج15، خ11، ص:90

– الأفعال الكلامية -

بالأسلوب المباشر لما في الأمر من التعالي لكون الإمام علي خليفة المؤمنين و أميرهم و قائدهم الفعلي بالإضافة أن الإمام بدوره خاضع للسلطة الدينية و الامتثال لمرجعياته الدينية مما يتطلب نوعا من "العلاقة الترتيبية بين الذي يأمر و الذي يؤمر أي تقديم الأوامر مع القصد الأساسي للإثبات"⁽¹⁾. و هذا ما نجده جليا في خطاب الإمام.

ما يجب معرفته في هذا السياق أن بين المرسل و المرسل إليه علاقة اهتمام و حرص على سلامة جيشه ، فعمد المرسل في هذا الخطاب إلى إرسال خطابه التعامللي بالتأدب و لطف ، و بأفعال إنجازية توجيهية ؛ مفادها تنظيم المعسكر بالخطة التي تتطلبها الحرب، و المخاطب ملزم كما تقول أركيوني^(*) : "بإعطاء المعلومات اللازمة التي بحوزته عن موضوع الخطاب و التي من شأنها أن تنفع المخاطب (المتلقي)"⁽²⁾ ، و هذا الخطاب إنبنى على سلسلة من الأفعال الكلامية تتفاوت درجة تأثيرها بالنظر إلى الصيغ التي توجهه ضمن أفعال الحكم (Vérdictifs) و التي تتأسس بمجرد إصدار الحكم من طرف السلطة الحاكمة بتصنيفات (أوستين) و المتمثلة في ما يأتي : (ليكن) فعل أمر .(فعل مضارع مقرون بلام الأمر). مباشر يحمل صفة التعالي يشرح المرسل بنمط حاجي سبب إصدار هذه الأوامر التي يثبت من خلالها حرصه على رعيته و جيشه من هجمة العدو، و هو نمط تعبيرى مهذب يهدف إلى كسب ثقة الجيش .

إن التلفظ الإنشائي في مسار القوة الإنجازية يتضاعف مع كل فعل كلامي لاحق ، فكانت القوة الآمرة تعلقو بنتابع البنيات التركيبية للأفعال ؛ لأن أفعال الأمر أكثر شدة من الأمر المقرون باللام الأمرية الطلبية، في حين أن إسم فعل الأمر [أياكم] دلالاته أشد و أقوى من فعل الأمر الصريح ، و يظهر مسار شدة الفعل الإنجازي في خطاب الإمام في مايلي:

اجْعَلُوا وَاغْلَمُوا وَاَجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ
فَلْيَكُنْ مَعْسَكْرُكُمْ وَلْتَكُنْ مَقَاتَلَتُكُمْ

¹ _ ديكرُو – O.Ducrot, Dire et ne pas dire, Principe sémantique linguistique, Collection savoir – sciences, Hermann, Editeur de science des arts, 3ème édition, Paris, 1991, p 9.

^{*} _ أوركويوني: كانت طالبة في مدرسة المعلمين العليا، وهي أستاذة مبرزة حازت على الدكتوراه في اللسانيات وهي حاليا

أستاذة بجامعة ليون 11 من مؤلفاتها... L'implicite, L es actes de langage dans le discours...

² . C.K.Orecchioni ,L'implicite, Armande colin, Paris, 1986, p 220 .

فهذه الأفعال حققت فعلا إنجازيا هو الطلب ، و الفعل التأثيري فيه هو التقيد بما يراه الإمام من توجيهات. والملاحظ أنّ الأفعال التوجيهية تخلق أسبابا للمخاطب كي يؤدي ما طلب منه وتحمله على القيام بفعل معين ، فقد دعم الإمام هذه التوجيهات بمجموعة من الحجج يطمئن لها المتلقي و تتضح له الصورة فيصبح المتلقي شريكا مهما في العملية بعد أن عرف و أحاط بالأمر . إلا أنه إذا اختلف شرط من هذه الشروط المعدة لفعل الأمر، عدل عن المعنى الأصلي إلى معان فرعية هي وظائف خطابية، وأغراض تواصلية تجمع بين المتكلم والمخاطب، حيث تختلف هذه الأغراض باختلاف الموقف التي تتم فيه هذه الأفعال المتضمنة في القول، فيخرج الأمر عن المعنى الأصلي كالدعاء و الالتماس ، و في هذه الحالة يختل شرط الاستعلاء ، فيصبح المتكلم أدنى رتبة من المخاطب، و بهذا فهو يمثل [طلبا] إن استعملت على سبيل التضرع. و هي في (نهج البلاغة) تعكس المعاني القيمة من الصدق المتناهي و النقاء الروحي لنفسية الإمام، خاصة و أن الإمام عُرف بأنه رجل دعاء.

لقد اختلفت صيغ و تراكيب الدعاء الواردة في نهج البلاغة، فجاءت تارة على صيغة الخبر، و تارة جملا فعلية (فعل الأمر أو نهي مجازيان غرضهما الدعاء) أو جملا إسمية أو أفعالا ماضية أو مضارعة مسبوقتين ب(لا) النافية، أو نداء لغرض الدعاء.

ومن أمثلة ذلك دعاءه (ﷺ) كان يدعو به كثيرا⁽¹⁾ "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصِبْ بِي مَيْتًا وَلَا سَقِيمًا، وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُودًا بِأَسْوَأَ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي، وَلَا مُلْتَبَسًا عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأَمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أُعْطَيْتَنِي، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقَرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أَضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ! اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعْمِكَ عِنْدِي ! اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ !". يتموقع هذا الشكل من الدعاء في ختام الخطاب، وهو ما

1_ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ، ابن ابي الحديد، ج11، خ208، ص:84

قوله (ولا مضروباً على عروقي بسوء) أي ولا أبرص والعرب تكنى عن البرص بالسوء ومن أمثالهم ما أنكرك من سوء أي ليس إنكاري لك عن برص حدث بك فغير صورتك و أراد بعروقه أعضاءه ويجوز أن يريد ولا مطعوناً في نسبي والتفسير الأول أظهر) . ولا مأخوذاً. المصدر نفسه :ج11، خ208، ص:84

يخول للإمام بالتأثير في المتلقي، من خلال تمتين علاقة التواصل بينه وبين مخاطبه، و يأتي لإعلان المتكلم حصول الوفاق بينه وبين المخاطب، بغض النظر عن المعاني التي ضمنها الخطاب سواء أكانت تقريباً أم عتاباً، إلا أن الإمام يسعى إلى قول ما يريد، وفي نفس الوقت ليس من مصلحته أن يخسر إنصات المتلقي له، فيستغل قوة فعل الدعاء، بوصفه " فعلاً يتم عن طريق التلفظ به فقط." (1) إذ بمجرد التلفظ بصيغة الدعاء و حسن التخلص (اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ) يكون المتكلم قد أنجز الفعل ، وبالنسبة للمخاطب فإنه يحس بتقارب بينه وبين المتكلم؛ لأن المتكلم أنجز فعلاً لصالح المخاطب تمثل في الدعاء له أو ضمن المجموعة، فيصبح الدعاء أداة السلطة الخطابية التي يمارسها مع الآخرين، ويقرن محتواها بفائدة هي التلفظ بجلب المنفعة له، والدعاء يساهم في فرض شروط التخاطب، بتقديم منفعة للمخاطب من الخطاب، ومن ثم ضمان استمراره معه في العلاقة التواصلية ، وهذه من المبادئ التي حرص عليها النقاد القدامى في ضوابط بناء الخطاب ، وضرورة مراعاة المخاطب لها، والعمل على استمراريتها في التواصل مع المتلقي من خلال حسن الاستهلال، وحسن التخلص، وحسن الاختتام .و كلها عناصر تداولية تطرق إليها البلاغيون القدامى.

يرى بعض النقاد أن فعل الأمر هو ذاته فعل مستقبلي، لو كان متحققاً لما طلب، ويعبر عن أهم الوظائف التداولية وفق مقتضيات السياق والدلالة المجازية ، ويتعدد إلى عدة أنواع ما يأتي رجاء وتوسلاً في المناجاة و الأدعية كمناجاته ﷺ "اللهم اغفر لي رمزات الاحاظ وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان" (2) أو كقوله ﷺ في [الدعاء للنبي] (3): "اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ اَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمِ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتَمِّمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنْ ابْتِعَائِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقِ عَدْلٍ، وَخُطَّةِ فَضْلِ. اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ، وَقَرَارِ النِّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ (4)، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَرَحَاءِ الدَّعَةِ وَ مُنْتَهَى الطَّمَأِينَةِ، وَتُحَفِ الْكِرَامَةِ." فقد حملت العبارة الأخيرة [اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ، وَقَرَارِ النِّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَرَحَاءِ الدَّعَةِ وَ مُنْتَهَى الطَّمَأِينَةِ، وَتُحَفِ الْكِرَامَةِ] من خلال توظيف ضمير الجمع المتكلمين في هذه العبارة، تولدت عنها قوتان موجهتان للمتلقي، وتؤثران

1 _ ينظر :آمنة بلعلى . تحليل الخطاب الصوفي ،منشورات الإختلاف ، ط1، 2002، ص:96

2 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد، ج6 ، الخطبة 77، ص:177

3 _ المصدر نفسه:ج6، خ 71 ، ص:139

4 _ مُنى الشَّهَوَاتِ; مُنى: جمع مُنية . بالضم . وهي ما يتمناه الانسان لنفسه، والشهوات ما يشتهيهِ .

عليه، وهما قوة الدعاء، وذلك ما يفتح التواصل والتوافق مع المخاطب، وقوة التفاوض وهو ما يبعث المخاطب على الارتياح، وأن يأتي المتكلم ويكسب ثقته، كبنية تتدخل في تفعيل الدور الخطابي وتمكينه من نفس المخاطب.

نستنتج أن هذا الأسلوب قَرَب بين الخليفة الإمام علي ومخاطبيه، من خلال فعل الدعاء الذي يتموقع في ختام الخطاب ومن خلال كونه فعلا يتم إنجازه حال التلفظ به، وهو ما يترك انطبعا حسنا عند المتلقي.

أما **التعجيز و التحدي** فيرتبط هذا الغرض المتضمن في القول بالمخاطب، ومدى قدرته على القيام بالفعل ف"إذا قلت لمن يدعي أمرا ليس في وسعه، امتنع أن يكون المطلوب بالأمر، حصول ذلك الأمر في الخارج، بحكمك عليه بامتناعه، وتوجه إلى مطلوب ممكن الحصول، مثل بيان عجزه، وتولد التعجيز والتحدي".⁽¹⁾ يقول الإمام (عليه السلام) (2): "... وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ، فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَأَخْرُجْ إِلَيَّ، وَأَغْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ (1) " فهذه الجملة التعبيرية من خطاب حجاجي، لها فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [دَعِ]، وموضوعه الفاعل الذي هو في الفعل الإحالي إلى [معاوية] بالإشارة إليه بالضمير المستتر، أما [المتكلم] في الفعل الإسنادي فيحيل إلى [الإمام علي]؛ لوجود فعل دلالي [أن الفريقين المسلمين على تماس الحرب، و معاوية يُجيشُ و يدعوا إلى القتال]. مما يستلزم منطقيا محاولة الإمام على تجنب سفك دماء المسلمين؛ بتحدي معاوية لمبارزته فكان الفعل الإنجازي [دَعِ] [أَخْرُجْ] يتشكل من قوة إنجازية ضمنية، هي التحدي و التعجيز في مخاطبة معاوية، و قوة إنجازية مستلزمة هي دعوة الإمام إلى وحدة المسلمين و التخلي عن سفك الدماء، أما الحجة فتمثلت في التحدي في قوله: [وَأَخْرُجْ إِلَيَّ وَأَغْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لِتَعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمُعْطَى عَلَى بَصَرِهِ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلٌ جَدِّكَ وَحَالَكَ وَأَخِيكَ شَدْخَا يَوْمَ بَدْرٍ.... (3)]. و في هذا الخطاب من الأدلة و الحجج ما يكفي لمعاوية و جيشه للتوقف عن القتال، إلا إذا كان المتلقي جاحدا عن الإحتكام لقوة المنطق و سلطة العقل.

1_ ينظر: السكاكي . مفتاح العلوم، ص: 417

2_ الإمام علي . نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ج15، ص: 79

* هؤلاء الثلاثة : حنظلة بن أبي سفيان، والوليد بن عتبة، وأبوه عتبة بن ربيعة، فحنظلة أخوه، والوليد خاله، وعتبة جده

ينظر: المصدر نفسه: ج15، ص: 80

و في مثال آخر نجد الفعل قد يتضمن النصيحة كالتي أسداها (ﷺ) للخليفة الثاني عمر بن الخطاب (1) " .إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم فتكذب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم ليس بعدك مرجع يرجعون إليه ، فابعث إليهم رجلا مجربا ، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة فإن أظهر الله فذاك ما تحب ، وإن تكن الأخرى كنت رداء للناس.. " فالفعل تضمن النصيحة لكون المتلقي في مرتبة خليفة المسلمين و المرسل أمام المسلمين له من التجربة و المعرفة التي تمكنه من تقديم الإستشارة. وعلى العموم فإن متضمنات الفعل الأمري في نهج البلاغة تأخذ طابع النصح والإرشاد و الوعظ ، فمن الأفعال الأمرية التي استخدمت في الوصايا والاستبتيان والتخيير قوله (ﷺ) في أول خلافته (2): "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيِّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ؛ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَ اصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا. الْفَرَائِضُ الْفَرَائِضُ! أَدْوَاهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ، [وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ]، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوَجُّيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا..... " . وإذا قمنا بنظرة شاملة على هذه الأفعال الكلامية لخطاب الإمام، فإننا نجدها قد بدأت بسلسلة من الأفعال ، حيث حققت فعلا إنجازيا هو الطلب المباشر، إذ يدعو الخليفة إلى التصريح بالالتزام بشريعة الحق والنقيذ بما أمرنا الله به؛ لتكشف عن موسوعية معرفية. والملاحظ أن التركيز على أفعال الأمر سيعطي الفاعلية على تنامي الانفعال؛ أي تصاعديته بمرونة مقبولة وتكرارها يمنح للمتلقى قيمة إيحائية دلالية ، لها إمكانية تفجير لغوي مؤثر يكسر الرتابة و السكون ، و هي من أهم التكوينات الجمالية المؤثرة .

فتأملنا في هذه الأفعال: [فخذوا نهج الخير تهتدوا، و اصدفوا عن سمت الشر تقصدوا. الفرائض الفرائض! أدوها إلى الله تؤدكم إلى الجنة]. نجد أن الفعل الإسنادي قد تمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [خذوا] و [اصدفوا] و [الفرائض الفرائض] و هي من أفعال النصح و التوجيه [أدوها] [وموضوعها الفاعل الذي يحيل إلى [المسلمين] بالإشارة إليهم بالضمير المتصل [الواو] و في ضمير فعل الإغراء المحذوف تقديره [التزموا] أما الأمر فهو [المتكلم] في الفعل الإسنادي الذي يحيل إلى [الإمام علي] لوجود فعل دلالي يتمثل في أن بعض المسلمين قد أغفلوا مثل هذه الأسس الإسلامية مما استلزم منطقياً أن يذكرهم الإمام ، فتشكل بذلك الفعل الإنجازي له قوة ضمنية تمثلت في النصح و التوجيه

1 _ المصدر نفسه: ج1، ص: 130

2 _ المصدر نفسه: ج: 9 ، ص: 289

- الأفعال الكلامية -

، و قوة إنجازية أخرى مستلزمة هي ضرورة الإلتزام بهذه التوجيهات ؛ مدعماً هذه القوى الانجازية بمجموعة من الحجج تمثلت في النتائج المترتبة عن القيام بهذه التوجيهات.

والملاحظ أنّ هذه الأفعال التوجيهية تخلق أسباباً للمخاطب كي يؤدي ما طلب منه مباشرة ، وتحمله على القيام بهذه الأفعال وتشجعه عليها. خاصة و أن أفعال الأمر التوجيهية مدعومة بالنتائج و صيغت بأسلوب الشرط، و هي بذلك حجة قوية للمتلقي لأداء هذه الواجبات مع كونها تهدف إلى الإنسجام بين الواقع و الخطاب ؛ فجعل العالم يطابق الخطاب و الخطاب يطابق العالم لها تأثير كبير على المتلقي، كما نوضحها في ما يأتي:

الفعل الكلامي الكلي Acte de langage intégral	نوعه	الفعل التأثري
_ فَخَذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ	_ فعل أمر	_ تَهْتَدُوا
_ اصْدِفُوا عَن سَمْتِ الشَّرِّ	_ فعل أمر	_ تَقْصِدُوا
_ الْفَرَائِضَ الْفَرَائِضَ أَدُوها إِلَى الله	_ أفعال المدح	_ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ

ووظف الإمام كلمات في ثنايا خطابه تنتمي إلى الحقل الدلالي ذاته ، و بذلك قد وضح الإمام علي الغرض من الأفعال التوجيهية وهي (هَادِيًا ، الْخَيْرَ ، الشَّرَّ؛ نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا..). و ما يمكن توضيحه هنا أن الأسلوب الإنشائي أقوى من الصيغ الخبرية تجديداً لنشاط السامعين، وأشد تنبيهاً وأكثر إيقاظاً، وأدعى إلى مطالبتهم بالمشاركة في القول وفي الحكم. وهي في الوقت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب وأفكاره لأن أفكاره ومشاعره المتنوعة هي بحاجة إلى أساليب متغيرة ، تفصح عنها ثم إن مغايرة الأساليب و تنوعها من الخبري و الإنشائي، تستتبع مغايرة في نبرات الصوت وفي الوقفة والإشارة وطريقة الإلقاء، وهذا كله عون على الوضوح من ناحية، وعلى التأثير في السامعين من ناحية أخرى .

1_2_9_4- النهي:

يعرف النهي على أنه طلب الكف عن الفعلي على وجه الاستعلاء. و لا يختلف عن الأمر من حيث شروط جريانه على الأصل، "و يكون بصيغة واحدة هي لا الجازمة التي تدخل على الفعل المضارع⁽¹⁾ و إلا خرج إلى أغراض تواصلية فرضها السياق ك[التهديد، و الدعاء، و اللاتماس].

¹ ينظر: السكاكي . مفتاح العلوم، ص: 427

و قد يعبر عن النصح ، والتنبيه للخطأ كقوله ﷺ : " لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلى عليكم شراركم ... (1)". فالفعل الإسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [لا تتركوا] وموضوعه الفاعل [أنتم] متبوع بفعل إحالي إلى [جمهور المسلمين] بالإشارة إليهم بالضمير المتصل [الواو] أما [المتكلم] في الفعل الإسنادي فهو يحيل إلى [الإمام علي]، و فعل دلالي يتضمن توجيه و توعية المسلمين بما يجب القيام به بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حتى يبعد الله عنا أشرار الناس. هذا يفترض الاستلزام المنطقي على الإمام علي كخليقة للمسلمين أن ينصحهم و يذكرهم بهذا الأمر، أما الفعل الإنجازي فيتشكل من الفعل المسبوق بالنهي و قوة إنجازية ضمنية هي النصح و قوة إنجازية مستلزمة : ضرورة الإلتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أما الحجة فقد قدم الإمام علي عاقبة عدم الإلتزام بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر [فيؤلى عليكم شراركم] .

نستخلص أن الأفعال الكلامية قد تنوعت في النص الواحد و هو أمر طبيعي ؛ هذه الأفعال تعبر في كل مرة عن حال الذات المسؤولة عن إنتاج الخطاب واستغلاله للقوة المتضمنة في الفعل، و التقرب من الذوات التي يخاطبها باستغلال أسلوب النداء، الذي يعمل على لفت انتباه المتلقي، و كسب تعاطفه. كما عبر [الأمر و النهي] في مختلف استعمالاتها على الطلب من الأعلى إلى الأدنى، على اعتبار أن الإمام خليفة و إمام للمسلمين ، و ليس القصد به الاستعلاء السلطوي بقدر ما يدل على الأب الرحيم برعيته ؛ الذي يعمل على وعظهم و إرشادهم و هديهم إلى سفينة النجاة . فكان أهم أسلوب عبر عن تمكّن الإمام علي من التعامل مع رعيته ، و أكثر ما يدل عليه استعمال أسلوب الأمر والنهي في نهج البلاغة ، هو التعبير عن أبعاد العلاقة بالآخر، وفي خروجهما عن الغرض الأصلي الذي يساقان لأجله سواء أكان طلب الفعل على وجه الاستعلاء في الأمر، أو طلب الكف في النهي ، إلى أغراض أخرى تستفاد من السياق، قال (ﷺ) في الإقتداء بعثرة النبي: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ! وَالْأَعْلَامُ الْإِعْلَامُ (2) قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاصِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يَنَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِثْرَةٌ نَبِيَّكُمْ؟ وَهُمْ أَرْمَهُ الْحَقِّ، وَالسِّنَةُ الصِّدْقِ! فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُّوهُمْ وَرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ. أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (ﷺ): «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ»، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ. (3) ، هذا الخطاب يصنف ضمن خطاب الوعظ لما شحن فيه من توجيه و وحجج ، ولغناه

1_ الإمام علي .نهج البلاغة ، شرح ابن ابي الحديد ،ج17،خ47،صص:6_7

2_ الدلائل على الحق من معجزات ونحوها

3_ المصدر السابق: .ج6،ص:374

- الأفعال الكلامية -

بالأفعال الكلامية المتعددة و المتنوعة فعند القيام بتحليل هذه الأفعال ، فإننا سنهتم أولاً بمدى ملاءمة الغرض المتضمن في القول للمقام الذي ورد فيه الفعل الكلامي، وتبيان سبب وروده على الأسلوب المباشر أو الأسلوب غير المباشر، ورصد العوامل المقامية التي تعمل على استدعاء التعبيرات الكنائية بوصفها مستوى ثانياً من الاستعمال غير المباشر للأفعال الكلامية.

و أهم ما يمكن استخلاصه من الخطاب السابق مثله مثل الخطابات الأخرى خاصة ما يتعلق بالوصايا و الوعظ كثرة الصيغ الإنشائية كما هو موضح في الجدول التالي :

غرضه	نوعه	الفعل الإنجازي
_التوبيخ	_الاستفهام	_ [أُنَى تُؤفَكُونَ؟ فَأَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيكُمْ؟]
_الترجي	_الأمر	_ [فَأَنْزَلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُّوهُمْ وُرُودَ الْهَيْمِ الْعِطَاشِ]
_النصح	_النهى	_ [فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ.]
_التنبيه	_النداء	_ [أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ (ﷺ)]

إن وجود هذا التنوع إنما يدل على تعدد أهداف الإمام علي، فكانت الأفعال الكلامية تارة تعبيرية وتارة أخرى توجيهية وكان الإنجاز مرة سلوكياً ومرة تقريرياً، كما جاءت الأفعال مباشرة وأحياناً تلميحية. وهذا ما أدى إلى نجاح الأفعال الكلامية في تحقيق الأفعال التأثيرية ، و حملت متلقي الخطاب على الاعتقاد، وحققت هدف الإقناع، وجذبت انتباهه..

كما يمكن أن نجد الأمر مع النهي في الجملة الواحدة ، كقوله في كتاب له (عليه السلام) كتبه إلى الحارث الهمداني: (.... وأطع الله في جمل أمورك، فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها. و خادع نفسك و ارفق بها و لا تقهرها و خذ عفوها ونشاطها، إلا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة،....)(¹) وهي أساليب أقوى من الصيغ الخبرية تجديداً لنشاط السامعين، وأشد تنبيهاً وأكثر إيقاظاً، وأدعى إلى مطالبتهم بالمشاركة في القول وفي الحكم. وهي في الوقت نفسه أدق في تصوير مشاعر الخطيب وأفكاره، لأن أفكاره ومشاعره المتنوعة في حاجة إلى أساليب متغايرة تفصح عنها. ثم إن مغايرة الأساليب تستتبع مغايرة في نبرات الصوت وفي الوقفة والإشارة وطريقة الإلقاء، وهذا كله عون على الوضوح من ناحية، وعلى التأثير في السامعين من ناحية أخرى، وهذا يدفعنا إلى ترجيح الفعل الذي نراه يتلاءم مع قصد المتكلم في ذلك السياق التواصلية من خلال الاعتماد على الغرض المتضمن في القول في ذلك الموضع، وبالتالي القول

1 _ المصدر السابق: ج18، خ69، ص42:

بأنها ناجعة من حيث تطبيق القوة الإنجازية على المتلقي، بل حتى وإن لم تدفعه للإنجاز، فإنها على الأقل توجهه للفعل، حيث تجعله يتفاعل مع ما يطرحه المتكلم من أفكار و توجيهات و إسماع صوت الحق، واستغلال قدرته العلمية وتجربته الحضارية على مد جسور التواصل مع متلقيه، فكان ينطلق في أغلب خطب نهج البلاغة من الموضوع العام [الدعوة و التبليغ و الوعظ و الإرشاد]. ففي القول السابق ورد الفعل بصيغة الأمر و النهي [....وأطع الله في جمل أمورك،] أي " وأطع الله في جملتها، وفيها كلها، وليس يعنى في جملتها دون تفاصيلها"⁽¹⁾ المشفوع بالحجة و الدليل كنتيجة ايجابية لتحقيق الفعل [فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها] "و صدق (عليه السلام)، لأنها توجب السعادة الدائمة، والخلاص من الشقاء الدائم، ولا أفضل مما يؤدي إلى ذلك"⁽²⁾ و كذلك في قوله: [خادع نفسك و ارفق بها و خذ عفوها] و [لا تقهرها] و الإمام هنا يبرز بوضوح تحليله للجوانب النفسية للإنسان و ليس فقط قدرته على تبليغ الفكرة بل طريقة الإنجاز التي تجذب المتلقي إلى تحقيق الفعل من خلال المعاني المشتركة المنبثقة من الدين الإسلامي و طريق التبليغ و التوصيل المعتمدة على تقديم نتائج انجاز الفعل بمعنى: " أن يتلطف بنفسه في النوافل، وأن يخادعها ولا يقهرها فتمل وتضجر وتترك، بل يأخذ عفوها، ويتوخى أوقات النشاط، وانشراح الصدر للعبادة." "⁽³⁾ و في هذا توضيح للمسلم في طريقة العبادة الميسرة للنوافل، فأما الفرائض فحكمها غير هذا الحكم، عليك أن تقوم بها، كرهتها النفس أو لم تكرهها. ثم أمره أن يقوم بالفريضة في وقتها، ولا يؤخرها عنه فتصير قضاء "⁽⁴⁾ و هنا يبرز بوضوح طريقة و دقة اختيار الافعال الانجازية المستمدة من الشريعة الإسلامية و بالتالي مخاطبة الثقافة المشتركة بين المرسل و المتلقي فيتأثر بها السامع و ترسخ الفكرة و تتطمئن لها الجوارح من خلال الدعوة و التبليغ و الوعظ و الإرشاد. و في خطاب آخر للإمام تتعلق بأفعال إنجازية تتضمن العتاب و التوبيخ قوله من خطبة له (عَلَيْهِ السَّلَامُ)⁽⁵⁾ في استنفار الناس إلى الشام [بعد فراغه من أمر الخوارج] [وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد] "أَفِّ لَكُمْ! لَقَدْ سَمِمْتُ عِتَابَكُمْ! أَرْضِيئُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْرِ عَوْضًا؟ وَبِالذَّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا؟ إِذَا دَعَوْتُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ، كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ⁽⁶⁾، وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ،

1 _ المصدر السابق ، الصفحة نفسها

2 _ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

3 _ المصدر نفسه: ج18، خ 69، ص: 50

4 _ المصدر نفسه : ج18، خ 69، ص: 50

5 _ الإمام علي. تحقيق و شرح ، فارس الحسون. الخطبة34 ،ص ص: 96.95.94

6 _ الغمرة: الواحدة من الغمر وهو: الستر، وغمرة الموت: الشدة التي ينتهي إليها المحتضر .

- الأفعال الكلامية -

يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي (1) فَتَعَمَّهُوْنَ، فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ (2)، فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ. فالخطاب هو خطاب وعظي لما أفرغ فيه من أدلة و حجج ، يتضمن الكثير من التوبيخ و العتاب و عدم الرضى موظفا مختلف الأساليب الإنشائية ، كما هو وارد في هذا الجدول .

المفوظ	نوعه	غرضه التداولي
_ أف لكم	_ اسم فعل مضارع	_ أتضجر
_ سَيِّمْتُ	_ فعل ماض	_ العتاب
_ أَرَضَيْتُ	_ الفعل الإنجازي + الاستفهام	_ العتاب والاستتكار
_ يُرْتَجُّ ، فَتَعَمَّهُوْنَ	_ مضارع	_ الاستتكار
_ لَا تَعْقِلُونَ	_ مضارع	_ الذم

الإستنتاج:

إن الأفعال الكلامية و التي تتمثل في الأساليب الإنشائية من: [الأمر والنهي والاستفهام، والترجي والتمني، والنداء والقسم والتعجب]، و قد حفل نهج البلاغة بكثرة هذه الصيغ لكون المرسل هو الخليفة و القائد و الإمام الذي يهتم بمصالح الأمة و قضاياها و وعظها، فتوجيههم يتطلب كثرة هذه الأساليب التي تتناسب مع السياق الذي ترد فيه وقد تخرج عن الأغراض الأصلية التي وضعت لها، وقد صيغت في هيئة طلبية تستدعي مطلوبا يثبت حصوله بلفظه، وهو طلب المشاركة التخاطبية ، مثل العمل بمبادئ الشرع ، و التزام حدود الله و التي تعبر عن أثر نفسي ناشئ عن احترام قوانين الخطاب التي هي بمثابة حقوق وواجبات تؤدي في الخطاب. وتعمل هذه المواضيع على استدراج المخاطب باستعمال أساليب قائمة على الطلب، عن طريق الاستفهامات والنداءات المتكررة والأوامر والنواهي، التي يلقيها المخاطب، والتي تخرج إلى الاستمالة في حال انعدام ردود أفعال المخاطب المفترضة أو المنتظرة ، و تتظاهر هذه الأساليب لزيادة القوة الإنجازية للأفعال. مما يمكن لنا القول بالرغم من كون التداولية مبحثا لسانيا جديدا إلا أن عناصر التداولية و نظرياتها قد وظفت عند العرب قديما في خطاباتهم أو في تحليلاتهم النقدية، وناقشوها في كثير مما وصلنا من تراثهم وهم وإن لم يؤصلوا لمصطلح التداولية بلفظه إلا أنهم توافروا على كل ما تهتم به من مظاهر لغوية ، تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي، كما ترجموا لمباحث كثيرة متصلة بها في باب الخبر و الإنشاء ، فلم يكن الاهتمام بالتداولية مثار اهتمام اللغويين من

1 _ الحوار : المخاطبة ومراجعة الكلام.

النحاة وعلماء البلاغة فحسب، بل اعتنى بها عناية شديدة كل من علماء المنطق والفلاسفة والأصوليين والفقهاء .

1_10_2_1- خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر:

لقد أولى النحاة والبلاغيون العرب عناية بالموضوع إذ فرقوا بين الجملة الخبرية والإنشائية، كما اهتموا بنوع بنية الجملة، أو ما تتضمنه من عناصر كلامية خاصة أو إلى الصيغة؛ فتبين لهم أن الخصائص الشكلية غير كافية، وتبين للنحاة أن الأصل في الجملة أن يتفق لفظها مع معناها، بيد أن هذا الأصل خولف في الاستعمال، فقسمت إلى قسمين :

1_10_2_2_ استعمال الخبر في موضع الطلب:

هذا النوع له وجوه متعددة، فرضتها السياقات التي منعت من إجراء الأسلوب الطلبي بصيغته الصريحة، وتجاوزها إلى صيغ ضمنية في قالب التقرير، يستفاد منها الطلب [جملة خبرية لفظاً، وإنشائية معنى]، كقولنا: [أنا جائع]. فهي جملة خبر إذا أردت الإخبار و هي إنشاء إذا أردت به طلب الطعام. (١) ومن هنا اتضحت علاقة الخروج عن الأصل، يقول السكاكي: "ومتى امتنع إجراء التمني، تولد بمعونة قرينة الحال، معنى السؤال.(1)". و في خطاب آخر لأفعال إنجازية تقريرية موضوعه الشكوى للرسول (ﷺ) من الحزن و الأسى الذي لقيه الإمام علي من رعيته، ثم الدعاء لله تعالى ، باستعمال الخبر في موضع الطلب ، يقول (عليه السلام) (2) في سحرة (3) اليوم الذي ضرب به " ملكتي(4) عيني و أنا جالس فسنح (5) لي رسول الله (ﷺ)" فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمك من الاود و اللدد(6) فقال أدع عليهم فقلت أبدلني الله بهم خيرا منهم و أبدلهم بي شرا لهم مني "فقد وظف الإمام علي الخبر في مقابلة بديعية جد مؤثرة [أبدلني الله بهم خيرا منهم و أبدلهم بي شرا لهم مني] و هو يقصد به الطلب كأن يقول بصيغة الأمر [أبدلني اللهم خيرا منهم و بدلهم بي شرا منهم]، ويمثل هذا عدولا عن التعبير بالطلب إلى التعبير

١ _ ينظر: عبد العزيز عبد المعطي عرفة. من بلاغة النظم العربي. دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ج2، عالم الكتب، بيروت 1981، ص:140

1 _ السكاكي . مفتاح العلوم، ص:304

2 _ الامام علي . نهج البلاغة ، شرح فارس الحسون، خ69،ص:130

3 _ لسُحرة . بالضم .: السَّحَرُ الاعلى من آخر الليل.

4 _ مَلَكْتِي عَيْني: غلبني النوم.

5 _ قوله: (فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله)، يريد مر بي كما تسنح الطباء والطير يمر بك، ويعترض لك ينظر: شرح ابن ابي الحديد. ج6،ص:112

6 _ يعني بالأود الاعوجاج، وباللدد الخصام، وهذا من أفصح الكلام. ينظر : ينظر: شرح محمد عبده.خ68، ص:114.

بالخبر، لغرض الدعاء وذلك بأن يناجي المتكلم ربه، فيخيل له بأن الأمر حاصل فيعبر عن الطلب بالخبر على اعتبار حصوله في الذهن.

قد يخرج الخبر عن أصله في صيغ كثيرة أبرزها [ألفاظ العقود والمعاهدات] (*) و هذه تمثل أهم نقطة في مباحث الأفعال الكلامية، إذ يتجلى فيها حصول القول بوضوح قبل أن تشهد توسعا لاحقا في غيرها من الأفعال بتوسع نظرية أفعال الكلام ، وقد ناقش الفقهاء والأصوليون هذا القسم الإنشائي، و التي تبحث أحكام المعاملات التي لا تتم إلا بالفعل الكلامي مثل : [بعتك، زوجتك، أعتقتك..]. وكذلك في [صيغ عقود البيع] ، إذ لا يصح فعل البيع إلا بالألفاظ الخاصة تعارف عليها للسان العربي، و وصفها ابن رشد بأن صيغتها ماضية، مثل :أن يقول البائع قد بعتك هذا الشيء⁽¹⁾ ، و يدعم هذا الرأي قول القرافي: "وعكسه في البيع، لو قال أبيعك لم يكن إنشاء للبيع، بل إخبار لا ينعقد به بيع، بل وعد بالبيع في المستقبل، ولو قال بعتك، كان إنشاء للبيع، فالإنشاء في الشهادة بالمضارع، وفي العقود بالماضي، وفي الطلاق بالماضي، واسم الفاعل نحو :أنت طالق، أنت حر، ولا يقع الإنشاء في البيع والشهادة باسم الفاعل، ولو قال أنا شاهد عندك بكذا، وأنا بائعك بكذا لم يكن إنشاء.⁽²⁾ " كما أن الفعل الشهادي مثلا قد يكتسب صفة الإنشائية، و يعودتنا إلى معايير (سيرل) نجد أن ألفاظ العقود هي في صلب الأفعال المتضمنة في القول، بل هي السبب في بحث الظاهرة من أصلها. لأن (القرافي) يقرر أن فعل البيع [بعتك] وفعل الطلاق [أنت طالق] تؤثر صيغها في إيقاعها الإنجازي، ومن ثم فهو لا يقول بتوحيد صيغ الأفعال الكلامية كما يذهب إليه (أوستين)، والمعاصرين ، و هنا نلاحظ الإمام القرافي له سبق في هذا المجال ، و هذه اعتبارات تداولية درسها القدامى و فصلوا في مضامينها ، فهذا يجعل من البلاغة العربية مصدرا من مصادر التفكير العربي و أرضية خصبة بكشف مظاهرها و أبعادها الوظيفية التداولية .

إن المنطلق في الفلسفة التحليلية هو اللغة العادية تتجلى هنا في مبدئين :القصد[النية] ومبدأ [الصراحة والكناية] فالفعل الإنجازي في ألفاظ الطلاق "يقع إذا كان بنية أو لفظ صريح"⁽³⁾ و هي عناصر اصطلاح عليها ب [القصدية] و هي من المبادئ الهامة في الأفعال الكلامية.

* _ ألفاظ العقود والمعاهدات :هي الصيغ التي تستعمل في إبرام العقود والمعاهدات مثل :قبلت، رضيت،شهدت، وعاهدت..

1 _ ينظر: ابن رشد. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج 2 ، دار القلم . بيروت . ط 1 ، 1988م ، ص:170

2 _ شهاب الدين أبي العباس احمد بن إدريس المصري المالكي ، القرافي (684.626). الفروق ، و بحاشيته (أردار الفروق على أنواء الفروق) للإمام ابن الشاط قدم له و علق عليه و حققه عمر حسن القيام ،مؤسسة الرسالة للطبع و

النشر و التوزيع ، ناشرون ،بيروت لبنان 1424 هـ. 2003م.ج4 ، ص ص:107. 108

3 . ابن رشد. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ص:74

❖ المبحث الثاني : نموذج التحليل التداولي الشامل لخطاب كامل:

– النص الأول: [الخطاب التواصلي]

• نص الخطاب :

– يقول الإمام علي⁽¹⁾:

" يَا إِخْوَتَاهُ! إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَالْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ⁽²⁾ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ⁽³⁾، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ تَأَرَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ أَعْرَابِكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ⁽⁴⁾ يَسُومُونَكُمْ⁽⁵⁾ مَا شَاءُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةِ عَلَى شَيْءٍ، تُرِيدُونَهُ؟! إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَإِنَّ لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً⁽⁶⁾. إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . إِذَا حُرِّكَ . عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى لَا هَذَا وَلَا هَذَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَى النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً⁽⁷⁾; فَاهْدُوا عَنِّي، وَانظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعِّضُ⁽⁸⁾ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مَنَّةً⁽⁹⁾، وَتُورِثُ وَهْنًا⁽¹⁰⁾ وَذِلَّةً. وَسَأْمِسُكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً فَأَخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيَّ⁽¹¹⁾.

1. السياق المقامي للخطاب:

السياق في هذا الإطار هو مجموعة من العناصر الطبيعية والاجتماعية والنفسية والثقافية والتاريخية والدينية.. التي تشكل عالم الإنسان. ومن أجل ذلك اهتم محللو الخطاب بجميع الجوانب المتعلقة بإنشاء الخطاب ، والسياق واحد من العناصر الأساسية المساهمة في تكوينه، وكذا في فهم وتأويل المقصد الذي يحويه ، إذ تعد "نظرية السياق منهاجاً لدراسة المعنى لما تميزت به من اهتمام

1 _ الإمام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ج2، خ29، ص : 111

2 _ المُجْلِبُونَ من أَجْلَبَ عليه: أعانه.

3 _ على حَدِّ شَوْكَتِهِمْ: شدتهم، أي لم تتكسر سَورَتُهُمْ.

4 _ خِلَالَكُمْ: فيما بينكم.

5 _ يسومونكم: يكلفونكم

6 _ مَادَّة: أي عَوْنًا وَمَدَدًا.

7 _ مُسْمَحَةٌ: اسم مفعول من أَسْمَحَ أي مُبَيَّرَةٌ.

8 _ ضَعَّضَهُ: هدمه حتى الارض.

9 _ المَنَّة . بالضم .: القدرة.

10 _ الوَهْن: الضعف.

11 _ (وأخر الداء الكي) وفي بعض النسخ الكي: كناية عن القتل.

بالعناصر اللغوية والاجتماعية⁽¹⁾ ويذهب (براون ويول) إلى أن " محلل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب " (2) . فما هو السياق وما دوره في عملية فهم الخطاب؟

أ _ المتكلم : هو علي بن أبي طالي و هو إمام و خليفة المسلمين ،بويح بالخلافة بعد مقتل عثمان
ب _ المرسل إليه : هم قوم من صحابة الإمام علي والمتلقي في هذه الحالة ملتزم و طائع لأوامر الخليفة
ج _ زمن و مكان إلقاء الخطاب: ينتمي الخطاب إلى أدب صدر الإسلام و يظهر هذا من خلال مولد الإمام من جهة والأحداث الموجودة في الخطاب من جهة أخرى أما المكان فهو بالمدينة المنورة .
د _ موضوع الخطاب: يعد هذا الخطاب إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال سئل به الإمام علي بعد ما بويح بالخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة: (35هـ) إذ قال قوم من الصحابة للإمام علي (رضي الله عنه): لو عاقبت قوماً ممن أجب على عثمان ؟ فأجابهم الإمام إجابة إقناعية في ما يعرف في التداولية بمبدأ التعاون وبمناصره الأربعة ل(غرايس) ، وذلك من خلال جعل كلامه مناسباً للمقام الذي يرد فيه بتقديم نتائج يستفيد منها المتلقي، والتزامه بمناسبة الخطاب ،هذه المناسبة التي يوردها الشريف الرضي جامع نهج البلاغة قبل إيراد إي نص لخطاب الإمام ، وذلك من خلال الاتفاق المسبق على السير الذي يتوجه نحوه النص؛ من حيث كون هذا الخطاب جواباً عن سلوك معين، و عن وعظ لظرف مستجد حتى وإن كان هذا الاتفاق ضمناً ، إذ قال قوم من الصحابة للإمام علي (رضي الله عنه): لو عاقبت قوماً ممن أجب على عثمان ؟ فأجابهم الإمام مشافهة بالنص السابق.....

2 _ طبيعة الخطاب:

يندرج هذا الخطاب ضمن الخطاب الوعظي، وهو الذي يكون فيه المرسل والمتلقي في حالة عطاء وتقبل، فإن تحقق ذلك كان الخطاب ابتدائياً، وهو خطاب إنشائي بالدرجة الأولى، ويكون اهتمام المرسل فيه منصباً على إحصاء الأوامر والنواهي، لا الجدل. و على العموم "فالخطبة و الوصية في نهج البلاغة كلتاهما يراد بهما الترغيب فيما ينفع و التنفير مما يضر، إلا أن الأولى تكون على ملاءمة الناس في المجامع و المواسم. و الأخرى تكون لقوم معينين في زمن معين"⁽³⁾، إن أول ما نفهمه في هذا الخطاب هو وعي الإمام بمسؤوليته في معاقبة المجلبون على عثمان (رضي الله عنه) ، قبل أن يحدثه أولئك نفر من الصحابة ، و لكن الإمام لما قلب الأمور على وجوهها أدرك صعوبة الموقف و تشابك عناصره ،و منه فإن مضمون الخطاب يمكن تقسيمه إلى قسمين: قسم قدم الإمام تقريراً مفصلاً عن الحالة

1 _ بشير ابرير . في تعليمية الخطاب العلمي، ص77

2 _ ج.ب. براون ج. يول . تحليل الخطاب، ص35

3 _ أحمد حسن الزيات. تاريخ الأدب العربي، الأدب العربي، ط8، دار المعرفة، بيروت. لبنان. 1425هـ/2004م، ص:18

_ الأفعال الكلامية _

الخطيرة التي تسود حالة الأمة. و القسم الثاني قدم الإمام حلولاً للوضع و إستراتيجية التعامل معه من منظور الخليفة المسؤول و الحريص على أمن و سلامة الأمة من أي فتنة قد تعصف بأركان الدولة لقد أظهر الإمام حيثيات الزمن في الخطاب، بغرض إفهام أوضح بما أعدّه للقارئ من عناصر وصيغ دالة على خصوصيته_ وما يتحكّم في ترتيب مكونات الخطاب هو السياق التداولي.

3 _ الزمن :

لقد أظهر الإمام حيثيات الزمن في الخطاب ، بغرض إفهام أوضح بما أعدّه للقارئ من عناصر وصيغ دالة على خصوصيته_ وما يتحكّم في ترتيب مكونات الخطاب هو السياق التداولي. و المبهمات الزمنية في هذا النص قليلة لاعتماد الإمام على أزمنة الأفعال (الماضي و الحاضر و المستقبل) اعتمد فيها الإمام على عملية استرجاع الأحداث في الفقرة الأولى على اعتبار أنها ذات شحنة حجاجية قوية إقناعية لها تأثير بالغ على المتلقي ، و في الفقرة الثانية تقديم الحلول و النتائج ، كما يأتي:

_ الزمن الماضي	_ الزمن الحاضر و المستقبل
<p style="text-align: center;">_ إِي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ</p> <p style="text-align: center;">_ يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ!</p> <p style="text-align: center;">_ قَدْ ثَارَتْ</p> <p style="text-align: center;">_ الْغَتِّ إِلَيْهِمْ أَعْرَابِكُمْ</p> <p style="text-align: center;">_ يَسْؤُمُونَكُمْ مَا شَأْوُوا</p>	<p style="text-align: center;">_ هَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً</p> <p style="text-align: center;">_ تُرِيدُونَهُ؟!</p> <p style="text-align: center;">_ إِذَا حُرِّكَ . عَلَى أُمُور:</p> <p style="text-align: center;">_ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ.....</p> <p style="text-align: center;">_ فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَأَنْظِرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي.....</p> <p style="text-align: center;">_ لَا تَفْعَلُوا فَعَلَةً تُضَعِّضُ</p> <p style="text-align: center;">_ سَأُصْبِحُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيِّ.</p>
<p>الماضي</p> <p>← زمن إلقاء الخطاب</p>	<p>↑ زمن إلقاء الخطاب</p> <p>المستقبل</p>
<p>الماضي</p> <p>→ أفعال تبريرية حجاجية</p>	<p>المستقبل</p> <p>← النتائج و الحلول المتوصل إليها</p>

4 _ الإشارات:

مصطلح الضمير شائع في التراث اللغوي العربي وهو عند القدماء " : اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب"⁽¹⁾ و تعتبر الضمائر من من أهم و أبرز العناصر اللغوية التي يتحدد معناها في إطار المقام ، لقد اهتم المنهج التداولي بالضمائر، على اعتبار أنها تدخل في نسيج البنية العميقة للخطاب . ويمكن تقسيم تمثل بعض الإشارات في هذا الخطاب إلى ثلاثة أقسام : **ضمائر المتكلم (أنا)** و **ضمائر المخاطب (أنتم)** ، و **ضمائر الغائب (هم)** .

¹ ينظر: عباس حسن : النحو الوافي، ص: 196

أ – ضمائر المتكلم :

نجد في هذا الضمير ما ينقسم إلى قسمين: متكلم مفرد و في هذا يشير إلى (الإمام علي) وظفت متصلة: [إني] [إلي] [لستُ] ، و مستترة: [أجهلُ] ، و كلها تعود على مرسل الخطاب الإمام علي ، في حين نجد ضمير الجمع والذي يدل على المرسل و المتلقي معا، و قد وظف لغرض تحسيس الإمام أن (المتلقي) مشارك في الخطاب، ويتفاعل معه ، كقوله (ﷺ): [يَمْلِكُونَنَا] : [نا] = ضمير الجمع المتصل [الحاضرون] = [الإمام علي + شيعة علي]، فاستعمال ضمير الجمع المتكلم بهذا الشكل تدل على وحدة العمل و الشعور بالمصير المشترك.

ب . ضمير المخاطب:

بمجرد تلفظ الإمام ب (أنا) فقد وضع (ﷺ) أمامه وبطريقة آلية شخصا أو أشخاصا يقابلونه في خطابه فالضمير المقابل هو " أنتم" . أما استعمال الإمام لضمير المخاطب "أنتم" أو أي شكل آخر من أشكال هذا الضمير يظهر حينما يتوجه المتكلم بالحديث على الشخص المخاطب، وقد توجه الإمام في خطابه بالحديث إلى وضع الأمة الإسلامية عموما والمتلقي للخطاب خصوصا، لكن من دون أن يستعمل الضمير (أنتم) بل استعمل أشكالا أخرى من أشكال هذا الضمير، ويظهر هذا في: [عِبَادِنَكُمْ] و [أَعْرَابِكُمْ] كاف الخطاب المتلقي .

ج . ضمير الغائب:

لم يعتد التداوليون كثيرا بضمائر الغياب على اعتبار انهم ليسوا من ضمائر الحضور ، إلا أنه يمكن التعرف على هذه الضمائر من خلال السياق و أحداث الموضوع إذ نجد الإمام قد وضح ضمير الغائب في قوله: [وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ] فضمير الغائب [هم] في هذا الخطاب يحيل إلى المناوئون للإمام في قوله: شَوْكَتِهِمْ ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هَوْلَاءِ قَدْ تَارَتْ مَعَهُمْ عِبَادِنَكُمْ، وَانْتَفَتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابِكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا] وهذا الضمير يعد محور موضوع الخطاب.

5. البنية الحجاجية:

أهم ملاحظة يمكن استخلاصها في هذا النموذج وجود توازن بين الصيغ الإنشائية و الخبرية لأن الأمر يتعلق بالوعظ كما نجد تعدد الأفعال الكلامية لتنوع الأحداث و اختلاف الظروف وهذا ما يدل على تعدد أهداف الإمام علي، فكانت الأفعال الكلامية تارة تعبيرية وتارة أخرى توجيهية، وكان الإنجاز مرة سلوكيا ومرة أخرى تقريريا، كما جاءت الأفعال بشكل مباشر وأحيانا جاءت تلميحية فالجمل الخبرية والإنشائية كلها تهدف إلى انجاز أفعال وتحقيق أغراض يتوخاها المتكلم من كلامه ، سواء كانت إخبارا أو أمرا أو نهيا أو نداء. بغض النظر عن تحقق هذه الأفعال أو عدم تحققها من جهة المخاطب ؛ فحين

- الأفعال الكلامية -

تلفظ المتكلم في المقطع الحوارى فقد تلفظ **بفعل كلامى** وهو فعل القول (الألفاظ المتلفظ بها)، وهذا الفعل الكلامى يراد به انجازا ما .

إن أول ما بدأ به الإمام في هذا الخطاب هو **أسلوب النداء [يا إخوتاه!]** فالابتداء به كان يمثل للمتكلم والمتلقي مفتتحاً للفكرة الدالة على أجواء الخطاب، فقد حملت متلقي الخطاب على الاعتقاد وحققت هدف الإقناع، وجذبت انتباهه من أول الخطاب باستخدام هذا النداء ، والفعل التأثيرى هنا هو التنبيه إضافة إلى مبدأ الإفادة و التآزر، فعلاقة الأخوة الدينية التي تجمع بين المسلمين و ما تحمله هذه اللفظة من متضمنات القول كالتضامن و الابتعاد عن الكره و الحقد ، و بذلك تشعر المتلقي بالاطمئنان و الراحة النفسية فتهيئه بذلك لتقبل توجيهات الإمام بتذكيره بالمرجعيات الدينية المشتركة كالأخوة الدينية ، خاصة و أن السياق و الظرف الحساس العصيب الذي تمر به الأمة الإسلامية صعب للغاية، يتطلب أكبر قدر من الحكمة و الصبر و الحلم و التضامن ، " فالكلام الذي بعد هذا المفتاح يكون قد بلغ من السبك اللفظى والحبك الدلالى ما يضمن له من تحقيق غايته من الإبانة والكشف وترسيخ الفكرة في الذهن ⁽¹⁾ لذا يظهر جليا أن النداء يساعد على تمكين عرى التواصل بينهما ، من خلال اعتماده على مبدأ المشاركة ، و رغبة الإمام في إشراك الآخر في الخطاب ، بإلزامه بأن يكون مخاطبا .

وبعد ما يوظف الإمام الأفعال التقريرية في قوله (**إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ**) وقد استهلها بأداة توكيد [إن] التي تعد من الروابط الحجاجية التي تفيد التوكيد و الإثبات ، و تقوية الحجاج ، فتترك اثرها على المتلقي بأن الإمام علي على إحاطة و علم بالظروف، فيطمئن المتلقي للنتيجة ، وتحمله على القبول و الإذعان فيقتنع باقتراح الإمام .

الحجة (جملة فعل الشرط)	الرابط الحجاجى	النتيجة (جملة جواب الشرط)
_ لوعاقبت ممن أجلب على عثمان ؟	إن (+) ي	_ لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ

و في هذين التعبيرين يتقاسم الخليفة ومخاطبه المعرفة المشتركة، ويتحقق شرط عقد النيّة والصدق في الخطاب، إذ أنّ الخطاب يطابق السياق، وهذا ما أدى إلى نجاح الأفعال الكلامية في تحقيق الأفعال التأثيرية .

من المعلوم أن تعالى صوت الإمام في النص يدفع إلى الاهتمام بما يقوله، بعدما يحس ببعض الخفوت في التفاعل من طرف المتلقي ، وقد تحقق هذا بفعل التكرار المتصل للضمير العائد على الجماعة (**لَا تَمْلِكُهُمْ**) : كاف الخطاب(المتكلم +المخاطب)=(الحاضر)= شيعه الإمام علي (هم: ضمير الجمع

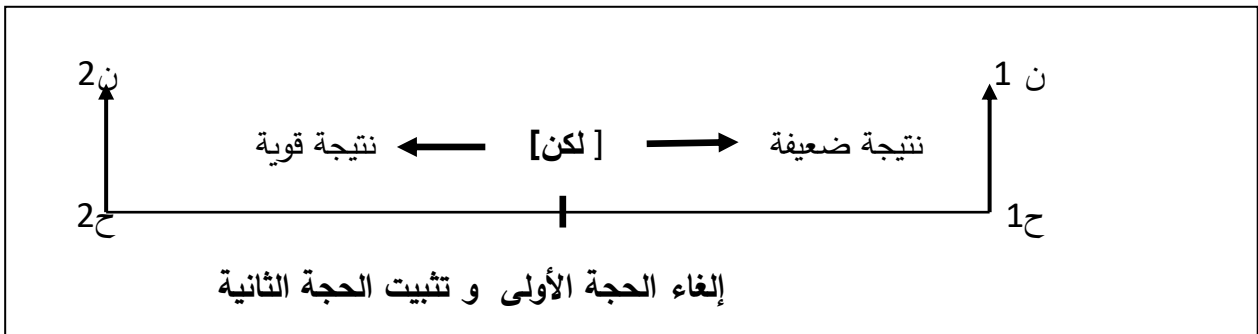
1_ ينظر : الزركشى. محمد أبو الفضل. البرهان في علوم القرآن عيسى الحلبي. القاهرة 1957. ج 3 ، ص ص : 11.10

- الأفعال الكلامية -

الغائب) الفرق المناوئة و كلها مثلت حلقات للوصل الدلالي، إذ يواصل الإمام تعاونه مع المتلقي في معرفة انشغالاتهم و اطلاعه التام على مجريات الأحداث، هذه الضمائر مرتبطة بأفعال التقرير فاستعمال ضمير الجمع المتكلم تدل على وحدة العمل و الشعور بالمصير المشترك ، ليرجع الإمام مرة أخرى إلى التعبيرات ، فيعبر عن حالة التذمر عن طريق الاستفهام ، إذ يصنفه أغلب البلاغيين على أنه من الإنشاء الطلبي، ويميزه أنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق (1) يقول **﴿وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ﴾**. فقد قدم الإمام السؤال ، ثم أجاب عنه ، لأنه لا ينتظر جوابا و لأنّ: " النص الأدبي لا يهدف إلى إثارة إجابة القبول أو الرفض ، وهذا ما يسمى في البلاغة المعاصرة : [بالاقتراح] إذ يطرح المتكلم أسئلة ثم يحاول الإجابة عنها بنفسه فتأخذ بعدا تداوليا ؛ لتقديم معلومات و تأكيدات، فيسرد الإمام تقريرا مفصلا عن الوضع حتى تتضح للمتلقي الصورة والرؤية ، فتنبه لخطورة الوضع الذي يحتاج إلى الهدوء والتروي و الصبر. و هنا تظهر حكمة الإمام **﴿لَا يَنْتَظِرُ جَوَابًا﴾** القائد و الخليفة و المسؤول و ما يمتلكه من بعد النظر وحرصه على سلامة الأمة من كل فتنة من خلال تحليله للوضع . و الاستفهام هنا مسبوق بحرف [لكن] الاستدراكية، فالأثر الحجاجي لهذا الرابط تتمثل في كونه " يستعمل لدحض النتيجة من الحجة التي بعدها أي تستعمل للحفاظ على النتيجة " (2) ، يمكن توضيح ذلك في ما يلي :

ح1 . [معاقبة القوم المجلبين بالقوة] (مطلب أصحاب الإمام)

ح2 . [وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَىٰ حَدِّ شَوْكِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هُوَلاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالنَّفْتُ إِلَيْهِمْ أَعْرَابِكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا] فالإمام قدم حجتين (ح1) و (ح2) الحجة الأولى موجهة نحو النتيجة (ن1)، و الحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة (ن م) على اعتبار أن الحجة الثانية أقوى و هي التي توجه موضوع الخطاب برمته نحو التأثير في المتلقي .



1 _ ينظر : السكاكي . مفتاح العلوم، ص:416

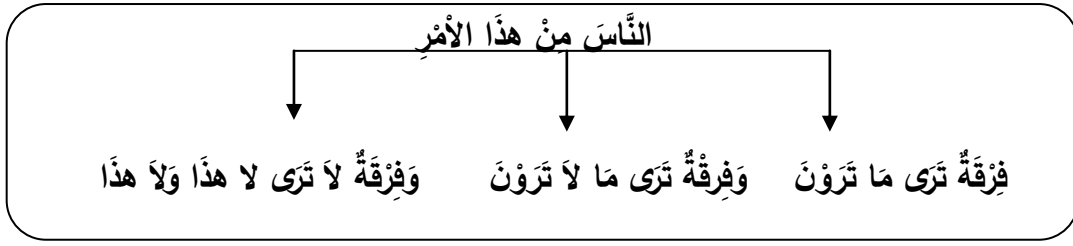
2 _ أبو بكر العزاوي . اللغة و الحجاج ، ص:58

و على ذلك أورد الإمام الحجة الثانية بسلسلة من البراهين و الإقناع ، هي قوة إنجازية أخرى في شكل تعبيريات و تقريريات عن حالة المسلمين في وقتهم الراهن . [وَأَلْقَوْهُ الْمَجْلِبُونَ عَلَىٰ حَدِّ شَوْكِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ! وَهَاهُمْ هُوَلاءِ قَدْ تَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالتَّقَتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابِكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَأُؤُوا] إذ استهل توظيف الفعل التقريري معرفاً بال [القوم المجلبون] لمعرفة المتلقي بهؤلاء الناس و معاشيتهم للحدث ، كما يقول محمود نحلة "التعريف يعتمد على ما يفترضه المتكلم من علم السامع بالأمر) (1) و بذلك يكون الإمام علي قد وضع المتلقي في الصورة مع توضيح للمشهد .

استعمل الخطيب آلية التقديم والتأخير للإثبات والتأكيد من خلال هذه الأفعال التقريرية ، [.. . وَهَاهُمْ هُوَلاءِ قَدْ تَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَانِكُمْ، وَالتَّقَتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابِكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَأُؤُوا] ثم يستنهم: [وَهَلْ تَرُونَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةِ عَلَىٰ شَيْءٍ، تُرِيدُونَهُ؟!] والغرض البلاغي منه هو النفي و الفعل الإنجازي هو دعوة المخاطب إلى توظيف العقل و الواقعية في الطرح ، وقد ساعد القارئ على فهم القصد.

لقد خاطب الإمام فرقة من الصحابة و من خلالهم الأمة الإسلامية بجملة إنجازية صريحة: [إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَإِنَّ لِهَؤُلاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً] و الفعل التأثيري هنا هو التأكيد بتوظيف أداة التوكيد [إن] على أن هذه الأحداث مشينة ، و أنها لا تتماشى مع تعاليم الدين ، و بذلك قدم الإمام حكماً شرعياً لهذه الحالة التي تعيشها الأمة و الظروف المحيطة بهذه الأحداث خاصة عندما ذكر الإمام لفظة [الجاهلية] و ما تحمله من دلالة سيمائية و تأثيرها على المتلقي ؛ لأنها تذكره بالسلوك الجاهلي الذي نهى عنه الرسول (ﷺ) و هذا الأسلوب " يعتمد على تضافر مكونين: (لساني و بلاغي) يضطلع المكون اللساني بمهمة تحديد الدلالة ويضطلع المكون البلاغي بمهمة ربط الدلالة بالسياق المقامي فالتكلم حين يوجه حديثه إلى المخاطب على أساس ما يفترض سلفاً أو (سابقاً) أو ما يعرف . بالافتراض السابق (Presupposition) . أنه معلوم له ، ثم يوظف الإمام آلية بديعية لها قوتها التأثيرية و الحاجبية تتمثل في استخدام الجمع ثم التقسيم في تفصيل القول . في حالة تطبيق القصص سيكون رد فعل الناس . في قوله ﷺ: [إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ . إِذَا حُرِّكَ . عَلَىٰ أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَىٰ مَا تَرُونَ، وَفِرْقَةٌ تَرَىٰ مَا لَا تَرُونَ وَفِرْقَةٌ لَا تَرَىٰ لَا هَذَا وَلَا هَذَا] على النحو التالي:

1 _ محمود أحمد نحلة. التعريف والتكبير بين الدلالة والشكل، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 1999، ص: 81.



مستخدماً أسلوب الشرط . إذا حُرِّكَ . لما للشرط من دور حاجي يتمثل في التلازم و التعالق بين ركني الشرط يقتضي بالضرورة القبول بجملة الجواب ؛ لكونه يحصر المتلقي بين السبب و النتيجة ، فالقبول بمجموعة الشروط يعني القبول بمجموعة النتائج ، كما يلي:

حجة (جملة الشرط)	نتيجة (جواب شرط)	هدفه
إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ . إذا حُرِّكَ . عَلَى أُمُور :	فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى لَا هَذَا وَلَا هَذَا	توليد قيم حاجية تؤثر في عقل و عاطفة المتلقي فيذعن للمرسل فيغير تصوره إلى تصور المرسل.

بالإضافة إلى أسلوب الشرط ، استعمل الإمام جملاً إنجازية ، تشتمل على الفعل المضارع و تكراره بصيغ مختلفة [تَرَى مَا تَرُونَ] ، [تَرَى مَا لَا تَرُونَ] ، وَ[فِرْقَةٌ لَا تَرَى لَا هَذَا وَلَا هَذَا] [تدلّ على الحركية والتفاعل و تناقضات القوم ، والفعل التأثيري هنا هو إحاطة المتلقي بخطورة الوضع و أن الحدث هو فتنة كبرى تحتاج التروي و دراسة العواقب قبل أخذ القرار في شأنها.

كذلك ضعف قوة الفريق الذي سينحاز إلى رأي الخليفة ، خاصة و أن الثائرين ازدادت قوتهم بميل عبيد أهل المدينة إليهم ، و مؤازرة الأعراب لهم ، و إذا ما أراد تطبيق القصاص سينقسم أمر الناس إلى ثلاثة فرق : فرقة مع القصاص، و فرقة ضد القصاص، و فرقة على الحياد و النتيجة قوة الإمام في المدينة هي ثلث الأطراف ، وظف الإمام في ذلك روابط حاجية لبناء الحجج ، و ترتيب درجاتها لاستهداف المخاطب و اقناعه بفحوى الخطاب. و تعد [الواو] من الروابط الحاجية ، إذ "تقوم على جمع الحجج و ترتيبها ووصل بعضها ببعض ، بل و تقوي كل حجة منها الأخرى ، و تعمل على الربط النسقي أفقياً⁽¹⁾ كما هو واضح في مايلي:

1 _ ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية ، ص:482.

التريث حتى تهدأ النفوس =	ن
و + فِرْقَةٌ لَا تَرَى لَا هَذَا وَلَا هَذَا	ح3
و + فِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ	ح2
فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ	ح1

مما استوجب على الإمام التريث حتى تهدأ النفوس ، بعد أن قدم الإمام تقريراً مفصلاً عن خطورة الوضع و وضع المتلقي في الصورة الحقيقية للمشهد ، بما أن للخطاب و لأطراف الخطاب، رصيماً من الافتراضات المسبقة و معلومات مستمدة من المعرفة العامة، وسياق الحال، وهذه الافتراضات في تزايد مع تقدم عملية الخطاب. إذ أن.."لأي خطاب، توجد مجموعة من المسلمات الخطابية سبق من النص أو بالعودة إلى المقام."⁽¹⁾، وهذا ينسجم مع مبدأ التعاون الذي يجعل من المتلقي شريكاً حقيقياً في الموضوع. يعود الإمام إلى السلوكيات في معاني التعجب بفعل إنجازي غير صريح من خلال الاستفهام التعجبي الإنكاري : (وَهَلْ تَرُونَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةِ عَلَى شَيْءٍ، تُرِيدُونَهُ؟!) ، فظاهر الفعل استفهام طلبي أما غرضه الإنجازي هو التقرير والفعل التأثيري هنا النفي و عدم القدرة ، هي في حد ذاتها حجة تدعم رأي الإمام .

انتقل الإمام إلى أفعالاً تقريرية أخرى مدعمة لما سبق و حجة لما لحق ، حين مزجها بأسلوب الشرط ليكون الإمام قد حلل الحالة النفسية للفرق المتصارعة ، فيما هم يفكرون فيه ، حتى يبين للناس حقائق أغفلوها و يكون الناس على بينة ، و من أجل ذلك فقد عمل الإمام كل ما في وسعه لتجنب أي موقف قد يلهب الصراع و ينمي الخلاف فتهدم قوة الأمة و يعصف بكيانها ، و الحلم في مثل هذه المواقف و اجب حينما يكون هناك صراع بين فئتين ، فمن المفترض أن يكون هناك مراعاة للمصلحة العامة للأمة والدين و هذه ميزة نجدها منها في حكم أمير المؤمنين (عليه السلام).

انتقل الخليفة إلى أفعال التوجيهيات [فَأَصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَى النَّاسُ، وَتَقَعِ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤَخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً؛ فَأَهْدُوا عَنِّي، وَانظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضْغِضُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مَنَّةً، وَتُورِثُ وَهْنًا وَدِلَّةً. وَسَأْمِسُكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً فَأَخْرِجِ الدَّوَاءَ الْكَيَّ]. وفيها يتوجه الإمام إلى مخاطبيه بطريقة لينة عن طريق النصح والتبويه، مخاطباً المتلقي بتوظيف . الأمر: [فَأَصْبِرُوا]

1_ ج.ب. براون و ج. يول . تحليل الخطاب ، ص ص: 214 . 215.

حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ ، وَتَفْعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُوَخِّدَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً. فالفعل الإسنادي: [فَاضْبُرُوا] الذي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول الفعل [فَاضْبُرُوا] وموضوعه الفاعل المتصل (الواو) بفعل إحالي إلى بعض أصحاب الإمام علي [أنتم] بالإشارة إليهم بالضمير المتصل [الواو]، بالإضافة إلى الإحالة للإمام علي كموجه للخطاب. أما الفعل الدلالي فقد تكون من قضية تتشكل من مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سنة: (35هـ) و مبايعة الإمام علي بعده بالخلافة ، و انقسام صفوف المسلمين حول من اجلبوا على عثمان ، فالإقتضاء وارد في حالة من الاستقرار بين المسلمين و انقسامهم إلى فرق ، فبعضهم يطالب الخليفة [بمعاينة القوم الذي أجلب على عثمان] ، هذا استدعى الإلتزام المنطقي المتمثل في ما قدمه الإمام من تقرير مفصل عن حالة الانقسام التي فيها القوم ؛ فقدم توجيهات عامة ؛ لتفادي هذه الفتنة ، وبعد أن اقتنع المتلقي بسلسلة من الاستنتاجات ، انطلقا من البنية وصولا إلى المحتوى والمقصد ، فيدرك قيمة الفعل الإنجازي [فَاضْبُرُوا] ، الذي تحقق بالأمر الطلبي ، الفعل التأثيري فيه هو الدعوة إلى التزام الهدوء ، و التقيد بما يراه الإمام من توجيهات .

دعم الإمام هذه التوجيهات بمجموعة من الحجج ، يطمئن لها المتلقي و تتضح له الصورة فيصبح المتلقي مقتنعا بعد أن عرف و أحاط بالأمر ، فالإمام علي لا يقدم الأوامر و النواهي إلا و يشفعها بالحجة التي يطمئن لها المتلقي ؛ ليختتم أفعال التوجيه بأسلوب الشرط [وَسَأْمِسُكَ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً ...] تدل على أن هناك شيئا معلقا وجوده على وجود شيء آخر ؛ لأن " الرابط الحجاجي يربط بين المتغيرات فيكون محولا ذا موقعين حجاجين ، فيتوسط الرابط الحجاجي متغيرين حجاجين" (1) ، على الشكل التالي:

حجة (جملة الشرط)	نتيجة (جواب شرط)	غرضه
مَا اسْتَمْسَكَ (الأمر) وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدْأً	سَأْمِسُكَ الْأَمْرَ فَأَخْرُ الدَّوَاءَ الْكَيَّ.	تقديم حجج ، وبراهين على رد فعل الإمام ، وجديته في إنهاء الموضوع إذا تجاوز حدوده. وخرج على جملة الشروط

و فعل أنجازي آخر غير مباشر [...] فَأَخْرُ الدَّوَاءَ الْكَيَّ.] وهو فعل أنجازي فيه نبرة تهديد وحزم في الأمر إذا ما أخذت الأحداث منعرجا يهدد الأمة ، فضل الإمام في هذا التعبير استعمال مستوى تلمحي يُعتمد فيه على السياق للوصول إلى فكرة الباث وهي تختلف عن الأساليب الإنشائية في تجاوزها الدلالي، حيث تقدم الكناية فكرة متطورة للمعنى الأصلي الجائر فهمه من التعبير ، وارتباطها بقصد الإمام الذي لا يريد

1 _ الحجاج مفهومه و مجالاته، ج1، ص: 313

إيصال المعنى السطحي المباشر للكلام ؛ لأسباب تداولية تتمثل في حساسية الحديث في بعض المواضيع، التي يمكن أن تؤثر على أبعاد العلاقة مع المخاطب ، فاختار استعمال الكناية [فَأَخِرُ الدَّوَاءِ النُّكِيِّ] ، و هو مثل يضرب عند العرب على استخدام آخر الحلول عندما لا تتفجع الحلول الأولية . و مثل هذا الأسلوب الكنائي يحفز المخاطب على بذل طاقة إضافية باستثمار الكفاءة التأويلية للمخاطب الذكي لفهم قصده ، و لاختبار كفاءته التأويلية والاستنتاجية. وهذا ما يطلق عليه (غرايس) مصطلح الاستلزام الحواري ، كما وظف في هذا الأسلوب الرابط الحجاجي [الفاء] [فَأَخِرُ] ، لما لها من أثر فاعل في ترتيب الحجة و ربط النتائج بالمقدمات، و حصر المعنى بين حجة سابقة و نتيجة لاحقة فيكون لها تأثير كبير على المتلقي. وردت العبارة في أسلوب الشرط ، و القوة المتضمنة في هذا القول تتمثل في إصرار الإمام علي على تحمل المسؤولية في إطفاء نار الفتنة، حتى و لو لجأ إلى القوة، إذا ما تطلب الأمر ذلك . و رغم عدم إظهار استجابة و تأثير الخطاب الأنبي على شيعة الإمام و أنصاره لأن المتلقي في الخطاب الترسلني (حاضر. غائب) أو حاضر لا يشارك في الخطاب ، إلا أننا واعتمادا على سياق المقام الذي يتعلق بالمرجعية التاريخية لأنصار الإمام ، فقد مارس الفعل الكلامي في هذا الخطاب تأثيره على المتلقي ، و الأحداث التاريخية ذات علاقة بالموضوع خير شاهد على ذلك .

نستنتج أن البنية الحجاجية في خطبة الإمام علي الإقناعية، تتكون من عدة عناصر منها:

وسائل الإقناع اللغوية، و البلاغية و الروابط الحجاجية و التناصتات بمختلف أنواعها و قد وظفت حسب مقتضى الحال آخذا بعين الاعتبار نوع المتلقي، و أضرب الخبر البلاغية. كما تعود أسباب تعدد و تباين آليات الإقناع والحجاج إلى تعدد طبيعة المخاطب، و تقريب المرسل إليه منه. كل هذا ساعد في تأسيس الحجاج والتأثير ؛ من خلال المعرفة المشتركة و التعاون الثقافي و الإجتماعي و الفكري مع متلقيه. تميز الحجاج في نهج البلاغة بخروجه عن الخصام والمغالبة إلى لغة التوجيه والتنبيه ، فقد صحح (رضي عنه) كثيرا من المسارات الخاطئة في التفكير السلوكي، من خلال معالجته لأهم القضايا التي تمس جوهر الإنسان .مما سمح لنا القول: إن رفعة أسلوب الإمام علي تمثل في [سمو المعاني و قوة الأساليب التبليغية و الإقناعية] .

• تحليل النص الثاني [الخطاب الأدبي]



– يقول الإمام (عليه السلام) (1)

"أَيُّهَا النَّاسُ، الْمَجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُهُمْ يُوْهِي الصَّمَّ الصِّلَابَ ، وَفِعْلُهُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ! تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي حَيْدَا! مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلِ، دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ، لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ! وَلَا يَدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ! أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مَنْ عَزَّرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلِ. أَصَبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ . مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رَجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقْوَالًا بَغْيِيرِ عِلْمٍ! وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ! وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!"



1_ السياق:

المتكلم في الخطاب هو الإمام علي، أما المخاطب (المتلقي) فهو جيش الإمام علي، ينتمي الخطاب إلى أدب صدر الإسلام، ويظهر هذا من خلال مولد الإمام من جهة، والأحداث الموجودة في الخطاب من جهة أخرى، بالإضافة إلى المناسبة التي يوردها الشريف الرضي جامع نهج البلاغة؛ ومفادها أن الإمام علي [بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين] [وفي هذه الخطبة يستهزئ الإمام أصحابه لما حدث في الأطراف]: كانت غارة الضحاك بن قيس بعد الحكمين، وقبل قتال النهروان، وذلك أن معاوية لما بلغه أن علياً (عليه السلام) بعد واقعة الحكمين تحمل إليه مقبلاً هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكراً وبعث إلى كور الشام، فصاح بها إن علياً قد سار إليكم.. (2). إذ نكون بهذه المناسبة قد وضعنا الخطاب في مشهد دلالي معين يمكن فهم مقاصد الإمام و أهداف إلقاء خطابه.

1 _ الإمام علي. شرح ابن أبي الحديد، ج2، الخطبة 29، ص: 111

2_ المصدر نفسه: ج 2، ص: 114

2_ فعل القول (Acte d'énonciation):

إن للمفوضات أفعالا تتجزأ لحظة عملية التلفظ ، و هذه الأفعال هي: [الأفعال القولية Acte locutoire] ؛ أي إطلاق الألفاظ على صورة جملة مفيدة ذات بناء نحوي سليم ، مع تحديد مالها من معنى (Sense) ومشار إليه (Référence) " وهذا الفعل يقع دائما مع كل قول، ومع إعطائه معنى، وجد (أوستن) ضرورة إرفاق فعل القول بمرجع يحيل إليه. ثم توصل (أوستن) في آخر مرحلة من مراحل بحثه إلى تقسيم [الفعل الكلامي الكامل] إلى ثلاثة أفعال فرعية⁽¹⁾، و هي [الفعل الصوتي] أو فعل القول و هو التلفظ بسلسلة من الأصوات المنتمية إلى لغة معينة، و [الفعل التركيبي Syntax] و يؤلف مفردات وتراكيب لغة معينة، و [الفعل الدلالي Simantique] و هو توظيف هذه الأفعال حسب معان و دلالات و إحالات محددة. وهو فعل التلفظ بالكلمات و الجمل و يكون الوصف والإخبار هو الذي يميزه عن غيره من الأفعال ، فالقول هنا يعني مجرد التلفظ بالفعل ، أو بالمقول عامة ، وهذه المفوضات (المقولات) المنطوقة في الخطاب يمكن ترتيبها و تنظيمها تسهيلا للدراسة في ما يأتي:

1. أَيُّهَا النَّاسُ ق 2. الْمَجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ق 3. كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصِّلَابِ، ق 4. وَفِعْلُكُمْ يُطْمَعُ فَيْكُمْ الْأَعْدَاءُ! ق 5. تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، ق 6. فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي حَيَادٍ! ق 7. مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَائِكُمْ، ق 8. وَلَا اسْتَرَّاحَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاتِكُمْ، ق 9. أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلِ، دِفَاعُ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ، ق 10. لَا يَمْنَعُ الصَّيْمَ الدَّلِيلُ! ق 11. وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ! ق 12. أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ، ق 13. وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَغْدِي تُقَاتِلُونَ؟ ق 14. الْمَغْرُورُ وَاللَّهُ مِنْ عَرَزْتُمُوهُ، ق 15. وَمَنْ فَارَزِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، ق 16. وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلِ. ق 17. أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصْدِقُ قَوْلَكُمْ، ق 18. وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، ق 19. وَلَا أَوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ. ق 20. مَا بَالُكُمْ؟ ق 21. مَا دَوَاؤُكُمْ؟ ق 22. مَا طِبُّكُمْ؟ ق 23. الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقْوَالًا بَعِيرِ عِلْمٍ! وَعَقْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ! وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟! ق.

إن أول ما يجب معرفته أن الإمام علي قد وُظف في خطابه ما يعرف في التداولية بمبدأ التعاون في شقها الذي يربط النص بالسياق أو المقام أو بما يعرف بالمناسبة ، وبعناصره الأربعة لـ(غرايس) ، وذلك من خلال جعل كلامه مناسباً للمقام الذي يرد فيه بتقديم نتائج يستفيد منها المتلقي، تتمثل فيما يسوقه من خبرة بالحياة وتجربة وباع في القتال والتدبير والقيادة والإمامة ، إن التزام الإمام بمناسبة الخطاب التي يوردها الشريف الرضي جامع نهج البلاغة قبل إيراد إي خطاب له (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ) من خلال الاتفاق المسبق

1_ ينظر: صحراوي . التداولية عند العلماء العرب، ص: 20.

- الأفعال الكلامية -

بين المرسل و المرسل إليه على السير الذي يتوجه نحوه النص؛ من حيث كون هذا الخطاب جواباً عن سلوك معين وعن ظرف مستجدة ، حتى وإن كان هذا الاتفاق ضمناً ، إذ أجاب الإمام علي (عليه السلام) في خطابه إجابة واضحة بعيدة عن كل غموض في توجيهات من توجيهاته الكثيرة المتضمنة في نهج البلاغة من أمير المؤمنين (عليه السلام) كقائد و خليفة و إمام ، له مسؤولية عظيمة في إعادة لحمة المسلمين و حرمة دمائهم و أموالهم و أعراضهم .

لقد قسم الإمام بنية هذا خطاب على ثلاثة عناصر التمهيد للموضوع و الإعداد له لتهيئة الملتقي نفسياً و إثارة ذهنياً لتقبل موضوع الخطبة ، ثم إنتقل إلى الغرض فعرض الفكرة و توسع فيها .بعدها ينتهي إلى الخاتمة أو استنتاج يسعى فيه إلى ترخيص فكرة أو معنى في ذهن الملتقي .

كما أظهر الإمام حيثيات الزمن في الخطاب، بغرض إفهام أوضح بما أعدّه للقارئ من عناصر وصيغ دالة على خصوصيته ، و المبهمات الزمنية في هذا النص قليلة لاعتماد الإمام على أزمنة الأفعال (الماضي و الحاضر و المستقبل) التي تخص ظرف مكاني و زمني معين و آني يعيشه المسلمون لحظة إصدار الإمام لخطابه إذ يمكن توضيح هذه الأزمنة وفق الترتيب التالي:

الزمن الماضي	الزمن الحاضر و المستقبل
<p>ق2،ق3،ق4،ق5 ، ق6،ق7،ق8،ق9، ق10،ق17،ق20، ق21،ق22،ق23</p> <p style="text-align: right;">الماضي</p>	<p>ق1،ق11،ق12،ق13، ق15،ق16،ق18،ق19، ق14 .</p> <p style="text-align: left;">المستقبل</p>
<p>ق 14 : قول واحد انتقل فيه الخطيب من المستقبل إلى الماضي هو نتيجة لأقوال سابقة</p>	
النتيجة	
<p>إعتمد الإمام على عملية استرجاع الأحداث . في الغالب . على اعتبار أنها ذات شحنة حاجية قوية إقناعية لها تأثير بالغ على الملتقي فكانت الإحصائيات على الشكل التالي:</p>	
<p>60,86% (14)</p> <p>الماضي</p>	<p>39.13% (9)</p> <p>المستقبل</p>
<p>الحاضر</p>	

أما بالنسبة للقوة الإنجازية لهذه المبهمات، فقد ساعدت على توضيح سلوكيات جيش الإمام في الماضي وما ترتب عنها في الحاضر، وما استخلصه الإمام من حكم و بعد النظر في التعامل مع هذا الطرف ، فهي آليات تساعد المتلقي والقارئ على السواء في استجلاء هذه المعاني وفهمها، بالإضافة إلى المعرفة المشتركة بين الإمام والمتلقي بصفتها ينتميان إلى ثقافة عربية و إسلامية واحدة.

3. الفعل الإنجازي (Acte illocutoire) :

إذا كانت نظرية أفعال الكلام هي جوهر اللسانيات التداولية و أن هذه الأخيرة تهدف أساسا إلى دراسة الفعل بوصفه حركة وفعل و انجاز ؛ فقد عمد (أوستن⁽¹⁾) في كثير من الأحيان إلى تسمية نظريته بنظرية [الفعل الإنجازي] أو [النظرية الإنجازية] ؛ لذلك انصب اهتمام (أوستن^(*)) بالفعل الإنجازي (°) أكثر من أي فعل آخر لكون هذا الفعل ؛" هو ما يؤديه الفعل اللفظي من وظيفة في الاستعمال و من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي⁽²⁾) و هو ليس كالفعل اللفظي الذي لا ينعقد الكلام إلا به، ولا هو كالفعل التأثيري الذي لا يلزم الأفعال جميعها ، على أن الفعل الإنجازي يرتبط عنده ارتباطاً وثيقاً بمقصد المتكلم، وعلى السامع أن يبذل الجهد الكافي للوصول إليه ولهذا يقوم مفهوم قصد المتكلم الذي يعبر عنه بالإنجاز، بدور مركزي في نظرية الفعل الكلامي. و لكون خطاب الإمام علي (عليه السلام) يندرج ضمن الأفعال الإنجازية والتأثيرية لكون مضمونها نصائح وتوجيهات، و إرشادات وتقويما لسلوكيات و على اعتبار أن (أوستن) قد صنّف النصح والوصية ضمن الإنجازات؛ فإننا يمكن اعتبار خطاب الإمام علي خطابا إنجازيا بامتياز، بعد أن قسم (أوستن) الفعل الإنجازي إلى ثلاثة أقسام: [فعل القول _ الفعل الإنشائي _ الفعل التأثيري] .

من خلال ما سبق يتبين أن الفعل في خطاب الإمام و الذي يبدأ من : [ق] إلى غاية [ق3] [هو فعل قول تلفظ به الإمام علي تعبيراً و وصفا لمدى امتعاضه من سلوكيات جيشه ، أي ظهر القول لجمهور المتلقين يسمعون أو يقرؤونه. هذه الأفعال تحمل معاني الإخبار و التقرير و الوصف ، و هي

1_ ينظر: أوستن. نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) ، ص:116- إلى 130

* _ أوستن، جون لانجشو. أستاذ بجامعة أكسفورد مات في سنة 1960 أشتهر بالفلسفة التحليلية أشهر مؤلفاته Quant dire, C'est Faire.

° _ الفعل الإنجازي : هو الحدث الذي أوجده النطق سواء أكان هذا النطق اسماً أم فعلاً أم حرفاً، فعند ما أقول: [رائع] فأنا أنجز فعلاً هو [المدح]، فالإنجازية هي ما يقصده المتكلم بقوله، وذلك بحسب السياق.

2 _ أن روبرول وجاك موشلار ، التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ، ص:3

- الأفعال الكلامية -

أفعال تحقّق مع قولها أمران اثنان ؛ الأول (القول ذاته) ، والثاني محمول القول (فعل الإسناد *Acte propositionnel*) إذ يربط الصلة بين المرسل والمرسل إليه؛ أي إسناد معنى القول إلى الطرف الآخر كما هو واضح في الجدول التالي:

الفاعل الإنجازي	الفعل التوجيهي	مدلوله
ق.1 ق.2 ق.3	أنا ← أنتم	الإمام ← جيش الإمام
ق.3 ق.4 ق.5 ق.6	أنا ← (أنتم ← هم)	الإمام ← (جيش الإمام ← الناس)
ق.7 ق.8 ق.9	أنا ← هو	الإمام ← جيش الإمام
ق.10	أنا ← (هو → هو)	الإمام ← الضيّم الدليل! ← الجِد!
ق.11	أنا ← (هو → هو)	الإمام ← الحق ← الجِد!
ق.12	أنا ← (أنتم ← هي)	الإمام ← (جيش الإمام ← دار)
ق.13	أنا ← (أنتم ← هو)	الإمام ← (جيش الإمام ← الإمام)
ق.14 ق.15	أنا ← (هو ← انتم)	الإمام ← (المغرور ← جيش الإمام)
ق.16	أنا ← (انتم ← هو)	الإمام ← (جيش الإمام ← الفشل)
ق.17	أنا ← (هو ← أنتم)	الإمام ← (قول ← جيش الإمام)
ق.18	أنا ← (هو ← أنتم)	الإمام ← (انصر ← جيش الإمام)
ق.19	أنا ← (هو ← أنتم)	الإمام ← (العدو ← جيش الإمام)
ق.20 ق.21 ق.22	أنا ← أنتم	الإمام ← جيش الإمام
ق.23	أنا ← (هم ← أنتم)	الإمام ← خصومه ← جيش الإمام

أما النوع الثاني فهو (فعل الإنشاء *Acte performatif*) أي " الفعل المتضمن في القول و هو الفعل الإنجازي الحقيقي، إذ أنه عمل ينجز بقول ما، وهذا القسم هو المقصود من نظرية الأفعال الكلامية برمتها"⁽¹⁾ لكون الفعل الإنشائي يتحقق في القصد المتضمن في القول، إن كان نصحا أو عرضا أو تقييما أو حكما... و هذا يعني أن الفعل الإنشائي هو التلفظ و الإنجاز معا أي هو الحدث الناجم عن التلفظ والقصد المتحقق في هذا القول و المتمثل في [ما قدمه الإمام علي من نصائح لجيشه ؛ بأن تحقيق النصر مرهون بتغيير سلوكياتهم و الالتزام بالجدية]. كقوله (بِالْبَيْتِ) : [كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصِّلَابَ]. فالفعل الكلامي : [كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصِّلَابَ]، كناية عن التأثير العميق للإمام علي جراء الأحداث التي

¹ _ ينظر : مسعود صحراوي . التداولية عند العلماء العرب، ص: 56

وقعت ويتكون من **[فعل إسنادي]** يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل **[يُوهي الضم]** وموضوع الفعل الأول الفاعل الظاهر **[كلامكم]** و **فعل إحالي**، بالإحالة إلى **[كلامكم]** الإشارة إليه بالاسم والضمير المتصل **[الكاف و الميم (كم)]** الذي يعود على المتلقي **[جيش الإمام]** أما **الفعل الدلالي** فقد تشكل من قضية تكاسل جيش الإمام على أداء واجب الجهاد العمل على الحفاظ على أمن المسلمين؛ خصوصاً و قد تمرد معاوية و أتباعه بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية بعد قصة الحكمين، و هذا يتطلب **الاستلزام المنطقي** المتمثل في تدخل الإمام علي كخليفة و أمير المؤمنين بتوجيهات يستهض فيها أصحابه لما حدث في الأطراف ، موظفا الحجة و الدليل المتمثل في التقرير المقدم في بداية الخطاب، و لكون هذا الفعل **الإنجازي** يشتمل على أمر زائد هو فعل **[القوة Force]** التي للقول، فيقال مع القيام ب**[فعل القول]** والفعل **[الإنشائي]**، ينشأ **[فعل التأثير]** الذي يتوقف أثره على المعنى المعطى للقول لما له من تأثير في نفوس المتلقين وتقويم سلوكهم؛ بغية إحداث استجابة حسنة لديهم عن طريق الإقناع، ولأن النفس البشرية تنفر . غالباً. من الأوامر الفوقية المباشرة غير المبررة ، فقد أوجد الإمام حجة ملحة تزيد في الإيضاح ، وتبلغ من التأثير حد الإقناع على نحو كان الفاعل؛ أي المتكلم قد عمد إلى إيجاده ، و يسمى هذا الفعل : **[الفعل الناتج عن القول]**.

ما يلاحظ أن هذه الأفعال هي ليست أفعالاً ثلاثة تنجز الواحدة بعد الأخرى بل الهدف منها تسهيل الدراسة و التحليل . كقول الإمام علي في قوله : **ق5. [تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ]** : فهذا القول يتكون من **[فعل إسنادي]** يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل **[تَقُولُونَ]** وموضوع الفعل الأول هو الفاعل المشار إليه بالضمير المتصل **[الواو]** الذي يعود على **[جيش الإمام]** و **فعل إحالي** يحيل إلى المفعول **[كَيْتَ وَكَيْتَ]** بالإشارة إليه بالاسم أما **[الفعل الدلالي]** فهو يتشكل من قضية تكاسل جيش الإمام على أداء واجب الجهاد و تمرد معاوية و أتباعه ، و هذا يتطلب **الاستلزام المنطقي** المتمثل في تدخل الإمام علي كخليفة و أمير المؤمنين ليستهض أصحابه فينشأ من ذلك فعل **(التأثير)** المتسبب في نشوء آثار في مشاعر أو أفكار المتلقي بتقويم سلوكهم؛ بغية إحداث استجابة حسنة لديهم. أما قوة **[الفعل الإنجازي]** نجد أن **(أوستين)** قد ركز عليها بتقسيمها إلى خمسة أصناف : **[الحكمية ، التمرسية ، الوعدية ، الإخبارية ، التعبيرية]** و لكون القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في هذا الخطاب تندرج ضمن صنف **أفعال السلوك (Comporatifs)** الذي يهدف إلى إبداء سلوك معين، مثل :**[الشكر والاعتذار وتقديم التهاني والتعازي والقسم و التحدي و التوبيخ ..]**

- الأفعال الكلامية -

و على العموم فهي ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية تجاه ما يحدث للآخرين، أو بالسلوك الاجتماعي فنجدها قد وردت في خطاب الإمام على الشكل التالي:

الفعل السلوكي	زمن الحدث	غرضه
ق:1.2	الماضي	_ تقرير وصفي لسلوك غرضه التوبيخ و تقويم السلوك
ق:3.4	المضارع	_ تقديم حج على اعتبار ما كان، غرضه التوبيخ و تقويم السلوك
ق:5.6	الماضي	_ تقرير وصفي ،على السلوك غرضه التوبيخ و تقويم السلوك
ق:7.9.8	الماضي	_ أفعال البوحية (Expressives) ناتجة عن الآثار المترتبة عن سلوك المتلقي
ق:10.11	المضارع	_ حكم هدفها تقويم سلوك
ق:12.13	المضارع	_ استهزام إنكاري غرضه التوبيخ و تقويم السلوك
ق:14.15.16	الماضي	_ آثار و نتائج سلوكيات جيش الإمام السلبية و هدفها تقويم السلوك
ق:17.18.19	أفعال حالية	_ من الأفعال البوحية هدفها التعبير عن حالة نفسية محدّدة ناتجة عن الآثار المترتبة عن سلوك المتلقي
ق:20.21.22	أفعال حالية	_ تعبر عن حالة نفسية غرضها التعجب وهدفها تقويم السلوك
ق:23	تقريريات	_ مدح تقاضلي لجيش الإمام وفيها يستنهض أصحابه

في حين يندرج ضمن **التعبيريات (البوحيات) (Expressives)** في تصنيف (سيرل) هدفها التعبير عن حالة نفسية محدّدة بشرط عقد النية والصدق في محتوى الخطاب عن تلك الأمور المحددة ، و هذا ما نجده عند الإمام فقد عبّر عن حالته النفسية بعقد النية و الصدق و الإخلاص ؛ فالإمام علي الحريص على رعيته كان يهدف بخطابه إلى تقديم جملة من الحقائق على شكل تقرير إذ تعهد بدرجات متنوعة بأنّ شيئاً ما هو واقعة حقيقية، و أن القضية صادقة . ولنجاح هذه التقريرات يشترط حيافة المتكلم على شواهد ترجح صدق محتوى القضية التي يقررها ، فكان الخطاب خطاب عتاب و عدم الرضى على سلوكيات جيشه تجاه الجهاد فهو خطاب توبيخ مدثر بغطاء سلطة الأوامر يتجه بالخصوص نحو المتلقي (جيش الإمام) .

4_ الفعل الإنجازي المباشر و غير المباشر:

يؤكد (أوستين) بأن المنطوق لا يكون منطوقاً أدائياً ناجحاً إلا أن يتم النطق به في ظروف ملائمة وسيكون لهذه الفكرة أخطر الأثر في نظرية المنطوقات الأدائية. طالما أن الوظيفة الأساسية للمنطوقات الأدائية ليست التطابق مع الواقع، فلا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، غير أن هذه المنطوقات لا تؤدي وظيفتها بشكل صحيح في كل الحالات، إذ قد يخفق المنطوق في أداء هذه الوظيفة بطريقة أو بأخرى⁽¹⁾ لذا وضع (أوستين) شروطاً لتحقيق الأفعال الإنجازية وتسمى هذه الشروط الشروط الملائمة، (Felicity Conditions) وحصرتها في ثلاثة أنماط أساسية كل نمط يحتوي على شرطين فهي إذن ستة شروط وذلك على النحو الآتي: **المستوى الأول و هي الشروط الأولية و التي تحدد وضعية المتكلم التي تسمح له بفعل خطابي ما و هذا التحديد جعله أهلاً لإصدار ملفوظه .. و أن يكون منجزه في وضع اجتماعي يخول له سلطة القول أما المستوى الثاني فهي [شروط الجدية للفعل الكلامي] بمعنى التزام الصدق و الإخلاص ، وهو من الشروط التي تدخل في تمام البلاغة والإرسال ، والتي تتوفر على نية و قصد المتكلم حتى يتمكن من إيصال الفكرة والتأثير في نفوس المتلقين و سلوكاتهم ، وقد أضاف (أوستين) إلى هذه الشروط شرطاً آخر وهو ، شرط الصدق (Sincerity) أي أن تتوفر للمشاركين المشاعر والأفكار والنوايا الأساسية⁽²⁾. أما **المستوى الأخير و هي [الشروط الأساسية] التي تتكون من الأفكار****

و المقاصد. إن توفر الإمام لهذه الشروط جعله يرسل سلسلة من الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تحدث عنها (سيرل) الذي يقر بأن الأساليب التي تدخل في نمط الأفعال الكلامية غير المباشرة أضحت أعرافاً في لغات عدة ، و فسر ذلك انطلاقاً من المعلومات المشتركة بين المتكلم و المستمع على القيام باستنتاجات، و هو بذلك يحتاج الخطاب إلى متلق ذكي يستطيع إحالة الملفوظ إلى المقام و السياق الذي قيلت فيه ، حسب (سيرل J.Searle) هذا الفعل الكلامي غير المباشر لا ينجز عملاً لغوياً واحداً بل اثنين : عملاً أولياً يتمثل في الأمر ، ينجز بعمل ثانوي هو المقصد من الفعل الكلامي ، أي العمل الذي ينوي القائل إنجازه بواسطة جملته إنما يتصل فقط بالعمل الأولي و هذا المقصد هو الذي ينبغي تبنيه و سواء تحقق الفعل في الواقع أو لم يتحقق تظل إنجازية الأفعال الكلامية متحققة ما دامت شروط النجاح المتمثلة في القواعد التأسيسية المثبتة بمجرد التلفظ بها قائمة ، و الأمر موجود و هو في وضع يسمح له

1 _ صلاح إسماعيل عبد الحق. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير، بيروت، ط1سنة 1993 ،ص:141

2 _ ينظر: محمود أحمد نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:4

- الأفعال الكلامية -

بإصدار هذه الأفعال الكلامية " وجميع الأفعال التي غرضها حمل المخاطب على القيام بفعل ما يكون من شروطها المعدة قدرة المخاطب على القيام بذلك الفعل و كلما أدى الفرد فعلا كلاميا فإنه يعبر بذلك عن حالة نفسية تجاه القضية المعبر عنها فمثلا" من يقرر فهو يعبر عن اعتقاد و من يعد فهو يعبر عن نية و من يصدر أمرا فهو يعبر عن رغبة أو إرادة" (1) و الإمام لكونه خليفة للمسلمين يرسل تقريرا بعد تبصر و تمعن في سلوك المرسل إليه ، يحكم من خلاله بأحكام تتعلق بشخصية المرسل و مضمون الرسالة. و هذا الذي سنتطرق إليه من خلال مراحل سير الخطاب و إستراتيجية الإمام في الإلقاء. لقد مر الخطاب بعدة مراحل قطعها الإمام في انجاز كلامه ، والتي يمكن أن تتضح من خلالها مواطن اللغة الحقيقية ومساحتها من سواها، فيمكن تحديدها على ثلاثة مراحل : **المرحلة الأولى** وتبدأ من قوله ﷺ: (ق1) [أيها الناس ..] وتنتهي بقوله (ﷺ): **ق16** [...الناصل]. ابتداء الإمام خطابه بجملة إنجازية صريحة: [أيها الناس] و الفعل الإنجازي فيها هو الطلب والفعل التأثيري هو لفت الانتباه بالنداء والدعوة ؛ فالابتداء بالنداء كان يمثل للمتكلم والمتلقي مفتحا للفكرة الدالة على أجواء الخطاب ، وبذلك ينبغي أن يجيء الكلام الذي بعد هذا النداء قد بلغ من السبك اللفظي و الحبك الدلالي ما يحقق غاية الإبانة والوضوح وترسيخ الفكرة و قد تحقق هذا بفعل سلسلة من التقارير الوصفية المتصلة بمواقع من الكلام مثلت حلقات للوصول الدلالي وفيها يتحدث عن حالة الجيش و ما هو عليه من الكسل في أداء الواجب ، دون ذكر ذلك حرفيا و إنما بالاستناد إلى ما يمكن فهمه من النص ، و من طبيعة السياق الذي يكاد يكون مقتصرًا على التوبيخ من غير مدح، بلغة مجازية تغلب عليها الاستعارات والكنائيات على نحو يمكن القول أنها تنتمي إلى مساحة اللغة المجازية في الخطبة. كما يمكن التمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة و غير المباشرة بتحديد ثلاثة فروق جوهرية: (2) يمكن توضيحها في الجدول التالي:

الأفعال الإنجازية غير المباشرة	الأفعال الإنجازية المباشرة
<p>لا تظهر قوتها الإنجازية إلا في المقام</p> <p>جواز إلغاء قوتها الإنجازية غير المباشرة</p> <p>التوصل إلى قوتها الإنجازية عبر عمليات ذهنية استدلالية</p>	<p>ملازمتها للقوة الإنجازية في مختلف المقامات</p> <p>تؤخذ قوتها الإنجازية مباشرة من تركيب العبارة نفسها</p>

1 _ طالب هاشم طبطباتي. نظرية الأفعال الكلامية ، ص:70

2 _ ينظر: أحمد محمود نحلة. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ص:83. 84.

وفي قول الإمام يذكر قومه بما قاله لهم ونصحهم به حين دعاهم إلى قتال خصومهم من أصحاب معاوية معضدا هذا التذكير بقرائن في قوله (ﷺ): [الْمَجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ] و هي كناية عن الاختلاف والتواكل و الخذلان بسبب عدم الاستجابة للجهاد حتى استخف بهم عدوهم ، وملك عليهم الأوطان و بلغة مجازية أيضا تتسجم مع حيوية الخطاب الذي انتقل به من المطع المجازي إلى أصل الموضوع وهو التوبيخ لسبب التهاون وعدم الجدية ، قال (ﷺ): [كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءَ!] وهو تعبير عن ما آلت إليه أوضاع الجيش فهو كناية عن الخذلان و التكاثر. اعتمد الإمام في سرد هذه التقارير الوصفية على عمق تجربته الذاتية في الجهاد و تجربته مع جيشه ، فيواصل الإمام بسرد الحجج من الأحكام السابقة بتعابير مجازية كالكناية عن قلة الجدية و الرياء بين القول و العمل في قائمة جديدة مما اقترفوه معه من تهرب في القيام بالواجب المقدس، هذا أوصلهم إلى هذه النتيجة المخزية. في قوله (ﷺ): [تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حَيْدِي حَيَادٍ!] و " عبارة [كَيْتَ وَكَيْتَ] هي كلمتان لا تستعملان إلا مكررتين إما مع (واو) العطف وإما بدونها، وهي كناية عن الحديث. و كذلك قوله [حَيْدِي حَيَادٍ] و هي كلمة يقولها الهارب عند الفرار، وهي "من الحَيَادَانِ: الميل والانحراف عن الشيء" ⁽¹⁾، إذ يمكن إدراجهما ضمن الاستلزام العرفي في نظرية (جرايس) ،ثم يواصل الإمام علي في سرد نتائج و آثار سلوكيات جيشه في سلسلة من الاستعارات الممكنة قوله (ﷺ): [مَا عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاخَ قَلْبٌ مِنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلٍ، دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ، لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ! وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْحَدِّ!] فقد انتقل حيز التشبيه إلى تأكيد سلبية هذا العمل بعملية دمج تقوم بين ما هو معنوي [عَزَّتْ دَعْوَةٌ مِنْ دَعَاكُمْ] و بين ما هو مادي [قلب] وبين ما هو معنوي [استرخ ، قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَصَالِيلٍ] والأصالييل متعلقة بالأعالييل؛ أي: أنكم تتعللون بالأباطيل التي لا جدوى منها و تستطنعون الأوهام . ولم يترك التعبير ليكتفي به وإنما عزز بتعبير آخر على أساس تشبيهي أيضا في قوله (ﷺ): [دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ]، و المطول هو الكثير المظل، وهو تأخير أداء الدَّيْنِ بلا عُذْر و هو كناية عن التسويف.

فكان الانتقال من قيمة واحدة [أهمية الجهاد و الحزم في الحرب] إلى تقديم حكمة هي سند و حجة لما ترتب عنه بسبب سلوكهم [لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ! وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْحَدِّ!] تأكيدا على أفضلية الجدية التي اتخذت طريقة التعدد في تأكيد نفسها فلم يتوقف تحقق الشرعية على علاقة التشبيه وإنما شارك في ذلك ما موجود من تعدد في مقابل الأفراد ويدخل ذلك ضمن علاقة ثنائية ، طرفها الأول التوبيخ وطرفها

1 _ الإمام علي نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ج2،الخطبة 29، ص: 111

- الأفعال الكلامية -

الثاني شحذ الهمم، فكانت المرحلة الأولى تنمي الطرف الأول . إذ مورس التعدد مع زيادة في إظهار سوء ترك الجهاد ، وفي ذلك دلالة على محاولة استنقاع الانفعال للتأثير في النفس بإثارة الرغبة في الجهاد والحث على السعي إليه، أو إثارة الحياء و الخجل مما هم عليه.

أما المرحلة الثانية وتبدأ من قوله (ﷺ): [أَصْبَحْتُ] وتنتهي بقوله (ﷺ) [الْعُدُوَّ بِكُمْ]. يواصل الإمام في هذه المرحلة مخاطبا أصحابه وهو غاضب ساخط عليهم منتقضا من قدرهم ، مشككا في مصداقيتهم ليلخص الإمام إلى نتيجة نهائية توصل إليها بعد عدة تجارب معهم قائلا : [أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصَدِّقُ قَوْلَكُمْ وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَلَا أُوْعِدُ الْعُدُوَّ بِكُمْ]. في أسلوب حقيقي يخلو من المجاز و يعبر عن الحالة النفسية من إحباط و حزن و أسى. و على المسار الدلالي نفسه مع تغيير للصيغة متجها إلى الاستفهام في قوله: [أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟] و هو استفهام إنكاري غرضه التعجب ،أما تأثيره فهو حث المتلقي إلى استخدام العقل و المنطق حتى يخلص في حوار داخلي مع نفسه؛ بأن الإمام علي على حق و أن غيره على باطل ، و هذا دافع قوي لشحذ هم أصحابه .

ما نلاحظه في هذه التقارير أن الإمام يتدرج تصاعديا في إلقاء اللوم انعكاسا للحالة النفسية ليشفع أقواله بمجموعة من الحجج على اعتبار ما كان من الأحداث قوله: [الْمَغْرُورُ وَاللَّهِ مَنْ عَرَّرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلِ] فقد وظف الإمام فعل الإقتضاء (Presupposition) الذي " يعد ضمن الأفعال الكلامية غير المباشرة" (1) إعتد فيه الإمام على [بنية الشرط] بأداة [من] و هي من أدوات الشرط الجازمة تفيد تعليق الجواب على الشرط في المستقبل و تدل على العاقل عملت على إيصال النتيجة المرصودة بالخطاب، وأن هذه النتيجة تقتضي (الحجة + النتيجة) على الشكل التالي:

الحجة : مَنْ عَرَّرْتُمُوهُ ← النتيجة : الْمَغْرُورُ .

الحجة : وَمَنْ فَازَ بِكُمْ ← النتيجة : فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ .

الحجة : وَمَنْ رَمَى بِكُمْ ← النتيجة : فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلِ .

فالحكمة مبنية على علاقة الشرط(الإقتضاء) ، حجة تخدم النتيجة من الخطاب.

1 _ حمو النقاري . التحاجج طبيعته و مجالاته ،ص:153

كما نجد الإمام قد وظف الكناية في [السهم الأخبب] و " السهام الميسر الذي لا حظ له يكنى عن عدم الفعالية و النجاعة وكذلك الناصل: العاري عن النصل، ولا يخفى طيش السهم الذي لا فوق له ولا نصل . نَصْرُهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي" (1). وهو تقرير وصفي و سرد لسلوكيات جيشه و ما وقع من استفحال الخصم ما هو إلا انعكاس لسلوكهم ، و رغم وجود مجموعة من ضمائر الغائب(هو) في هذه العبارة التي يعتقد (بنفيسيت) أن ضمير الغائب هو تعبير عن (اللا شخص) بحجة أنه يفتقر إلى علامة لسانية في هذا اللسان أو ذاك*(2) غير أنه يمكن معرفة هذا الشخص من خلال الإسناد سواء أكان صريحا أو غير صريح (المغرور) كناية عن الخصم معاوية. مثلما يعرف في النحو العربي و الذي يفهم حسب السياق، مثلا في قول الإمام عليه السلام [وَمَنْ فَارَبِكُمْ فَارَ بِالسَّهْمِ الْأَخْبَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلِ] ضمير مستتر تقديره هو يعود على الذي وضع ثقتهم فيهم وهو هنا المقصود الإمام علي ، وهذا ما جعل (أوركيوني) تعارض مقولة (بنفيسيت) بقولها : " إنَّ التصريح القائل بأنَّ الضمير [هو] تكمن وظيفته في التعبير عن اللاشخص يبدو غير صحيح تماما، إنَّما يكون كذلك في بعض الأساليب التي يرغب المتكلم في تحديد طبيعتها . "فالمتكلم هو الذي يحدد طبيعة الضمير. أما المرحلة الثالثة و الأخيرة التي تبدأ بقوله (عليه السلام): [مَا بَالُكُمْ؟] . وتنتهي بقوله: (عليه السلام) [وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقِّ؟!] فهي استمرار للمرحلة الثانية متشعبة بشحنة من الغضب بعد سرد مجموعة من التقارير السلبية ، و هي بذلك نقلة جديدة على صعيد المعنى حيث يشرع الإمام في مواصلة الأداء الجمالي عبر شعرية الاستفهام التعجبي الإنكاري [مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟] وهي على الرغم من اشتغالها على استعمالات مجازية من قبيل الكناية على الغضب الشديد للإمام من جيشه في عدم الانصياع إلا أنها تتدرج أيضا ضمن إطار عام يتسم بخطابية غير مباشرة تمثل لغة النص في عرض المواقف والحقائق، يمكن القول بأن كثير منها ينطبق عليها توصيف اللغة المجازية فتقوم الشعرية من ناحية الدلالة . وهي الأكثر بروزا . على تجسيد المجردات وإحلال القيم التي تشير إلى ممارسة معروفة محلا ، ففيها نلاحظ أن مستوى التعبير الدلالي الذي يحاول تقريب الفكرة عن طريق اللغة المجازية [مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟] . فهذه الأفعال الكلامية تتكون من فعل إسنادي يتمثل في الجملة الفعلية المكونة من محمول فعل [صيغة الاستفهام] وموضوع هذه الأفعال الضمير المتصل [كم] وهو فعل إحالي إحالة إلى جيش الإمام بالإشارة إليه بالضمير المتصل

1_ الامام علي . نهج البلاغة ، شرح ابن أبي الحديد ، ج2، الخطبة 29 ، ص: 111

2_ ينظر :إميل بنفيسيت. عن الذاتية في اللغة، ضمن: تلوين الخطاب- فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجاج -الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1 ، 2007 ص: 110

[الكاف و الميم (كم)] والمستفهم الذي يعود على المتكلم [الإمام] أما الفعل الدلالي فهو يتشكل من قضية تكاسل جيش الإمام على أداء واجب الجهاد بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية و هذا يتطلب الاستلزام المنطقي المتمثل في تدخل الإمام علي كخليفة بتوجيهات وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف موظفا فعلا انجازيا مكرار بصيغة الاستفهام غير الحقيقي الإنكاري التوبيخي لغرض إثارة الحمية و الشهامة و شحذ النفوس. و بعد هذا العتاب الطويل و المتكرر و لأن التكرار قد وصل إلى أعلى منحنى له فيفقد بعدها تدريجيا شحنته التأثيرية ، و تضعف مقوماته الأسلوبية ، وهو ما عبر عنه (ري فاتير) (*) ب [مقياس التشيع].

يأتي الإمام بعدها ليختم خطبته بحكمة لها بالغ التأثير في نفوس المتلقين، و هي الشحنة التي أراد لها الإمام أن تكون متدفقة وأثارها مستمر خاتمة لخطاب عتاب قوله (ﷺ): [الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ، أَقْوَالًا بَغَيْرِ عِلْمٍ! وَعَقْلًا مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ! وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!]. معتمدا على مقارنة فيها شطر من التساوي في الرجولة و أفضلية لجيش الإمام علي في صفات الورع و الدفاع عن الحق و العدل ، والعبارة رغم جزالتها إلا أنها استطاعت أن تحوي الخطاب كله، بل أن تحوي لب الصراع من خلال مبدأ التعاون بين الباث و المتلقي و من خلال المرجعيات المشتركة الدينية و الحضارية و الاجتماعية ، بين المرسل و المرسل إليه المقصود بالرسالة.

- نتائج الفصل:

نستنتج من هذه الدراسة أن اهتمام المحدثين في تحليل الخطاب بالمقاربة التداولية ، كان ناجعا و فعالا من زوايا عدة ؛ لاعتمادهم على معارف علمية شتى وتوجهات سياقية مختلفة ، على غير البلاغة القديمة التي كانت تكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ؛ فإذا كانت البلاغة هي المعرفة باللغة أثناء استعمالها فإن التداولية هي دراسة اللغة حين الاستعمال. وإن كان الاتجاه التداولي هو نموذج لدراسة الخطاب ، فإن خطاب الإمام علي هو نموذج لنجاح التحليل التداولي ، و تبقى لكل من التداولية و البلاغة القديمة خصوصيات مكملة لبعضهما البعض في فهم و تحليل الخطاب.

كما اعتمد الإمام على الإستراتيجية التوجيهية لأنها الأنسب لتوجيه الناس. فقد تعددت في نهج البلاغة و تنوعت بين أمر ونهي و تحذير عرض ، نداء... و الأكثر استخداما الأمر و النهي ؛ لكونها الأكثر استعمالا في اللغة العربية و الأكثر و ضوحا.

_ أغفل (غريس) في مبدأ التعاون و التأثير مبدءا إسلاميا مهما و هو مبدأ: [الدعوة بالقوة] التي هي من ركائز الخطاب عند المسلمين و مبدأ من مبادئ الإقناع و وسيلة مهمة في فهم معاني الخطاب و إقناع المتلقي عموما؛ لأن سبب تداول خطابات الإمام بين الناس ، هو في توفرها على قدر كبير من الصدق والإخلاص ومعالجتها لأهم القضايا التي تمس جوهر الإنسان (عقائدي أخلاقي، إنساني تشريعي اجتماعي).

_ إن نظريات أفعال الكلام رغم ما لقيت من مؤيد و معجب أو محذر ، يمكن اعتبارها من النظريات المهمة التي بحثت في علاقة اللغة والاتصال ، إذ أجابت على عدة إشكالات لغوية منها (عمل الإنشائيات، و إنجازية الصيغ الملتبسة، ومحاولة إلغاء ثنائية الخبر والإنشاء، واستبدالها بالوحدة اللغوية الاتصالية) و هي تقريبا نفس الإشكالات المعروفة في ترانثا و طرحها كثير من البلاغيين ك: (الفارابي القرافي، ابن سينا، والجرجاني والسكاكي...). و رغم نجاعة هذه النظرية في التحليل ووصولها إلى عدة نتائج جد إيجابية ، إلا أننا نقر أنها لم تكتمل بعد و هي بحاجة إلى تعديل و تطوير كالأخذ بعين الاعتبار البعد الاجتماعي والنفسي للمتخاطبين مثل المواضعة^(*)، و التأثيرات النفسية على المرسل و

* المواضعة : صيغة المؤنث لمفعول واضع ما تعارف النَّاس عليه ، ويُعدُّ أحد مقاييس الأخلاق أو أحد مبادئ العلم والمعرفة. ينظر: احمد عمر مختار و مجموعة من الأساتذة. معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب القاهرة 2008 ،

– الأفعال الكلامية –

المرسل إليه لما لها من تأثير على قطبي الرسالة و لما لها من علاقة بالمحيط الخارجي للنص و ظروف إنجازه ، مع الأخذ بعين الاعتبار خصائص و مميزات كل لغة و خصائص و مميزات النص التراثي و النص المعاصر. و عليه فنحن نعزز بذلك مبدأ المقاربة للتداولية بدل المنهج .

خاتمة

بعد هذه الدراسة الشائقة و الشاقة في عالم الخطاب الإقناعي لدى الإمام علي ، خُصّ البحث إلى جملة من النتائج يمكن حصرها في فضاءين : نظري و تطبيقي

I. _ الفضاء النظري :

- _ التداولية هي كل ظاهرة لغوية صعبت عن حلها اللسانيات إلا و أدرجت ضمن مجال البحث التداولي .
- _ التداولية تمكنت من إزالة الكثير من الغموض عن عناصر متعلقة بالتواصل اللغوي والتفاعل ، وشروط الأداء ، وبنية النص الداخلية و الخارجية ؛ لتصبح بذلك مشروعاً واعداداً واسع الأفق.
- _ اهتمام البلاغيين قديماً بالخطاب ، كان لغويًا بالأساس مقارنة بالمحدثين الذين اهتموا بدراسة الخطاب من زوايا مختلفة ومعارف متنوعة (اللسانيات بأنواعها والأسلوبيات، والوظيفيات، والسيميائيات..).
- _ تقاطعت التداولية مع التراث العربي البلاغي في دراسة البنية وخصائصها وعلاقتها بالمقامات فوصلوا المقال بالمقام ، وتحدثوا عن ظروف إنجاح الخطاب و تأثيره، و هو شأن بلاغي ذو صبغة تداولية.
- _ السمة الغالبة في التحليل التداولي هو مبدأ المقاربة ؛ لأن التنوع في آليات التحليل يساعد في تحليل النص خاصة النص التراثي بخصوصيته البنائية و الموضوعية .

II _ الفضاء التطبيقي:

1 _ تداولية الدرجة الأولى:

- _ السياق العام وما يشمله من الوقائع الخارجية و الداخلية و من الظروف الزمانية و المكانية التي أحاطت بالخطاب، ساهمت مساهمة فعالة في اختيار آليات مناسبة لعملية الإفهام و الفهم بين طرفي الخطاب ، كل هذه الروافد و الأحداث كان لها صدى في كتابه (رضي الله عنه) نهج البلاغة فكان بمثابة صوت الإمام ، و حكمة الأمة.
- _ مضمون نهج البلاغة يتطابق مع السياق والأحداث؛ إذ عبرت بصدق عن مقاصد الإمام علي.
- _ لكل عنصر من عناصر السياق له دور معين يؤديه من أجل إنتاج الخطاب ، و تحقيق القصد و الإفهام من وراء عملية التخاطب.
- _ اختلاف أساليب التخاطب هو نابع من اختلاف السياق الذي أدى إلى توظيف عدة استراتيجيات تخاطبية إقناعية.
- _ الإمام علي تمكّن في مدة قصيرة - لم تتجاوز الخمس سنوات - من التواصل والتفاعل في مختلف المواضيع مع مخاطبيه - (أصحابه و خصومه) - حسب ما يتطلبه السياق الموظف بمختلف أبعاده .
- _ الإمام علي توصل عبر هذه الإستراتيجية إلى تحقيق أهداف الخطاب من خلال التحكم في تنوع الآليات اللغوية و البلاغية و المنطقية و طرق توظيفها.

الإمام علي تمكّن من توظيف الإستراتيجية التضامنية التي أدت إلى كسب المخاطب من خلال المرونة التي منحها في استعمال الضمائر، وكيفية توزيعها و تنويعها. كما عبّرت عن الانتماء و المشاركة للمسلمين من خلال التعبير بضمير الجمع [نحن]. كما ساعدت استعمالات أسماء الإشارة على كسب تأييد المخاطب له، من خلال استحضار الأمور التي أشار لها، كما حاول تغييب الذات المعيقة له في إيصال خطابه.

توظيف الإستراتيجيات ساعدت الإمام على التواصل الناجع مع مخاطبيه ، و التأثير في مواقفهم من خلال المعرفة المشتركة، و التعاون الثقافي و الاجتماعي و الفكري مع متلقيه.

اعتماد الإمام علي على الإستراتيجية التوجيهية؛ لأنها الأنسب لتوجيه الناس إلى ما ينفعهم في دنياهم و آخرتهم .

2 _ تداولية الدرجة الثانية:

نوع الإمام علي من توظيف آليات التعليل و وسائل الإقناع اللغوية المختلفة ، بسب تعدد طبيعة المخاطب و العمل على تقريب المرسل إليه منه ، و الزيادة في التأثير بما يمتلكه من دلائل الكفاءة التداولية ، و تعدد في المستويات اللغوية ، وفق ما يقتضيه المقام و حال المخاطب.

للبلغة دور كبير في أداء الحجاج و لا يمكن الاستغناء عنها؛ فقد جاءت الصور البلاغية في مدونة البحث واقعية مصوغة بطريقة فنية، تميزت بجزالة التعبير وصدق الأداء ، بعيدا عن التكلف والصنعة ، إذ استعانت بالتشبيه و الاستعارة و الكناية و التناص بمختلف ألوانه ومستوياته في بناء صوره و التعبير عن أفكاره ، مما ساعد في تأسيس الحجاج و الإقناع في خطاب الإمام علي.

أسباب تعدد آليات الإقناع والحجاج عند الإمام علي تكمن في تعدد طبيعة المخاطب.

توظيف الاقتباس والتضمين للآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث الشريفة أو التناصات مع أبيات الشعر والأمثال والحكم كمكوّنٍ من مكونات النص الجديد في خطاب نهج البلاغة، كان لهذا الأثر البالغ جماليا وداليا على المتلقي ؛ لكونها حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها و من مصادقة الناس عليها وتواترها وهي ضوابط حجاجية يلتزم بها المرسل ضمن إطار الثوابت الدينية والثوابت العرفية ، و المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب.

تحكم الإمام علي في وسائل الإقناع ناتج من تعدد في مستوياته اللغوية ؛ بين أسلوب الإمام علي بخصوصياته وأسلوب القرآن بإعجازه و أسلوب الحديث بإيجازه و وضوحه و أسلوب الشعر بشفافيته، و أسلوب الحكم و المواعظ بنواهيته و رجائه و أوامره.

العناصر الإيقاعية في خطاب نهج البلاغة هي أدوات تبليغ و توضيح و تأثير ؛ من خلال علاقة الإيقاع بالمعنى، فحسن تجانس المعاني مع طريقة التعبير بالفخامة في مقام الشدة ، و بالعذوبة في مقام

اللين . و لكون هذه الآلية ليس لها مصطلح بديعي في البلاغة العربية : فإنها أقرب إلى ما يمكن الاصطلاح على تسميتها بـ [الإيقاع الإيحائي] لما للإيقاع من دور في إحياء المعنى ، و توضيح الفكرة العامة للمتلقى ، و هي أداة تأثير بلغة الجمال الفنية ، لما لها من اثر في حاسة الوجدان، كل ذلك أسهم دون شك في كسب مواقف الأنصار و تليين حدة مواقف الخصوم.

ـ وظف الإمام آليات البديع التداولي (الطباق و المقابلة و الموازنة و التقسيم) من جانبها الوظيفي الدلالي و الجمالي و الإقناعي ، فعملية ربط كل قسم بفرعه أو فروعها نشط ذاكرة المتلقي ، بالتأمل العميق و التأويل الدقيق لكشف شفرات الخطاب.

ـ كان اختيار الإمام علي للإستراتيجية الإقناعية دورا كبيرا في تحقيق أهداف الخطاب، إذ لم يخل الحجاج عنده من وظائف قصدية ساقها الموقف و الظرف المضطرب آنذاك ، فعكست واقعه بكل أبعاده.

ـ العلاقات الخطابية التي يقوم عليها الخطاب الحجاجي عند الإمام علي قائمة على علاقة الدعوى أو النتيجة المرتبطة بمحتوى المقدمات، مما عكس الانسجام الفكري الوثيق بين المقدمة والنتيجة.

ـ تميز الحجاج في نهج البلاغة بخروجه عن المألوف اللغوي (الخصام والمغالبة) إلى لغة التوجيه والتنبيه فقد صحح (ﷺ) كثيرا من المسارات الخاطئة في التفكير العقائدي و السلوكي، من خلال معالجته لأهم القضايا التي تمس جوهر الإنسان في أبعاده المختلفة: (عقائدي ، أخلاقي، إنساني ، تشريعي ، اجتماعي).

3 . تداولية الدرجة الثالثة:

ـ على الرغم مما لقيت نظرية [أفعال الكلام] من مؤيد و معجب أو متحفظ منها ، إلا أنها حققت في عمومها إنجازات علمية وفكرية جد فعالة ، يمكن اعتبارها من أهم النظريات التي حاولت البحث في علاقة اللغة بالاتصال ، و قد أجابت على عدة إشكالات لغوية منها (عمل الإنشائيات، و إنجازية الصيغ الملتبسة، ومحاولة إلغاء ثنائية الخبر والإنشاء و استبدالها بالوحدة اللغوية الاتصالية.) كل هذا مكنت من استكشاف مبطنات الخطاب في مدونة الإمام علي.

ـ استخلصنا من خلال البحث أن كل من [التأكيد والقسم والاستغاثة والندبة والوعيد والإغراء والتحذير] من الأفعال الكلامية التي درسها النحاة العرب و التي تدرج ضمن الأفعال الكلامية بتصور المعاصرين في السياقات و المقامات المناسبة. وقد وظّف الإمام علي هذه الآليات في كثير من خطابه وما يتحكّم في ترتيب مكونات الخطاب هو السياق التداولي.

ـ من السليبيات التي أمارت البحث اللثام عنها في هذه النظرية ، هي أن نظريتي (أوستين و سيرل) لم تهتما بـ [الأبعاد الاجتماعية، والنفسية للمتخاطبين]، مثل المواضعة و التأثيرات النفسية على المرسل أو

المرسل إليه، مع وجود [صعوبة إسقاط هذه النظرية حرفياً على كل اللغات]. مما يسمح لنا بالقول أن هذه النظرية لازالت بحاجة إلى تطوير و تعديل.

- سجّل البحث أن (غرايس) قد أغفل في نظرية مبدأ التعاون و التأثير مبدأ إسلامياً مهماً و هو مبدأ: [الدعوة بالقدوة] التي هي من ركائز الخطاب عند المسلمين ، و مبدأ من مبادئ الإقناع ، و وسيلة مهمة في فهم معاني الخطاب و إقناع المتلقي عموماً. لأن سبب تداول خطابات الإمام بين الناس ؛ هو في توفرها على قدر كبير من الصدق والإخلاص و الوعظ بالقدوة.
- تعددت الإستراتيجية التوجيهية في خطاب الإمام في هذه النظرية و تنوعت بين أمر و نهي و تحذير و عرض ، و نداء.. و الأكثر استخداماً نجد: [الأمر و النهي]؛ لكونهما الأكثر استعمالاً في اللغة العربية و الأكثر وضوحاً و تأثيراً في المتلقي؛ و لأنهما الأنسب لتوجيه الناس.
- ما كان له بالغ التأثير في رفعة الأسلوب عند الإمام علي ، تمثل في [سمو المعاني] و في [قوة الأساليب التبليغية] و [قوة الأساليب الإقناعية] . إضافة إلى مخاطبة [ذكاء المتلقي وثقافته وخبرته الجمالية] كل ذلك كان له بالغ الأثر في إقناع المخاطب و إنتاج المعنى التأويلي .

• من خلال النتائج السابقة سمح لنا القول:

إذا كان الاتجاه التداولي هو نموذج لدراسة الخطاب ، فإن خطاب الإمام علي هو أنموذج لنجاح

التحليل التداولي.



هذا و لا ندعي في الأخير أننا وفيما هذا البحث كامل عناصره من الدرس و التحليل ، نظرا لسعة دراسته ؛ فقد حاولت جاهدا الإمام بكل جوانب الموضوع شاملا و ليس كاملا ، لعله يكون بداية لبحوث أخرى أدق و أكثر تفصيلا تطرق باب هذا المدينة العلمية الواسعة في كتاب نهج البلاغة في فضائه الخطابي والتداولي . فكل موضوع من مواضيع درجات التداولية و كل وجه من أوجه خطابات الإمام ، هي بحاجة أن تكون موضوعا مستقلا. يقتضي البحث النظر إليها بالأخذ بكل عنصر على حدة لتسهيل الدراسة ؛ دراسة تقوم على الاستقراء و التحليل و الاستنتاج. للاستفادة النقدية و البلاغية، و التداولية ، و لما كان هذا العمل لا يدعي كمالا كان أملنا وطيدا في أن نلقى من لجننتكم الموقرة من النصح و العون ما يسمح لنا بتجاوز نقائصه ارتقاء به نحو الأحسن و الأثري.

والله من وراء القصد و الله المستعان ومنه التوفيق



- _ أم البواقي في : 01 محرم 1437 هـ
- _ الموافق ل : 04 أكتوبر 2016 م
- _ الموافق ل : 16 أكتوبر 2966 أمازيغي

ملحق:

- من مخطوطات نهج البلاغة
- فهرس المدن و المعارك
- فهرس مصطلحات التداولية
- فهرس أهم أعلام التداولية

من آخر طبعة لنهج البلاغة



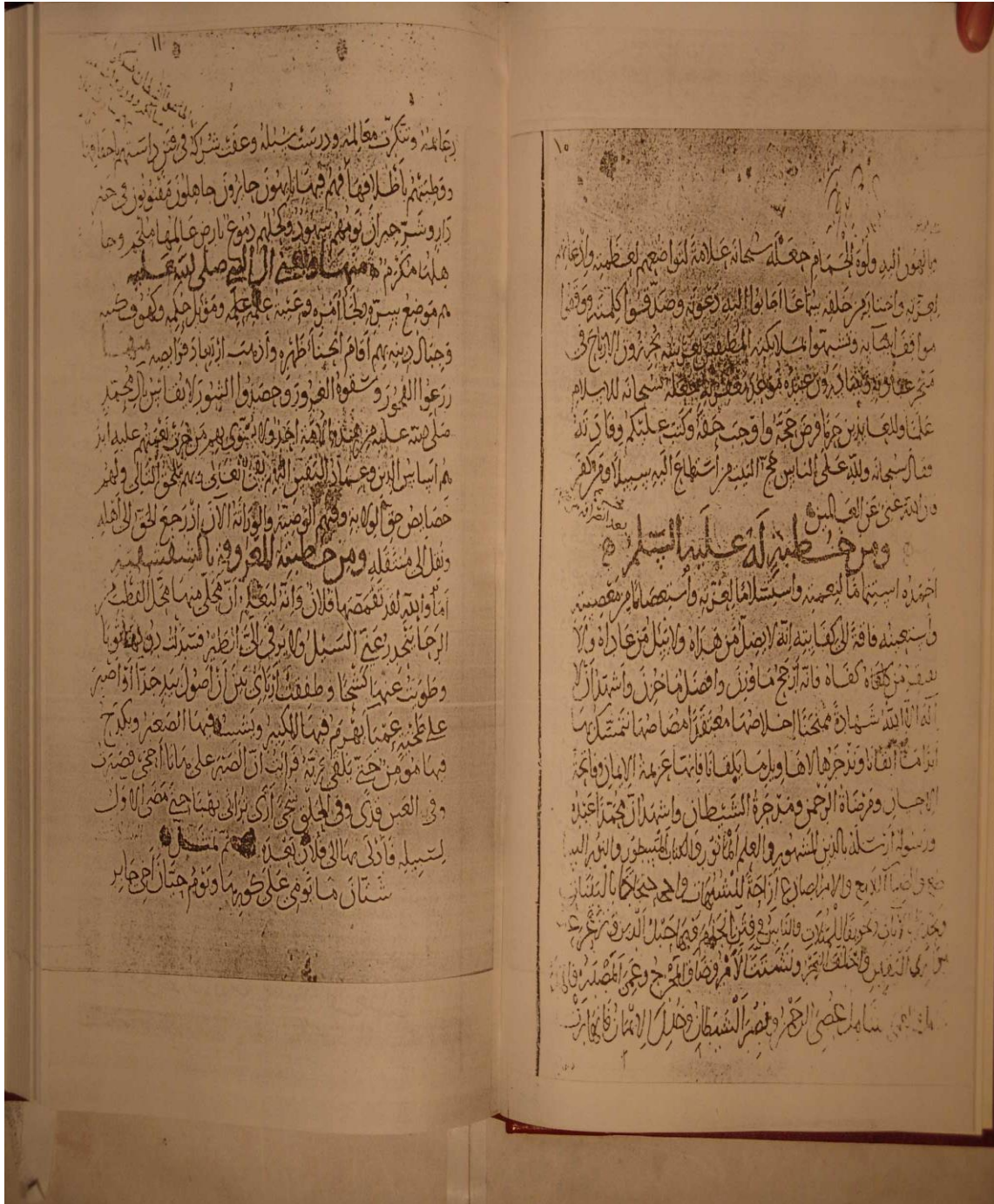
• صورة من مخطوطة نهج البلاغة⁽¹⁾ محفوظة في مكتبة جامعة طهران برقم ١٧٨٢

_ صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة نهج البلاغة بخط علي بن طاهر بن أبي سعد ، كتبها في سنة ٦٠٨ هـ المحفوظة في مكتبة جامعة طهران برقم ١٧٨٢ .

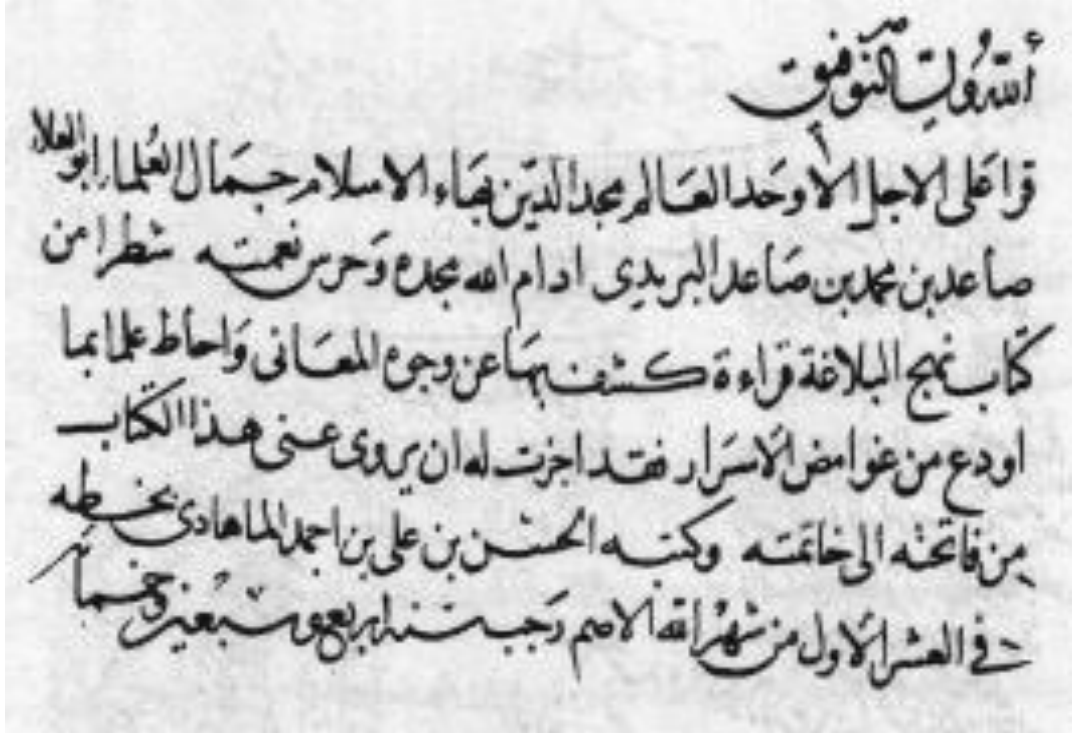


• نسخة مصورة بخط محمد بن محمد بن احمد النقيب

كتبت في شهر صفر من سنة ٥٤٤ هـ موجودة في مكتبة مدرسة النواب - مشهد المقدسة ايران.
(مركز احياء التراث الاسلامي)



- صور متعددة من نسخة الراوندي في سنة ٥٧٤ هـ
- _ صورة قراءة نهج البلاغة على السيد عز الدين المرتضى علي الراوندي في سنة ٥٧٤ هـ لصاعد بن محمد البريدي لرواية نهج البلاغة .



- صورة قراءة نهج البلاغة على الحسن بن علي الماهابادي في سنة ٥٧٤ هـ لصاعد بن محمد البريدي لرواية نهج البلاغة .



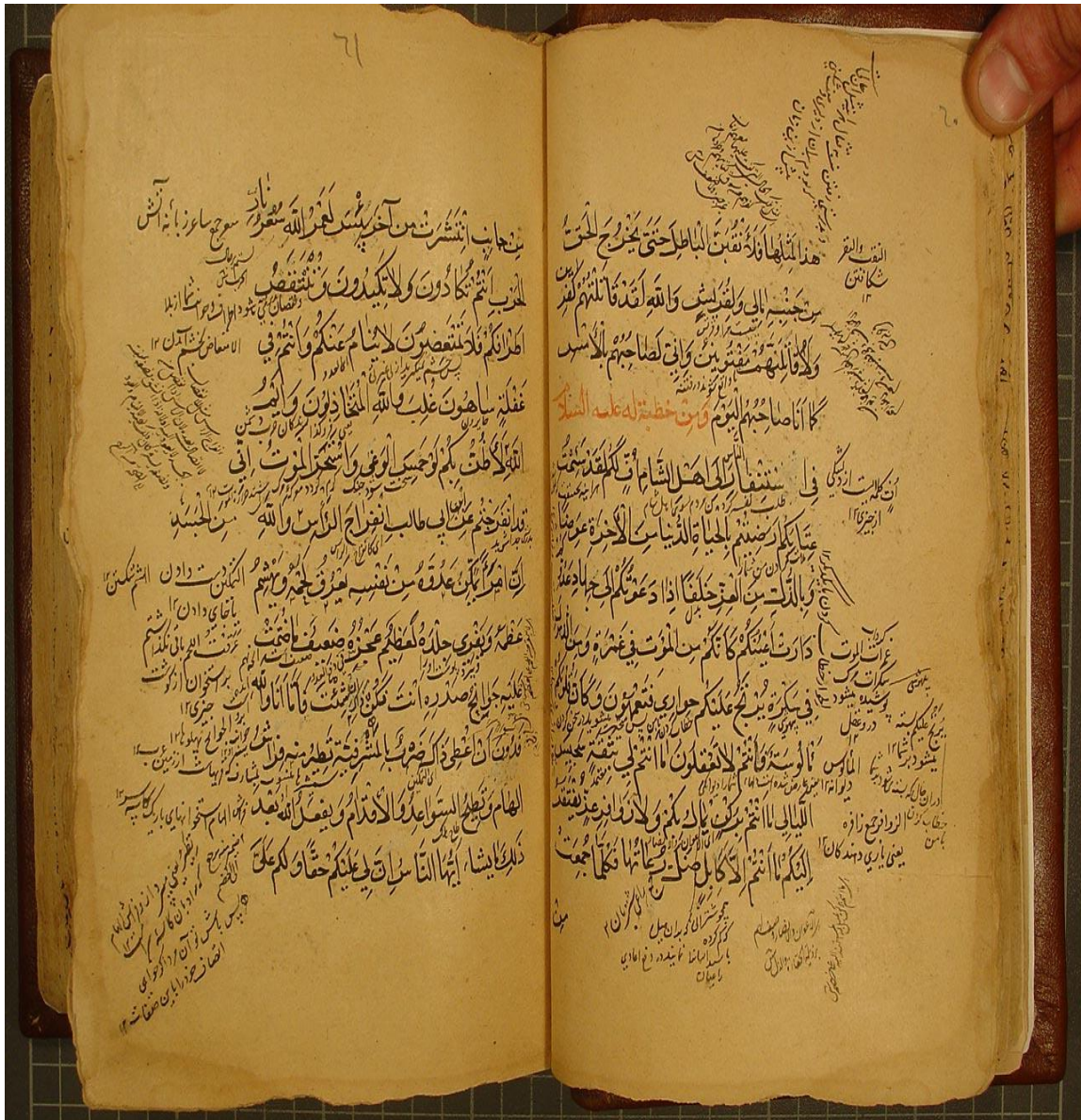
- مصور مخطوط من - مائة كلمة للإمام علي بن أبي طالب (ع) - للجاحظ
- موجود في معهد الثقافة والدراسات الشرقية ، جامعه طوكيو - اليابان



• نسخة بخط محمد بن حسن بن احمد الكاشاني

_ تمت كتابتها في يوم الجمعة ٢١ جمادى الثاني من سنة ٩٥٥ هـ.

_ بعد الصفحات ٣٨٧ صفحة. (مركز احياء التراث الاسلامي)



- نسخة من نهج البلاغة في مكتبة الجامعة الإسلامية (عليكر) في الهند مرقمة تحت رقم ١٧٥٩ كتبت بتاريخ ٥٣٨ هـ بخط علي بن ابوالقاسم بن علي



• نسخة من النهج في مكتبة السيد الحكيم بخط ابن اردشير الطبري

صورتان الاولى ظهر الصفحة الاولى والثانية الصفحة الأخيرة من نسخة كتاب نهج البلاغة في مكتبة السيد الحكيم برقم ١٣٩ ويظهر عليها إجازة قراءة الكتاب بخط الشيخ يحيى بن سعيد الحلبي لابن الأردشير الطبري والصفحة الأخيرة يظهر عليها إنهاء الكتاب بخط الحلبي .



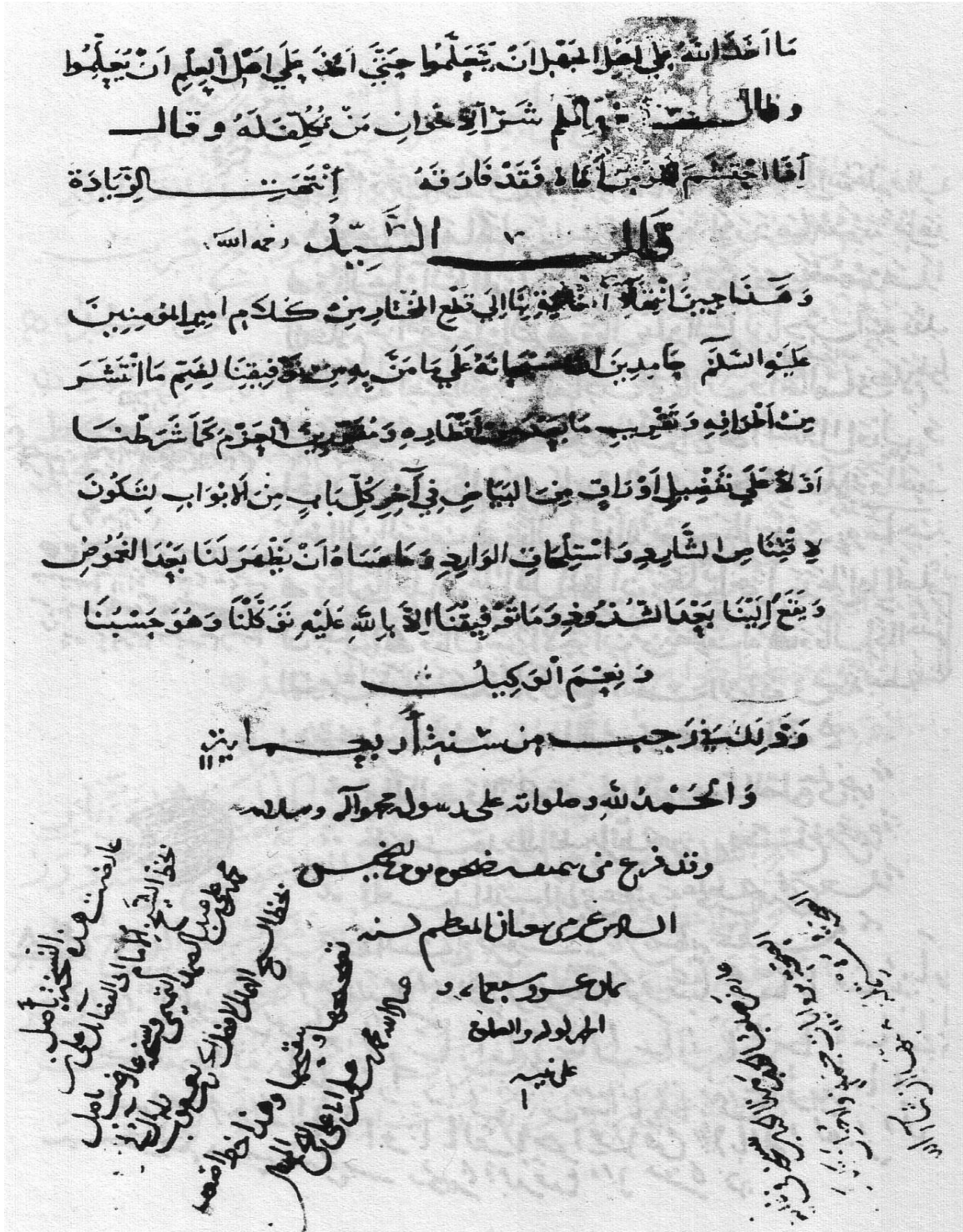
• نسخة من نهج البلاغة محفوظة في المعهد الهمداني للدراسات في القاهرة

_ إن نسختنا هي تجميع للأقوال العظيمة والخُطب التي ألقاها الإمام علي كرم الله وجهه , والمميز فيها أن كاتبها هي امرأة تقية كتبتها أيام "إسماعيل بدر الدين" والتواريخ الموجودة هي بين السنوات ١١٣٥ , ١١٥٠ هـ , الخط جريٌّ ومُعبر مثل المخطوطات الأخرى في المجموعة , وتم تناقلها من جيل إلى آخر وتحت بيانات النشر توقيع "الشيخ فيض الله الهمداني" بتاريخ ١٩٢٢ م . المخطوطة كانت كثيرة القراءة على مر السنين وهي مثال جيد لمخطوطة قديمة ومهمة وستتطلب تصليح وترميم , فالغلاف منفصل والصفحات عانت من ضرر الديدان على الرغم من أن الأوراق العطرية أدخلت فيها في فترات منتظمة .



• نسخة مصورة من مخطوطة نهج البلاغة كتبت سنة ٧١٨هـ

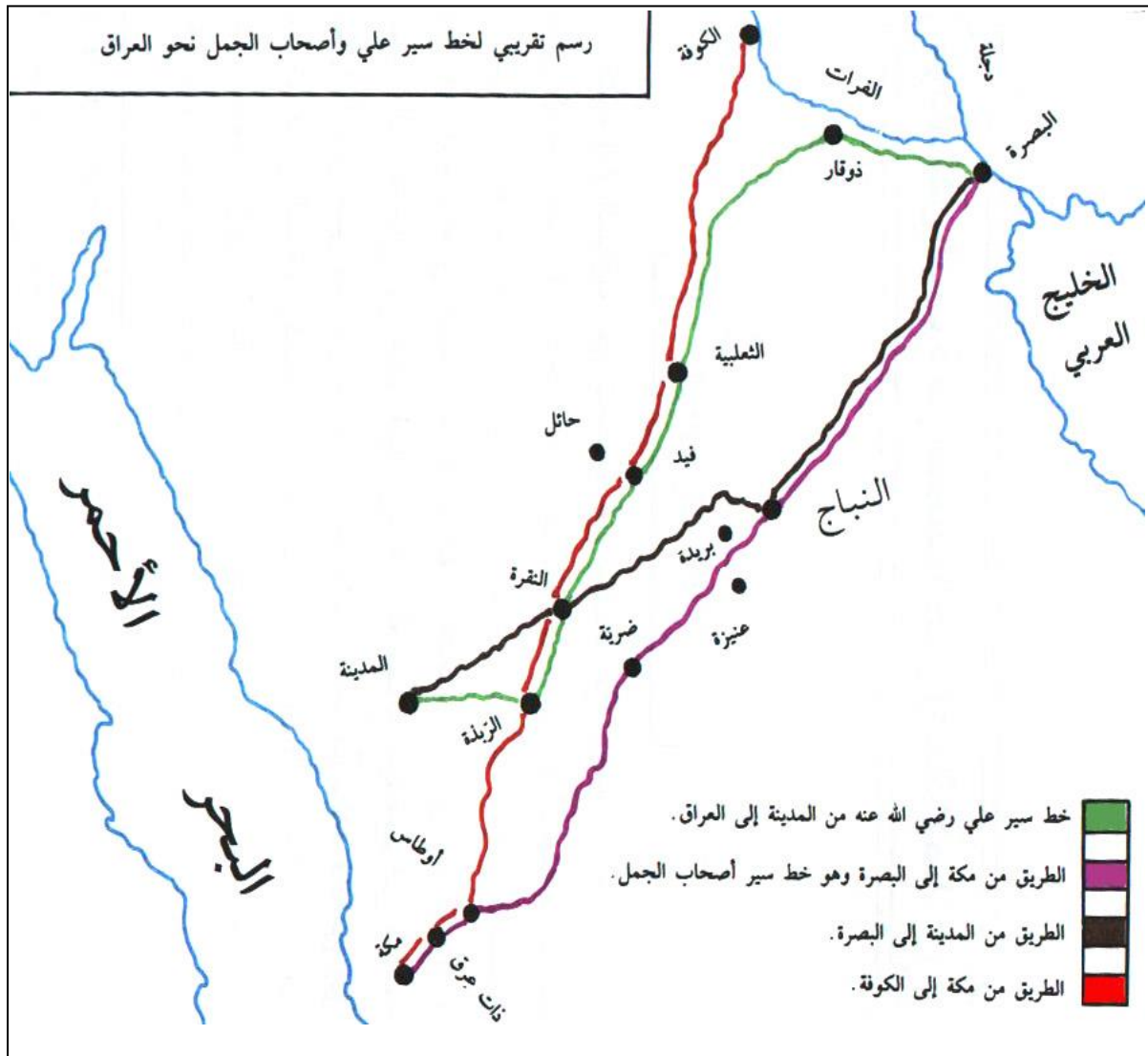
صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة نهج البلاغة مكتوبة في سنة ٧١٨هـ ويظهر عليها معارضة النسخة مع خط المحدث علي بن محمد بن علي بن عبد الصمد التميمي النيسابوري الذي قابل نسخته مع نسخة الحسن بن يعقوب النيسابوري



فهرس المدن و المعارك

- موقعة الجمل
- معركة صفين
- معركة النهروان

• موقعة الجمل⁽¹⁾



¹. ويكيبيديا العربية الموسوعة الحرة : الجمعة 11 ديسمبر /كانون الأول 2015 ، الموافق 29 صفر 1437 هـ
[/https://ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/)

موقعة الجمل	جزء من الفتنة الأولى
التاريخ	10 جمادى الأولى سنة 36 هـ - 3 نوفمبر سنة 656 م
الموقع	البصرة، العراق
النتيجة	انتصار قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و مقتل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعودة عائشة للمدينة المنورة
المتحاربون	
جيش الخليفة علي	قوات طلحة والزبير
القادة	
_ علي بن أبي طالب _ عمار بن ياسر ^[1] _ الأشتر النخعي _ عبد الله بن عباس _ محمد بن أبي بكر	_ عائشة بنت أبي بكر _ طلحة بن عبيد الله _ الزبير بن العوام
القوى	
20,000 مقاتل	30,000 مقاتل
الخسائر(*)	
5,000 قتيل	13,000 قتيلاً

* _ اختلفت في تقديره الرويات يرى المسعودي: أنه ..قتل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف و من أصحاب الجمل و غيرهم و من أهل البصرة ثلاثة عشر ألف و قيل غير ذلك. ينظر: أبو الحسن بن علي المسعودي. مروج الذهب، ص: 289 وهناك من يقدرها من المعاصرين بالدراسة المنطقية للمعركة أنها لم تتجاوز 200 . ينظر: حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل و صفين و قضية التحكيم ، ص: 48 هناك من يقدرها ب عشرة آلاف . ينظر: محمد الخضري بك. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، ج.2. ص: 44

• معركة صفين: (1)

تقع صفين في يومنا هذا في الرقة على ضفاف الفرات في سوريا بالقرب من الحدود العراقية حيث يقع أيضاً ضريح الصحابي الجليل عمار ابن ياسر الذي استشهد مدافعاً عن الإمام علي (ع) في معركة صفين معركة صفين هي معركة تسبب بها معاوية ابن أبي سفيان لمحاربة خليفة المسلمين الإمام علي (ع) وقد قُتل فيها الكثير من المسلمين..



¹ -ويكيبيديا الموسوعة العربية و ينظر:حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل و صفين و قضية التحكيم ،ص ص83 . 91

37 هـ		التاريخ	
صفين على نهر الفرات شرق سورية		الموقع	
انتهت المعركة بطلب التحكيم بين الطرفين		النتيجة	
المتحاربون (1)			
المسلمون ممن أيد معاوية بن أبي سفيان		المسلمون ممن أيد علي بن أبي طالب	
القائد	اليوم	القائد	اليوم
حبيب بن مسلمة	الأول	الأشتر النخعي	الأول
أبو الأعور السلمي	الثاني	هاشم بن عتبة	الثاني
عمرو بن العاص	الثالث	محمد بن عمار بن ياسر	الثالث
عبيد الله بن عمر	الرابع	الحنفية	الرابع
الوليد بن عقبة	الخامس	عبد الله بن عباس	الخامس
ذو الكلاع الحميري	السادس	قيس بن سعد	السادس
حبيب بن مسلمة	السابع	الأشتر النخعي	السابع
القوى (*)			
135,000		130,000	
الخسائر			
45,000		25,000	

¹ - ينظر: حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل و صفين و قضية التحكيم، ص 83. 91.
^{*} - ينظر: حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل و صفين و قضية التحكيم، ص: 88 و هناك من يقول [قتل بصفين سبعون ألف] من اهل الشام خمسة و عشرون ألف و قتل من اهل العراق: خمسة و أربعون ألف .. و كان المقام بصفين مائة يوم و عشرة أيام في سبعين و قعة ينظر: أبو الحسن بن علي المسعودي. مروج الذهب، ص: 275.

• معركة النهروان: (1)



تقع النهروان على بعد ما يقارب 35 كم من بغداد عاصمة العراق وتسمى اليوم أيضاً مدينة أمير المؤمنين (ع) النهروان هو المكان الذي حصل به معركة النهروان بين الإمام علي (ع) خليفة المسلمين آنذاك والخوارج.

المتحاربون	
الخوارج	الخلافة الراشدة
القادة	
_ عبد الله بن وهب الراسبي _ حرقوص بن زهير _ عبد الله بن شجرة	_ علي بن أبي طالب _ الحسن بن علي _ الأشعث بن قيس الكندي
القوى	
4,000	40,000
الخسائر	
3,991	9

1- ويكيبيديا العربية. ينظر ايضا: حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركتي الجمل و صفين و قضية التحكيم ص ن _ قال المسعودي و قتل من اصحاب علي تسعة و من الخوارج لم يبق منهم إلا تسعة من أربعة آلاف . ينظر: أبو الحسن بن علي المسعودي. مروج الذهب ومعادن الجوهر -ج2، راجعه كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر و التوزيع. بيروت . لبنان . ط 1، 1425هـ، 2005م، ص: 316 .

ملحق مصطلحات الحقل التداولي

• ملحق مصطلحات الحقل التداولي

_ المصطلح العربي مقابل المصطلح الأجنبي (الفرنسي).

المصطلح العربي	المصطلح الفرنسي:	الحرف
فعل	Acte	A
فعل القول	Acte de dire	
أفعال إعلانية(إعلانات)	Actes déclaratifs	
أفعال توجيهية	Actes directifs	
فعل كلام تلفظي	Acte locutoire	
فعل التلفظ	Acte d'énonciation :	
فعل لغوي	Acte de langage :	
أفعال الكلام	Actes de parole	
فعل الإنجاز	Acte performative	
فعل الاقتضاء	Acte de presupposition:	
فعل إنجازي	Acte illocutoire	
فعل إنجازي مشتق	Acte illocutoire derive	
فعل إنجازي مباشر	Acte illocutoire directe :	
فعل كلام تأثيري	Acte perlocutoire	
فعل صوتي	Acte phonétique	
فعل تعبير (فعل تأليفي)	Acte phatique	
فعل بلاغي	Acte réthique	
الجهاز الشكلي للغة متماثل	Appareil formel de la angueAsymétrique	
فعل مرجعي	Acte de référence	
فعل إحالي	Acte rétique :	
فعل كلامي	Acte locutoire :	
فعل تأليفي	Acte perlocutoire :	
فعل تصويطي	Acte phatique :	
فعل قضوي	Acte phonétique :	
فعل إحالي	Acte propositionnel :	
حدث. فعل	Action :	
إخبار	Affirmation	
مطابقة	Ajustement	

التباس . غموض حجة معرفة خلفية إثبات افتراض مسلمة حجاج تقرير فعل خطاب مركب إثباتي تقويم أخلاقي	Ambiguïté Argument Arrière-plan Assertion Assomption Axiome Argumentation Assertion Acte de discours complexe Affirmatif Axiologique	
روابط حجاجية مواضعة قول تقرير تواضعي أفعال سلوكية مضمون قضوي عقد ضمني مستمع روابط النصية تساوق حجاجي سياق (لغوي قريب (تجاوز سياق انساق دلالة حافة مقولة مقولة الصيغة مقولة الكيف مقولة الكم مقولة العلاقة ملايسات تسنين سنن كفاءة . (قدرة) كفاءة تواصلية كفاءة استدلالية	Connecteurs argumentatifs Convention Constative Conventionnel Comportatifs Contenu propositionnel contrat tacite Co-énonciateur Connecteurs textuelles Coorientation argumentative Cotexte Contexte Cohésion Connotation Catégorie : Catégorie de Modalité : Catégorie de qualité : Catégorie de quantité : Catégorie de Relation : Circonstances : Codage (encodage) : Code : Compétence : Compétence communicative : Compétence inférencelle :	-C-

كفاءة لسانية	Compétence linguistique :
كفاءة تداولية	Compétence pragmatique :
كفاءة سياقية حالية	Compétence situationnelle
مكون لساني	Composant linguistique :
مكون بلاغي	Composant rhétorique :
معرفي	Conatif :
شرط المحتوى القضوي	Condition de contenu propositionnel :
شرط الجدية	Condition de sincérité :
الشرط الأساسي	Condition essentielle :
الشرط التمهيدي (الأولي)	Condition préliminaire :
شرط تأسيسي	Condition constitutive :
شروط الاستعمال	Conditions d'emploi :
شروط النجاح	Conditions de succès :
شروط معيارية	Conditions normatives :
إيحاء	Connotation :
مضمون	Contenu :
سياق	Contexte :
سياق خارج لساني	Contexte extralinguistique
سياق لساني	Contexte linguistique :
سياق مقامي	Contexte situationnel :
سياق اجتماعي	Contexte social :
تسييق	Contextualisation :
مشاركة	Contribution :
مواضعة. تعاقد	Convention :
تخاطب	Conversation :
سياق مقالي	Cotexte :

<p>مفردات إشارية برهنة استنتاج محدد وصفي بيان خطاب منقول دلالة اللفظ التصريحية خطاب مباشر فك التسنين لا تسييق إشارات تقرير اشتقاق اشتقاق إنجازي فك الالتباس وصف قول خطاب مقول</p>	<p>Déictiques Démonstration Déduire Déterminant Descriptif Déclaration Discours rapporté Dénotation Discours direct Décodage : Décontextualisation : Déictiques : Dénotation : Dérivation : Dérivation illocutoire : Désambiguïisation : Description : Dire : Discours : Dit :</p>	<p>-D-</p>
<p>ملفوظ تلفظ ماوراء-لسانية ذوات لسانية وصل واصل</p>	<p>Énoncé Énonciation Extralinguistique Êtres linguistiques Embrayage Embrayeurs</p>	

<p>واصلات ذاتية واصلات زمانية واصلات مكانية سلم حجاي إنجاز ملفوظ إنجازي فشل معلن قول أولي أفعال التنفيذ أفعال العرض أفعال تعبيرية متلفظ حذف كلمات تقويمية واقعي. فعلي ملفوظ ملفوظات خبرية-ايهامية تلفظ إظهار فظ ظاهر تعبير تعبير إثباتي. ,, إخباري تعبير إنشائي ما صدق خارج لساني</p>	<p>Embrayeurs de personne Embrayeurs temporels Embrayeurs spatiaux Echelle argumentative Exécution Énonciation performative échec Explicite Enonciation primaire Exercitifs Expositifs Expressifs Énonciateur éllipse Evaluatifs Effectif : Enoncé : Enoncés Pseudo affirmative Enonciation : Explicitation : Explicité : Expression : Expression constatif : Expression performatif : Extension : Extra linguistique :</p>	<p>-E-</p>
<p>فعل إنجاز الملفوظ قوة الفعل قوة غرضية بؤرة تبئير</p>	<p>Fabrication de l'énoncé Force de l'acte Force illocutoire Focus Focalisation</p>	<p>-F-</p>
<p>ضامن</p>	<p>Garant</p>	<p>-G-</p>

<p>نبرة أو تنبير تفاعل خطابي (ضمني) متضمنات القول متضمنات القول الدلالية متضمنات القول التداولية تفاعل مؤشرات ذاتية متلق عدم الاتفاق قوة إنجازية قوة إنجازية مشتقة قوة إنجازية مستلزمة قوة إنجازية حرفية</p>	<p>Intonation Interaction discursive Implicite Implicites sémantiques Implicites pragmatiques interaction Indices Interlocuteur Incompatibilité Force illocutoire : Force illocutoire dérivée : Force illocutoire implicite : Force illocutoire littérale :</p>	<p>-I-</p>
<p>استلزام استلزام وضعي استلزام تخاطبي استلزام غير وضعي مضمّر استدلال استدلالي تعريض قصد تفاعل مؤول مؤول ديناميكي مؤول نهائي مؤول مباشر تأويل بيذواتية تناصي تنغيم كناية</p>	<p>Implicitation : Implicitation conventionnelle : Implicitation conversationnelle : Implicitation non conventionnelles: Implicite : Inférence : Inférencelle : Insinuation : Intention : Interaction : Interprétant : Interprétant dynamique : Interprétant final : Interprétant imediat : Interprétation : Intersubjective : Intertextuel : Intonation : Ironie :</p>	

حكم قيمي	Jugement de valeur	-J-
قانون العبور	loi du passage	-L-
قوانين الخطاب	lois du discours	
قانون الإخبارية	loi d'informativité	
قانون الشمول	loi d'exhaustivité	
متكلم	Locuteur	
لغة	Langage :	
لغة/موضوع	Langage \ Objet :	
لسان	Langue :	
حرفي	Littérale :	
منطق	Logique :	
قانون الشمولية	Loi d'exhaustivité :	
قانون التهوين (التلطيف)	Loi de litote :	
قانون الإعلامية	Loi d'informativité :	
قانون الإفادة	Loi d'intérêt :	
قانون الجدبة	Loi de sincérité :	
قوانين الخطاب	Lois de discours	
يحاكي	Mimer	-M-
قانون الحقيقة العامة	Maxime	
أحكام المخاطبة	maximes conversationnelles	
شارات حجاجية	Marqueurs argumentatifs	
معلم	Marqué :	
مؤشر	Marqueur :	
مبدأ	Maxime :	
ميكانيزم	Mécanisme :	
استعارة	Métaphore :	
كناية	Métonymie :	
أسطورة	Mythe	
مفهوم المقام	La notion de situation	-N-
عوامل حجاجية	Opérateurs argumentatifs	-O-
توارد	Occurrence :	
استكمالي	Perfectible	-P-
أثبت، أقام الدليل	prouver	
جملة إنجازية	Phrase performative	

إنجاز	Production de l'énonciation
مرافعة متتالية	Procédure
صوتية	Phone
وحدة معنوية	Phème
أفعال الوعد	Promissifs
اقتضاء	Présumé
محمول الملفوظ	Posé
مبدأ التعاون	Principe de coopération
مبدأ الملاءمة	principe de pertinence
مبدأ الصدق	principe de sincérité
مقتضى معجمي	Présumé lexical
كلام	Parole :
إنجاز	Performance :
ملائمة	Pertinence :
ظاهرة	Phénomène :
ظاهرة كلية	Phénomène universel :
تعدد المعاني	Polysémie :
مُعطى	Posé :
مسلمة	Postulat :
مسلمة تخاطبية	Postulat de conversation :
تداوليات	Pragmatique (La) :
تداولي	Pragmatique :
ذرائعية	Pragmatisme :
شرط مسبق	Précondition :
محمول	Prédictat :
إسناد	Prédication :
سابقة	Préfixe :
مقدمة منطقية	Prémisse :
افتراض مسبق	Présomption :
مقتضى	Présumé :
اقتضاء	Présupposition :
مبدأ	Principe :
مبدأ التعاون	Principe de coopération :
سيرورة	Processus :
وعد	Promesse :

قضية قضوي	Proposition : Propositionnel	
استدلال أفعال إثبات إبطال انعكاسية مرجع ردّ فعل قلب البرهان على صاحبه مرجع مرجعي قاعدة تقعيد مائل	Raisonnement Représentatifs Réfutation Réflexivité Réfèrent Réaction verbale Retorsion Réfèrent : Référentielle : Règle : Régulation : Représentamen :	R-
مقام المحادثة مقام التلفظ مشهد شامل مشهد نوعي فن تصوير المشاهد سند أو دعامة هيكل حجاجي دلالة قول مضمر مفهوم سيمات قياس دلاليات (علم الدلالة) سيميويزيس سيمياتيات معنى معنى وضعي معنى الجملة معنى الملفوظ	Situation de communication Situation d'énonciation Scène englobante Scène générique Scénographie Support Schéma de base de l'argumentation Signification Sous-entendu Sèmes Syllogisme Sémantique : Sémiosis : Sémiotique : Sens : Sens conventionnel : Sens de la phrase : Sens de l'énoncé :	-S-

فهرس المصطلحات عربي فرنسي

<p>معنى التلفظ معنى تقريرى معنى مباشر معنى ظاهر معنى مجازى معنى إجمالى معنى مضمر معنى حرفى معنى استعارى معنى أول معنى صرف علامة دلالة مقام مسكوت عنه جملة خاصة</p>	<p>Sens de l'énonciation : Sens dénoté : Sens directe : Sens explicite : Sens figuré : Sens global : Sens implicite : Sens littéral : Sens métaphorique : Sens premier : Sens propre : Signe : Signification : Situation : Sous-entendu : Superphrase :</p>	
<p>ترادف تركيب تركيبى نسق الاستبدالية</p>	<p>Synecdoque : Synonymie : Syntaxe : Syntaxique : Syntagmatique</p>	
<p>ملفوظ محقق عمليا</p>	<p>Trop :</p>	<p>T</p>

قيمة التلفظ	Valeur de l'énonciation	V
أفعال القرار	Verdictifs	
قيم تخاطبية	Valeurs illocutoires	
قيمة	Valeur :	
قيمة ثنائية	Valeur binaire :	
قيمة الصدق	Valeur de vérité :	
قيمة إنجازية	Valeur illocutoire :	
قيمة محايدة	Valeur neutre :	
قيمة ثلاثية	Valeur triadique :	
فعل	Verbe :	
خرق. (انتهاك)	Violation :	

. فهرس أهم أعلام التداولية

• فهرس أهم أعلام التداولية (1):

<p>Socrate سقراط Philosophe فيلسوف</p> 	<p>Naissance : 470-469 av. J.-C. Alopèce + Décès : 399 av. J.-C. (Athènes) Athènes + Nationalité : Athènes (en) + Principaux intérêts: Éthique, Amour Idées remarquables : Ironie, vertu, connaissance Influencé par : Anaxagore de Clazomènes, Prodicos, Parménide A influencé : Platon, Xénophon, Antisthène, les socratiques et la plupart des philosophes occidentaux</p>
<p>Aristote أريستو Philosophe فيلسوف</p> 	<p>Naissance 384 av. J.-C. à Stagire Décès 322 av. J.-C. à Chalcis Nationalité Athènes École/tradition Fondateur du Lycée , aristotélisme , péripatétisme Principaux intérêts, Physique, métaphysique, biologie, éthique, politique, langage, logique , poétique rhétorique Idées remarquables Syllogisme, Puissance/Acte, Matière/ Forme, Substance/Accident, Catégorie, Phronesis Œuvres principales Catégories, Métaphysique, Physique, Politiques, Poétique Influencé par Démocrite, Homère, Héraclite, Parménide, Anaxagore , Empédocle, Socrate, Platon A influencé La majeure partie de la philosophie occidentale, islamique et juive Adjectifs dérivés aristotélicien, aristotélicienne</p>
<p>George Berkeley ج. باركلي Philosophe فيلسوف</p>  <p>John Langshaw Austin . ج. ل</p>	<p>L'évêque George Berkeley est un philosophe irlandais de la famille des empiristes dont la principale réussite fut la théorisation de l'idéalisme empirique ou immatérialisme, résumé par la formule <i>esse est percipi</i> aut <i>percipere</i>. Wikipédia Naissance : 12 mars 1685, Kilkenny, Irlande Décès : 14 janvier 1753, Oxford, Royaume-Uni Livres : Trois dialogues entre Hylas et Philonous, Les principes de la connaissance humaine, De l'obéissance passive Influences : John Locke, René Descartes, Isaac Newton, Nicolas Malebranche, Ibn Tufayl</p>

¹- ويكيبيديا الموسوعة الحرة الجمعة 11 ديسمبر / كانون الأول 2015 ، الموافق 29 صفر 1437 هـ

<p>أوستين فيلسوف <i>Philosophe</i></p> 	<p><i>John Langshaw Austin est un philosophe anglais, appartenant à la philosophie analytique. Il s'est intéressé au problème du sens en philosophie. Wikipédia</i> Naissance : 26 mars 1911, Lancaster, Royaume-Uni Décès : 8 février 1960, Oxford, Royaume-Uni Livres : <i>Le langage de la perception, Quand dire, c'est faire, Ecrits philosophiques</i> Formation : Shrewsbury School, Balliol College, Université d'Oxford</p>
<p>هـ. ب. جرايس فيلسوف <i>Philosophe</i></p> 	<p>Naissance : 13 mars 1913, Birmingham, Royaume-Uni Décès : 28 août 1988, Berkeley, Californie, États-Unis Parents : Herbert Grice, Mabel Felton Grice Formation : Clifton College, Corpus Christi College Influences : John Langshaw Austin, Peter Frederick Strawson, Aristote, Willard Van Orman Quine</p> <p>أثاره: أعاد طباعة العديد من مقالاته وأبحاثه في كتابه دراسات في الكلمات (<i>Studies in the Way of Words</i>) في عام 1989. أثرت مؤلفات جرايس عن طبيعة المعنى على دراسة علم المعاني من المنظور الفلسفي. وتعد نظريته حول الاستلزام من أهم وأكثر المساهمات تأثيرًا في علم التداوليات.</p>
<p>جون سيرل فيلسوف <i>Philosophe</i></p> 	<p><i>John Rogers Searle est un philosophe américain né à Denver en 1932, appartenant au courant analytique, et spécialiste de philosophie du langage, ainsi que de philosophie de l'esprit. Wikipédia</i> Naissance : 31 juillet 1932 (83 ans), Denver, Colorado, États-Unis Livres : <i>Les actes de langage: essai de philosophie du langage, plus...</i> Influences : John Langshaw Austin, Ludwig Wittgenstein, plus... Parents : Hester Beck Searle, G. W. Searle Formation : Université d'Oxford (1959), Université du Wisconsin à Madison (1949–1952) Distinctions et récompenses : Prix Jean-Nicod, plus...</p>

Noam Chomsky ن شومسكي
Linguiste لساني



Noam Chomsky, est un linguiste et philosophe américain. Professeur émérite de linguistique au Massachusetts Institute of Technology où il a enseigné toute sa carrière, il a fondé la linguistique générative. Wikipédia

Naissance : 7 décembre 1928 (87 ans), East Oak Lane, Pennsylvanie, États-Unis

Livres : Dominer le monde ou sauver la planète ?, plus...

Influences : Ferdinand de Saussure, Karl Marx, Bertrand Russell, plus...

Benjamin Peirce بنجامين بيرس
mathématiques et
physique رياضي و فيزيائي



Benjamin Peirce, américain,. Il fut professeur de mathématiques et physique à Harvard. Père du philosophe qui a fondé le pragmatisme : Charles Sanders Peirce. Wikipédia

Naissance : 4 avril 1809, Salem, Massachusetts, États-Unis

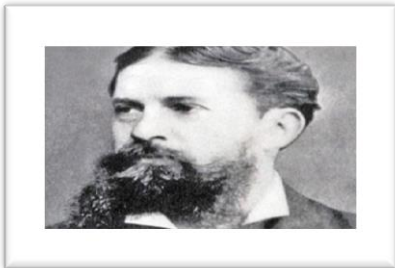
Décès : 6 octobre 1880, Cambridge, Massachusetts, États-Unis

Enfant : Charles Sanders Peirce

Formation : Harvard College, Université Harvard

Étudiante De Renom : Joseph Lovering

Charles Sanders Peirce شارل
سندرس بيرس
Philosophe فيلسوف





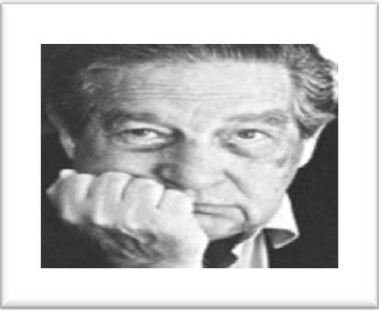
Charles Sanders Peirce est un sémiologue et philosophe américain. Il est considéré comme le fondateur du courant pragmatiste avec William James et, avec Ferdinand de Saussure **Naissance** : 10 septembre 1839, Cambridge, Massachusetts, États-Unis

Décès : 19 avril 1914, Milford, Pennsylvanie, États-Unis




Livres : Écrits sur le signe, Pragmatisme et sciences normatives, plus... **Formation** : Harvard College, Université Harvard, Harvard John A. Paulson School of Engineering and Applied Sciences

<p>Francis Jacques فرانسيس جاك Philosophe فيلسوف</p> 	<p><i>Naissance</i> 1934, Strasbourg <i>Nationalité</i> français + <i>École/tradition</i> Philosophie analytique <i>Principaux intérêts</i> Métaphysique, théologie, logique, langage <i>Influencé par</i> Thomas d'Aquin, Quine <i>A influencé</i> Philippe Capelle</p>
<p>Charles W. Morris موريس Philosophe فيلسوف</p> 	<p><i>Charles W. Morris, est un sémioticien et philosophe américain. Wikipédia</i> <i>Naissance</i> : 23 mai 1901, Denver, Colorado, États-Unis <i>Décès</i> : 15 janvier 1979, Gainesville, Floride, États-Unis <i>Distinctions et récompenses</i> : Bourse Guggenheim des sciences humaines pour les États-Unis et le Canada <i>Formation</i> : Université de Chicago (1925), Université Northwestern</p>
<p>Gottlob Frege غوتلوب فريج Mathématicien رياضي</p> 	<p><i>Friedrich Ludwig Gottlob Frege est un mathématicien, logicien et philosophe allemand. Frege est l'un des plus grands logiciens avec Aristote, Ockham et Leibniz. Wikipédia</i> <i>Naissance</i> : 8 novembre 1848, Wismar, Allemagne <i>Décès</i> : 26 juillet 1925, Bad Kleinen, Allemagne <i>Livres</i> : Les Fondements de l'arithmétique, Idéographie, plus... <i>Formation</i> : Université de Göttingen, Université d'Iéna <i>Influences</i> : Gottfried Wilhelm Leibniz, David Hume, plus...</p>
<p>Ludwig Wittgenstein فيتغنشتاين</p> 	<p><i>Ludwig Josef Johann Wittgenstein est un philosophe autrichien, puis britannique, qui apporta des contributions décisives en logique, dans la théorie des fondements des mathématiques et en philosophie du langage. Wikipédia</i> <i>Naissance</i> : 26 avril 1889, Vienne, Autriche <i>Décès</i> : 29 avril 1951, Cambridge, Royaume-Uni <i>Influences</i> : Gottlob Frege, Sigmund Freud, Arthur Schopenhauer, plus... <i>Livres</i> Tractatus logico-philosophicus 1921 Investigations philosophiques 1953 De la certitude</p>

<p>Bertrand Russell برتراند روسل Mathématicien رياضي</p> 	<p><i>Bertrand Arthur William Russell, 3^e comte Russell, est un mathématicien, logicien, philosophe, épistémologue, homme politique et moraliste britannique. Wikipédia</i> Naissance : 18 mai 1872, Trellech, Royaume-Uni Décès : 2 février 1970, Penrhyndeudraeth, Royaume-Uni Influences : Gottlob Frege, Alfred North Whitehead, David Hume, plus...Livres Problèmes de philosophie 1912 Principia Mathematica 1910 Introduction à la philosophie... 1919 Éloge de l'oisiveté 1935</p>
<p>Ferdinand de Saussure دوسوسير Linguiste لساني</p> 	<p><i>Ferdinand de Saussure,</i> Naissance : 26 novembre 1857, Genève, Suisse Décès : 22 février 1913, Vufflens-le-Château, Suisse Influences : Charles Sanders Peirce, Émile Durkheim, Max Weber, Carl Gustav Jung, Henri Bergson, August Leskien Livres: Cours de linguistique générale 1979,,,</p>
<p>Emmanuel Kant إمانويل كانت Philosophe فيلسوف</p> 	<p><i>Emmanuel Kant est un philosophe allemand, fondateur du criticisme et de la doctrine dite « idéalisme transcendantal ».</i> Naissance : 22 avril 1724, Königsberg Décès : 12 février 1804, Königsberg Influences : René Descartes, Aristote, Platon, David Hume, plus... Formation : Université de Königsberg (1740–1746), Université de Königsberg Livres Fondation de la métaphys... 1785 Critique de la faculté de juger 1790 Critique de la raison pratique 1788 Qu'est-ce que les Lumières ? 1784</p>

<p>جون ديوي <i>John Dewey</i> نفساني <i>Psychologue</i></p> 	<p><i>John Dewey, est un psychologue et philosophie américain majeur du courant pragmatiste développé initialement par Charles S. Peirce et William James. Wikipédia</i> Naissance : 20 octobre 1859, Burlington, Vermont, États-Unis Décès : 1 juin 1952, New York, État de New York, États-Unis Formation : Université du Vermont (1879), Université Johns-Hopkins, Université de Chicago Influences : William James, Jean-Jacques Rousseau, plus...</p>
<p>رولان بارث <i>Roland Barthes</i> ناقد أدبي <i>Critique littéraire</i></p> 	<p><i>Roland Barthes, est un critique littéraire et sémiologue français, directeur d'études à l'École des hautes études en sciences sociales et professeur au Collège de France. Wikipédia</i> Naissance : 12 novembre 1915, Cherbourg-Octeville, France Décès : 26 mars 1980, Paris, France Influences : Ferdinand de Saussure, Jacques Lacan, plus... Parents : Henriette Barthes, Louis Barthes Formation : Université de Paris, Sorbonne Livres <i>La Chambre claire</i> 1980 <i>Mythologies</i> 1957 <i>Fragments D'UN Discours...</i> 1977 <i>S/Z</i> 1970 <i>Le Plaisir Du Texte</i> 1973</p>
<p>ر. جاكوبسون <i>Roman Jakobson</i> لساني <i>Linguiste</i></p> 	<p><i>Roman Ossipovitch Jakobson, est un penseur russe qui devint l'un des linguistes les plus influents du XX^e siècle en posant ... Wikipédia</i> Naissance : 11 octobre 1896, Moscou, Russie Décès : 18 juillet 1982, Boston, Massachusetts, États-Unis Livres : <i>Essais de linguistique générale, Questions de poétique, plus...</i> Influences : Ferdinand de Saussure, Nikolai Sergueïevitch Troubetskoï, Gunther Kress Formation : Université Charles de Prague (1930), Université d'État de Moscou, Institut Lazarev des langues orientales</p>

<p>George Boole جورج بول Mathématicien رياضي</p> 	<p><i>George Boole, est un logicien, mathématicien et philosophe britannique. Wikipédia</i> Naissance : 2 novembre 1815, Lincoln, Royaume-Uni Décès : 8 décembre 1864, Ballintemple, Irlande Épouse : Mary Everest Boole (m. 1855–1864) Livre : Les Lois de la pensée</p>
<p>Claude Lévi-Strauss ستروس Anthropologue انثروبولوجي</p> 	<p><i>Claude Lévi-Strauss,</i> Naissance : 28 novembre 1908, Région de Bruxelles-Belgique Décès : 30 octobre 2009, Paris, France Épouses : Monique Roman (m. 1954–2009) Enfants : Laurent Lévi-Strauss, Matthieu Lévi-Strauss Parents : Emma Levy, Raymond Lévi-Strauss Livres Tristes Tropiques1955 La Pensée sauvage1962 Le Cru et le Cuit1964 Mythologiques1964 Anthropologie structurale deux1963</p>
<p>Erving Goffman ! . جوفمان Sociologue عالم اجتماع</p> 	<p><i>Erving Goffman, , est un sociologue et linguiste américain d'origine canadienne. Wikipédia</i> Naissance : 11 juin 1922, Mannville, Canada Décès : 19 novembre 1982, Philadelphie, Pennsylvanie, États-Unis Livres : La Mise en scène de la vie quotidienne, Asiles, plus... Influences : Émile Durkheim, Georg Simmel, Herbert Blumer, plus... Enfants : Alice Goffman, Tom Goffman</p>

<p>فرونسواز <i>Françoise Armengaud</i> أرموند</p> 	<p><i>Françoise Armengaud, née le 16 septembre 1942 à Paris, est une universitaire, philosophe, Traductrice, essayiste et écrivain française. Titulaire d'un doctorat en philosophie en 1982, elle donne des cours de philosophie du langage et d'esthétique à l'université de Paris X-</i></p>
<p>كايم بيرلمان <i>Chaïm Perelman</i> فيلسوف <i>Philosophe</i></p> 	<p><i>Chaïm Perelman est considéré comme le fondateur de la « Nouvelle Rhétorique » et comme un des chefs de file de l'École de Bruxelles. Né à Varsovie, il émigra en Belgique en 1925 ; il fut professeur à l'Université libre de Bruxelles jusqu'en 1978. Wikipédia</i> Naissance : 20 mai 1912, Varsovie, Pologne Décès : 22 janvier 1984, Région de Bruxelles-Capitale, Belgique Formation : Université libre de Bruxelles Livres : <i>Traité de l'argumentation: la nouvelle rhétorique, plus...</i> Recherches associées : Lucie Olbrechts-Tyteca, Jean Stengers, Freyr Roland Varwig, Jan Broekman, Ryszard Kleszcz</p>
<p>طه عبد الرحمن فيلسوف <i>Philosophe</i></p> 	<p>الاسم: طه عبد الرحمن تاريخ الميلاد : 1944م <u>الجديدة</u> <u>المغرب</u> الحقبة : معاصر الاهتمامات الرئيسية : الفلسفة، النقد أفكار مهمة : فلسفة إسلامية عربية، فكر إسلامي مُبدِع، حداثة إسلامية، فقه الفلسفة، نقد التقليد المزدوج</p>

<p>محمود نحلة <i>m nahla</i></p> <p>الدراسات اللغوية</p> 	<p>مولده: ولد محمود أحمد نحلة في 1948/3/22 بمحافظة الغربية. أستاذ الدراسات اللغوية والنحوية بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية ومدير معهد الدراسات اللغوية والترجمة.. إنتاجه العلمي: له إنتاج علمي غزير يقوم على علم راسخ بالتراث اللغوي عند العرب والنظريات اللغوية الحديثة</p>
<p>أحمد المتوكل</p> <p>مفكر لساني</p> 	<p>مولده: ولد الدكتور أحمد المتوكل في الرباط، سنة 1942 حضر دكتوراه السلك الثالث في اللغويات في نفس القسم، وكان موضوع رسالته عن (أفعال الإتجاه في اللغة الفرنسية) في إطار مقارنة سيميائية التي يرأسها في فرنسا غريماس، وبعد ذلك هياً داخل القسم العربي شهادة في الأدب المقارن، ثم حضر دكتوراه الدولة في اللسانيات، وكان موضوع هذه الأطروحة التي أشرف عليها (غريماس) نظرية المعنى في الفكر اللغوي العربي القديم). له عدة مزلفات بالعربي و و الفرنسية و الإنجليزية</p>
<p>صلاح فضل <i>salah fadl</i></p> 	<p>مولده: ولد الدكتور صلاح فضل بقرية شباس الشهداء بوسط الدلتا في 21 مارس عام 1938 م . وحصل على دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة مدريد المركزية عام 1972م. أهم أعماله:.. مؤلفات عديدة أثرت المكتبة العربية في الأدب والنقد الأدبي والأدب المقارن وزودت الباحثين برؤى جديدة في الشعر والمسرح والرواية، منها</p>



جميل حمداوي

جميل حمداوي من مواليد مدينة الناظور المغرب - .حاصل على دكتورا الدولة سنة ، أستاذ التعليم العالي - . أديب ومبدع وناقد وباحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية - .حصل على جائزة مؤسسة المثقف العربي (أسرتاليا في النقد والدراسات الأدبية - .حاصل على جائزة ناجي النعمان الأدبية - . رئيس الرابطة العربية للقصة القصيرة جدا - .رئيس المهرجان العربي للقصة القصيرة جدا - .رئيس الهيئة العربية لنقاد القصة القصيرة جدا - .رئيس جمعية الجسور للبحث في الثقافة والفنون - .رئيس مختبر المسرح الأمازيغي بالإضافة إلى عدة مؤلفات



مسعود صحراوي

الإسم و اللقب:مسعود صحراوي
استاذ محاضر بجامعة الأغواط
الجنسية جزائري
- شهادات المؤلف: شهادة الماجستير في اللسانيات البنوية جامعة باتنة . شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية جامعة باتنة
- شارك في عدة ملتقيات و ندوات و محاضرات وطنية و دولية في مجال العلوم اللسانية ، للمؤلف عدة مؤلفات ، و مقالات لغوية متخصصة.

فهرس المصادر و المراجع

_ القرآن الكريم برواية ورش

1. المصادر: (*):

المدونة و الشروحات المعتمدة

1. الإمام علي . نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، تحقيق و شرح فارس الحسون ، مركز الأبحاث العقائدية ، إيران، قم المقدسة، المطبعة ستارة ، ط1، 1419هـ
2. الإمام علي . نهج البلاغة ،جمعه الشريف الرضي ، شرح ابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي و شركاه ، ط1، 1378 هـ ، 1959م
3. الإمام علي . نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي، شرح محمد عبده ، مراجعة و تدقيق ، أحمد ابراهيم زهوة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دار الأصالة ، الجزائر، د ط ، 1426هـ-2005م

المصادر

(أ)

4. ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2 تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر 1939
5. ابن الأثير ، ضياء الدين. الكامل، تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي ، ج 3 : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .
6. الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل . مقالات الإسلاميين ، ط2 ، تحقيق محمد محي الدين ، دار الحداثة، 1985م.
7. الأمدي، الحسن بن بشر بن يحيى . الأحكام في أصول الأحكام، تح: احمد محمد شاكر، دار الأفق الجديدة ، بيروت ، ط1، 1980
8. الأبشيهي ،شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح، المستطرف في كل فن مستظرف ، ج1 ، مكتبة الجمهورية العربية

(ج)

9. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر . الحيوان. ت. عبد السلام هارون. مكتبة البابي الحلبي.
10. الجاحظ، أبو عثمان. البيان والتبيين ، تحقيق : محمد عبد السلام محمد ، هارون، مكتبة الخانجي ، ط7، القاهرة، 1998
11. الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة في علم البيان، صححه وعلق حواشيه : محمد رشيد رضا، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط 1، 1988
- 12- الجرجاني. عبد القاهر. دلائل الإعجاز، ت. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م،
13. الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة ، تحقيق محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، ط 2 ، 1999 ، بيروت ، لبنان

(*)- ملاحظة: لم يعتد هذا البحث أثناء هذا الترتيب ب:(ال ، آل ، أبو ، أم ، ابن .)

14- ابن جنبي. أبو الفتح عثمان. الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج1، دار الكتب العلمية القاهرة.

(ح)

15- الحسيني، الإمام المؤيد بالله أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي . الديباج الوطي في الكشف عن أسرار الإمام

الوصي (شرح نهج البلاغة) ، ج 1 ، تحقيق خالد بن قاسم بن محمد المتوكل ، مؤسسة الإمام زيد بن علي ، الثقافية صنعاء ، الجمهورية اليمنية، ط1، سنة 2003

(خ)

16- ابن خلدون ، عبد الرحمن . المقدمة، الدار التونسية للنشر والتوزيع والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د.ط، 1984 .

17. الخنساء . ديوان شعري ، دار بيروت للطباعة و النشر 1404هـ/1983م، دط

18 . الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان . سر الفصاحة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، 1976

(ر)

19- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن احمد. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج 2 ، دار القلم . بيروت . ط 1 ، 1988

20- ابن رشد، أبو الوليد محمد بن احمد. كتاب فصل المقال و تقرير ما بين الشريعة و الإتصال، قدم و علق عليه البير نصري نادر، ط2، دار المشرق ، لبنان، دت.

21. ابن رشيق، الحسن. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل بيروت 1972

(ز)

22 . الزركشي. محمد أبو الفضل. البرهان في علوم القرآن عيسى الحلبي. القاهرة 1957.

23 . الزركلي ، خير الدين. الأعلام ، ط14، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1999

(س)

24 . السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن، ج 2 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، دت

25 . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر . تاريخ الخلفاء ، دط ، دار التقوي ، 2006

26 . السكاكي . يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي. مفتاح العلوم ، ضبط نعيم زرزور . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1983 .

27 . سيبويه، ابى بشر عمرو بن عثمان بن قنمبر . الكتاب، ج3، تحقيق و وشرح : محمد عبد السلام هارون ، مطبعة الخانجي القاهرة، ط3، 1988 .

(ط)

28. الطبري أبو جعفر محمد بن جرير . (تاريخ الطبري) ، تاريخ الرسل والملوك ج5، دارالفكر بيروت ، ط1، 1407هـ 1987م

29. ابن أبي طالب، علي . ديوان شعري ، شرح علي مهدي زيتون، دار الجيل بيروت، د ط / ا ت .

—————(ع)—————

30. العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) تحقيق : علي محمد البجاوي محمد . أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، 1971 .

31. العلوي، يحيى بن حمزة . الطراز ، ج2 - مصر . 1914 .

—————(غ)—————

32. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد . رسالة أيها الولد، ،توفيق الصباغ، دط ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، دت

33. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد . إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة و النشر ، بيروت، ط1، 2005

—————(ق)—————

34. القرافي ، شهاب الدين أبي العباس احمد بن إدريس المصري المالكي . الفروق ، و بحاشيته (أدوار الفروق على أنواء الفروق) للإمام ابن الشاط ، قدم له و علق عليه و حققه عمر حسن القيام ج4، مؤسسة الرسالة للطبع و النشر و التوزيع ناشرون ،بيروت لبنان 1424 هـ . 2003م .

35. القيرواني، ابن رشيقي . العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1 تحقيق محمد محيي الدين - ط5، بيروت، 1981 .

36. القرطاجني، حازم . منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، تحقيق محمد الحبيب خوجة ، دار العرب الإسلامي، ط3، 1986، بيروت . لبنان .

37. القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن . الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح: علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط2 ، 1991 .

38. القزويني ، الامام جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ، التلخيص في علوم البلاغة ، (تلخيص كتاب مفتاح العلوم للسكاكي)، حققه و اعده و شرح فهارسه عبد الحميد هندايوي، دار الكتب العلمية، ط2 ، بيروت، 2009

39. الكندي، أمرئ القيس بن حجر . ديوان ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان (الأعلم الشنتمري) دط، صححه، الشيخ بن أبي شنب، وزارة الثقافة الجزائر، 2007

—————(م)—————

40. المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد . الكامل في اللغة والأدب . ت أبو الفضل والسيد شحاتة . دار نهضة مصر .

50. المسعودي ، أبو الحسن بن علي . مروج الذهب ومعادن الجواهر - ج2، راجعه كمال حسن مرعي ، المكتبة العصرية للطباعة و النشر و التوزيع . بيروت . لبنان . ط1 ، 1425 هـ ، 2005م

—————المراجع العربية—————

—————(أ)—————

60. الإدريسي، يوسف. عتبات النص، بحث في التراث العربي والخطاب النقدي المعاصر، منشورات مقاربات، ط1، 2008
61. أجيب، نور الدين. تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، ط1، 2012
62. أملي، جوادي. الحكمة عند الإمام علي (عليه السلام) في نهجه، مكتبة الروضة الحيدرية، دت / د ط
- (ب) —————
63. بنكراد سعيد. الصورة الإشهارية؛ آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، بيروت، دار البيضاء، 2009
64. بلخير، عمر. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف. الجزائر، ط1، 2003،
65. بلعلی آمنة. تحليل الخطاب الصوفي، منشورات الإختلاف، ط1، 2002
66. بوجادي، خليفة. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر العلمة، الجزائر. ط1، 2009
67. بوبكري، راضية خفيف. التداولية وتحليل الخطاب، (مقاربة نظرية)، مجلة الموقف الأدبي، العدد 399 تموز 2004،
68. بوقرة، نعمان. اللسانيات العامة اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، عالم الكتب الحديث، عمان، 2009.
69. بوقرة، نعمان. المدارس اللسانية المعاصرة، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، دت
- (ت) —————
70. التميمي، عز الدين الخطيب. و مجموعة من الأساتذة. نظرات في الثقافة الإسلامية، د ط، دار الشهاب للطباعة و النشر عمار قرفي، باتنة، الجزائر، دت
- (ج) —————
71. جورج، جرداق. روائع نهج البلاغة، دار الشروق، بيروت، 1395هـ - 1975م
72. جرجي زيدان. تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة منقحة راجع و علق عليها شوقي ضيف، دار الهلال، دت، دت
- . الجندي، أنور. الرائد في الأدب العربي، ج 2، ط2، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1986
73. جحفة. عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1999
74. جباب الرب. محمود. علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، ط1 / 1985
- (ح) —————
75. الحباشة، صابر. مدخل إلى الأبعاد التداولية في قراءة الشروح القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع100، 2007
76. الحباشة، صابر. التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، 2008
77. حماد، حسن محمد. تداخل النصوص في الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، سنة 1998
78. حسان، تمام. مكونات الضمائر في النص القرآني الكريم - ضمن اجتهادات لغوية، عالم الكتب القاهرة، 2007.
79. حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1979

80. حمودة، طاهر سليمان . ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، 1982

81. حجازي، محمد عبد الواحد. الأطلال في الشعر العربي- دراسة جمالية. دارالوفاء لدنيا للطباعة ،الإسكندرية، ط 2002،1

82. حمو الحاج، ذهبية . لسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع،

83. الحسيني، عبد الزهراء . مصادر نهج البلاغة واسانيده ،مطبعة القضاء في النجف الاشرف ، ط1 1386هـ 1966م

84. حسين ، طه. الفتنة الكبرى . علي و بنوه . ط13، دار المعارف ،الإسكندرية ،مصر ،دت

85. حسن، عباس. النحو الوافي، ج1 ، دار المعارف مصر، ط.3 د.ت

86. حريري العاملي، اسماعيل. إثبات الوصية في شرح الخطبة الشقشقية ،دار الولاة ط1 بيروت لبنان 2003هـ1424

————— (خ) —————

87. الخضري بك ، محمد. محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ج2، مطبعة الإستقامة، مصر، 1354هـ

————— (د) —————

88. الدريدي ، الحسنی ، سامية . دراسات في "الحجاج" قراءة في نصوص مختارة من الأدب العربي القديم ، عالم الكتب الحديث . إربد . ط1 سنة 1430هـ 2009م . عمان . الأردن

89. دريدي ، سامية. الحجاج في الشعر العربي بنيته و أساليبه ، عالم الكتب الحديث للنشر ،إربد الأردن، ط2، 2001،

89. دلاش، الجليلي. مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د.ط 1992

90. الذهبي ، محمد بن أحمد عثمان .سير أعلام النبلاء دط ، ج1 مؤسسة الرسالة، دت

————— (ر) —————

91. رفيدة، إبراهيم عبد الله ،وعلي الطاهر الفاسي ،علي محمد المعل . التدريبات اللغوية، دار الملتقى للنشر، ط1، 1991

92. الرويلي، ميجان. البازعي ،سعد. دليل الناقد الأدبي الأدبي، للمركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط2، 2000

93. راكان ،عبد الكريم .هندسة الإقناع في الإتصال اللساني ، دار جدة ، ط 1 ، د/ت

94. رزق، علي. نظريات في أساليب الإقناع . دراسة مقارنة . دار الصفوة بيروت . لبنان . ط1 ، 1994

95. أبو زيد، نصر حامد. النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، ط 4 ، سنة 2000

96. الزيات، أحمد حسن. تاريخ الأدب العربي، ط8، دار المعرفة، بيروت. لبنان. 1425هـ 2004م

————— (س) —————

97. السبعراوي، طه. أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ، 1426، 2001

98. السيد ، عز الدين علي. التكرير بين المثير و التأثير، دار الطباعة المحمدية القاهرة . مصر ، د/ط ، 1978
99. الشاوش محمد . أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع . بيروت، ط1، 2001،
100. الشجيري ، سحر كاظم حمزة .نظرية التوصيل في النقد الأدبي العربي الحديث ج1، دار صفاء للنشر و التوزيع . عمان ط1، 2011
101. الشهري ، عبد الهادي بن ظافر. إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد، ط1، بيروت 2004
102. شمس الدين، محمد مهدي. دراسات في نهج البلاغة ، دار الزهراء للطباعة و النشر لبنان: ط2، 1972م.
- ===== (ص) =====
103. الصباغ، محمد. التصوير الفني في الحديث النبوي، المكتب الإسلامي ، بيروت، ط1، 1988،
104. صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ط 1 ، 2005
105. صولة ، عبد الله. الحجاج في القرآن الكريم (من خلال خصائصه الأسلوبية)، منشورات كلية الآداب والفنون الإنسانية، تونس ط 1 ، 2001.
106. صولة ، عبد الله. الحجاج أطره ومنطقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج ..، ضمن مصنف أهم نظريات الحجاج في النقايد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود ، كلية الآداب منوبة ، تونس دت
107. صلاح إسماعيل ، عبد الحق. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر . بيروت . ط 1993،1
108. الصلابي، علي محمد . حقيقة الخلاف بين الصحابة في معركة الجمل و صفين و قضية التحكيم ، دار الحوزي . القاهرة . 1428هـ 2008م

===== (ض) =====

109. ضيف، شوقي . تاريخ الأدب العربي . العصر الإسلامي . دار المعارف ، مصر ، ط9، 1963

===== (ط) =====

110. الطبطائي ، طالب سيد هاشم . نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب ، منشورات جامعة الكويت ، د.ط ، 1994
- 111- طه، عبد الرحمن. اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. 1998
112. طه ، عبد الرحمن . في أصول الحوار وتجديد علم الكلام . المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء . ط2 ، سنة 2000م
113. طه ، عبد الرحمن . تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط2، دت

===== (ع) =====

114. عادل ، عبد اللطيف. بلاغة الإقناع في المناظرة ، منشورات الإختلاف، دارالأمان الرباط ، ط1، 2013،

115. عبد الله ، إبراهيم و آخرون. في معرفة الآخر (مدخل إلى المنهاج النقدية الحديثة) المركز الثقافي العربي 1990.
116. عباس، فضل حسان. البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني) ، دار الفرقان للنشر ،إربد ،الأردن.، ط2، 1985م
117. العبد، محمد. النص والخطاب و الإتصال .الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2005م.
118. عتيق. عبد العزيز. علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان . دت
119. عمران، علي . حاجية الصورة الفنية في الخطاب العربي ، دار نينوي سوري دمشق دط.
120. عمران ،قدور. البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني ،عالم الكتب الحديث،إربد ، الأردن ، ط1، سنة 2012
121. العمرى، محمد .في بلاغة الخطاب الإقناعي، إفريقيا الشرق . المغرب: 1999 .
122. عرفة، عبد العزيز عبد المعطي. من بلاغة النظم العربي. دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ج2 عالم الكتب بيروت 1981
123. عزام، محمد . نص الغائب تجليات التناس في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب دمشق 2001 .
124. العزاوي ، أبو بكر. اللغة والحجاج . العمدة في الطبع. الطبعة الأولى.الدار البيضاء. المغرب.
125. عشير ،عبد السلام. عندما نتواصل نغير ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 1، 2006 .
126. العقاد ،عباس محمود .عبقرية الإمام علي ، دط ،المكتبة العصرية، صيدا . بيروت ، 1421هـ 2000م.
127. عصار ،خير الله . مقدمة لعلم النفس الأدبي،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1989
128. عصفور ، جابر. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ط3، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب 1992
129. علوي ، حافظ إسماعيلي. الحجاج مفهومه و مجالاته ، دراسة نظرية تطبيقية ، في البلاغة الجديدة ، عالم الكتب العالمي ،عمان . 2010
130. عياشي منذر. اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري ، ط1، 2001
- ===== (غ) =====**
131. الغذامي، عبد الله. الخطيئة و التكفير ، د ط، النادي الأدبي الثقافي ،جدة السعودية ، دت
- ===== (ف) =====**
132. فضل، صلاح . بلاغة الخطاب و علم النص، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجان: 1996 .
133. الفضيلات ،جبر محمود . القضاء في صدر الإسلام، تاريخه و نماذج منه، دط، شركة الشهاب الجزائر: 1989 .
134. القمي، صبحي إبراهيم. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة، ج1، ط1، 2000.
135. الفاخوري ، حنا. الجامع في تاريخ الأدب العربي ،دار الجيل، ط 1 ، 1986 ، لبنان

(ق)

136. القمي، الشيخ عباس بن محمد رضا. شرح حكم نهج البلاغة، مؤسسة نهج البلاغة، طهران، 1417هـ ق.

(م)

137. محمد مهدي، شمس الدين . دراسات في نهج البلاغة ، ط2، مكتبة الروضة الحيدرية، دار الزهراء للطباعة و النشر لبنان: 1392هـ 1972م.

138- المسدي، عبد السلام. الأسلوبية و الأسلوب: الدار العربية للكتاب، ط 2، سنة 1982.

139. مفتاح، محمد. تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص. ط3 ، المركز الثقافي العربي: يوليو 1992.

140. مفتاح محمد. التلقي والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 1994

141. مطلوب، أحمد و. البصير ،حسن .البلاغة و التطبيق ، المكتبة الوطنية، بغداد 1982.

142. المتوكل، أحمد . اللسانيات الوظيفية :مدخل نظري، منشورات عكاظ .الرباط . دط . دت.

143. المتوكل، أحمد. الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر، الدار البيضاء، المغرب، 1985

144. مرتاض، عبد الجليل. في عالم النص و القراءة، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر: 2007

145. مزيد، بهاء الدين محمد. تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر، القاهرة ط 1، 2010

146. محمد محمد، يونس علي . مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1 دت

147. الملا، فاضل عباس . الإمام علي (ع) ومنهجه في القضاء : مطبعة الغدير ، بيروت - لبنان ، ط1، 1419هـ

(ن)

148. ناصر ، مصطفى. الصورة الأدبية - - ط2، دار الأندلس، 1981.

149. نحلة، محمود أحمد ، آفاق جديدة للبحث اللغوي المعاصر .دار المعرفة الجامعية :الاسكندرية .ط1 ، 2006م

150. نحلة، محمود أحمد. التعريف والتكثير بين الدلالة والشكل ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1999.

151. النقاري، حمو. التحاجج طبيعته و مجالاته، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، الرباط، ط1 ، 2006.

(هـ)

152. هلال ، محمد غنيمي . النقد الأدبي الحديث. دار النهضة العربية. القاهرة. ، دت.

(و)

153. الوردني، أحمد. نظرية النص عند رولان بارث ،المجلة الأدبية ع 426 ،اتحاد الكتاب العرب، دمشق تشرين 1 2006.

154. الوردني، صالح. السيف و السياسة في الإسلام ،(الصراع بين الإسلام النبوي والإسلام الأموي) مطبعة دار الحسام القاهرة ، ط1 ، 1996.

المراجع الأجنبية المترجمة

(أ)

155. أوستين. نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) تر: عبد القادر قنيني إفريقيا الشرق 1991
156. فرونسواز، أرمينكو. المقاربة التداولية ، ترجمة د ، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد ، سنة 1986
157. براون و بول .. تحليل الخطاب ، تر: د /منير التريكي ،النشر العلمي و المطابع ، جامعة الملك سعود 1997،
158. أرسطو طاليس.. الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه :عبد الرحمان بدوي، دط، دارالقلم بيروت، 1976
159. بلا نشيه، فيليب . التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007
160. رولان يارث . نقد و حقيقة الأعمال الكاملة critique et vérité، ترجمة ترجمة منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري للترجمة و النشر ، ط1، 1994
161. إميل بنفيسيت عن الذاتية في اللغة، ضمن: تلوين الخطاب- فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والحجاج -الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2007
162. تزيطان تودوروف . مفاهيم سردية، ترجمة، عبد الرحمن مزبان، منشورات الإختلاف، ط1 سنة 2005،
- 163- مانغونو، دومنيك . المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب. ط1. ترجمة محمد يحياتن، دار العربية للعلوم، 2008
164. فان ديك . النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، بيروت
165. فان، ديك . علم النص :مدخل متداخل لأختصاصات تر :سعيد حسن بحيري، دارالقاهرة للكتاب، مصر، ط1 2001،
166. كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج) ، ت: سعيد حسن بحيري مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ط2 سنة 2010
- 167- لليونيل بانجر. الأليات الحجاجية للتواصل ، ترجمة عبد الرفيق بوركي ، مقال ضمن الحجاج ، مفهومه و مجالاته،
168. خوسيه ماريا بوثيلو إيقانكوس. ترجمة حامد أبو حمد، مكتبة غريب، سلسلة الدراسات النقدية، القاهرة
- 169- آن روبول و جاك موشلار. التداولية اليوم (علم جديد في التواصل) ترجمة د. سيف الدين دغفوس ود. محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 2003.
- المجلات و الدوريات
170. ابرير ، بشير . في تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل ،جامعة باجي مختار، عنابة، العدد 08 ، جوان 2001

171. إبرش، إبراهيم. حول حدود استحضر المقدس في الأمور الدنيوية ، مجلة المستقبل العربي ع 5 ،بيروت . 1994
172. بوقرة ، نعمان. نظرية الحجاج، الموقف الأدبي ، ع 4047 ، آذار 2005
173. الرقيب، رضوان. الإستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، مج 40، الكويت، ع2 أكتوبر 2001
174. حمدوي، جميل. المقاربة التداولية في الأدب و النقد، دراسة ضمن مجلة (العربية و الترجمة)، اصدار : المنظمة العربية للترجمة ، السنة الرابعة العدد: 9 ربيع 2012 بيروت ، لبنان
175. الحباشة. صابر، مدخل إلى الأبعاد التداولية في قراءة الشروح القديمة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع 100 2007،
176. الزعيبي أحمد. التناص التاريخي والديني ، مجلة أبحاث اليرموك، مجلد13، عدد1، 1995م
177. شاكر، عبد الحميد. عصر الصورة ، ضمن مجلة عالم المعرفة ، العدد311، الكويت سنة 2004
178. شيتير، رحيمة. تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، أطروحة دكتوراه في الأدب، جامعة باتنة، 2008
179. العبد، محمد. النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع ،مجلة فصول ع60،الهيئة العامة للكتابمصر 2002
180. عيد، بليغ. الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، ع 23 ، 2005 .
181. فرنان آلين . (التداوليات) ترجمة : يونس لشهب ،مقال ضمن مجلة العربية و الترجمة السنة الرابعة العدد9 ربيع 2012، إصدار المنظمة العربية للترجمة . لبنان .
182. ولد محمد الأمين، محمد سالم. مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، الكويت، ع.2 يناير، مارس. 2000 .
183. لمهاية ،محفوظ ميارة. مفهوم الحجاج في القرآن الكريم،مجلة اللغة العربية، العدد: 81، ج 03، دمشق، سورية
- والفنون والآداب في الكويت -العدد 146 ، شباط، 1990
184. طيطيائي، طالب هاشم . نظرية الأفعال الكلامية،مجلة الفكر العربي المعاصر، ع: 98. 99 سنة 1992
185. إدريس، مقبول ، البعد التداولي عند سيويوه، مجلة عالم الفكر، ع1، مج 33، يوليو، سبتمبر، 2004
186. موسوعة أندريه لالاند الفلسفية.المجلدالأول (A-G).تعريب خليلا حمد خليل منشورات عويدات بيروت 1996
187. الغذامي، عبد الله. الخطيئة و التكفير ، النادي الأدبي الثقافي ،جدة السعودية ، د ط ، د ، ت ،
188. صلاح فضل . بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس، 1992.
- المعاجم و القواميس و المواقع الالكترونية
189. احمد عمر مختار و مجموعة من الأساتذة. معجم اللغة العربية المعاصر، عالم الكتب القاهرة ، 2008.

190. أعراب، حبيب . الحجاج و الإستدلال الحجاجي ، ضمن عالم الفكر ، ع1، المجلد 30،

يوليو، سبتمبر، 2001

191. إدريس، سهيل. المنهل : قاموس فرنسي-عربي. "منشورات دار الآداب. الطبعة الثامنة والثلاثون بيروت. لبنان

2007

192. باتريك شارود و ودومينيك مانغونو. معجم تحليل الخطاب ،ترجمة عبد القادر المهيبي و حمّادي صمود. دار

سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس 2008

193. مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، . ج.2 ، 1983.

194. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب، دار صادر، الناشر - بيروت ط 3، 1414

هـ

195. الظاهر، أحمد الزاوي. ترتيب القاموس على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، دار الفكر للطباعة ، ط

3

196. سامي عياد حنا، كريم زكي حسام الدين، نجيب جريس. معجم اللسانيات الحديثة، انجليزي-عربي - مكتبة لبنان

للنشر

197. مواقع إلكترونية: في رحاب نهج البلاغة [www. balaghah. net](http://www.balaghah.net)

198. ويكيبيديا العربية: الجمعة 11 ديسمبر /كانون الأول 2015 ، الموافق 29 صفر 1437 هـ

[/ https://ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/)

مراجع باللغة الأجنبية

199. *encycédique édion 2002 spademLadagp paris*

200- *émile Benveniste : "Problèmes de linguistique générale ". GallimardParis1966.*

201-*Ferdinand de Saussure : Cours de linguistique générale, EN.R.G. édition Alger.1990.*

202*dictionnaire hachette encyédique édion 2002 spademLadagp*

203*Larousse .langue et language ,Linguistique et poétique ,J.Fill , D.Delas Paris 1973,*

204*Dominique (Mainqueneau) : Pragmatique Pour Le Discours Littéraire, Edition nathan*

205- *O.Ducrot, Dire et ne pas dire, Principe sémantique linguistique, Collection savoir –sciences,*

Hermann, Éditeur de science des arts, 3éme édition, Paris,1991

206 *Jean Dubois et autre : dictionnaire de linguistique Laibrairie La roisse , Paris –2-1973*

الملخص

الملخص باللغة العربية:

هذا البحث الموسوم بـ: [تداولية الخطاب الإقناعي في كتاب نهج البلاغة للإمام علي (ت40هـ)] يهدف إلى دراسة و تحليل كتاب نهج البلاغة من خلال المقاربة التداولية بالإجابة على ما يلي: . هل يمكن اعتبار خطاب الإمام علي خطابا حجاجيا؟. ما الذي كان له بالغ التأثير في رفعة أسلوبه و سمو معانيه؟ أ في توظيف المعاني الإسلامية أم في قوة الأساليب التبليغية و الإقناعية؟ أم هما معا؟ ما الإقناع؟ وكيف تمّ تحصيله في خطاب الإمام علي (عليه السلام)؟- ما دور السياق في تشكيل خطابه، وكيف يُستثمر لإدراك قصد المرسل و فهمه؟ و ما هي إستراتيجيته (عليه السلام) الإقناعية؟ و إلى أي مدى ترجمت لنا هذه الآليات اللغوية و البلاغية و التداولية البعد الوظائفى للغة في خطاب للإمام علي (عليه السلام)

هذه العناصر و غيرها كانت لب الدراسة و التحليل، في بحث مكون من فصل نظري و ثلاثة فصول تطبيقية و ملحق و خاتمة. ارتكز البحث على نظريات من مصادر و مراجع متنوعة عامة لها علاقة بالتاريخ و متخصصة لها علاقة بالتداولية، ساعدنا في ذلك ما أتاحتها لنا المدارس و المناهج الأدبية و النقدية الحديثة و المعاصرة.

ليخلص البحث إلى عدة نتائج على المستويين النظري و التطبيقي. منها أن التداولية ليست سلة لمهمات اللسانيات، و أن موضوع التداولية له جذوره في التراث العربي، كما أن للسياق دور مهم في تحديد نوع الإستراتيجية التخاطبية، و أن الإستراتيجية التوجيهية هي الأكثر اعتمادا في خطاب الإمام لتوجيه الناس لما ينفعهم في دنياهم و آخرتهم، إضافة لتوفرها على قدر كبير من الصدق و الإخلاص و معالجتها لأهم القضايا التي تمس جوهر الإنسان.

مع تميز خطابه التداولي (عليه السلام)، بمخاطبة ذكاء المتلقي و ثقافته و خبرته الجمالية مما أتاح له إنتاج المعنى التأويلي. كما تعود أسباب تعدد و تباين آليات الإقناع و الحجاج عند الإمام إلى تعدد طبيعة المخاطب، كان للبلاغة دورا كبيرا في أدائها.

مما سمح لنا القول أن رفعة أسلوب الإمام تمثل في سمو معانيه و في قوة الأساليب التبليغية و الإقناعية كل ذلك ساهم في خلود الخطاب و تداوله بين الناس. كما ساهم في فهم تاريخ الأمة الإسلامية مساهمة فعالة و خاصة في حل مشكلة الصراع. و منه يمكن القول إذا كان الاتجاه التداولي هو نموذج لدراسة الخطاب فإن خطاب الإمام علي هو نموذج لنجاح التحليل التداولي.

Abstract . الملخص باللغة الإنجليزية

The research entitled as follows : « pragmatic persuasive discourse in "Nahj El Balagha" of the Imam Ali » aims at the study and analysis of the book "Nahj El Balagha" through a pragmatic approach by providing answers to the following inquiries : can we consider the Imam Ali's discourse as an Argumentative one ? What was that made his discourse both influential and the supremacy of this semantics .is it thinks to the use of the Islamic meanings or it is due to the powerful informative and persuasive style? Or for the use of then both? What is then meant by persuasion or persuasive? How was it approached in Imam Ali's discourse? What is the role of context

In the making up of his study? And how is the context conceived in understanding the texts? What was his strategy to persuade his interlocutors? What could be the impact or the influence of the Imam's discourse in the history of Islam? has pragmatic approach have any differ ante vision in understanding the expressive of Nahj El balagha? These previous questions and other were the essence of study and analysis.

The research ends up in severed theritcale and practical evidences

Allowing us to say that the elevation of Imam style represented in His Highness sense and in the strength of methods and persuasive. Also it contributed to the understanding of the history of the Islamic nation, especially an effective contribution to solving the problem of the conflict. And it can be said if the trend is the deliberative model to study the speech, the speech of Imam Ali is a model for the success of deliberative analysis.

Résumé: الملخص باللغة الفرنسية:

La recherche intitulé comme suit: «discours persuasif pragmatique" Nahj El Balagha "de l'imam Ali» vise à l'étude et l'analyse du livre " Nahj El Balagha à travers une approche pragmatique en fournissant des réponses aux demandes de renseignements suivantes: peut-on considérer le discours de l'Imam Ali comme un Argumentative? Ce qui était qui a fait son discours à la fois influente et la suprématie de cette sémantique .is il pense à l'utilisation des significations islamiques ou elle est due au style informatif et persuasif puissant? Ou pour l'utilisation à la fois? Ce qui est alors signifié la persuasion ou persuasive? Comment at-il été abordé dans le discours de l'Imam Ali? Quel est le rôle du contexte ? Et comment est conçu le contexte dans la compréhension des textes de l'imam Ali ? quelle était sa stratégie pour convaincre ses interlocuteurs? Quel pourrait être l'impact ou l'influence du discours de l'imam dans l'histoire de l'Islam? a approche pragmatique avoir une vision différent ante dans la compréhension de l'expression de Nahj El balagha? Ces questions précédentes et d'autres ont été l'essence de l'étude et de l'analyse.

La recherche se termine en plusieurs résultats à la fois théorique et pratique le contexte a un rôle important dans la détermination du type stratégique pour guider les gens, ainsi que de fournir une grande partie de l'honnêteté et de la sincérité et le traitement des questions les plus importantes qui touchent l'essence humaine.

ce qui nous permet de dire que l'élévation du style Imam représenté dans son sens Altesse. En outre, il a contribué à la compréhension de l'histoire de la nation islamique, en particulier une contribution efficace à la résolution du problème du conflit. Et on peut dire si la tendance est le modèle délibératif pour étudier le discours, le discours de l'Imam Ali est un modèle pour l'analyse pragmatique.

ص:30الإشاريات <i>Les déictiques</i>
ص:31الإشاريات الشخصية:
ص:32إشاريات الخطاب :
ص:32الوصلات الزمانية و المكانية :
ص:33الضمائر :
ص:35	II _ تداولية الدرجة الثانية <i>La pragmatique du deuxieme degre</i>
ص:38مفهوم الحجاج <i>L'argumentation</i> :
ص:38الحجاج لغة :
ص:39الحجاج في القرآن الكريم :
ص:39المفهوم الإصطلاحي للحجاج :
ص:39الحجاج في العصر الحديث :
ص:39مفهوم الإقناع :
ص:42الإقناع في المعاجم العربية :
ص:42مفهوم الإقناع في المعاجم الأجنبية :
ص:43مفهوم الإقناع في الثقافة الغربية :
ص:43فهوم الإقناع في الثقافة العربية الإسلامية :
ص:44علاقة الإقناع بمجموعة من المصطلحات :
ص:45الإقناع <i>Persuasion</i> و الاقتناع <i>Conviction</i> :
ص:45علاقة الإقناع بالتأثير
ص:46:
ص:46علاقة الإقناع بالتصديق :
ص:47الإقناع و التواصل :
ص:47علاقة الإقناع بالحجاج :
ص:48آليات الإقناع و الحجاج :
ص:49الآليات المنطقية و الشبه المنطقية:
ص:50علاقة الحجاج و الإقناع بالخطاب :
ص:52الخطاب الإقناعي في التراث العربي :
ص:55	III _ تداولية الدرجة الثالثة: <i>La pragmatique du troisieme degre</i>
ص:55الأفعال الكلامية الكلية :
ص:56الفعل الإنجازي :

ص:56	_ الفعل المتضمن في القول :	
ص:56	_ الفعل التأثيري :	
ص:58	_ خصائص الفعل الكلامي و قوته الإنجازية:	
ص:59	_ معاني العبارات اللغوية :	
ص:65	_ متضمنات القول الدلالية ومتضمنات القول التداولية :	
ص:65	_ الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب :	
ص:66	_ الإستنتاج :	
137 – 67	— تداولية الدرجة الأولى <i>La pragmatique du premier degré</i> — [السياق و الإستراتيجية الخطابية في نهج البلاغة]	الفصل التطبيقي الأول
ص:67	_____ السياق و عناصره _____	المبحث الأول
ص:67	_ تمهيد :	
ص:67	_ السياق و عناصره :	
ص:70	_ المرسل(المتكلم ، الباث) :	
ص:76	_ روافد الإمام من الحضارة الإسلامية :	
ص:78	_ السلطة المعنوية للمرسل :	
ص:83	_ مقتل الإمام علي :	
ص:84	_ السياق العام لإلقاء الخطاب :	
ص:85	_ الإمام علي بعد وفاة الرسول (ص):	
ص:85	_ في خلافة عثمان (رضي الله عنه) :	
ص:87	_ ظروف مبايعة الإمام علي (رضي الله عنه) :	
ص:87	_ في خلافة الإمام علي (رضي الله عنه) :	
ص:90	_ واقعة الجمل:	
ص:92	_ حرب صفين:	
ص:94	_ الإطار الزمكاني لنهج البلاغة :	
ص:95	_ الزمن:	
ص:97	_ الإشارات المكانية:	
ص:101	_ الإحالة المطلقة:	
ص:102	_ الرسالة (نهج البلاغة):	
ص:102	_ عتبات نهج البلاغة :	

ص:103	- أقسام نهج البلاغة و مضامينه	
ص:106	- وسائل إرسال الخطاب	
ص:107	- المرسل إليه	
ص:107	- المتلقي المباشر	
ص:108	- رداات فعل المتلقي	
ص:109	- المتلقي الكوني	
ص:113	- القصدية والهدف من إرسال الخطاب	
ص:117	إستراتيجية الإمام علي في بناء النص الإقناعي	المبحث الثاني
ص:118	- إستراتيجية بناء الخطاب التوجيهي	
ص:119	- إستراتيجيات الإلقاء في نهج البلاغة	
ص:121	- الإستراتيجية التضامنية	
ص:121	- إستراتيجيات التماسك النصي الدلالي (المعيار اللغوي):.....	
ص:123	- الإستراتيجيات المعجمية :	
ص:125	- إستراتيجيات التوجيه في العرض الحجاجي	
ص:126	- إستراتيجيات الإقناع العاطفية :	
ص:133	- الإستراتيجية التلميحية	
ص:134	- إستراتيجية الخطاب السياسي الإقناعي:.....	
ص:134	- إستراتيجية الحوار بين الأنداد	
ص:134	- إستراتيجية الخطاب بين الراعي و الرعية	
ص:135	- إستراتيجية الحوار الإجتماعي	
ص:135	- مواضيع الخطاب و إستراتيجية الإقناع	
ص:135	- نتائج الفصل	
215.135	تداولية الدرجة الثانية <i>La pragmatique du deuxieme degre</i> [الحجاج في نهج البلاغة]	الفصل التطبيقي الثاني
ص:136	الآليات الحجاجية اللغوية	المبحث الأول
ص:136	- تقديم	
ص:137	- الآليات الحجاجية اللغوية	
ص:138	- الفاظ التعليل	
ص:139	- المفعول لأجله	

ص:140	- التكرار	
ص:141	- التكرار البنائي:	
ص:142	- تكرار الإشتقاق:	
ص:143	- تكرار الجملة:	
ص:143	- تكرار المعنى دون اللفظ:	
ص:144	- تكرار اسم الفاعل:	
ص:144	- تكرار صيغ المبالغة:	
ص:145	- تكرار اسم التفضيل:	
ص:146	- النص الوصفي:	
ص:148	الآليات الحجاجية البلاغية.	
ص:149	- الصور البيانية:	المبحث الثاني
ص:149	- التشبيه:	
ص:152	- التشبيه التمثيلي:	
ص:155	- الاستعارة:	
ص:159	- الكناية:	
ص:160	- التناصات:	
ص:162	- التناص الديني:	
ص:163	- التناص القرآني:	
ص:167	- التناص مع الحديث الشريف:	
ص:169	- التناص التراثي:	
ص:169	- التناص مع التراث الشعري:	
ص:169	- التناص مع التراث النثري:	
ص:172	- الأسلوب المباشر للتصوير:	
ص:173	- الإيجاز في نهج البلاغة:	
ص:176	- أساليب البديع التداولي:	
ص:176	- أساليب البديع اللفظي:	
ص:183	- أساليب البديع المعنوي:	
ص:183	- أساليب التقابل:	
ص:187	- أساليب الموازنة:	
ص:190	- أساليب التقسيم:	

ص:193	_ أساليب اللف و النشر:.....	<u>المبحث الثالث</u>
ص:196	_ استنتاج:.....	
ص:197	<u>_____ الآليات الحجاجية المنطقية و الشبه المنطقية _____</u>	
ص:197	_ الروابط و العوامل الحجاجية:.....	
ص:200	_ السالام الحجاجية:.....	
ص:201	_ أنماط الحجاج في نهج البلاغة:.....	
ص:202	_ القياس المنطقي الكامل:.....	
ص:206	_ القياس الشبه منطقي:.....	
ص:208	_ الحجاج القياسي بالخلف:.....	
ص:210	_ الحجاج القياسي(السببي) بالتقريع و التوبيخ:.....	
ص:210	_ الحجاج القياسي المضاد:.....	
ص:212	_ الإستنتاج:.....	
213 - 290	<u>_____ تداولية الدرجة الثالثة: La pragmatique du troisième degré _____</u> [الأفعال الكلامية في نهج البلاغة]	<u>الفصل التطبيقي الثالث</u>
ص:213	_ المبحث الأول: الأفعال الكلامية:.....	<u>المبحث الأول</u>
ص:215	_ الأفعال الإنجازية <i>Acte illocutoire</i> :.....	
ص:216	_ فعل القول. (<i>Acte d'énonciation</i>):.....	
ص:217	_ فعل الإنشاء (<i>Acte performatif</i>):.....	
ص:217	_ فعل التأثير (<i>Acte perlocutif</i>):.....	
ص:219	_ القوة الإنجازية <i>force illocutoire</i> :.....	
ص:221	_ التقريريات (الإخباريات) <i>Assertives</i> :.....	
ص:222	_ التوجيهيات (الأمريات) <i>Directives</i> :.....	
ص:223	_ الالتزاميات (الوعديات): <i>Commissives</i>	
ص:224	_ التعبيريات(البوحيات) <i>Expressives</i> :.....	
ص:225	_ الإلانيات (الإيقاعيات) <i>Declaratives</i> :.....	
ص:228	_ الأفعال الإنجازية المباشرة:.....	
ص:229	_ العرض و التحضيض:.....	
ص:231	_ صيغ التعجب:.....	
ص:232	_ الترجي:.....	
ص:233	_ القسم:.....	

فهرس المواضيع

ص:235	الإغراء و التحذير	
ص:237	الأفعال الإنجازية غير المباشرة(المعاني الضمنية)	
ص:244	الإقتضاء:.....	
ص:244	الأساليب الإنشائية الطليبية ذات التمثيل الذهني :	
ص:245	الإستفهام :.....	
ص:249	التمني :	
ص:251	الأساليب الإنشائية الطليبية ذات التمثيل الواقعي :	
ص:251	النداء :	
ص:252	الأمر :	
ص:259	النهي :.....	
ص:263	خروج الطلب لا على مقتضى الظاهر:.....	
ص:263	استعمال الخبر في موضع الطلب	
ص:263	الإستنتاج:.....	المبحث الثاني
ص:266	المبحث الثاني تحليل تداولي شامل لنص كامل :	
ص:266	تحليل النص التواصلي :	
ص:277	تحليل النص الأدبي :	
ص:290	نتائج الفصل :	
297-292	نتائج الفصل النظري و التطبيقي	خاتمة
329-298	الملاحق	الملاحق
ص:298	من مخطوطات نهج البلاغة	
ص:311	فهرس المدن و المعارك	
ص:317	فهرس المصطلحات	
ص:329	فهرس أعلام التداولية :	
349- 340	المصادر_ المراجع العربية _ المراجع المترجمة _ المراجع الأجنبيةة	فهرس
353- 350	عربي _ فرنسي _ انجليزي - أمازيغي	الملخص
360- 354	مقدمة_ الفصل النظري _ الفصل الأول _ الفصل الثاني _ الفصل الثالث_ خاتمة _ الملحق _ فهرس المصادر و المراجع _ الملخص _ فهرس المواضيع	فهرس المواضيع